
رهبان الليل
تأليف
دكتور سيد بن حسين العفاني
قدم له
الشيخ أبو بكر جابر الجزائري
الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ محمد إسماعيل المقدم
الشيخ أبو إسحاق الحويني
الشيخ عائض بن عبد الله القرني
الشيخ محمد القاضي
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
منتدى اقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com


منتدى إقرأ الثقافي



رُهبانُ الليــل

تأليف

دكتور سَيِّد بن حسَين العفاني

قدم لهُ

الشيخ أبو بكر جابر الجزائري	الشيخ محمد صفوت نور الدين
الشيخ محمد إسماعيل المقدم	الشيخ أبو إســحاق الحويـني
الشيخ عائض بن عبد الله القرني	الشيخ محمــد القــاضي

المجلد الأول

الناشر

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

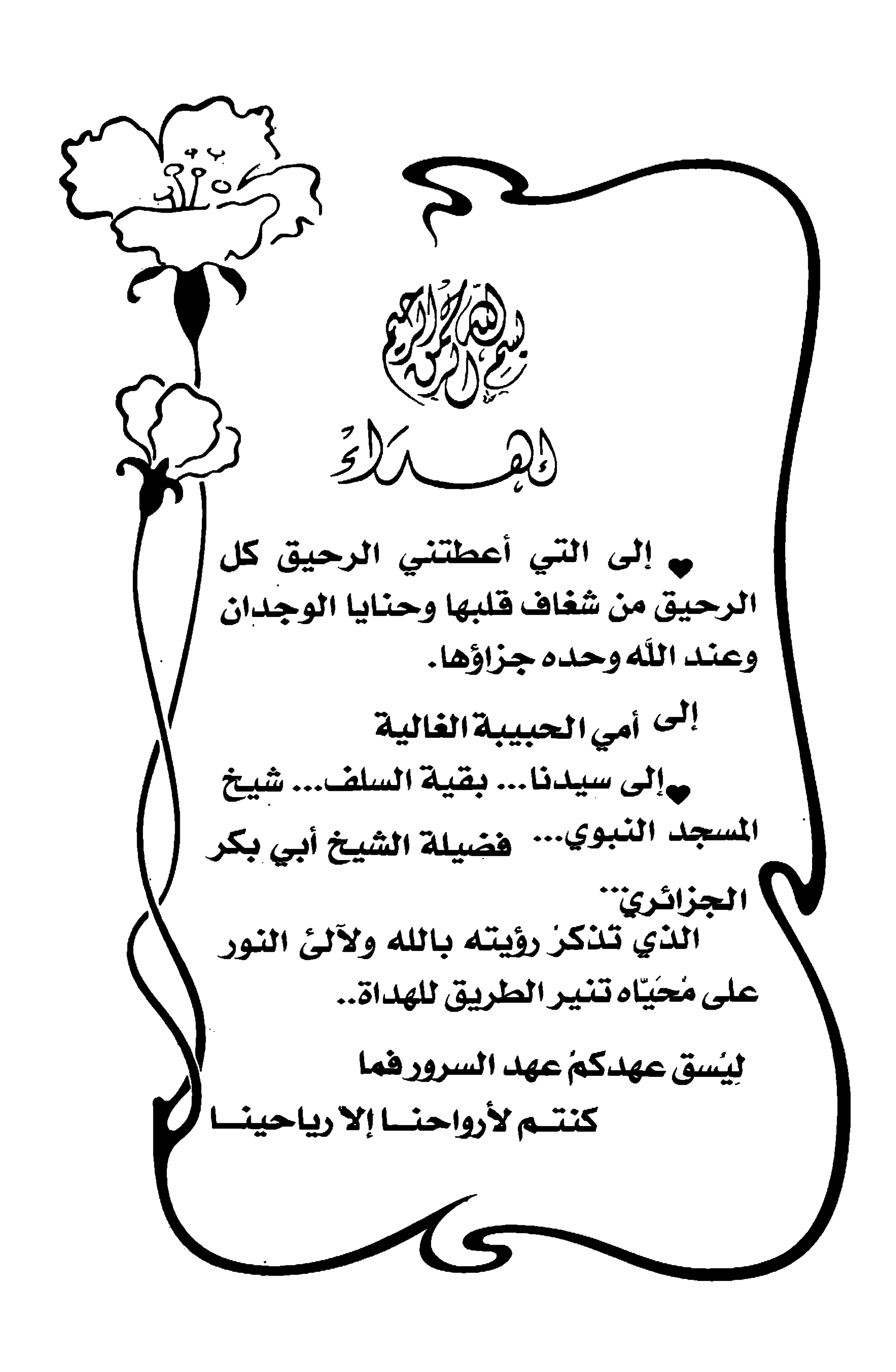
الطبعة الرابعة

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الطبعة الثامنة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رُهبانُ الليـل



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

♥ إلى التي أعطتني الرحيق كل الرحيق من شغاف قلبها وحنايا الوجدان وعند الله وحده جزاؤها.

إلى أمي الحبيبة الغالية

♥ إلى سيدنا... بقية السلف... شيخ المسجد النبوي... فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري...

الذي تذكرُ رؤيته بالله ولآلئ النور على مُحَيّاه تنير الطريق للهداة..

لِيُسق عهدكمُ عهد السرور فما
كنتـم لأرواحنـا إلا رياحينـا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثامنة

بقلم فضيلة الشيخ

أبي بكر جابر الجزائري

شيخ المسجد النبوي بالمدينة المنورة

كلمة تقريظ لأبي بكر جابر الجزائري

قال ـ عفا اللَّه عنه وغفر له ـ:

الحمد للَّه حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه. وصلاةُ اللَّه وسلامُه وتحياتُه وبركاتُه على صفوة خلقه، وخاتَمِ أنبيائه ورسله سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه.

وبعد..

لقد شرَّفني الدكتور/ سيد بن حسين العفَّاني بأن أرسلَ إليَّ مؤلَّفه القيِّم ذي القيمة التي لا يُقادَرُ قدْرُها، إنه كتاب «رهبان الليل» ذو المجلَّدين[1] ، والذي لم تَر العين ـ فيما أعلم ـ مثله في عالم المؤلَّفات في هذه الأيام.

والكتاب مَنْ قرأه، حزِنَ، وامتلأ قلبه بالأسى والأسف لحرمانه ممَّا

(١) هذا في الطبعات السابقة.

فاز به الأولون، وحُرِمَه المتأخِّرون مثلي. فاللَّهم إليك أشكو قساوة قلوبنا، وجمود عيوننا وعِظَم نومنا، وفرط سهونا وغفلتنا، فأكرمْنا يا ربَّنا بقيام ساعة من آخر ليلنا، حتى نموت عليها، فنشارك أولئك الرهبان الذين حُرِم منهم هذا الزمان. وجزاك اللَّه خيراً يا دكتور على ما وفَّقك إليه من تأليف هذا الكتاب الذي ينبغي أن لا يخلو منه بيت مسلم في هذه الحياة.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته

أبو بكر الجزائري

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

صفوت نور الدين

الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بمصر

الحمد للَّه رب العالمين وخالقهم ومبدعهم، أنزل شرعه وخلق كونه، وبعث رسله إلى الناس جميعًا ليخرجوا الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمة إلى النور، ومن الجهالة إلى العلم، فجعل العلم النافع نورًا يستضيء به المتعلم ويستضيء به كل الذين يقتدون بعلمه.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وقدوة للأنام أجمعين، إمام المجاهدين وأسوة العابدين، وعلى صحبه الكرام والتابعين من بعدهم الذي اتبعوا نبيهم ونصروه، فنصرهم اللَّه سبحانه، فانتصروا على شهواتهم وشيطانهم، فقطعوا نهارهم في الجهاد فرسانًا، والليل في المحراب رهبانًا، فكان أُنسهم بربهم في ليلهم إذا هجعت الأصوات والتف الناس في البيوت نيامًا، صاروا هم للَّه قائمين يأنسون بصحبته ومناجاته. القرآن الكريم وِرْدُهم، والصلاة بالليل شغلهم، والبكاء متذكرين القيامة والحساب والدعاء خائفين من يوم اللقاء، كل ذلك هو حالهم، فإذا أصبح عليهم النهار خرجوا من ديارهم يأخذون من الدنيا بقدر المتزود في سفره، إن كانوا في شغلها كانوا مع الشرع دائرين، ولما أحل اللَّه ملازمين، وعن الحرام بل كل الشبهات متباعدين، يخافون من

أن يلوثوا صفحة بيضوها في ليلهم بالطاعات، فيخافون من نظرة أو طرفة، ويخافون من كلمة أو خطرة، فإذا وقع منهم شيء من ذلك أسرعوا قائلين: رب قد أذنبت فاغفر لي. فإذا دعا داعي الجهاد بالسيف والقتال فهم في الجهاد وحلقاته، خرجوا مسرعين يريدون ملاقاة رب أنسوا به الليل كله، وحرصوا على العمل في مرضاته وشرعه النهار كله.

الأخ القارئ الكريم حول هذه المعاني وغيرها وتفاصيلها، وبيانها بأسماء رجالها، وتوضيح أصنافها وأعمالها وغيرها وغيرها، **تعالى معي نسير في دروب كتاب طيب وسفر جليل، صنفه الأخ الداعية الكريم الدكتور: سيد حسين العفاني، جزاه اللّه خير الجزاء.** تعال معي نتعرف على رجال وأعمال لعلنا أن ننال بذلك للصالحين من العابدين محبة، وللصالحات من الأعمال شوقًا والتماسًا للاقتداء والاستمرار، ولعلنا أن نفوز بوعد كريم من رسول رب العالمين، الذي بلغنا فقال: «المرء مع من أحب» فإن صدقنا في محبتهم، لا نحرم يوم القيامة وفي الآخرة من رفقتهم.

واللّه سبحانه أدعو لأخي الكريم أن يوفقه في القول والعمل، وأن يسدد خطاه، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يوفق قارئه، ويثيب ناشره والداعية به وإليه، واللّه من وراء القصد.

وكتبه

الفقير الضعيف للّه الغني القوي

محمد صفوت نور الدين

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

محمد إسماعيل المقدم

أحمد اللَّه تعالى وأشكره، وأستعين به وأستظهره، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمدٍ خيرِ عابدٍ وسالك، والقائل: «**قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**».

أما بعد...

فإنا لا نزال بحمد اللَّه نستشرف - في هذا العصر - طلائع البعث الإسلامي المرتقب، تُظْهِرُ العجائب، وتُبْرِزُ خبايا المواهب، وتتبوأ من مقاعد البذل والعطاء أرفع المراتب.

وهذا المجموع الحافل الذي قيَّده الأخ الحبيب في اللَّه: السيد بن حسين العفاني - لا زال سعيه مشكوراً، وعمله في الدارين مبروراً - يَسُدُّ ثغرةً طالما أعوزَ شبابَ الصحوة سَدُّها، ويُحيي سُنَّةً عَزَّ فينا من يحفل بها، فأين عمال اللَّه في هذه الأعصار؟ أين رهبان الليل وفرسان النهار؟ بانوا وكأنهم ما كانوا:

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلاً فقد صاروا أعز من القليل

فيا من أراد النجاة يوم الحساب، تدبر ما حواه هذا الكتاب، وأَلْزِم ساقيك المحراب، فإنه للاستقامة باب، وأحي هذه السنة في نفسك، ثم ذكِّر بها من ينتفع بنصحك، لعلك تجلو بهذا العمل سَناها، وتُعَدُّ يوم

القيامة في من أحياها.

على أنه مما ينبغي للحاذق الفطن مراعاته: التوسط بين الحقوق والواجبات، بإعطاء كل ذي حق حقَّه، وتقديم فرائض الأعمال على مستحباتها لينجو من الوزر، وفاضلها على مفضولها ليسلم من الغبن، فإن الفقه ـ كل الفقه ـ أن تبصر أهم الواجبات فتقدمه، وتعرف خير الخيرْين فتتبعه، وشر الشرّين فتدفعه.

ولعل اللَّه تبارك وتعالى يوفق أخانا أبا تراب لِيُشَفِّعَ هذا المجموعَ بِتَوْأَمِهِ الذي لم يفارقْهُ عند أسلافنا الأبرار، مجموعٍ حافلٍ لأحوال فرسان النهار، من المجاهدين في كافة الأعصار، لِتَقَرَّ بالمجموعَيْنِ عيونُ عِبادِ الرحمن، وَتَصْفَرَّ وجوهُ أولياء الشيطان.

واللَّه جل وعلا المسئول المرجو الإجابة أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته ثقيلاً ثقيلاً، وأن يجزيه بما يتمناه، ويطيل في أفياء السلامة والعافية بقاه.

اللَّهم اجعلنا بالخير موصوفين، ولا تجعلنا له ـ فَحسب ـ وَصَّافين، واشفنا من النوم باليسير، وارزقنا سهراً في طاعتك، ومناجاتك، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وصل اللَّهم على عبدك، ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد للَّه رب العالمين.

محمد أحمد إسماعيل

الإسكندرية في: الأحد ٢١ رجب ١٤٠٩هـ

٢٦فبراير١٩٨٩م

* * *

مقدمة بخط اليد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

عائض بن عبد الله القرني

لك الحمد يا من أشرقت بنور وجهه السماوات والأرض ولك الشكر يا من ينزل لأوليائه في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا.

والصلاة والسلام على من أحيا الليل بمناجاة المحبين وضوَّع السَّحَر بأعذب الأنين وعلى العبّاد والنسّاك والمجاهدين، ومن لزم المحجَّة وحمل الحُجة حتى نلقى اللَّه رب العالمين:

قلت لليـل هل بجوفـك سـر　　　عامـر بالحديث والأسـرارِ
قال لم ألق في حيـاتي حديثًا　　　كحديث الأحباب في الأسحارِ

بين يديَّ هتاف خالد وفيض وارد دبجه أخ مبارك وشهم مدْرَه هو حبيبنا في اللَّه: السيد بن حسين العفاني، وقد طالعت ما كتب في هذا السجل الحافل: «رهبان الليل» فلفت نظري وأمتع بصري واستوقفني طويلاً طويلاً وقلت: «كل الصيد في جوف الفرا» فما بين آية محكمة وحديث ثابت وقصة شائقة وسيرة عطرة وبيت خلاب.

فعلمت أن هذا الرجل المبارك هرق كأس الكرى ليصطاد بنات أفكاره وودّع رضاب الخرد العين لينعم بإذن اللَّه في جوار رب العالمين.

عسى اللَّه أن يكتب له أجره موفورًا، وأن يجعل سعيه مشكوراً

وعمله مبرورًا، وليتقبل مني سلامي وتحياتي وأشواقي. وصلى اللَّه على الهادي الأمين وآله وصحبه وسلم.

كتبه

عائض بن عبد اللَّه القرني

أَبْهَا

٢٣/ ١١/ ١٤١٢

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

أبي إسحاق الحويني

إنَّ الحمد للَّه تعالى نحمده، ونستعين به، ونستغفره، ونعوذ باللَّه تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد اللَّه تعالى فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

* أما بعدُ:

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه تعالى، وأحسن الهدي هديُ محمد صلى اللَّه عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

فإن قيام الليل من أفضل الطاعات، وأجلِّ القربات، بعد الصلوات المفروضات، كما قال الصادق المصدوق - بأبي هو وأمي - فيما أخرجه مسلم (١١٦٣/٢٠٣) عن أبي هريرة أنه سُئِل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة؟ فقال: «**أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاةُ في جوف الليل**».

ومن أعذب الأحاديث في ذلك ما أخرجه النسائيُّ (٣/٢٠٧، ٢٠٨) وصححه الترمذيُّ (٢٥٦٨)، وابن خزيمة (٢٤٥٦)، وابن حبان (٣٣٤٩، ٣٣٥٠، ٤٧٧١)، والحاكم (٢/١١٣) عن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «**ثلاثة يحبهم اللَّه عز وجل...**» فذكر منهم: «**... وقومٌ ساروا**

ليلتهم، حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدل به، نزلوا فوضعوا رءوسهم، فقام يتملقني ويتلو آياتي». وسنده مقاربٌ. وله طريق آخر صحيحٌ عن أبي ذرٍ أخرجه أحمد (٥/ ١٧٦)، والطيالسي (٤٦٨)، والطبرانيٌ في «الكبير» (ج٢/ رقم ١٦٣٧)، والبيهقيُّ (٩/ ١٦٠) وفيه: «... ورجلٌ سافر مع قوم، فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى ـ أو النعاس ـ فنزلوا، فضربوا برءوسهم، ثُمَّ قام فتطهر، وصلى رغبةً للَّه عز وجلَّ، ورغبةً فيما عنده».

وفضل هذه الصلاة معلومٌ، وتجدُهُ مع شواهد كثيرة في هذا المجموع الحافل، وسرُّ المسألة أن هذه الصلاة لا يقدر عليها إلا متجردٌ، عظيم الإخلاص، وللَّه درُّ قتادة بن دعامة إذ قال فيما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣٨) بسندٍ صحيحٍ: كان يقال: قلما سهر الليل منافق. ولو قال: ما سهر لما أبعد، ولعله احترز.

وهذا قولٌ صحيحٌ؛ لأن هذه الصلاة لا تتم للعبد إلا بتجريد الإخلاص، وإذا كان شهود العشاء ثقيلاً على المنافقين ـ كما في الحديث الصحيح ـ فما بالُك بجوف الليل الآخر؟!

ولكم هزَّني ما قرأتُهُ منذ سنوات في «ثقات العجلي» (٢٨٠ ـ ترتيب الهيثمي) في ترجمة حسن بن صالح بن حُيِّ أنه باع جاريةً، فلما صارت عند الذي اشتراها قامت في جوف الليل، فقالت: يا أيتها الدار، الصلاة الصلاة! قالوا: طلع الفجرُ؟! قالت: وليس تُصلون إلا المكتوبة؟! قالوا: نعم، ليس نصلي إلا المكتوبة. فرجعت إلى الحسن، وقالت: بعتني إلى قوم سوءٍ ليس يصلون باللَّيل، فردني. فردها.

ولكم كنت في رغبة أن أرى مجموعًا في هذا المعنى، حتى أقرَّ

عيني، وعين كل سُنِّي ـ إن شاء اللَّه ـ صاحبنا الشيخ: سيد بن حسين العفاني بهذا الكتاب فجزاه اللَّه خيراً.

إن جيلنا ـ الذي أوتي من الضعف والهوان أضعاف ما أوتي أسلافنا من الجد والقوة ـ في أمسِّ الحاجة إلى ما يشحذ هممهم بعد أن استكانوا واجتمع عليهم أعداؤهم من كل صوبٍ، وليعلموا أن ما كان عند أسلافنا من العلم إنما وفقوا إليه بجدهم وإخلاصهم دينهم للَّه تعالى، وإني لأعرف رجلاً من أكابرهم، ممن يشار إليه بالبنان في العلوم الشرعية إذا أعيته مسألةٌ، أو ندَّ عنه معنىً يريده يقول كما يخبرُ عن نفسه: حينئذٍ أقوم فأعدُّ لنفسي كوبًا من الشاي، أو أتلمَّسُ نسمة هواءٍ وأعلل نفسي بأنني متى روحت عنها استعاد الذهنُ نشاطه، فيمكنه أن يحصل بغيته بعد قليل، وإن عجز بعد كل ذلك ترك الموضوع إلى حين ميسرة، أين هذا مما حكاه لنا ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ عن شيخه وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ أنه قال: ربما استغلقت عليَّ المسألةُ فأستغفر اللَّه ألف مرة أو يزيد حتى يفتح لي، قال: وربما ذهبت إلى الخلوات أمرغ خدي في التراب وأقولُ: يا معلم إبراهيم، علمني!!

إن هذا المجموع الذي بين يديك ـ أيها المسلم ـ مجموعٌ حافلٌ في بابه، فاحفل به، ولقد أعلم أنه عانى عليه صاحبه كثيراً في جمع الأقوال من بطون الكتب وتوثيقها وترتيبها ـ فللَّه دره ـ ولا يُقَدِّرُ ما قلتُهُ إلا من كابد التأليف الجاد. ومن رحمة اللَّه بعباده، ولطفه بهم سبحانه أنه لم يخص بالعلم قومًا دون قومٍ، ولا وقفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وينبه

المقِلَّ منه على ما أغفل عنه المكثر، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدمٍ، وتالٍ يعترضُ على ماضٍ، وإن كان ما عندنا من العلم بالنسبة لمن مضى من أسلافنا، كقطرة في بحر خضم، أو كما قال الأول: فضلُ بُزاق.

وأنا في غنًى عن مدح هذا الكتاب، فهو ينطق بذلك، وقد سبقني في التعريف به والثناء عليه صاحبنا الحبيب الشيخ أبو الفرج محمد بن إسماعيل ـ حفظه اللَّه ـ.

واللَّه أسألِ أن ينفع به كما نفع بصاحبه، وأن يهبه غنمه، وأن يتجاوز له برحمته عن غرمه، وأنْ يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته.

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، والحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه

راجي عفو ربه الغفور

أبو إسحاق الحويني الأثري

حامدًا اللَّه تعالى، ومصليًا على

نبينا محمدٍ وآله وصحبه

آخر شهر صفر/ ١٤١٤هـ

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ

محمد عبد الحكيم القاضي

رُهبانُ الليل - وصاحِبُهم

عُوجِي على ربْعِها - يا (سَلْمُ) فابْكيهِ
وثَوبِّي مع دمع الطَّلْحِ يرثِيهِ

بانت (سُعَادُ)، فما أبقَتْ لَنَا وَطَنًا
لِلقَلْبِ يَحْنو عليه - حين يأتِيهِ

بانَتْ، ولم تَلْتَفِتْ من خَلْفِ هَوْدَجِها
لِمُقْلَةِ الصَّبِّ، والأحزانِ تُشْفِيهِ

أحِبَّةٌ، وضُلُوعُ الصَّبِّ موطنهم
القرب يُسْعِدُه، والبُعْدُ يُشْقِيهِ

أحِبَّةٌ؛ عَمَروا بالحقِّ سَاحَهُمُ
وشَيَّدوا بُعرى التقوى معانِيهِ

هُمُ أضاءَ بِهِمْ دربُ العُلا، فرأَوْا
بأعيُنِ الحقِّ منهُمْ كُلَّ ما فِيهِ

الليلُ يعرفهم - رُهبانَ ساحَتِه
تُرقِي مآقِيهمُ دمعًا مآقِيهِ

في واحـــةٍ لكتــابِ اللّهِ مَــورِدهم
الزَّادُ أحكـامُـه، السُّـقْيا معـانِيـهِ
أوَّاهُ: لو جئتـهم، واللَّيــلُ يجمعــهم
على بِســاط التُّـقَى، رقَّتْ حَـواشِــيهِ
يـوقِّعــونَ على ألحــانِــه نَـغَمًــا
من الحنيــنِ، ثرِيًّــا في تَـأتِّيــهِ
ويمـــلأون وِعــاءَ اللَّيـــلِ من رَهَبٍ
ويُفْــرغــون الشــكايا في دياجِيــهِ
وهــل تـرى ـ حيـن تأتيهم سوى نَحِلٍ
مقــرَّحِ الجفن، لم ينْـعَمْ بترفِيـهِ
مُـمَـهَّـدِ القَلْب بالشـوقِ الجليـلِ إلى
جنـاتٍ عَــدْنٍ، جِوارَ الرَّبِّ بارِيــهِ
مُخَضَّبِ الجَفْـنِ بالشــكوى إلى حَكَمٍ
حَــقٍّ، ودودٍ، ثـريَّـــاتٍ أَعَـاطِيــهِ
أوَّاهُ، يـأيـهـــا الــراوي روايتـــهم
على جَبِــيـن الـدُّنَى؛ أنَّى نُوَفِّيـــهِ
يـا صاحِبَ الليــل والرُّهْبــانِ، معذرةً
كيـــف الوفـــاءُ لمن أحيـــا ليـاليـهِ
كيــف الوفــاءُ لمن أذكى بســيرَتِـهم
مســامعَ الدهــر، لو أصـغت أمانِيـهِ

يا سـيّدَ بن حُسَيْنٍ، يـا سَـفَارَتنا
إلى المعـاني العُـلاَ، صِينَـتْ أياديـهِ
قَرَّبت للنّـاسِ معنـى الحُبِّ في زمَنٍ
تحجَّـرَ القلبُ، واشـتَدَّتْ عَوَاصِيـهِ
يا ابنَ العَلِيِّيـنَ: صِحْ بالشَّوقِ في ملأٍ
حُـمُّـوا بِشَـوْقٍ إلى وادٍ مِن التِّيـهِ
وأُولِعـوا بصِغـارِ الأمـرِ، وانصرفوا
يا ابن العَلِيِّيـن - فيهـا عن معاليـه
أيـا حَفِيـداً لآلِ البَيْتِ؛ معـذرةً
لدعـوة الشَّـوْقِ، في أرضِ المَعَـاتِيهِ
لقَـدْ مُلِئْنَـا (تَفَاقِيهًـا) - بـلا عَمَلٍ
نَعُـوذ باللَّـهِ من شَـرِّ التَّفَـاقِيـهِ
هـذا أخـوك حفيـدُ ابن الحُسَيْـنِ، له
في قَسْـوَةِ القَـلْبِ أوفَى القِـدْحِ عاليهِ
لم يَحْظَ من جَـدِّه جَـداً، ولا جِـدَةً
. إلى بـلادٍ لأهْـلِ البيتِ تُـدْنِيـهِ
هـل حَسْـبُهُ أنَّـهُ بالذنب معتـرفٌ
وأنَّـهُ رحمـةُ الرحمـنِ تُرْضِيـهِ؟
وأنَّـهُ سَـخَطُ الجبَّـار يُرهِبُـهُ
وأنَـهُ آمِـلٌ في اللَّـهِ يُنْجِيـهِ؟

وأنَّـــهُ طـامِـعٌ فـي عَفْــوِ ســيِّده

ربِّ العبـــادِ ؛ أهـــذا القـــدرُ يكفيـه ؟

يا ابن العَليِّيـنَ ، فابــذُلْ منـــك تَزْلِفَةً

إلـى إلهِـكَ : أن يمحـــو معاصيـــه

وأن يُجَـــازِي بعَفْــوٍ منـــه مأثَمَـــهُ

وأن يُـــواري بـــرُحمـــاه مســاوِيـهِ

وكتبت يمين أخيك

العائذ باللَّه

الفارّ منه إليه

محمد عبد الحكيم القاضي

المنيا - في صبيحة الاثنين :

١٩ من ذي الحجة ١٤١٩

* * *



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد للَّه، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١][(١)]

أما بعد:

في زمن اقشعرت الأرض فيه، وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات، وقلت الخيرات، وهزلت

(١) خطبة الحاجة وهي التي كان رسول اللَّه ﷺ يبدأ بها خطبه وقد جمع طرق أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألباني في رسالة قصيرة.

الوحوش، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش، وغلبة المنكرات والقبائح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه[١] .

يا لهفتا على زمان يلتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة إثر الحاصد[٢] .

قال رسول الله ﷺ : **«إنما الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة»**[٣] .

زماننا لاح للعاقل تغيره، ولاح للبيت تبدله، يبس ضرعه بعد الغزارة، وذبل فرعه بعد النضارة، ونحل عوده بعد الرطوبة، وبشع مذاقه بعد العذوبة[٤] .

ولمّا عز الناصح، وأصبح الناس شوكًا لا ثمر فيه، وخلت الديار ـ أو كادت ـ من العلماء ولا يكون العيش إلا معهم... تشبهنا بالغرباء ـ ولسنا منهم ـ وسمعنا كلام الملك العلاّم ـ وكلام الملوك ملوك الكلام.

﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ** ﴾[هود: ١١٦].

---

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية.

(٢) من كلام أبي حازم الأعرج.

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده». انظر: «صحيح الجامع الصغير» رقم (٢٣٢٨ج٢ ص٢٨١) للشيخ الألباني طبع المكتب الإسلامي.

(٤) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء».

* ولاح لنا الزاد.

نوراني المخبر، من درب هو ينبوع الشعاع، هو المنهل العذب الروي الذي لا تكدره الدلاء. . . منهل السلف ـ ويا بُعد ما بيننا وبينهم.

وأصبح أهل زماننا وقد حجبوا عن معرفة مقادير السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم. وأنّى لهم معرفة الرعيل الأول وقد كانت هممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل اللَّه لكل شيء قدراً[1].

أنى لنا بلحاق قوم لسان حالهم يقول:

تركنـــا البحـــار الزاخــرات وراءنـــا   فمن أين يدري الناس أين توجهنـــا؟

وحسبنا أن نكون على جادتهم، وإن أبطأ بنا السير فإن أمير القوم يرعى القافلة.

وتطفلاً منا على مائدة كرمهم سلكنا طريق السلف في عباراتهم ونسجنا على منوالهم؛ لعلّي أن أنظم في سلكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمرتهم، مع الذين أنعم اللَّه عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وبالســلــفـيـة إعـجــابنـــا   إذ قـــلّ بالســـلف المعـجب

أكثرنا في نقل تراجمهم كما سيتضح لك في جمعنا هذا وذكر كلامهم، لماذا؟

لأن رجال السلف كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة. .

---

(١) «شرح الطحاوية».

ملكوا الدنيا بصدقهم وإخلاصهم وعلوّ همتهم وعبادتهم.

شعلة المــاء التي من زمـــزم قيصــر يعنـــو لها كالخـــدم
هي تســمو للثريــا بالثـــرى وتعي القطـرة منهـا أبحــرا[١]

كانوا جبالاً في العلم والعمل لسان حالهم لمن بعدهم يقول:

كنـا جبالاً في الجبـال وربمـا سرنا على مـوج البحـار بحـارا

هم الرجال ولا رجال غيرهم طابت بهم الدنيا...

حدِّث عن القوم فالألفاظ ساجدة خلف المحاريب والأوزان تبتهـلُ

لسان حالهم يصوت بنا:

أنت تدري أيهـا الحيـران عنَـا كيف فوق الشمس أزمانًا حللنـا[٢]

لقد بذلوا المجهود من أنفسهم وحفظوا دين اللَّه، حملوه ملء الحنايا.. فلم نقدره حق قدره لسان حالهم يقول:

غزلت لهم غزلاً دقيقًا فلم أجـد لغزلي نسَّاجًا فكســرت مغزلي

وضعنا منذ أن بعدنا عنهم.

وكنـا عظامًا، فصرنــا عظامًا وكنا نقوتُ فها نحن قــوتْ

والشرف كل الشرف السير في ركابهم.. اقصد البحر وخل القنوات.

أيها الساعي لكحل المقـــل غافـــلاً عمّـا به من كحــل[٣]

إليهم فقد صوّت حاديهم بنا... «منازل من تهوى رويدك فانزل»

---

(١) ديوان: «الأسرار والرموز» للشاعر محمد إقبال ص(٨).
(٢) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد ص(١٣٩) طبع مؤسسة الرسالة.
(٣) ديوان: «الأسرار والرموز».

لم البعد عن طريقهم وقد عرفت ما في البعد؟!

صرت يا إكسير تربـــًا سافـــلا ... يا وليـــد النـــور صرت الباطلا (١)

نعم كانوا زينة الدنيا وبهجتها.

أزاهيرهـــم مؤمنـــات العبيـــر ... وأطيـــارهم قانتـــات الزجـــلْ
وأنهارهـــم من ضفاف المتـــاب ... تحدّرْنَ بالنـــدم المشـــتعلْ (٢)

وا شوقاه إليهم:

محت بعدكم تلك العيـون دموعها ... فهل من عيون بعدهم نستعيرها
رحلنا وفي سر الفؤاد ضمائر ... إذا هبَّ نجديّ الصبا يستثيرها
أتنسى رياض الغور بعد فراقها ... وقد أخذ الميثاق منك غديرها
أعد ذكرهم فهو الشفاء وربما ... شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
سقى اللّه أيامًا مضت ولياليًا ... تضوّع ريّاها وفـــاح عبيرهـــا

* **أما كلامهم:**

كلام السلف قليل كثير البركة وكلام غيرهم كثير قليل البركة.

قليـــل منـــك يكفيني ولكن ... قليلك لا يقـــال له قليـــل

إن للكلمات التي تنفرج عنها شفاههم مذاقًا فريدًا سلاسة وألقًا وإشراقًا وتجربة مفعمة.

إن كانوا في صمتهم أبين ممّن نطقوا فكيف بنطقهم؟!!

قطرات ندى وعبير لا يفنيه مدى

كلمات تهب النبع لصادٍ وردا

---

(١) ديوان: «الأسرار والرموز».

(٢) ديوان: «قاب قوسين» للشاعر محمود حسن إسماعيل.

ورحاب حملتها الكلمات الحسنى. . . بجناح من نور أسنى تصل الخلد. . تضيء الروح. . تمد يدا.

يصدق فيها قول الشاعر:

أتاك حديث لا يمل سماعه شهي إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المعنّى ظلامه

وقولهم يهتف بنا: «نحن أولى بالرقائق من غيرنا هذي بضاعتنا رُدَّتْ إلينا»:

فاسمع هُديتَ علومًا عز سالكها على البيان ولا يغررك ذو لسن
قصد إلى الحق لا تخفى شواهدها قامت حقائقها بالأصل والفتنِ

* قال يحيى بن معاذ: «أحسن شيء: كلام رقيق، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق»[1].

وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب سلفنا فخلدت كلماتهم معلنة عما لها من الاتصال بسند الحق.

«ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إن اتصلت بالحق والخير وكان لها من قوانين اللَّه في خلقه سند، ومن إلهامه لعباده مدد»[2].

سيماهم في كلامهم. . . مثلما هي في وجوههم ولذا جمعت من مواعظ السلف الذين تبتلوا للَّه ما هو «محرك للقلوب إلى أجل مطلوب، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس، وحقيق على فوائده أن يعض عليها بالنواجذ وتثنى عليها الخناصر وهو ممتع

(١) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٠٩).
(٢) «الشوارد» لعبد الوهاب عزام ص(٣٤٠).

لقاريه، مشوق للنظر فيه»(١).

ولأن من بركة الكلام عزوه إلى قائله.. فقد نسبناه قدر الطاقة إلى مصدره وصاحبه من رجال سلفنا ولقد أضفت إلى كلمات سلفنا كلمات لفقيد الإسلام الشيخ/ سيد قطب ـ تقبله اللَّه عنده في عداد الشهداء ـ فإنه كما وصفه الأستاذ الندوي: (من فتوح الإسلام الجديدة)(٢). وأضيف إليها من كلام القشيري صاحب «الرسالة القشيرية»(٣) ما هو موافق للكتاب والسنة فإن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها.

وكما يقول ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ: «البصير الصادق يضرب من كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها»(٤).

وأكثرت من ذكر الشعر ـ والحمد للَّه أنّ لنا سلفًا في ذلك ـ؛ ليرسخ المعنى ويطول تأمله وتذكره وربّ شعر يرتاع منه الكلام...

طائر أنت على دوحتنــا شـدوه واللحن من نغمتنا
إن تكن ذا نغـمة لا تُفـرد بسوى بستاننا لا تُغـرد(٥)

ولقد اقتصرت على الصحيح والحسن من الأحاديث التي صححها السابقون من الحفاظ أو رجال الحديث في عصرنا كالشيخ الألباني ـ حفظه اللَّه ـ وأكثرت في نقل تخريجه بارك اللَّه فيه وأفسح اللَّه في عمره.

---

١) من كلام ابن القيم في مقدمة «حادي الأرواح».
٢) «مذكرات سائح في العالم العربي» ص(٩٠).
٣) عبد الكريم القشيري: علم من أعلام التصوف، أشعري العقيدة وله «الرسالة القشيرية» وهي من كتب التصوف الشهيرة، واحتوت على كثير من الغث وقلّ جيد الكلام فيها.
٤) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٩، ٣٧٠).
٥) «الأسرار والرموز».

فيا أيها الناظر في جمعي هذا لك غنمه وعليّ غرمه ، لك صفوه وعليّ كدره.

اللَّهم اجعله خالصًا لوجهك الكريم فما كان لك يا مولاي سيبقى وما كان لغيرك يضمحل ويفنى.

لا كان من لسواك منه قلبه ولك اللسان مع الوداد الكاذب

وأختم مقدمتي بقول ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه ـ: «إلهي لا تعذب لسانًا يخبر عنك، ولا عينًا تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدمًا تمشي في خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلني النار فقد علم أهلُها أني كنت أذب عن دينك. اللَّهمَ بلغني آمالي من العلم والعمل وأطل عمري لأبلغ «ما» أحب من ذلك».

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

الفقير إلى رحمة ربه

أبو التراب

السيد بن حسين بن عبد الله العفاني

بني عفان ـ بني سويف ـ مصر

* * *



لماذا قيام الليل؟

لماذا قيام الليل؟

لقد جمعت كتابي هذا للسائرين على الدرب وحملة النور من شباب هذه الأمة، واستخرت اللَّه العظيم وجمعت ما جمعت في قيام الليل وأحوال القانتين في ليلهم من تهجد وبكاء ومناجاة وتلاوة واستغفار لعدة معانٍ هي روح الحركة الإسلامية فبها قِوامها.

(١) كونه صلاة .. والصلاة خير موضوع:

وقد قال الرسول ﷺ: «**الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر**»[١].

* «لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان، ومن كان أقواهم إيمانًا كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتًا وإيقانًا كما قال المناوي ـ رحمه اللَّه ـ»[٢].

* «وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى اللَّه فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب»[٣].

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة كما أشار إلى ذلك السيوطي والألباني. وقال المناوي: «ظاهر كلام المؤلف ـ يعني السيوطي ـ أنه لم يره مخرجًا لأعلى من الطبراني ولا أحق بالعزو إليه وليس كذلك، فقد رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم في «صحيحه» عن أبي ذر، وأشار السيوطي إلى ضعفه، وقال الهيثمي: فيه عبد المنعم ابن بشير»، وحسّن الحديث الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٧٦٤).

(٢) انظر: «فيض القدير» للمناوي (ج٤ص٢٤٧) طبع المكتبة التجارية الكبرى.

(٣) «الرقائق» لمحمد أحمد الراشد ص(١٥).

* «وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة: سيماء يحتكرها المؤمنون.. ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار، والنساء والقصر المنيف فإن: جنة المؤمن في محرابه»(١).

وقيام الليل صلاة؛ فيها كل ما في الصلاة من معان ترتفع بالإنسان بعيدًا عن هجير الحياة ولذا كان رسولنا ﷺ يقول: **«يا بلال أقم الصلاة، أرحنا بها»**(٢).

* يقول الشيخ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ:

«حين يطول الأمد، ويشق الجهد قد يضعف الصبر ـ الصبر على الطاعات، والصبر على بطء النصر، والصبر على بعد الشُّقة، والصبر على انتفاش الباطل، والصبر على قلة الناصر، والصبر على طول الطريق الشائك، والصبر على التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الإعراض ـ أو ينفد إذا لم يكن هناك زاد ومدد ـ ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهي المعين الذي لا ينضب، والزاد الذي لا ينفد.

المعين الذي يجدد الطاقة، والزاد الذي يزود القلب، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع، ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين.

إنه لا بد للإنسان الفاني الضعيف المحدود أن يتصل باللَّه حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة،

---

(١) «الرقائق» ص(٢٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن رجل من خزاعة، وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٧٧٦٩)، و«مشكاة المصابيح» حديث رقم (١٢٥٣).

حينما يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع، وحينما تثقل عليه مجاهدة الطغيان وهي عنيفة، حينما يطول به الطريق، تبعد به الشُّقة في عمره المحدود، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئًا، وقد أوشك المغيب، ولم ينل شيئًا وشمس العمر تميل للغروب، حينما يجد الشر نافشًا والخير ضاويًا ولا شعاع في الأفق ولا معلم في الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة.

إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني ومولاه الباقي.

إنها الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذي لا يغيض.

إنها مفتاح الكنز الذي يغني ويقني ويفيض.

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضي الصغير إلى مجال الواقع الكوني الكبير.

إنها الروح والندى والظلال في الهاجرة.

إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود.

إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب.

إن اللَّه سبحانه حينما انتدب محمدًا ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل قال له: ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً* أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً* إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾ [المزمل: ١ ـ ٥].

فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن، إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان، ومِن ثَمَّ يوجِّه اللَّه المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات

العظام إلى الصبر والصلاة»(١) ا. هـ.

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ولله در القائل:

تلكم الوقفة ما أجملها ... في حفول(٢) بالمعاني الزاهرةْ
تلكم الوقفة فيها متعة ... من جلال الفترات الطاهرةْ
فالطويَّاتُ الخفيَّات إلى ... صَمْتِهَا البارعِ تُلفَى سافرةْ
مُسْلسَاتُ القَيْدِ قد أسْلَمَها ... مبهمُ الأنْفُسِ أولى آخرهْ
فترات الطُّهر ما أجملَها...! ... حين تبدو في الذهول الذاكرهْ
فلو أنَّ العُمْرَ منها كُلُّهُ ... ما درى التشريد حتى البادرهْ
واصلاتي حينما يرفعنني ... من حدود للحياة الظاهرهْ
واصلاتي بكنوز النورِ أن ... يقطعَ الجسمُ الأثيمُ الآصرهْ
مُذْكِرَاتِي أبداً بالصحْوِ إنْ ... غَامَ أُفْقِي فتعالتْ باهرهْ
كالحصانات تقيني سوء ما ... يَبْتَغِيني من دَنَايَا قاسرهْ(٣)

* * *

(١) «الظلال» للشيخ سيد قطب.

(٢) جمع حفل، ولفظ حفل يعني: الكثير أو التجمع بكثرة.

(٣) «الحياة الأولى» ديوان شعر العالم الجليل الشيخ/ محمد الغزالي - طيب الله ثراه -، حققه وكتب مقدمته د/ مصطفى الشكعة - دارالشروق ط١/ ص(١٠٠).

(٢) مدرسة الليل مدرسة الإخلاص:

ويأتيك صوت قتادة: «كان يُقال: ما سهر الليل منافق»[١].

وهل تجد الصبر والصلاة وعلو الهمة وعمل السر إلا في قيام الليل، ربَّى اللَّه الرعيل الأول من الصحابة عليها في بدء الدعوة اثني عشر شهرًا كاملاً على عبادة عنوانها: الإخلاص، وقوامها: الصبر، حين يترك الإنسان المتهجد دفء الفراش ويصفُّ قدميه في محرابه بين يدي مولاه، ولو استطاع أن يُخفي عمله هذا عن الحفظة لأخفاه، لسان حاله يناجي مولاه.

ومعقود اللسان من الدعاة يصبح بالنية ناثرًا من فيه جواهر البلاغة الآسرة للناس، كما ينص على ذلك طب عبد القادر الجيلاني في قوله: «كن صحيحًا في السر: تكن فصيحًا في العلانية».

وأما المخلط في نيته فيخلط عليه في أموره وسيرته كان ذلك في التاريخ على أهل التخليط حتما مقضيًّا وهو المعنى الذي كشفه التابعي الجليل مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير في قوله:

«صلاح العمل بصلاح القلب، وصلاح القلب بصلاح النية، ومَن صفا: صُفِّي له. ومَن خلط: خُلِّط عليه».

و«إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك» كما يقول مصطفى صادق الرافعي[٢].

إن تعلم «الإخلاص»، وفضح الأمل الكاذب الدنيوي أحلى

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ص٣٣٨).
(٢) «الرقائق» ص(٤٤، ٤٥)، «وحي القلم» (٢/ ٤٤).

أعطيات مدرسة الليل كما يقول وليد الأعظمي، وذلك ما توجب تربيتنا تركيزه وتعميقه في النفوس.

سيبدو لكم في مضمر القلب والحشا ... سريرة حب يوم تبدو السرائر

ولا تنتصر الدعوة إلا حين لا يكون في عقود الدعاة معها ومع ربها للشيطان نصيب... لسان حالها يقول: «لأعقدن عقدًا لا يكون للشيطان فيه نصيب؛ فرب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية».

قال، والحق ما قال:

يا ليل قيامك مدرسة ... فيها القرآن يدرسني
معنى الإخلاص فألزمه ... نهجًا بالجنة يجلسني
ويُبَصرني كيف الدنيا ... بالأمل الكاذب تغمسني
مثل الحرباء تلونها ... بالإثم تحاول تطمسني
فأباعدها وأعاندها ... وأراقبها تتهجسني
فأشد القلب بخالقه ... والذكر الدائم يحرسني[1]

*** عنوان القيام ترك الأماني... وعلو الهمة:**

وكيف يكون في القيام وترك دفء الفراش تواني أو أماني قال يحيى بن معاذ:

«لا يزال العبد مقرونًا بالتواني، ما دام مقيمًا على وعد الأماني».

وما اختار أحد الأماني تقوده إلا كان أثقل ما يكون خطوًا، ووجد

(١) «الرقائق» ص(٣٣ ـ ٣٤)، «أغاني المعركة» (٣٨).

ثَمّ السراب الخادع، وعَدِم الماءَ وقت العطش، وأما المضيء النفس، ومَنْ لا أُمنية له من الدعاة، فإنك تجده سبّاقًا إلى الخير إلى كل خير أبدًا، وتجده على ريٍّ دومًا، فإنه إن كان ذا قوة: استسقى لنفسه أو استسقى لغيره، فيجيبه اللَّه بهطل من السماء، وإن كان مستضعفًا: وجد وريثًا لموسى عليه السلام، يسقي له ويزاحم الرعاع[1] .

وفي قيام الليل علو الهمة، وكم فيها من صلاة للدعوة وحياة الأمم والدعاة.

استمع إلى صوت الجيلاني يهدر: «سيروا مع الهِمم العالية»[2] .

«ولا زال هذا الطريق هو الطريق المعبد الوحيد في خارطتنا، أما الجبن والانزواء والتأوه فصحاري مهلكة»[3] .

أفتكون يا أخي من أصحاب الأماني المتأوهين؟ «تكون عالمًا بها ولا تنهض همتك إليها، فلا تزال في حضيض طبعك محبوسًا، وقلبك عن كمالك الذي خلقت له مصدودًا منكوسًا، قد أسمت نفسك مع الأنعام، راعيًا مع الهمل، واستطبت لقيمات الراحة والبطالة، واستلنت فراش العجز والكسل، لا كمن رفع له علم فشمَّر إليه، وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه، قد أبتْ غلبات شوقه إلا الهجرة إلى اللَّه ورسوله، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سيره»[4] .

---

(١) «الرقائق» ص(٤٥ ـ ٤٦).

(٢) «الفتح الرباني» للجيلاني ص(٢٩٨).

(٣) «الرقائق» ص(١٤٠).

(٤) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (ج١ص٤٦).

إن حياة النفس في السمو، ونجاتها في العلو، بل نجاة الأمم:

همم الأحرار تحيي الرمما ... نفحة الأبرار تحيي الأمما

همتك احفظها بقيام الليل، فإن الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت له همته وصدق فيها، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال، ويمثل لها ابن القيم بمثل لطيف فيقول:

«مثل القلب مثل الطائر، كلما علا: بعد عن الآفات، وكلما نزل: احتوشته الآفات»[1] .

فكما أن الاستعلاء بالهمة يبقي القلب نظيفًا بريئًا من المعنى الخسيس، مشغولاً بالعظام، فإنه يقي القلب من الآفات والأمراض وسهام الشيطان كما تقي نهضة الجناحين الطائر سهام الصياد. ومهمة المربي المسلم: أن يعلم الناشئ هذه النهضة العالية في مبادئ محاولاته.

ونهضة الجناحين هي بدورها كناية عن النفس التي احتوت تصميمًا على حمل أثقال الدعوة إلى اللَّه، فإن الجديد في سلك الدعوة إنْ فهم الدعوة في الأول مجرد تزكية نفس، وصحبة أخيار، وبثٍّ أشواق؛ فإنه يحجم عن إنكار المنكر على المظالم، ويرجع عن الزحف وقائمة أعذاره تحت أحد إبطيه، أولها: إنه لم ينذر بمثل هذا من قبل، ولا يحتوي هذا الشرط عقده.

ولذلك حرص رجال التربية على أن تكون: «أول خطوة للسالك خطوة هول»[2] وسلفهم في هذا رسولهم ﷺ وأصحابه فقد قاموا

(١) «الجواب الكافي» ص(٧٠).

(٢) «الرقائق» ص(٤٦، ٤٧).

الليل في بدء الدعوة اثني عشر شهرًا كاملاً حتى انتفخت سوقهم وأوداجهم. . صدقوا اللَّه فصدقهم.

إن انتصار الدعوة لا يكمن في كثرة الرق المنشور، بل برجعة نصوح إلى العرف الأول، ومتى ما صفت القلوب بتوبة، ووعت هذا الكلام أذن واعية، كانت تحلة الورطة الحاضرة التي سببتها الغفلة المتواصلة ذلك شرط لا بد منه.

وكأن النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على اللَّه لنا هذا النصر بإدلال، نبيعه ونرى لنا حقًّا عاجلاً في الثمن من دون أن نقدم بين يدي بيعنا همسًا في الأسحار ولا الدمع المدرار وإنما النصر هبة محضة، يُقِرّ اللَّه بها عين مَن يشاء من رجال مدرسة الليل في الحياة الدنيا، ولا يلتِ الآخرين المحصرين مِن ثمنهم في الآخرة شيئًا، ويوقع أجرهم عليهم.

إن دعوة الإسلام اليوم لا تعتلي حتى يُذكيَ دعاتها شعلهم بليل، ولا تشرق أنوارها فتبدد ظلمات جاهلية القرن العشرين ما لم تلهج بالذكر.

* قال الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ:

«دقائق الليل غالية، فلا ترخصوها بالغفلة».

أفعيينا أن نعيد السمت الأول، أم غرّنا اجتهاد في التساهل والتسيب والكسل جديد.

إن القول لدى اللَّه لا يبدل، ولكنا أرخصنا الدقائق الغالية بالغفلة فثقل المغرم. ولم يجعل اللَّه لنا من أمرنا يسرًا»[1].

---

(١) «الرقائق» ص(٣٢، ٣٣).

(٤) قيام الليل باب التزكية الأعظم:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[الشمس: ٩].

لقد أقسم اللَّه بأحد عشر قسمًا متتاليًا ما وردت في القرآن إلا في هذا المكان أن الفلاح في تزكية النفوس.

هذه هي: «التزكية النبوية التي نطق بها الرسول ﷺ و«الربانية» التي طولب بها العلماء.. ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[1].

إن من يتخرج في مدرسة الليل يؤثِّر في الأجيال التي بعده إلى ما شاء اللَّه، والمتخلف عنها يابس قاسٍ، تقسو قلوب الناظرين إليه، والدليل عند بشر بن الحارث الحافي منذ القديم، شاهده، وأرشدك إليه فقال:

«بحسبك أن قومًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قومًا أحياء تقسو القلوب برؤيتهم»[2]. بل تموت القلوب برؤيتهم فلم كان ذلك إن لم يكن ليل الأولين يقظة وليل غيرهم نومًا، ونهار الأولين جدًّا ونهار الآخرين شهوة».

* يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

«إن تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن شعبة من أهم شعب النبوة»[3].

---

(١) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبي الحسن الندوي ص(١٥) طبع مؤسسة الرسالة.

(٢) «الرقائق» ص(٣٤).

(٣) «ربانية لا رهبانية» ص(١٤).

ويذهب ـ رحمه اللَّه ـ إلى أن: «إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما أكبر واجبات ومهمات هذا العصر وفريضة الداعي»[١] .

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إذا تأملنا القرآن وجدناه ينوه بشعبة من شعب الدين، ومهمة من مهمات النبوة يعبر عنها بلفظ: «التزكية» ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بُعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [الجمعة: ٢]. وهي تزكية النفوس وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل.

ولا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ونسد هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى اللَّه والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها.

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدّوا[٢]

ثم يتكلم الشيخ الندوي عن دور الربانيين في إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فيقول ـ رحمه اللَّه ـ:

« لمّا فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري، وأثخنوه جراحًا وقتلاً، ولم يتركوا فيه إلا روحًا ضعيفة ونفسًا خافتًا، وفُلّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل، وأغمده المسلمون يأسًا وقنوطًا، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامي

---

(١) «ربانية لا رهبانية» ص(٤٠).

(٢) «ربانية لا رهبانية» ص(١٥).

قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج، وأن الإسلام لا مستقبل له، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح ـ على إحصائه واستقصائه ـ يجهل أسماء كثير منهم، يتسربون في هؤلاء الغلاظ الشداد، يفتحون قلوبهم للإسلام، حتى تفتحت له وأحبته، وصاروا يدخلون في دين اللَّه أفواجًا.

وهكذا أخضعوا للإسلام مَن أخضع العالم الإسلامي بالأمس مِن شرقه إلى غربه، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها في عضرها في دين لا يحميه سيف، ولا يدافع عنه جيش وقد كانوا ثلاث ديانات ـ هي أعظم ديانات العالم ـ تتنافس في اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم: «البوذية» و«المسيحية» و«الإسلام»، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلفى في مجالس سلاطينها، ولكن الإسلام ـ بفضل دعاته المخلصين ـ انتصر على منافستيه ـ البوذية والنصرانية ـ وأسلم التتار أمة وجنسًا، وكونوا دولاً إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام، وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلل إلا بمشيئة اللَّه تعالى وتأييده، وتفوق دعاة الإسلام في الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية.

* يقول أرنلد:

«لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى في إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعًا عجيبًا ينظر إليه التاريخ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا

هذه الديانات وحطّموها.

لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر في هذه المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرها، وكانت خسارتهم في ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة. وقتل التتار علماء المسلمين وفقهاءهم وأسروهم واستعبدوهم، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام.

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التي جاءت بعدهم بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام».

ولا شك أن الفضل في ذلك ـ كما صرح به «أرنلد» وغيره من المؤرخين الإسلاميين يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين وربانيتهم، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين.

وقد نقل «أرنلد» قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم، ورقة موعظتهم وتجردهم من الأنانية والكبرياء، وكم لها من أمثال فاتت التاريخ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين:

أسلم سلطان (كاشغر) الذي كان يسمى: «تغلق تيمور خان» (١٣٤٧م ـ ١٣٦٣م) على يد الشيخ «جمال الدين» الذي جاء من بخارى، وكان من خبره، أنه كان مع رفقة له في رحلته، فمروا بأرض السلطان التي كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون وأمر بهم الملك فأوثقوا وعرضوا عليه، وقال ـ وقد استشاط غضبًا: كيف دخلتم في حماي من غير إذن؟

قال الشيخ: نحن غرباء، ولم نشعر بأننا نمشي على أرض ممنوعة. ولما علم الملك أنهم إيرانيون، قال في احتقار وسخرية: حتى الكلب أفضل من الإيرانيين.

قال الشيخ: صدق الملك، لولا أن اللَّه أكرمنا بالدين الحق لكنَّا أذلَّ من الكلاب. وتحير الملك ومضى للصيد، وبقيت الكلمة تشغل فكره، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد، ولما رجع خلا بالشيخ وقال: فسِّر لي ما قلتَ، وأخبرني ما تعني بالدين الحق؟

وفسّر الشيخ الإسلام في حماسة وقوة تفسيرًا رقّ له قلب السلطان، وصوّر الكفر تصويرًا بشعًا هائلاً فزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر.

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أن يدخل قومه في الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولي الملك، وجلس على أريكة الحكم، زاره، وكانت المملكة «الجغتائية» قد توزعت في إمارات متعددة، واستطاع «تغلق تيمور» أن يجمعها، ويكوِّن منها مملكة صغيرة، ورجع الشيخ «جمال الدين» إلى بلاده، ومرض مرضًا شديدًا، ولما حضرته الوفاة، دعا ولده «رشيد الدين» وقال له: إن «تغلق تيمور» سيكون في يوم من الأيام ملكًا عظيمًا، فإذا سمعت بذلك تزوره، وتقرئه مني السلام، وتذكره بما وعدني به «من اعتناق الإسلام» وكان كذلك، فقد بويع «تغلق تيمور» بالملك، وجلس مكان أبيه، ودخل الشيخ «رشيد الدين» في المعسكر لينفذ وصية أبيه، ولكنه لم يخلص إلى الملك، فاحتال، وبدأ يومًا يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان في

الصباح الباكر، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ «رشيد الدين» وحضر الشيخ، وبلّغ السلطان تحية والده، وكان السلطان على ذكر منه، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام في رعيته، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التي كانت تحت سيطرة أولاد جغتاي بن جنكيز خان[1] .

عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: جاء رجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ائذن لي أن أختصي. فقال رسول اللَّه ﷺ : [2] .

فقيام الليل كالصيام جنة؛ لأنه يكسر الشهوة ويقمع الهوى وينشأ عنه صفاء القلب عن الكدر، ويمنع صاحبه من أن ينزلق في الأقذار والأرجاس.

(٥) الجهاد يُسقى بدمع التهجد:

إن الذنب لا يُسقى إلا بدمع، والشجاعة تسقى بدموع الليل، وما عرف الإسلام رجاله إلا كذلك، ولم يقل ابن القيم باطلاً في وصفه لهم بأنهم:

في الليل رهبان وعند جهادهم لعدوهم من أشجع الشجعان

ما بغير البذل ينطق قاموسنا... ولأجله كتبت
وجمعت جمعي وهذه كتائب الحق قد دنت أو أوشكت أن تدنو

---

(١) «ربانية لا رهبانية» ص(٣١ ـ ٣٥) كتاب «الدعوة إلى الإسلام» لأرنلد ص(٢٥٦).

(٢) إسناده صحيح: قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/٢٥٣): رواه أحمد في «مسنده»، والطبراني ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام. قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. انظر: «المسند» حديث رقم (٦٦١٢).

فأين زادك من قيام الليل؟

* يقول الشيخ الندوي:

«مما يجدر بالذكر ويسترعي الانتباه أن تلك القوة المعنوية والروحية، والشخصية القوية الفذة، والإخلاص والربانية والحنان والعاطفة والإقدام والشهامة التي نحتاج إليها للتضحية والفداء وبذل المهج والأرواح، والجهاد والكفاح، والتجديد والإصلاح، والفتح والتسخير، لا تنشأ ولا تظهر في أكثر الأحيان إلا بعد صفاء الروح وتهذيب النفس والرياضة والعبادة. ولذلك نرى أن أكثر من قاموا بدور التجديد والجهاد في تاريخ الإسلام كانوا يتمتعون بمكانة روحية سامية».

ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«والحقيقة أن هذه المجاهدات والرياضات وتزكية النفس والصلة باللَّه تنشئ في الإنسان حالة عجيبة من الشوق والوجد والحب والحنان تتغلغل في أحشائه، وتستقر في أعماقه حتى تراه، ينشد بلسان حاله ويقول: «إني لا أملك شيئًا أفديك به إلا هذه الحياة التي أعرتني إياها فهي منك ولك، ومن فيضك وفضلك، فنهاية المطاف في هذه الرحلة الروحية والسلوك الطويل هي حب الشهادة والغاية الأخيرة من هذه المجاهدة والرياضة هي الجهاد.

إن اليقين والحب هما جناحان لصقر الجهاد والاجتهاد يحلق بهما في السماء. وذلك هو السر في ما نرى من وجود شخصية فذة قوية على رأس كل حركة للجهاد والكفاح، نفخت في المجاهدين روح الحماسة واليقين، وحملت هذه الشرارة إلى صدور المؤمنين الآخرين حتى شقّت

عليهم حياة الهدوء والنعيم والترف وأصبحوا لا يطيقونها»[١]

أولئك آبائي فجئني بمثلهم … إذا جمعتنا يا جرير المجامع

سرِّح طرفك في القرون:

مضوا يحفرون بدمع القيام … وبذل الدماء طريق الإياب

* في عبّاد بن بشر وقيامه الليل وجهاده واستشهاده.
* في سالم مولى أبي حذيفة.
* في صلة بن أشيم وتهجده وحبه للغزو.
* في عمرو بن عتبة وفي عتبة الغلام.
* في هارون الرشيد وغزوه عامًا وحجه عامًا.
* في ابن المبارك.
* في ابن تيمية وجهاده للتتار.
* في قاهر الصليبيين نور الدين محمود زنكي.
* في بطل حطين صلاح الدين الأيوبي.
* في «محمد الفاتح» وفتحه للقسطنطينية.
* في عبد القادر الجزائري والشيخ حسن البنا.

ليست دعوتنا لقيام الليل دعوة سلبية، وإنما هي دعوة تدندن حول البذل وعودة مجد الإسلام تنادي:

هل من صلاح يعيد السيف في يدنا … أو تبتروها فقد شلت أيادينا

وسطوري هذه التي سأكتبها عبيرها من نسيم السَّحر، وأريجها من أنفاس المتهجدين الركع السجود.

---

(١) «ربانية لا رهبانية» ص(١١٣) وما بعدها.

قوم كرام السجايا أينما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطراً

يصدق فيهم قول الشاعر:

مقامات أعلام ترى الشهب دونها بنوها بياقوت المواهب والدّر

تضيء الدياجي من بهاء جمالها بها يهتدي من للعلا نحوها يسر

فسبحان من أيقظ المتهجدين والناس نيام، وجعل خلواتهم معه أنسهم وميدانهم، والمناجاة روائحهم وريحانهم، وذكره نزهتهم وبستانهم، وتلاوة القرآن نعيمهم وعنوانهم وشوقهم دومًا لقناديل علقت بالعرش في دارهم وأوطانهم.

* فهيا يا أخي: أغلق باب الراحة، وافتح باب الجهد.

أغلق باب النوم وافتح باب السهر

وخلّ الهوينـا للضعيف ولا تكن نؤومًا فإن الحزم ليس بنائـــم

* لا تكن من قوم قال فيهم أحد الصالحين:

«إنكم تلبسون ثياب الفراغ والراحة قبل أن تعملوا».

* هيا يا أخي إلى نداء ثابت البناني ـ رحمه اللَّه ـ:

«كابدت الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة».

* هيا إلى صحبة الساهرين مع النجوم، الآنفين من الهجود.

* هيا يا أخي إلى الآخرة ودع الدنيا. وليكن نشيدك قول شميط بن عجلان ـ رحمه اللَّه ـ يسري في حياتك مسرى الدم في العروق خلال هجير زماننا:

«صبرًا على لأوائها والموعد اللَّه».

* * *



وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون

وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

قال اللَّه تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[1].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»[2].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدّر اللَّه وما شاء فعل؛ فإنّ لو تفتح عمل الشيطان»[3].

---

(١) رواه البخاري عن ابن عباس.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.

* وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها**»(١).

للَّه در القائل:

إن لم تكن للحق أنت فمن يكـون والناس في محراب لذات الدنايا عاكفون

* قال العلامة ابن رجب الحنبلي في كتابه «لطائف المعارف»:

«لمّا سمع القوم قول اللَّه عز وجل: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾، وقوله: ﴿**سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملاً يعجز عنه خشي أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه، فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم إليها، ثم جاء من بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم في الدنيا الدنيئة وحظوظها الفانية».

* قال الحسن: «**إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة**». وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «**من نافسك في دينك فنافسه، ومَنْ نافسك في دنياك فألقها في نحره**».

* وقال وهيب بن الورد: «**إن استطعت ألا يسبقك إلى اللَّه أحد فافعل**».

* وقال بعض السلف: «**لو أن رجلاً سمع برجلٍ أطوع للَّه منه،**

---

(١) رواه مسلم عن أبي ذر.

فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب».

* وقال أحدهم: «لو أن رجلاً سمع برجل أطوع منه للّه كان ينبغي أن يحزنه ذلك».

* وقال رجل لمالك بن دينار: «رأيت فيما يرى النائم مناديًا ينادي: الرحيل الرحيل، فما رأيت أحدًا يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه.. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لم تُعذّب هذا الجسد؟

قال: كرامته أريد

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسامُ

صاحب الهمة العلية، والنفس الشريفة التوّاقة لا يرضى بالأشياء الدنيئة الفانية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية.

* قال عمر بن عبد العزيز: «إن لي نفسًا توّاقة، ما نالت شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وإنها لما نالت هذه المنزلة ـ يعني: الخلافة ـ وليس في الدنيا منزلة أعلى منها، تاقت إلى ما هو أعلى منها ـ يعني: الآخرة ـ.

على قدر أهل العزائم تأتي العزائم:

وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت أنها رأت في المنام كأن الصراط قد نصب على جهنم وهي تزفر على أهلها، وذكرت أنها رأت رجالاً مروا على الصراط فأخذتهم النار، قالت: ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك؛ فوقع مغشيًا عليه، وبقي زمانًا يضطرب وهي تصيح في

أذنه: رأيتك واللَّه قد نجوت»[1] .

أخي: «لمّا علم الصالحون قصر العمر، وحثهم حادي «وسارعوا» طووا مراحل الليل مع النهار انتهابًا للأوقات. اصغ سمعك لنداء ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ وبادر طيّ صحيفتك، واحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، وشمّر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين. واعلم أنما خلقنا لنحيا مع الخالق، ونافس في الفردوس فإن الرحمن جل جلاله قد غرس غراسه بيده.

يا إخوتاه: سيروا إلى ربكم سيرًا جميلاً.

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعًا ... ونحن قعود ما الذي أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم ... صريع الأماني والغرام ينازع
على نفسه فليبك من كان باكيًا ... أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

* كن بقلبك بل بكلّك مع القوم الذين قال عنهم شيخنا ابن القيم في «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»:

«رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيرًا، وإنْ سر يومًا أحزن شهورًا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته أوله

(١) «لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي ص(٢٦٠، ٢٦١) طبع دار الفتح.

مخاوف، وآخره متالف.

فيا عجبًا من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقي النفيس. وباع جنة عرضها الأرض والسماوات، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات.

* ومساكن طيبة في جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيّقة آخرها الخراب والبوار.

* وأبكارًا عربًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان. وحورًا مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام. وأنهارًا من خمر لذة للشاربين، بشراب بخس مذهب للعقل، مفسد للدنيا والدين.

* ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم.

* وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان.

* والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد في يوم المزيد، بالجلوس في الطرقات مع كل شيطان مريد.

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد اللَّه لهم من الإنعام وادّخر لهم من الفضل والإكرام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع.

فيا عجبًا لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها، وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها، وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين،

وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوّضت عنها نفوس المعرضين؟!»[١].

لقد حرّك الداعي إلى اللَّه وإلى دار السلام النفوس الأبيّة، والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان مَن كانت له أذن واعية، وأسمع اللَّه من كان حيًا فهزّه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره فما حطّت به رحاله إلا بدار القرار.

فحيهلا إن كنت ذا همّة فقد ... حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا
وقل لمنادي حبهم ورضاهم ... إذا ما دعا لبّيك ألفًا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإنْ ... نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا
فلا تنتظر بالسير رفقة قاعد ... ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زادًا إليهم وسر على ... طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وأحي بذكراهم سراك إذا دنت ... ركابك، فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافن الكلال فقل لها ... أمامك ورد الوصل فابغ المناهلا
وخذ قبسًا من نورهم ثم سر به ... فنورهم يهديك، ليس المشاعلا[٢]

﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

هو مطلب يستحق المنافسة، وهو أفق يستحق السباق وهو غاية تستحق الغلاب.

والذين يتنافسون على شيء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم، إنما يتنافسون في حقير قليل فانٍ قريب. والدنيا لا تزن

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن قيم الجوزية ص(٦ ـ ٧).

(٢) «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية.

عند اللَّه جناح بعوضة، ولكن الآخرة ثقيلة في ميزانه، فهيْ إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة»(١).

*واعلم رحمك اللَّه أن «قيمة كل امرئ ما يطلب»(٢).

فهناك همة تدور حول الأنتان والحش: ذكر اللَّه حسب صاحبها وموته، وذكر الناس فاكهته وقوته، ينادى إلى اللَّه عز وجل والدار الآخرة من مكان قريب فلا يجيب النداء، الدنيا تصمّه عما سوى الباطل وتعميه(٣).

فاستأنس بغيبته ما أمكنك، فإنه لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك، وتَرَحّل عنه بقلبك، وفارقه بسرك، ولا تشغل نفسك إلا بما هو أولى بك.

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لم يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من اللَّه عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وضعف عزيمتك وتفرق همك. وإياك وقاطع الطريق ولو كان مَن كان، فانج بقلبك، وضنّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك شمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ»(٤)ولا تدرك أحبابًا أنّى لك بلحاقهم.

**وهمة أخرى: ارتبطت بمن فوق العرش جل وعلا إرادة وطلبًا وشوقًا ومحبة وإخباتًا وإنابة، لا مستراح لها إلا تحت شجرة طوبى، ولا

---

(١) «في ظلال القرآن» للشيخ سيد قطب (ج٦ص٣٨٦٠) طبع دار الشروق.

(٢) «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية.

(٣) «إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية.

(٤) «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية ـ طبع السلفية.

قرار لها إلا في يوم المزيد، كلما طال عليها الطريق تلمحت المقصد، وكلما أمرت الحياة حلى تذكرت ﴿هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[١] .

أخي:

قَدْ هيَّئُوكَ لأمرٍ لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن تَرْعَى مع الهملِ

* صوّب إلى الرحيل ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ تلمّح القوم الوجود، ففهموا المقصود، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل وشمّروا للسير في سواء السبيل[٢] .

* إذا طلع نجم الهمة في ظلال ليل البطالة وردفه قمر العزيمة أشرقت الأرض بنور ربها[٣] .

* مَن أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأي شغل يشغله؟

* دع الدنيا فإنها جيفة والأُسْدُ لا تقع على الجيف، هي لا تساوي نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها[٤] ؟!.

فدعها رسومًا دارسات فما بها ... مقيل فجاوزها فليست منازلا
رسومًا عفت ينتابها الخلق كم بها ... قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة منها على المنهج الذي ... عليه سرى وفد الأحبة آهلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة ... فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ... ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلا

---

(١) «الفوائد» لابن قيم الجوزية.

(٢) «الفوائد».

(٣) «الفوائد».

(٤) «الفوائد».

لا تضع عصا السير عن عاتقك حتى تبدو لك أعلام دارك وخيامها وواصل السير ليل نهار، فعند الصباح يحمد القوم السرى.

* كيف لا يتسارع في يومه وغده، سير من قطع به أمسه مرحلة نحو غايته، ومن أيقن أنه يتبع رسولاً من أولي العزم ﷺ فكيف لا يستمد منه عزمه؟!»[١] .

* النية الصالحة والهمة العلية نفس تضيء وهمّة تتوقد.

وبَعْدُ يا داعية الإسلام:

إن من جَدّ وجد، وليس من سهر كمن رقد.

هذا دبيب الليالي يُسارق نفسك ساعاتها، وإن سلع المعالي غاليات الثمن، وإنما ثمنها اتباع مدارس السلف، فانظر لنفسك واغتنم وقتك «فإن الثواء قليل والرحيل قريب والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير»[٢] .

أخي: ائت الديار البكر، وارتد كل يوم منزل فضل لم يعرف لأحد في عصرك، وائت في التنافس بجديد كأنك طليعة جيش حتى يصدق فيك قول القائل:

عجبًا بأنك سالم من وحشة في غاية ما زلت فيها مفردا

لو قال لك البطّالون من الكسالى: «لو تفرغت لنا» فاقرع أسماعهم بصوت عمر بن عبد العزيز:

«وأين الفراغ؟ ذهب الفراغ، فلا فراغ إلاّ عند اللَّه لا مستراح للعابد إلا تحت شجرة طوبى».

---

(١) «الرقائق» ص(٤١).

(٢) «الرقائق» ص(١٣٧).

كن ممن قال فيهم البنا ـ رحمه اللَّه ـ:

«قد سهرت عيونهم والناس نيام، وشغلت نفوسهم والخليُّون هجّع»[١] .

من هشيم فيك أذك اللهبا من تراب فيك أطلع شهبًا
من لهيب القلب عِلمُ الكامِل مقصد الإسلام ترك الآفل
صد إبراهيم عما يأفل فحوته كالجنان الشعل[٢]

* قيل لبعض العباد: ارفق بنفسك. قال: الرفق أطلب، أو: من الرفق أتيت[٣] .

* لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا، انتهبوا بأكف الجد، ما قد نثرته أيدي البطالين، ثم تخايلوا القيامة، فاحتقروا الأعمال فماتت قلوبهم بالمخافة، فاشتاقت إليهم الجوامد، فالجذع يحنّ إلى الرسول ﷺ و«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمّار وسلمان»[٤] أنفوا من مزاحمة الخلق في أسواق الهوى، وقوي شوقهم فلم يحتملوا حصر الديار؛ فخرجوا إلى فضاء العز في صحراء التقوى، وضربوا مخيم الجد في ساحة المجد.

---

(١) «إلى أي شيء ندعو الناس» للشيخ حسن البنا المجموعة (٢٩١).
(٢) «الأسرار والرموز».
(٣) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي (١٥).
(٤) **حديث حسن**: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن أنس، وقد حسنه الترمذي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٥٩٤) ولكنه قال في «المشكاة» حديث رقم (٦٢٢٥): وإسناده ضعيف، وإن حسنه الترمذي فإن فيه الحسن البصري، وقد عنعنه، وفيه أبا ربيعة الإيادي.

ليكن نشيدك: لا لا يا قيود الأرض.

أأقنع بروضة على مزبلة والملك يدعوني إلى فردوسه الأعلى؟!

أأرضى بخرابات البلى عن الفردوس الأعلى؟! يا لها صفقة غبن!

أأقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يديّ؟!.

* لا يحصل خطير إلا بخطر، فالدر في عقر اليم.

* من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه.

لو قُرب الدر على جلابه ... ما لججَ الغائص في طلابه

ولو أقام لزما أصدافه ... لم تكن التيجان في حسابه

ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه ... إلا وراء الهول من عبابه

من يعشق العليا يلق عندها ... ما لقي المحب من أحبابه[1]

* وقت العارف جدٌّ كله لعلمه بشرف الزمان، لا وجه للراحة، لمّا عاينت أبصار البصائر يوسف العواقب، قطعت أيدي الهوى بسكين الشوق، فإذا حان حين الحين فرح سائر الليل بقطع المنزل، وصاحتَ ألسنة الجد بالعاذلين «فذلكنّ الذي لمتنني فيه».

* قلوب أبت أن تعرف الصبر عنه «ما بأحشائهم عشقت فأسلو أثمان المعالي غالية فكيف يستامها مفلس؟»

وكيف يُنال المجد والجسم وادع ... وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

*** كلما تعاظمت الهمم، تصاغرت الجثث.**

ولست ترى الأجسام وهي ضئيلة ... نواحل إلا والنفوس كبار[2]

(١) «اللطف في الوعظ» لابن الجوزي ص(٥١١).

(٢) «اللطف في الوعظ» ص(٦٦، ٦٧).

لسان حاله:

إذا اشتغل اللاهــون عنك بشغلهم جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي

لسان حاله يقول:

قلبه تحت ســمـاء لا يقــر هو فوق الزهــر ما إن يستقــر

طائــر ينقــر نجــم الحبــك طائــرًا فيمــا وراء الفلك[1]

«الكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك، مع التعب الكثير والسفر الشاق، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير، والتقدم والسبق إلى اللَّه إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة؛ فيتقدم صاحبُ الهمة مع سكونه صاحبَ العمل الكثير بمراحل»[2].

مَنْ لي بمثل ســيرك المــدلل تمشي رويــدًا وتجي في الأوّل

أخــي: استجلب نور القلب بدوام الجد إنه استعلاء ثمنه التعب، ليكن شعارك الصبر وراحتك التعب.

* إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه إجازة، وإنما هو «وقف للَّه تعالى».

* اعلم يا أخي «أن الراحة للرجال غفلة» كما يقول الفاروق - رضي اللَّه عنه -: وأتعب الناس من جلّت مطالبه.

* قال شعبة: «لا تقعدوا فراغًا فإن الموت يطلبكم».

(١) «الأسرار والرموز».

(٢) «الفوائد» ص(١٤٠).

* سأل سائل ابن الجوزي «أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟ فقال له: «عند نفسك من الغفلة ما يكفيها».

* يقول ابن القيم: «لا بد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم».

وانتبه من رقدة الغفلة فالعمر قليل
واطرح سوف وحتى فهما داء دخيل

فاخلع الراحة يا أخي وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد بن حنبل لابنه: «يا بنيّ لقد أعطيتُ المجهود من نفسي».

رحمك اللَّه يا ابن حنبل نفس لَهوُها التعب!!

استمع إليه حين يسأل: متى يجد العبد طعم الراحة؟ فيقول: «عند أول قدم يضعها في الجنة».

* الطالب الصادق كلما ناله هم أو حزن جعله في أفراح الآخرة و«من لمح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف» كما يقول ابن الجوزي.

ولعمر اللَّه ما هو بظلام ولكنها لغة اضطر إليها ليعقل مراده الراقدون[1].

ما في الديار أخو وجد يريحك إن بثثته بعض شأن الحب فاغترب
واسر في ظلمات الليل مهتديًا بنفحة الطيب لا بالعود والحطب
وخذ لنفسك نورًا تستضيء به يوم اقتسام الورى الأنوار بالرُّتب

* * *

---

(١) «الرقائق» ص(٤٩ ـ ٦٢).

أخي:

متى اشتــد عطشك إلى ما تهوى مــن الدنيا، فابسط أنــامل الرجاء إلى مــن عنده الــريّ الكامــل، وقل: قد عــيل صبــر الطبــع في سنــيه العجاف، فعجّل لي العام الذي فيه أغاث وأعصر.

طوبى لمن أظمأ نفسه ليوم الري الكامل.

طوبى لمنْ جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر.

طوبى لم ترك شهوات حياة عاجلة...

إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره.

* * *



الترغيب في قيام الليل
من
القرآن الكريم

الترغيب في قيام الليل من القرآن الكريم

وأقوال السادة أئمة التفسير في شرح الآيات المرغبة فيه

الآية الأولى

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ* فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

* قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الآيتين:

«تتنحى جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع عن مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في سبيل الله ويؤدون من حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه.

و﴿تَتَجَافَى﴾: تتفاعل، من الجفاء، والجفاء هو النُّبُوّ كما قال في الرجز:

وصَاحِبي ذاتُ هِبَابٍ دَمْشَقُ   وابنُ مِلاطٍ متجافٍ أرفقُ[1]

يعني أن كرمهما سجية عن ابن ملاط.

وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بتجافي جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلاً بالصلاة.

---

(١) البيت للزفيان، ابنا ملاطي البعير: هما العضدان وقيل: كتفاه. (الشيخ محمود شاكر).

* قال أبو عبيدة في «مجاز القرآن»: أي ترتفع عنه وتتنحى؛ لأنهم يصلون بالليل[1] [2].

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

«المضاجع: جمع مضجع وهي مواضع النوم، ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة أولى.

قال الزجاج والرُّمانيّ: التجافي: التنحي إلى جهة فوق، وكذلك هو في الصفح عن المخطئ في سبٍّ ونحوه. والجنوب: جمع جنب»[3].

«واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم اللَّه جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضجع.

فقال أنس وقتادة وعكرمة وأبو حازم ومحمد بن المنكدر: هي الصلاة بين المغرب والعشاء»[4].

* قال القرطبي: «جاءت آثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل.

* وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال:

«صلاة الأوّابين الخلوة التي بين المغرب والعشاء حتى تثوب الناس إلى الصلاة، وإن من الدعاء المستجاب الذي لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء»[5] ا.هـ.

---

(١) (الورقة ١٩٥ ـ ب).
(٢) «تفسير الطبري» (ج٢١ص٩٩ ـ ١٠٧).
(٣) «تفسير القرطبي» ص(٥١٨١ ـ ٥١٨٢) كتاب الشعب.
(٤) «إرشاد العقل السليم» المسمى «تفسير أبي السعود» (ج٤ ص١٩٨ ـ ١٩٩).
(٥) «القرطبي» ص(٥١٨٣ ـ ٥١٨٤).

* وقال عطاء وأبو سلمة والحسن: عُني بها صلاة العتمة.

* وقال آخرون: لانتظار العتمة.

* عن أنس بن مالك عن هذه الآية: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة»[1].

* وقال آخرون: عُني بها قيام الليل. قاله الجمهور[2] من المفسرين وعليه أكثر الناس وهو الذي فيه المدح.

وهو قول مجاهد والأوزاعي ومالك بن أنس والحسن بن أبي الحسن وأبي العالية ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفي.

* فعن الحسن في هذه الآية ﴿**تَتَجَافَى...**﴾ قال: قيام الليل.

* وقال ابن زيد: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

* وقال مجاهد: قوم يصلون بالليل. أورد ذلك الطبري[3].

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم لا تخلوا ألسنتهم عن ذكر اللَّه. إما في صلاة، وإما في غير صلاة. قاله ابن عباس والضحاك[4].

* وقال آخرون: تجافي الجنب هو أن يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة. وهم: الضحاك وأبو الدرداء وعبادة[5].

---

(١) رواه الترمذي (ج٤ ص١٦١) وقال: حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: «سنده جيد». انظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي ص(١١٩).

(٢) «تفسير القرطبي» ص(٥١٨٢).

(٣) انظر: «الطبري» (ج٢١ ص٩٩ ـ ١٠٧)، و«القرطبي» ص(٥١٨٢).

(٤) «القرطبي» ص(٥١٨٢، ٥١٨٣).

(٤) «القرطبي» ص(٥١٨٢، ٥١٨٣).

*قال الإمام القرطبي عن القول الأخير:

«وهذا قول حسن وهو يجمع الأقوال بالمعنى وذلك أن منتظر العشاء إلى أن يصليها: في صلاة وذكر لله عز وجل كما قال النبي ﷺ، وكان رسول اللَّه ﷺ يؤخر صلاة العشاء الآخرة إلى نحو ثلث الليل، قال ابن عطية: وكانت الجاهلية ينامون من أول الغروب ومن أي وقت شاء الإنسان فجاء انتظار وقت شاقًا غريبًا، ومصلي الصبح جماعة لا سيما في أول الوقت كما كان عليه السلام يصليها، والعادة أن من حافظ على هذه الصلاة في أول الوقت يقوم سحرًا يتوضأ ويصلي ويذكر اللَّه عز وجل إلى أن يطلع الفجر فقد حصل التجافي أول الليل وآخره»[1] ا.هـ.

* قال الإمام الطبري جامعًا بين الأقوال ومرغبًا في قيام الليل:

«والصواب من ذلك أن يقال:

إن اللَّه وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفًا وطمعًا وذلك بنبو جنوبهم عن المضاجع ليلاً؛ لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد اللَّه بن رواحة الأنصاري في صفة نبي اللَّه ﷺ:

يبيتُ يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فإذا كان ذلك كذلك، وكان اللَّه ـ تعالى ذكره ـ لم يخصص في

---

(١) «القرطبي» ص(٥١٨٣).

وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته، وإذا كان كذلك كان من صلّى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعضه أو ذكر اللَّه في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ ؛ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائمًا صلى أو ذكر اللَّه قاعدًا بعد أن لا يكون مضطجعًا وهو على القيام أو القعود قادر.

غير أن الأمر وإن كان كذلك فإن توجيه الكلام إلى أنه معني به قيام الليل أعجب إليّ؛ لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام».

﴿**خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾ :

* قال قتادة: خوفًا من عذاب اللَّه وطمعًا في رحمة اللَّه ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ في طاعة اللَّه وفي سبيله.

* عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - وهو يقصص في قصصه - وهو يذكر رسول اللَّه ﷺ -: إن أخًا لكم لا يقول الرَّفَث يعني بذلك عبد اللَّه بن رواحة:

وفينا رسول اللَّه يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[1]

* **لطيفة للقشيري:** في قوله: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ...**﴾ :

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى.

قال - رحمه الله -: «في الظاهر: عن الفراش قيامًا بحق العبادة والجهد والتهجد.

وفي الباطن: تتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال ورؤية قَدْر النفس وتوهم المقام، فإن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة وهو للعبد سم قاتل، فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم، ويفارقون مآلفهم، ويهجرون في اللَّه معارفهم.

والليل زمان الأحباب، قال تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ يعني: عن كلّ شغل وحديث سوى حديث محبوبكم... والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أولئك قال لهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ﴾، إذا ناجيتمونا في ركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم.

وأما الأحباب فالليل لهم، إن كانوا في أنس القربة فليلهم أقصر من لحظة كما قالوا:

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرًا وهي ليلة الميعاد

و﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب، خوفًا من الحجاب عن اللَّه في الآخرة، وطمعًا في النظر إلى وجهه الكريم، خوفًا من المكر وطمعًا في عفو اللَّه.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ قال القشيري: فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعها لديه سيده»[1].

---

(١) «لطائف الإشارات» لعبد الكريم القشيري (ج٥ص١٤٢ - ١٤٣). طبع دار الكتاب العربي.

قوله تعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾:

* قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

« فلا تعلم نفس ذي نفس[1] ما أخفى اللَّه لهؤلاء الذين وصفهم جل ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقر به أعينهم في جنانه يوم القيامة ثوابًا لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون».

* قال القرطبي:

«وفي معنى هذه الآية قال النبي ﷺ: «**قال اللَّه عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»، ثم قرأ هذه الآية ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ ...**﴾ إلى قوله: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2].

قال ابن عباس: الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيره.

قال القرطبي: «قلت: وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلاً كما جاء مبينًا في «صحيح مسلم» عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول اللَّه ﷺ قال: «**سأل موسى عليه السلام ربه، فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له:**

---

(١) قال القاسمي في «محاسن التأويل» (ج٧ص١٣٢): ﴿**فلا تعلم نفس**﴾أي: كل نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم فإن النكرة في سياق النفي تعم، والفاء سببية».

(٢) «القرطبي» ص(٥١٨٦ ـ ٥١٨٧)، والحديث مخرج في «الصحيحين» من حديث سهل ابن سعد الساعدي.

ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رب، فيقول: لك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربِّ، فيقول: لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك؛ فيقول: رضيت رب. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر»[١] ، قال: ومصداقه من كتاب اللَّه قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾، .وقال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذُخْرًا بَلْهَ**[٢] **ما أطلعكم عليه** ـ ثم قرأ ـ: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ** ﴾

* وقال ابن سيرين: المراد به النظر إلى اللَّه تعالى.

* وقال الحسن: أخفى القوم أعمالاً فأخفى اللَّه تعالى لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

* قال محمد بن كعب القرظي: أخفوا للَّه عملاً وأخفى لهم ثوابًا فلو كانوا قدموا عليه قد قرت تلك الأعين.

* قال الإمام ابن قيم الجوزية ـ رحمه اللَّه ـ:

«تأمل كيف قَابَلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم

---

(١) رواه الإمام مسلم، والترمذي، وأحمد في «مسنده» عن المغيرة بن شعبة.

(٢) بَلْهَ: من أسماء الأفعال وهي مبنية على الفتح مثل كيف، ومعناها «دع عنكم ما أعلمكم عليه فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه». «شرح النووي».

مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بِقُرَّة الأعين في الجنة»[1]

*** لطيفة للقشيري:**

قال القشيري في قوله تعالى: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ...** ﴾:

«إنما تقر عينك برؤية من تحبه، أو ما تحبه، فطالب قلبك وراع حالك، فيحصل اليوم سرورك وكذلك غدًا، وعلى ذلك تحشر، فمن كان بحالةٍ لقي اللَّه بها.

السباق السباق قولاً وفعلاً حذروا النفس حسرة المسبوق

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ في قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ** ﴾: أفمن كان في حال الوصال يجر أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله؟!

أفمن كان في رَوْح القربة ونسيم الزلفة كمن هو في هول العقوبة يعاني مشقة الكلفة؟!

أفمن هو في رَوْح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه؟!

أفمن بقي معنا كمن بقي عنّا؟!

أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان؟!

أفمن أُيِّدَ بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن رُبِطَ بالخذلان وَوُسِمَ بالحرمان.. لا يستويان ولا يلتقيان.. هذا في أعلى

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم ص(٢٧٨) مطبعة المدني.

الفضائل.. وهذا في سوء الرذائل»[1] ا.هـ.

* قال الشيخ سيد قطب في «الظلال»:

في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع...﴾:

«مشهدهم المصور لهيئتهم الجسدية ومشاعرهم القلبية في لمحة واحدة في التعبير العجيب الذي يكاد يجسم حركة الأجسام والقلوب، إنهم يقومون لصلاة الليل.. صلاة العشاء الآخرة ـ الوتر ويتهجدون بالصلاة، ودعاء الله، ولكن التعبير القرآني يعبر عن هذا القيام بطريقة أخرى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ فيرسم صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام ولكن هذه الجنوب لا تستجيب، وإن كانت تبذل جهدًا في مقاومة دعوة المضاجع المشتهاة؛ لأن لها شغلاً عن المضاجع اللينة، والرقاد اللذيذ، شغلاً بربها، شغلاً بالوقوف في حضرته، وبالتوجه إليه في خشية، وفي طمع، ينازعها الخوف والرجاء.. الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته، الخوف من غضبه والطمع في رضاه، والخوف من معصيته والطمع في توفيقه.

والتعبير يصور هذه المشاعر المرتجفة في الضمير بلمسة واحدة حتى لكأنها مجسمة ملموسة ﴿يدعون ربهم خوفًا وطمعًا﴾ وهم إلى جانب هذه الحساسية المرهفة والصلاة الخاشعة والدعاء الحار يؤدون واجبهم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة .. ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾

هذه الصورة المشرقة الوضيئة الشفيفة ترافقها صورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد.. الجزاء الذي تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة، والإعزاز

---

(١) «لطائف الإشارات» ص(١٤٤، ١٧١).

الذاتي والإكرام الإلهي والحفاوة الربانية بهذه النفوس»[(١)] ا. هـ.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ تحت قوله: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ..** ﴾:

«تعبير عجيب يشي بحفاوة اللَّه سبحانه بالقوم، وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور الذي لا يطلع عليه أحد سواه، والذي يظل عنده خاصة مستورًا حتى يكشف لأصحابه عند يوم لقائه عند لقياه، وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم في حضرة اللَّه.

يا للَّه.. كم ذا يفيض اللَّه على عباده من كرمه، وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله!.

ومَنْ هُمْ ـ كائنًا ما كان عملهم وعبادتهم وطاعتهم وتطلعهم ـ حتى يتولى اللَّه جل جلاله إعداد ما يدّخره لهم من جزاء في عناية ورعاية وود واحتفال لولا أنه فضل اللَّه الكريم المنّان»[(٢)] .

الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

* قال الحافظ ابن حجر: «قال الخليل: هجع يهجع هجوعًا، وهو نوم بالليل دون النهار»[(٣)] .

* وقال القرطبي: «الهجوع: النوم ليلاً، والتَّهجاع: النومة الخفيفة،

---

(١) «في ظلال القرآن» ص(١٠٦، ١٠٧).

(٢) «الظلال» ص(١٠٧).

(٣) «فتح الباري» كتاب التهجد باب: الدعاء والصلاة من آخر الليل (ج٣ ص٣٦).

قال أبو قيس الأَسْلَت:

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسي فما أطعم نومًا غير تهجاع

وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق إلى أخته وكان أسرها الصِّمَّة أبو دُرَيد بن الصمة:

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

* قال الجوهري: هجع يَهْجَع هُجوعًا، وهَبَغَ يَهْبَغُ هُبوغًا بالغين المعجمة إذا نام.

* واختُلِف في «ما».

* فقيل: «ما» صلة زائدة، قاله إبراهيم النخعي[1].

والتقدير: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، أي: ينامون قليلاً من الليل ويصلون أكثره.

* وقيل: «ما» للنفي وهو نفي النوم عنهم ألبتة.

«ولا مساغ لجعل «ما» نافية لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، تقول: زيدًا لم أضرب ولا تقول: زيدًا ما ضربت»[2]

* قال الأحنف بن قيس: «كانوا لا ينامون إلا قليلاً ـ لست من أهل هذه الآية».

وقال أيضًا ـ رحمه الله ـ: «عرضت عملي على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونًا بعيدًا لا نبلغ أعمالهم: ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾[3]

(١) «القرطبي» ص(٦٢٠٥ ـ ٦٢٠٦).
(٢) انظر: «الكشاف»، و«تفسير أبي السعود» (ج٥ ص١٠١).
(٣) «القرطبي» ص(٦٢٠٨).

* روى محمد بن نصر المروزي ـ رحمه الله ـ عن أنس أن قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ نزلت فيمن كان يصلي بين المغرب والعشاء»[1] ، وقال: ممن كان يصلي ما بين المغرب والعشاء من الصحابة: ابن مسعود وابن عمرو وسلمان الفارسي وابن عمر وأنس في ناس من الأنصار» ا.هـ.

* وروى ابن جرير عن أنس القول السابق.

* وعن مطرف: قلّ ليلة أتت عليهم، إلا صلوا فيها من أولها أو من وسطها.

* وعن الحسن قال: لا ينامون من الليل إلا أقله كابدوا قيام الليل.

* وعن الضحّاك: أن الوقف على قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً﴾ أي: أن المحسنين كانوا قليلاً، ثم ابتدئ فقيل: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ و«ما» نافية، أي: لا يهجعون.

* قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: هذا القول فيه تعسف.

* قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: «وأولى الأقوال بالصحة في تأويل: ﴿كَانُوا قَلِيلاً ...﴾ قول من قال: كانوا قليلاً من الليل هجوعهم؛ لأن الله وصفهم بذلك مدحًا لهم وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم منه، ويرضيه عنهم أولى وأشبه ممّن وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذي ذكرنا هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل».

---

(١) **سنده صحيح**: قال ذلك العراقي، انظر: «عون المعبود» (٤/ ٢٠٤) طبع السلفية بالمدينة المنورة.

والقول الذي رجحه الطبري هو قول الحسن والأحنف وإبراهيم النخعي.

* «قال ابن التين: وعلى هذا تكون «ما» زائدة، أو مصدرية وهو أبين الأقوال وأقعدها بكلام أهل اللغة»[1].

* قال أبو السعود ـ رحمه اللَّه ـ: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾:

«وفيه مبالغات مع تقليل نومهم واستراحتهم، ذكر القليل من الليل الذي هو وقت الراحة، والهجوع الذي هو الفرار من النوم»[2].

* قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال رجل من بني تميم لأبي: يا أبا أسامة، صفة لا أجدها فينا، ذكر اللَّهُ قومًا فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ونحن واللَّه قليلاً من الليل ما نقوم.

فقال له أبي: طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى اللَّه إذا استيقظ.

وكيف تنـــام العين وهي قريـــرة ولم تـــدر في أيِّ المجالس تنزل؟

قوله تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾:

قال ابن زيد: السحر هو السدس الأخير من الليل.

وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التي تفتح فيها أبواب الجنة: السحر.

* **لطيفـــة:**

قال القاسمي: «قال الزمخشري في «أساس البلاغة»: إنما سمي

(١) «فتح الباري» كتاب التهجد (ج٣ص٣٦).

(٢) «أبو السعود» (ج٥ص١٠١).

«السحر» استعارة؛ لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار، فهو متنفس الصبح»[1] ا.هـ.

* قال بعض أهل العلم: إن يعقوب أخر الاستغفار لبنيه إلى وقت السحر.

* قال أبو السعود: في قوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾: «أي: هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم.

وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه»[2].

* قال القشيري: «ينزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم»[3].

* **لطيفـــــة:**

قال القاسمي ـ رحمه الله ـ: «في هذه الجملة الكريمة مبالغات في وصف هؤلاء بقلة النوم وترك الاستراحة، ولذلك ذكر القليل من الليل الذي هو وقت النوم، والهجوع الذي هو الخفيف من النوم.

وزيادة «ما» لا تدل على القلة.

وبالجملة ففي الآية استحباب قيام الليل وذم نومه كله.

قال الرازي: في الآية إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم

(١) «محاسن التأويل» للقاسمي ص(٥٥٢٨).
(٢) «تفسير أبي السعود» (ج٥ ص١٠١).
(٣) «لطائف الإشارات» (ج٦ ص٣١).

يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه فيستغفرون من التقصير، وهذا سيرة الكريم: يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمنّ به.

* وفيه وجه آخر ألطف منه: وهو أنّه تعالى لمّا بيّن أنهم يهجعون قليلاً، والهجوع مقتضى الطبع، قال: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي: من ذلك القدر من النوم القليل.

* وفيه لطيفة أخرى نبينها في جواب سؤال:

وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوع، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا قليلاً من الليل ما يسهرون؛ فما الحكمة فيه؟ مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد، لا الهجوع؟ نقول: إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم اللَّه تعالى بكونهم هاجعين قليلاً، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهو الاستغفار في وجوه الأسحار ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار.

ثم قال القاسمي أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ:

«والاستغفار يحتمل طلب المغفرة بالذكر بقولهم: ربنا اغفر لنا، وطلب المغفرة بالفعل أي: بالأسحار يأتون بفعل آخر طلبًا للغفران وهو الصلاة والأول: أظهر، والثاني: عند المفسرين أشهر».

«ويؤيد الثاني: الإشارة إلى الزكاة في الآية بعدها، والزكاة قرينة الصلاة في كثير من الآيات.

وسر التعبير عن الصلاة بالاستغفار الإشارة إلى أنه ركنها المهم في التهجد بل وفي غيره، فيكون من إطلاق الجزء على الكل.

وقد ذكر في أذكار الصلاة الاستغفار في مواضع منها الركوع والسجود وكان ﷺ يطيل الركوع والسجود في التهجد لذلك»[1]. هـ.

* **ملحوظـــة:** سنتكلم عن المقصود بالاستغفار بالأسحار فيما بعد.

* قال الشيخ سيد قطب في ظلال هاتين الآيتين: ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ...**﴾:

«على هذه الصفة يرتسم مشهد لفريق مستيقن لا يخرص، تقي لا يتبجح، مستيقظ يعبد ويستغفر، ولا يقضي العمر في غمرة وذهول، هذا الفريق فريق المتقين الأيقاظ.. الشديدي الحساسية برقابة اللَّه لهم ... ورقابتهم لأنفسهم. يصور إحسانهم صورة خاشعة رفافة حساسة ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ فهم الأيقاظ في جنح الليل والناس نيام ... المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام، لا يطعمون الكرى إلا قليلاً، ولا يهجعون في ليلهم إلا يسيرًا، يأنسون بربهم في جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام، فهي حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوي المكانة في الإيمان واليقين، ويجدون أنفسهم دونها... اختص بها ناس ممن اختارهم اللَّه، ووفقهم إلى القيام بحقها، وكتبهم بها عنده من المحسنين»[2] ا. هـ.

* * *

---

(١) «محاسن التأويل» ص(٥٥٢٧).

(٢) «الظلال» ص(١١، ١٣).

الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

* قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

« قال الزجاج: بات الرجل يبيت إذا أدركه الليل، نام أو لم ينم.

قال زهير:

فبتنا قيامًا عند رأس جوادنا ... يزاولنا عن نفسه ونزاوله

ونسب إلى ابن عباس: «من صلى ركعتين أو أكثر بعد صلاة العشاء فقد بات للَّه ساجدًا وقائمًا».

وقال الكلبي: من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعًا بعد العشاء فقد بات ساجدًا وقائمًا.

وأنشدوا في «صفة الأولياء»:

امنع جفونك أن تذوق مناما ... واذر الدموع على الخدود سجاما

واعلم بأنك ميت ومحاسب ... يا من على سخط الجليل أقاما

للَّه قوم أخلصوا في حبه ... فرضي بهم واختصّهم خدّاما

قوم إذا جنّ الظلام عليهمُ ... باتوا هنالك سجدًا وقياما

خمص البطون من التعفف ضمرًا ... لا يعرفون سوى الحلال طعاما

ثم أضاف القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، قال: «أي: هم مع طاعتهم مشفقون وجلون من عذاب اللَّه».

قال ابن عباس: «يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم»(١).

---

(١) «القرطبي» (ج٧ ص٤٧٨٧ ـ ٤٧٨٨).

قال الزمخشري في «الكشّاف»:

[«البيتوتة» خلاف الظلول، وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم.

وقالوا: من قرأ شيئًا في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجدًا وقائمًا.

* وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء.

والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال: فلان يظل صائمًا ويبيت قائمًا، وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين، ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانًا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى اللَّه في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ...﴾ الآية][1] ا.هـ.

* قال أبو السعود ـ رحمه اللَّه ـ:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ : «تقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل»[2].

* **لطيفة للقشيري:**

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «يبيتون لربهم ساجدين، ويصبحون واجدين، فوجد صباحهم ثمرات وجود أرواحهم، وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود مُحَسَّن، وباطن بالوجود مزين، ويقال: متصفين بالسجود قيامًا بآداب الوجود.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: يجتهدون غاية

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (ج٣ ص٩٩).

(٢) «إرشاد العقل السليم» (ج٤ ص٩٨).

الاجتهاد ويستفرغون نهاية الوسع، وعند السؤال ينزلون منزلة العصاة، ويقفون موقف أهل الاعتذار، ويخاطبون بلسان التنصل:

وما رمت الدخـول عليه حتى حللت محلـة العبـد الذليـل

سجدوا بظواهرهم في المحراب، وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمود»[1] ا.هـ.

* قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ:

﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ**﴾: «إشارة إلى الإخلاص في أدائها وابتغاء وجهه الكريم لما أن ذلك هو الذي يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود اللَّه»[2]

* قال الشيخ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ:

« يبرز اللَّه عز وجل عباده، عباد الرحمن بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة، وكأنهم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال، بين البشرية الجاحدة المشاقة، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية، وكأنما هم الثمرة الجنية لذلك الجهاد الشاق الطويل والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لاقوه من جحود وصلادة وإعراض.

﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ :

والتعبير يبرز من الصلاة والسجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام. . . فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجداً

---

(١) «لطائف الإشارات» (ج٤ ص٣٢١).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (ج١٢ ص٤٥٨٩) طبع عيسى الحلبي.

وقيامًا، يتوجهون لربهم وحده، ويقومون له وحده، ويسجدون له وحده.

هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، ينام الناس وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم يقولون: ﴿**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا** ﴿٦٥﴾ **إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**﴾ وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول اللَّه الكريم، فهذا الخوف النبيل، إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمرة التصديق، وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، فهم لِمَا يخالجُ قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ولا يرون فيها ضمانًا ولا أمانًا من النار إن لم يتداركهم فضل اللَّه وسماحته وعفوه، ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم»[1] .

* * *

(١) «الظلال» (جـ٣ ص٥٥).

الآية الرابعة

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٨].

* قال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ:

يعني بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ هو الملتف بثيابه وإنما عني به نبي الله ﷺ، واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه في هذه الآية من التزمل.

* فقال بعضهم: وصفه بأنه متزمل في ثيابه.. متأهب للصلاة. عن قتادة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي: المتزمل في ثيابه.

* وقال آخرون: وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة. عن عكرمة قال: زُمِّلتَ هذا الأمر فقم به.

* قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة؛ لأنه قد عقبه بقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ فكان ذلك بيانًا عن أن وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة وأن ذلك أظهر معنييه»[1].

* قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

«قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ قال الأخفش وسعيد: «المزمل» أصله المتزمّل فأدغمت التاء في الزاي، وكذلك «المدثر» وقرأ أبيّ بن

---

(١) «الطبري» (ج٢٩ ص١٢٤).

كعب على الأصل «المتزمل» و«المتدثر» وسعيد «المزمِّل».

وفي أصل «المزمّل» قولان:

أحدهما: أنه المتحمل، يقال: زَمَل الشيءَ إذا حمله، ومنه الزّاملة لأنها تحمل القُمَاش[١].

الثاني: أن المزَّمل: هو المتلفّف: يقال تزمّل وتدثّر بثوبه إذا تغطّى، وزمّل غيره إذا غطّاه، وكل شيء لُفّف فقد زُمِّل ودُثِّر، قال امرؤ القيس:

كأن أبانا في أفانين ودقه ... كبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مُزَمَّلِ

ثم أضاف القرطبي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال:

الأول: قول عكرمة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بالنبوة والملتزم بالرسالة، وعنه أيضًا: يا أيها الذي زُمِّل هذا الأمر أي حُمِّله ثم فتر وكان يقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَمَّلُ﴾ بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول، وكذلك «المُدَثَّر» والمعنى: المزمِّل نفسه والمدثِّر نفسه، أو الذي زَمّله غيره.

والثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ بالقرآن. قاله ابن عباس[٢].

الثالث: المزمل بثيابه. قاله قتادة وغيره.

قال النخعي: كان متزملاً بقطيفة.

وقال الضحاك: تزمل بثيابه لمنامه.

---

(١) قماش البيت: متاعه.

(٢) قال ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: عن ابن عباس قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ أي: يا محمد قد زملت القرآن فكأن الأصل يا أيها المتزمِّل.

وقالت الحكماء: إنما خاطبه بالمزمّل والمدثّر في أول الأمر؛ لأنه لم يكن بعد ادثر شيئًا من تبليغ الرسالة.

قال ابن العربي: «واختلف في تأويل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ فمنهم من حمله على حقيقته فقيل له: «يا من تلفق في ثيابه أو في قطيفته قم»، قاله إبراهيم وقتادة. ومنهم من حمله على المجاز كأنه قيل له: «يا من تزمل بالنبوة»، قاله عكرمة. وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل».

قلت: ـ القرطبي ـ وقد بينا أنها على حذف المفعول، وقد قرئ بها فهي صحيحة المعنى. قال: وأما من قال: إنه زمل القرآن، فهو صحيح في المجاز لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه.

وأضاف القرطبي:

قال السهيلي: ليس المزمّل باسم من أسماء النبي ﷺ ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدّوه في أسمائه، وإنما المزمّل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدثّر، وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان:

إحداهما: الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة ـ رضي اللَّه عنها ـ فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب وقال له: **«قم يا أبا التراب»** إشعاراً له أنه غير عاتب عليه وملاطفة له، وكذلك قول النبي عليه السلام لحذيفة: **«قم يا نومان»** وكان

نائمًا، ملاطفة له وإشعارًا له بترك العتب والتأنيب فقول اللَّه تعالى لمحمد ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَمِّلُ﴾ فيه تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه.

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر اللَّه تعالى فيه؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة»[1] ا.هـ.

* قال أبو السعود:

فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعليته للقيام أو للأمر به فإن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة»[2] .

* قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره»:

«خوطب عليه الصلاة والسلام بحكاية حاله وقت نزول الوحي، ملاطفة وتأنيسًا وتنشيطًا للتشمير لقيام الليل، وقيل: معناه المتحمل أعباء النبوة، من تزمل الزِّمْل إذا تحمل الحمل ففيه استعارة، شبه إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل بجامع المشقة.

قال الشهاب: وأورد عليه أنه مع صحة المعنى الحقيقي واعتضاده بالأحاديث الصحيحة لا وجه لادعاء التجوز فيه، وقد يجاب بأن الأحاديث رويت في نزول سورة «المدثر» لا في هذه السورة، إلا أن

---

(١) «القرطبي» (ج١٠ ص٦٨٢٣ ـ ٦٨٢٥).

(٢) «إرشاد العقل السليم» (ج٥ ص٢٠٤).

يقال: هما بمعنى واحد»[١] .

قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ إلى قوله:﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ :

* قال ابن جرير الطبري في «تفسيره»:

[«وقوله:» ﴿قُمِ اللَّيل إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ : قم الليل يا محمد كله إلا قليلاً منه.

﴿نِصْفَهُ﴾ يقول: قم نصف الليل.

﴿ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يقول: أو زد عليه، خيّره اللَّه تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أيّ ذلك شاء فعل، فكان رسول اللَّه ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان، فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم.

قال المروزي: قال ابن عباس: «لما نزلت أول سورة المزمل، كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها، وكان بين أولها وآخرها سنة»[٢] [٣]

* وعن الحسن: « إن اللَّه لما أنزل هذه السورة وكان بين أولها

---

(١) «محاسن التأويل» (١٦/ ٥٩٥٨).

(٢) «تفسير الطبري».

(٣) قال مقبل بن هادي الوادعي في «أسباب النزول» ص(١٦٦): «الحديث رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن محمد المروزي أبو الحسن بن شبرية وهو ثقة، وأخرجه ابن جرير، ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه ابن أبي حاتم،كما في «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣٦) ورجاله رجال الصحيح»ا.هـ.

وآخرها سنة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾، ثم أنزل الله بعد سنة ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ قال: لا والله ما كل القوم قام بها قال: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ فبكى الحسن عند ذلك وقال: الحمد لله الذي جعل قيام الليل تطوعًا بعد فريضة، ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ حتى بلغ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ قال: ولا بد من قيام الليل. قال: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ قال: فريضتان لا صلاح للأعمال إلا بهما».

* وعن أبي عبد الرحمن السلمي: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ حتى بلغ ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[1]

* وعن قتادة: «افترض الله قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً، فأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة قال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ . الآية فنسخت هذه الآية ما كان قبلها.

---

(١) «مختصر قيام الليل» للمقريزي وأصل «قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي، قال ابن حجر في «الفتح»: «وكذا أخرج المروزي عن أبي عبد الرحمن السلمي، والحسن، وعكرمة، وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم» «فتح الباري» (ج٣) التهجد ص(٢٨)، طبعة السلفية.

* وعن عكرمة قال: «لبثوا بذلك سنة فشق عليهم وتورمت أقدامهم ثم نسختها آخر السورة قوله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ ا. هـ.

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرأ أبو السَّمَّال بضم الميم إتباعًا لضمة القاف، وحكي الفتح لخفته.

قال عثمان بن جني: الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربًا من التقاء الساكنين فبأي حركة تحركت فقد وقع الغرض. وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدية إلى المفعول، فأما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه إلا أن ظرف المكان لا يتعدى إليه إلا بواسطة، لا تقول: قمت الدار حتى تقول: قمت وسط الدار، وخارج الدار.

وقد قيل: إن «قم» هنا معناه صَلِّ، عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفًا بكثرة الاستعمال.

قال القرطبي: «الليل» حد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

* واختلف هل كان قيامه فرضًا وحتمًا، أو كان ندبًا وحضًا؟ والدلائل تقوي أن قيامه كان حتمًا وفرضًا، وذلك أن الندب والحضّ لا يقع على بعض الليل دون بعض؛ لأن قيامه ليس مخصوصًا به وقتًا دون وقت، وأيضًا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها.

* واختلف أيضًا: هل كان فرضًا على النبي ﷺ وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟ ثلاثة أقوال:

الأول: قول سعيد بن جبير، لتوجيه الخطاب إليه خاصة.

الثاني: قول ابن عباس كان قيام الليل فريضة على النبي ﷺ والأنبياء قبله.

الثالث: قول عائشة وابن عباس وهو الصحيح، كما في «صحيح مسلم» عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل اللَّه... الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول اللَّه ﷺ؟ فقالت: ألست تقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن اللَّه عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك اللَّه خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل اللَّه عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة، وذكر الحديث.

ثم أضاف ـ رحمه اللَّه ـ:

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ استثناء من الليل، أي: صلِّ الليل كله إلا يسيرًا منه؛ لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد. والقليل من الشيء ما دون النصف، ثم قال تعالى: ﴿نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ فكان ذلك تخفيفًا. إذ لم يكن زمان القيام محدودًا، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾. وقال الأخفش: ﴿نِصْفَهُ﴾ أي: أو نصفه، يقال: أعطه درهمًا درهمين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة.

وقال الزجاج: ﴿نِصْفَهُ﴾ بدل من الليل، و﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ استثناء من النصف. والضمير في ﴿منه﴾ و﴿عليه﴾ للنصف، والمعنى: «قم نصف اليل أو انقص من النصف قليلاً إلى الثلث، أو زد عليه قليلاً إلى

الثلثين»، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن ﴿نصفه﴾ بدل من قوله: ﴿قليلاً﴾[١] وكان مخيّرًا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. كأن تقدير الكلام: قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ينزل اللَّه عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفرله، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**» ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعًا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا مضى شطر الليل ـ أو ثلثاه ـ ينزل اللَّه...**» الحديث رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك.

قال علماؤنا: «وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فإنهما يبصران من مشكاة واحدة»[٢] ا.هـ.

* قال أبو السعود ـ رحمه اللَّه ـ:

«التعبير عن النصف المخرج بالقليل؛ لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام، والإيذان بفضله، وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع

---

(١) بهذا القول جزم الطبري كما قال ابن حجر في «الفتح» (٣/ ١٩).

(٢) «القرطبي» (ج١٠ ص٦٨٢٣ ـ ٦٨٢٥).

عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر»[1] .

قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ:

«قم الليل: أي: فيه للصلاة ودع التزمل للهجوع ﴿إلاَّ قَلِيلاً﴾ بحكم الضرورة للاستراحة ومصالح البدن ومهماته التي لا يمكن بقاؤه بدونها، ثم قال: ولا يقال: كيف يكون النصف قليلاً وهو مساوٍ للنصف الآخر؟ لأن القلة بالنسبة إلى الكل، لا إلى عديله»[2] .

* جاء في «تتمة أضواء البيان»:

«هذه الآية الكريمة وما بعدها بيان لمجمل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾ الآية، وفيها بيان لكيفية القيام وهو بترتيل القرآن»[3] .

﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ :

* قال محمد بن نصر المروزي:

«عن ابن عباس قال: بينه تبيينًا».

وقرأ علقمة على عبد اللَّه وكان حسن الصوت فقال: رتل فداك أبي وأمي فإنه زين القرآن.

وعن مجاهد: «ورتل القرآن ترتيلاً: ترسل فيه ترسيلاً»[4] .

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾

---

(١) «إرشاد العقل السليم» لأبي السعود (ج٥ ص٢٠٤).
(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (ج١٦ ص٥٩٥٨).
(٣) «أضواء البيان» للشنقيطي ـ «تتمة أضواء البيان» للشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطي (ج٨ ص٩).
(٤) «مختصر قيام الليل» للمقريزي ص(١٠).

أي: لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني.

وقال الضحاك: اقرأه حرفًا حرفًا. وقال مجاهد: أحبّ الناس في القراءة إلى اللَّه أعقلهم عنه.

والترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام، ومنه ثغر رَتِل ورتَل بكسر العين وفتحها إذا كان حسن التنضيد، وقال أبو بكر بن طاهر: تدبر في لطائف خطابه، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسرك بالإقبال عليه»[1].

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أي: اقرأه مترسلاً بتبيين الحروف وإشباع الحركات، وروى مسلم من حديث حفصة: «أن النبي ﷺ كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها»[2].

* قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ أي: بيّنه تبيينًا وترسّل فيه ترسلاً.

قال الزمخشري: تبيين القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلوّ منه شبيهًا بالثغر المرتل، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وأن لا يهذه هذًّا، ولا يسرده سردًا.

* تنبيـــــه:

قال السيوطي: في الآية استحباب ترتيل القراءة وأنه أفضل من الهذّ به وهو واضح.

(١) «القرطبي» ص(٦٨٢٩).

(٢) «فتح الباري» ـ كتاب التهجد ـ (ج٣ ص٢٨).

وقد ثبت في السنة أنه ﷺ كان: يقطع قراءته حرفًا حرفًا، وأنها كانت مفسرة حرفًا حرفًا وأنه كان يقف على رءوس الآي.

واستدل بالآية على أن الترتيل والتدبر، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره والفقه فيه والعمل به.

قال ابن مسعود: «لا تهذّوا القرآن هذّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»[1].

* قال الشيخ عطية سالم في «تتمة أضواء البيان»:

المسألة الثانية: «ما يذكره الفقهاء في كيفية قيام الليل عامة، هل الأفضل كثرة الركعات لكثرة السجود؟ حيث إن أقرب ما يكون العبد إلى اللَّه وهو ساجد، أم طول القيام للقراءة؟ حيث إن للقارئ بكل حرف عشر حسنات، فهنا قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ نص على أن العبرة بترتيل القرآن ترتيلاً، وأكد بالمصدر تأكيدًا لإرادة هذا المعنى.

وفي «الصحيح» عن أنس: سُئل عن قراءة رسول اللَّه ﷺ قال: كانت مدًا، ثم قرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يمد بسم اللَّه ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن للمد حدودًا معلومة في التجويد حسب تلقي القرآء ـ رحمهم اللَّه ـ فما زاد عنها فهو تلاعب، وما قلّ عنها فهو تقصير في حق التلاوة.

---

(١) «محاسن التأويل» (ج١٦ ص٥٩٥٩).

وهذا الوصف هو الذي يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، كما أنه هو الوصف الذي يتأتى معه الغرض من تخشع القلب كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ولا تتأثر به القلوب والجلود إلا إذا كان مرتلاً، فإذا كان هذاً كالشعر أو الكلام العادي لما فهم، وإذا كان مطربًا كالأغاني لما أثر، فوجب الترتيل كما بين ﷺ»[١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾:

* قال محمد بن نصر المروزي ـ رحمه اللَّه ـ:

«قال الحسن: العمل به، وفي رواية قال: ثقيلاً في الميزان يوم القيامة.

وقال قتادة: تثقل واللَّه فرائضه وحدوده.

وفي رواية: ليس يعني قراءته ولكن فرائضه، وسننه.

وقد تأول بعضهم أنه أراد ثقل الوحي على النبي ﷺ حين كان ينزل عليه»[٢].

* وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ هو متصل بما فرض من قيام الليل أي: سنلقي عليك بافتراض

---

(١) «تتمة أضواء البيان» (ج٨ ص٦١٠، ٦١١).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٠).

صلاة الليل قولاً ثقيلاً يثقل حمله؛ لأن الليل للمنام، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان، فهو أمر يثقل على العبد، وقيل: إنا سنوحي إليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه.

وقال مجاهد: حلاله وحرامه.

أبو العالية: ثقيلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام. محمد بن كعب: ثقيلاً على المنافقين، وقيل: على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسبّ آلهتهم والكشف عما حرفه أهل الكتاب.

السدي: ثقيل بمعنى: كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليّ أي: يكرم عليّ.

الفرّاء: «ثقيلاً» رزينًا ليس بالخفيف السَّفساف؛ لأنه كلام ربنا، وقال الحسين بن الفضيل: ثقيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد.

وقال ابن زيد: هو واللَّه ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة.

وقيل: ثقيلاً أي: ثابتًا كثبوت الثقيل في محله، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدًا. وقيل: هو القرآن نفسه.

قالت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا.

قال ابن العربي: «وهذا أولى؛ لأنه الحقيقة، وقد جاء ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال عليه الصلاة

والسلام: «بُعثت بالحنيفية السمحة»[١] .

* قال القشيري ـ رحمه اللَّه ـ: «ثقيلاً سماعه على من جهده، ويقال: ثقيلاً بعبئه إلا على من أيد بقوة سماوية وربِّي في حجر التقريب»[٢] .

* قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ[٣] : ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ أي: رصينًا، لرزانة لفظه، ومتانة معناه، ورجحانه فيهما على ما عداه، ولما كان الراجح من شأنه ذلك، تجوّز بالثقيل عنه، أو ثقيلاً على المتأمّل فيه، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر، أو ثقيلاً تلقيه. وعلى كلٍّ فالجملة مُعلِلَة للأمر بالترتيل وإن ثقله مما يستدعيه.

* جاء في «تتمة أضواء البيان»:

«قد بيّن اللَّه تعالى أن هذا الثقل قد يخففه اللَّه على المؤمنين في الصلاة في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ وكذلك القرآن ثقيل على الكفار خفيف على المؤمنين محبب إليهم. وقد جاء في الآثار أن بعض السلف كان يقوم الليل كله بسورة من سور القرآن تلذذًا وارتياحًا كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ فهو ثقيل في وزنه، ثقيل في تكاليفه، ولكن يخففه اللَّه وييسره لمن هداه ووفقه إليه».

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾:

* قال ابن جرير: «يعني جل وعز بقوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾: إن

---

(١) «القرطبي» ص(٦٨٣٠ ـ ٦٨٣١).
(٢) «لطائف الإشارات» (ج٦ ص٢٠٢).
(٣) «محاسن التأويل» ص(٥٩).

ساعات الليل، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل.

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك:

* قال ابن عباس: إن الليل كله ناشئة، وقال مثله ابن الزبير. عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل؛ قالوا: نشأ.

* عن أبي ميسرة: «نشأ»: قام، وعن ابن أبي نجيح قال: إذا قام الرجل من الليل؛ فهو ناشئة الليل.

* وعن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: هو الليل كله.

* عن مجاهد قال: إذا قمت الليل، فهو ناشئة.

* قال ابن زيد: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: قيام الليل، قال: وأي ساعة من الليل قام، فقد نشأ.

* عن مجاهد قال: أي الليل قمت فهو ناشئة.

* قال الضحّاك: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ يعني: الليل كله، وقال ابن عباس: الليل كله.

وقال آخرون: بل ذلك ما كان بعد العشاء، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة.

* عن أبي مجلز في قوله: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ قال: ما بعد العشاء ناشئة.

* قال أبو رجاء: ما بعد العشاء الآخرة.

* عن قتادة: «ما كان بعد العشاء فهو ناشئة».

* قال محمد بن نصر المروزي:

* [عن معاوية بن قرة: إن ناشئة الليل: قيام الليل.

* وعن ثابت كان أنس يصلي ما بين المغرب والعشاء فقيل له ما هذه الصلاة؟ قال: أما سمعتم قول اللَّه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ هذه ناشئة الليل.

* وعن عليّ بن الحسين: ناشئة الليل ما بين المغرب والعشاء.

* وعن ابن المنكدر وأبي حازم: ناشئة الليل ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء[(١)] .

* قال محمد بن نصر: «وقد أنكر بعض أهل العلم بالعربية أن تكون الناشئة بلسان الحبشة لقول اللَّه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ وقال: هي بلسان العرب، وهي مأخوذة من قوله: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ ومن قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ أي: ابتدأناهنّ. ويقال: نشأت تنشأ نشأ أي: ابتدأت وأقبلت شيئًا بعد شيء، وأنشأها اللَّه فنشأت وانشأت فكأنه قال: إن ساعات الليل الناشئة، ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ يريد ابتداء خلقهم».

* قال القرطبي: [«قال العلماء: ناشئة الليل أي: أوقاته وساعاته؛ لأن أوقاته تنشأ أولاً فأولاً، يقال: نشأ الشيء ينشأ إذا ابتدأ وأقبل شيئًا بعد شيء فهو ناشئ وأنشأه اللَّه فنشأ، والمراد: أن ساعات الليل الناشئة، فاكتفى بالوصف عن الاسم فالتأنيث للفظ ساعة؛ لأن كل ساعة تحدث».

* وحول القول بأن (نشأ) بالحبشة ولسانها قام قال القرطبي:

«لعله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب».

قال القرطبي:

«المسألة الثانية: بيّن تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٤، ١٥).

صلاة النهار، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب. واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل.

* فقال ابن عمر وأنس بن مالك: هو ما بين المغرب والعشاء تمسكًا بأن لفظ نشأ يعطي الابتداء فكان بالأولية أحق، ومنه قول الشاعر:

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نُصَيبٌ لَقلتُ بِنَفْسِيَ النَّشْءُ الصِّغَارُ

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء، ويقول: هذه ناشئة الليل.

وقال عطاء وعكرمة: إنه بدء الليل.

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: هي الليل كله؛ لأنه ينشأ بعد النهار، وهو الذي اختاره مالك بن أنس.

قال ابن العربي: وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة.

وقالت عائشة وابن عباس ومجاهد: إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم، ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة.

قال يمان وابن كيسان: هو القيام من آخر الليل.

وقال ابن عباس: كانت صلاتهم أول الليل، وكذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ.

وفي «الصحاح»: ناشئة الليل أول ساعاته.

* وعن الحسن ومجاهد: هي: ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح.

وعن الحسن أيضًا: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة.

وقيل: ما ينشأ في الليل من الطاعات حكاه الجوهري»[1] ا.هـ.

---

(١) «القرطبي» ص(٦٨٣١ ـ ٦٨٣٢).

* قال الزمخشري في «الكشاف»:

النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه إذا نهض قال:

نشأنا إلى خوض يرى فيها السرى وألصق منها مشرفات القماصر[(١)]

* قال البخاري ـ رحمه اللَّه ـ في «صحيحه»:

«قال أبو عبد اللَّه: قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ: نشأ قام بالحبشية»[(٢)].

* قال الحافظ في «الفتح»:

« قال ابن عباس نشأ قام بالحبشية، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ أي: قيام الليل، وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه أنه قال: ناشئة الليل هو كلام الحبشة نشأ قام.

وذهب الجمهور إلى أنه ليس في القرآن شيء بغير العربية، وقالوا: ما ورد من ذلك فهو من توافق اللغتين، وعلى هذا فناشئة الليل مصدر بوزن فاعلة من نشأ إذا قام، أو اسم فاعل أي: النفس الناشئة بالليل أي: التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أي: تنهض.

وحكى أبو عبيد في «الغريبين» أن كل ما حدث بالليل وبدا فهو ناشئ وقد نشأ.

---

(١) «الكشاف» للزمخشري (ج٥ ص١٧٦).

(٢) البخاري ـ كتاب التهجد باب: قيام النبي ﷺ من نومه وما نسخ من قيام الليل (٣/٢٧).

وفي «المجاز» لأبي عبيدة: ناشئة الليل آناء الليل ناشئة بعد ناشئة.

قال ابن التين: والمعنى أن الساعات الناشئة من الليل ـ أي: المقبلة بعضها في أثر بعض ـ هي أشد»[1].

* قال القاسمي: «إن ناشئة الليل» أي: نشأته وطبيعة خلقه ومظهره».

قوله تعالى: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾:

* قال ابن جرير:

«هي أشد وطئًا: ناشئة الليل أشد ثباتًا من النهار، وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار وحُكي عن العرب وَطِئنا الليل وَطْئًا: إذا ساروا فيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال مَن قال من أهل التأويل:

* عن قتادة ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾: أي أثبت في الخير، وأبلغ في الحفظ.

* عن ابن عباس: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ كانت صلاتهم أول الليل، ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾، يقول: هو أجدر أن تُحصوا ما فرض اللَّه عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ.

* قال ابن زيد في قوله: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾:

«إن مصلي الليل القائم بالليل هي أشد وطئًا: طمأنينة وأفرغ له قلبًا، وذلك أنه لا يعرض له حوائج ولا شيء.

وقالوا: مواطأة للقول وفراغًا للقلب.

(١) «فتح الباري» (ج٣ ص٢٩).

﴿ وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ : أصوب قراءة.

وقال ابن عباس: أدنى من أن تفقهوا القرآن.

قال ابن زيد: أقوم قراءة لفراغه من الدنيا».

قال ابن جرير: إن قراءة الأكثر وَطئًا بفتح الواو وسكون الطاء.

* قال محمد بن نصر المروزي:

عن الحسن قال: أثبت في القراءة وأقوى على القراءة.

وعن مجاهد قال: مواطأة للقول وأفرغ للقلب.

* وعن الضحاك: قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار وأشد مواطأة بالليل منه بالنهار.

قال محمد بن نصر:

«وأما قوله: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ : فإن القرّاء اختلفوا في قراءة هذا الحرف فقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي وَطئا بفتح الواو مقصورة، وكان ابن عامر وابن محيصن وأبو عمرو يقرءونها وِطاء مكسورة الواو ممدودة.

قال أبو عبيد: وهذه أحب إليّ؛ لأن التفسير يُصدّقها، وإنما هي مواطأة السمع والبصر إيّاه إذا قام يصلي في ظلمة الليل.

* وقال غير أبي عبيد: «من قرأها وطئًا: أراد شدة الوطء أي: أن الصلاة في ساعات الليل أشد وأثقل على المصلي من الصلاة في ساعات النهار وهو من قولهم: «اشتدت على القوم وطأة سلطانهم» إذا ثقل عليهم ما يلزمهم به ويأخذهم به فأعلم اللّه نبيه ﷺ أن الثواب في قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها»، ومن قرأ: «وطاء»، فهو مصدر

لوطأت فلان على كذا وكذا مواطأة ووطاء.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أي: أخلص للقول؛ لأن الليل تهدأ عنه الأصوات وتنقطع فيه الحركات فيخلص القول ولا يكون دون تسمُّعه وتفهُّمه حائلٌ»[1].

* قال القرطبي:

« وِطَاءً بكسر الواو وفتح الطاء والمد، واختاره أبو عبيد وَطْئًا: بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة، واختاره أبو حاتم.

والمعنى أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك أن الليل وقت منام وتودّع وإجمام، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة.

ومَنْ مدّ فهو مصدر: واطأت وطاء، ومواطأة أي: وافقته.

* قال ابن زيد: واطأته الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق، وفلان يواطئ اسمه على اسمي، وتواطئوا عليه أي: توافقوا فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما.

وقال ابن عباس بمعناه: أي: يواطئ السمع القلب، قال اللَّه تعالى: ﴿لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي: ليوافقوا.

وقيل: المعنى أشد مِهادًا للتصرف في التفكر والتدبر والوِطاء خلاف الغِطاء.

وقيل: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ بسكون الطاء وفتح الواو: أي: أشد ثباتًا من

(١) محمد بن نصر المروزي «مختصر قيام الليل» للمقريزي ص(١٤، ١٥).

النهار؛ فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وألقى لما يلهي ويشغل القلب. والوطء: الثبات، تقول: وطئت الأرض بقدمي.

وقال الأخفش: أشد قيامًا.

وقال الفرّاء: أثبت قراءة وقيامًا، وعنه: أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع.

وقال الكلبي: أشد نشاطًا للمصلي؛ لأنه في زمان راحته.

ثم أضاف القرطبي:

قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أي: القراءة بالليل أقوم منها بالنهار، أي: أشد استقامة واستمرارًا على الصواب؛ لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه.

قال قتادة ومجاهد: أصوب للقراءة وأثبت للقول؛ لأنه زمان التفهم.

وقال أبو علي: ﴿أَقْوَمُ قِيلاً﴾: أي: أشد استقامة لفراغ البال بالليل.

وقيل: أعجل إجابة للدعاة حكاه ابن شجرة.

وقال عكرمة: عبادة الليل أشد نشاطًا، وأتم إخلاصًا، وأكثر بركة.

وعن زيد بن أسلم: أجدر أن يتفقه في القرآن»[1] ا.هـ.

* قال البخاري: (وِطاءً قال: مُواطأةً للقرآن أشد موافقة لسمعه

---

(١) «القرطبي» ص(٦٨٣٢ ـ ٦٨٣٣).

وبصره وقلبه ليُواطئوا: ليوافقوا).

قال الحافظ في «الفتح»: قوله: (وطاء قال: مواطأة للقرآن... وقلبه وهذا وصله عبد بن حميد من طريق مجاهد: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أبلغ في الحفظ»[1].

* قال القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ:

«﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أي: موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال.

و﴿أَقْوَمُ قِيلاً﴾: أي: أشد مقالاً وأصوبه.

قال ابن قتيبة: لأن الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع فيه الحركات ويخلص القول ولا يكون دون سمعه وتفهمه حائل.

ونقل السيوطي عن الجاحظ قال: ﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ هي: المعاني المستنبطة من القرآن بالليل.

﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أبين أثرًا. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أصحّ مما تخرجه الأفكار بالنهار، لخلوّ السمع والبصر عن الاشتغال»[2].

* قال الشيخ عطية محمد سالم في «تتمة أضواء البيان» للشنقيطي:

« إن ما تنشئه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب، وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر والتأمل وبالتالي التأثر، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة.

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٧، ٢٩).

(٢) «محاسن التأويل» ص(٥٩٦٠).

وقد سمعت من الشيخ ـ رحمة اللَّه تعالى علينا وعليه ـ يعني: الشيخ الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ قوله: لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه، وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل، وقد كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ لا يترك ورده من الليل صيفًا أو شتاءً، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وهكذا هنا فإن ناشئة الليل كانت عونًا له ﷺ على ما سيلقى عليه من ثقل القول»[1] ا.هـ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾:

* قال محمد بن نصر المروزي:

«قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ قال ابن عباس: النوم والفراغ.

وقال الضحاك ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة: فراغًا طويلاً»[2].

* قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

« قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ قال ابن زيد: لحوائجك، فاجعل لدينك الليل».

* قال القرطبي: ﴿سَبْحًا﴾: قراءة العامة بالحاء غير معجمة أي: تصرفًا في حوائجك وإقبالاً وإدبارًا وذهابًا ومجيئًا.

والسبح: الجري والدوران ، ومنه: السابح في الماء، لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس:

---

(١) «تتمة أضواء البيان».

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٥).

مِسَحٌ إذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى   أثرْن الغُبار بالكديدِ المُركَّلِ[1]

ـ وقيل: السبح الفراغ، أي: إن لك فراغًا للحاجات بالنهار.

ـ وذكر الخليل ﴿إِنَّ لَكَ ... سَبْحًا﴾ نومًا، والتسبح: التمدد، وقرأ يحيى بن يَعْمُر وأبو وائل ﴿سَبْخًا﴾ بالخاء المعجمة.

قال المهدوي: ومعناه: النوم رُوي ذلك عن القارئين بهذه القراءة، وقيل: معناه: الخفة والسعة والاستراحة. قال الشاعر:

فَسَبِّخْ عليك الهَمَّ واعلم بأنه   إذا قدَّر الرحمن شيئًا فكائنُ

الأصمعي: يقال: سبخ اللَّه عنك الحمّى. أي: خففها.

وسبخ الحرُّ: فتر وخفّ، والتسبيخ: النوم الشديد.

* وأيضًا: التسبيخ: توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها.

وقال ثعلب: السبخ بالخاء: التردد والاضطراب، والسبخ أيضًا: السكون.

وقال أبو عمرو: السبخ النوم والفراغ.

قلت: فعلى هذا يكون من الأضداد وتكون بمعنى: السبح بالحاء غير المعجمة»[2].

* قال أبو السعود: « ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾: أي: تقلبًا وتصرفًا في مهماتك واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة

(١) مسح: معناه نصب الجري نصبًا، الونى: الفتور، الكديد: الموضع الغليظ، المركل: الذي يركل بالأرجل، والمعنى: أن الخيل المسرعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها جرى هذا الفرس جريًا سهلاً كما يسح السحاب المطر.

(٢) «القرطبي» ص(٦٨٣٤).

فعليك بها في الليل... وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل.

وقرئ ﴿سبخًا﴾: أي: تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه»[1].

* قال الحافظ في «الفتح»: «قوله: ﴿سَبْحًا طَوِيلاً﴾ أي: فراغًا وصله ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وغيرهم.

وعن السدي: ﴿سَبْحًا طَوِيلاً﴾ أي: تطوعًا كثيرًا كأنه جعله من السبحة وهي النافلة»[2].

* قال القاسمي: « ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾ أي: تقلبًا في مهماتك واشتغالاً بها؛ فلهذا أمرت بقيام الليل. ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: دُمْ على ذكره ليلاً ونهارًا.

قال الزمخشري: وذكر اللَّه يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم مما كان رسول اللَّه ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره»[3].

* **لطيفة للقشيري**: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾:

«يا أيها المتزمل بأعباء النبوة قم الليل، يا أيها الذي يُخفي ما

---

(1) «أبو السعود» (ج5 ص205).

(2) «فتح الباري» (ج3ص29). يقال للمرأة: سبِّخي قطنك، والسَّبيخ من القطن ما يسبَّخ بعد النَّدْف أي: يُلف لتغزله المرأة، والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر، ويقال لقطع القطن: سبائخ. قال الأخطل يصف القناص والكلاب:

فأرسلوهنَّ يذرين التراب كما ... يذري سبائخ قطن ندْفُ أوتار

(3) «محاسن التأويل» ص(5960).

خصصناه به قم فأنذر فإنا نصرناك.

ويقال: قم بنا... يا من جعلنا الليل ليسكن فيه كل الناس... قم أنت فليسكن الكل ولتقم أنت.

ويُقال: لمّا فرض عليه القيام أخبر عن نفسه لأجل أمته وإكرامًا لشأنه وقدره.

ورتّل القرآن ترتيلاً: ارتع بسرّك في فهمه وتأنّ بلسانك في قراءتك.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ ... هي أشد مواطأة للقلب ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾؛ لأنها أبعد من الرياء ويكون فيها حضور القلب أتم وسكون السر أبلغ»[1].

كلمات للحيــــاة:

* قال الشيخ سيد قطب حول آيات القيام في سورة المزمل كلمات أريجها أطيب من شذى الورود:

قال ـ رحمه اللَّه ـ:

«قيل لرسول اللَّه ﷺ «قم» فقام.. ظل قائمًا بعدها أكثر من عشرين عامًا لم يسترح.. ولم يسكن ولم يعش لنفسه ولا لأهله.. قام وظل قائمًا على دعوة اللَّه.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ﴾...

إنها دعوة السماء.. وصوت الكبير المتعال. قم للأمر العظيم الذي

---

(١) «لطائف الإشارات» (ج٦ ص٢٠٩، ٢١١).

ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك.. قم للجهد والتعب والكد والتعبد.. قم فقد مضى عهد النوم والراحة.. قم فتهيأ للأمر واستعد..

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش في البيت الهادئ والحضن الدافئ.. لتدفع به في الخضم.. بين الزعازع والأنواء.. وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

- إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحًا ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيرًا.. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير فما له والنوم؟ وما له والراحة؟ وما له والفراش الدافئ، والعيش الهادئ، والمتاع المريح؟ ولقد عرف رسول اللَّه ﷺ حقيقة الأمر وقدّره فقال لخديجة - رضي اللَّه عنها - وهي تدعوه أن يطمئن وينام: «**مضى عهد النوم يا خديجة**».

﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ** ﴾:

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قيام الليل.. أكثر..أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه.. وأقله ثلث الليل وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذي سينزله اللَّه عليه...

﴿ **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً** ﴾:

هو هذا القرآن وما وراءه من التكاليف... والقرآن في مبناه ليس ثقيلاً فهو ميسر للذكر ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾ فأنزله اللَّه على قلب أثبت من الجبل يتلقاه.

وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل يحتاج

إلى استعداد طويل.

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل، وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول اللَّه ﷺ لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية.. والاتصال باللَّه وتلقي فيضه ونوره.. والأنس بالوحدة معه.. والخلوة إليه.. وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو ينزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة، واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته، وإيقاعاته في الليل الساجي.

إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول ﷺ، وينتظر مَن يدعو بهذه الدعوة في كل جيل، وينير القلب في الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾:

إن مغالبة هواتف النوم، وجاذبية الفراش بعد كد النهار، أشد وطئًا وأجهد للبدن ولكنه إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة اللَّه، وإيثارًا للأنس به، ومن ثمَّ فإنها أقوم قيلاً؛ لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة

فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتسكب في القلب أنسًا وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه، وما يقع عليه، وأي الأوقات فيها أكثر تفتحًا واستعدادًا وتهيؤًا، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيرًا فيه. والله سبحانه وتعالى وهو يعد عبده ورسوله محمدًا ﷺ ليتلقى القول الثقيل وينهض بالعبء الجسيم اختار له قيام الليل.

﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً ﴾:

فلينقض النهار في هذا السبح والنشاط، وليخلص لربه في الليل.. يقوم له بالصلاة والذكر والتبتل والانقطاع الكلي عما عدا الله، والاتجاه الكلي إليه والحضور معه بكامل الحسّ والمشاعر فليس هناك إلا الله يتجه إليه من يريد الاتجاه.

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ... ﴾:

﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾:

إنها لمسة التخفيف الندية تمسح على التعب والنصب والمشقة، ودعوة التيسير الإلهي على النبي ﷺ والمؤمنين، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم إليه، وقد انتفخت أقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القرآن كبير، وما كان الله يريد لنبيه ﷺ أن يشقى بهذا القرآن والقيام.. إنما كان يريد أن يعده للأمر العظيم الذي سيواجهه طوال ما بقي له في الحياة.

وفي الحديث مودة وتطمين **﴿إن ربك يعلم... وطائفة من الذين معك...﴾**: إنه رآك.. قيامك وصلاتك، أنت وطائفة من الذين معك

قُبلت في ميزان اللَّه . . . إن ربك يعلم أنك وَهُمْ تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركت دفء الفراش في الليلة القارسة ولم تسمع نداء المضاجع المغري وسمعت نداء اللَّه»[1] ا.هـ.

* * *

الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

* قال الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

« يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ومن الليل فاسهر به بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك».

والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة الليل.

أما الهجود نفسه فالنوم كما قال الشاعر:

ألا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود

وقال الحطيئة:

ألا طرقت هِنْد الهنودِ وصحبتي بِحَوْران حَوْرَانِ الجنود هجودُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ من قال ذلك من السلف وهم:

علقمة والأسود وعبد الرحمن بن الأسود والحجاج بن عمرو[2] .

---

(١) «في ظلال القرآن» ص(١٦٨ ـ ١٧٧).

(٢) حديث الحجاج بن عمرو في سنده ابن لهيعة، وفيه مقال، انظر: «حاشية ابن عابدين» ص(٤٦٠).

وعن الحسن: التهجد ما كان بعد العشاء الآخرة»[١] .

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

«﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ مِن للتبعيض، فتهجد أي: قم فتهجد به، أي: بالقرآن والتهجد من الهجود وهو من الأضداد، يقال: هجد نام، وهجد سهر على الضد.

قال الشاعر:

ألا زارت وأهـــل منى هجـــود وليت خيالهـا بمنى يعـــود

وهجد وتهجّد بمعنىً، وهجّدته، أي: أنمته، وهجّدته أي: أيقظته.

والتهجد: التيقظ بعد رقدة فصار اسمًا للصلاة؛ لأنه ينتبه لها. قال الحجاج بن عمرو صاحب النبي ﷺ : «أيحسب أحدكم إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد، إنما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة، كذلك كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ »[٢]

* وقيل: الهجود: النوم.

يقال: تهجد الرجل، إذا سهر وألقى الهجود وهو النوم.

---

(١) «تفسير الطبري» (ج١٥ ص١٤١ ـ ١٤٤) مصطفى الحلبي ـ الطبعة الثانية.

(٢) إسناده حسن: حسّنه ابن حجر في «تلخيص الحبير» (ج٢) رقم (٢٤) ولفظه في «تلخيص الحبير»: «يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلي حتي يصبح أنه قد تهجد، إنما التهجد أن يصلي الصلاة بعد رقدة، ثم الصلاة بعد رقدة، وتلك كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ ». رواه ابن أبي خيثمة من طريق الأعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو، وفيه أبو صالح كاتب الليث وفيه لين، ورواه الطبراني، وفي إسناده ابن لهيعة، وقد اعتضدت روايته بالتي قبله. وقال الهيثمي في «الزوائد»: رواه في «الكبير» بإسناد صحيح ورجاله رجال الصحيح»١.هـ.

وهذا الفعل جارٍ مجرى تحوّب وتأثم وتحنث وتقذّر وتنجّس إذا ألقى ذلك عن نفسه .

ومثله قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ معناه تندّمون أي: تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهي انبساط النفس وسرورها. والمعنى في الآية: ووقتًا من الليل اسهر به في صلاة وقراءة .

* قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي:

﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ «الضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله تعالى﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: فتهجد في ذلك البعض على أنّ الباء بمعنى في» .

ونحى ـ رحمه اللَّه ـ منحى القرطبي في أن «تهجد» جاءت على صيغة التفعل التي تجيء للإزالة كالتحرج والتأثم .

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح»:

«قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ زاد أبو ذر في روايته «اسهر به» وفي «المجاز» لأبي عبيدة قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾: أي: «اسهر بصلاة.

وتفسير التهجد بالسهر معروف في اللغة وهو من الأضداد حكاه الجوهري وغيره، ومنهم من فرق بينهما فقال: هجدت؛ نمت، وتهجدت؛ سهرت حكاه أبو عبيدة وصاحب «العين» .

* وقال ابن فارس: المتهجد المصلي ليلاً .

* وقال كراع: التهجد صلاة الليل خاصة»[١] ا.هـ.

* قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾.

قال ابن جرير الطبري:

«وأما قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فإنه يقول: نفلاً لك، عن فرائضك التي فرضتها عليك.

واختلف المعنى الذي من أجله خص بذلك رسول الله ﷺ مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد أدى فرائضه نافلة نفلاً، إذ كانت غير واجبة عليه.

فقال بعضهم: معنى خصوصيته بذلك: هو أنها كانت فريضة عليه وهي لغيره تطوع.

وقيل: أقمناها نافلة لك، أي: فضلاً لك، من الفرائض التي فرضتها عليك عما فرضته على غيرك.

ثم روى - رحمه الله - عن ابن عباس: «أن النافلة للنبي ﷺ خاصة أمر بقيام الليل وكتب عليه»[٢].

ثم قال - رحمه الله -: «بل قيل له عليه الصلاة والسلام؛ لأنه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيئًا من الذنوب؛ لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان له نافلة فضل، فأما غيره فهو له كفارة وليس هو له نافلة.

ثم روى عن مجاهد قوله: «النافلة» للنبي ﷺ خاصّة من أجل

(١) «فتح الباري» - كتاب التهجد - (ج٣ ص٥، ٦) طبعة السلفية - الطبعة الثانية.
(٢) ضعّف ابن حجر هذا الإسناد كما سيأتي.

أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهو نوافل وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتها فليست للناس نوافل ثم رجّح ابن جرير القول الأول فقال:

«وأولى القولين بالصواب في ذلك القول الذي ذكرنا عن ابن عباس وذلك أن رسول اللَّه ﷺ كان اللَّه تعالى قد خصّه بما فرض عليه من قيام الليل دون سائر أمته، فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له؛ لأن رسول اللَّه ﷺ فيما ذكر عنه، أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول اللَّه عز وجل: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية وأنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ...﴾ فكان يُعدّ له ﷺ في المجلس الواحد استغفار مائة مرة، ومعلومٌ أن اللَّه لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك فَبيِّن إذن وجه فساد ما قاله مجاهد» ا.هـ.

أسند ابن جرير إلى قتادة، نافلة لك: تطوعًا وفضيلة لك.

قال الإمام القرطبي في «تفسيره» عن قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾:

«أي: كرامة لك: قاله مقاتل.

واختلف العلماء في تخصيص النبي ﷺ بالذكر دون أمته فقيل: كانت صلاة الليل عليه لقوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ أي: فريضة زائدة على الفريضة الموظفة على الأمة.

قلت: ـ أي القرطبي ـ وفي هذا التأويل بعد لوجهين:

* **أحدهما**: تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة.

* **الثاني**: قوله ﷺ: «**خمس صلوات فرضهن الله على العبد**»، وقوله تعالى: «**هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي**»، وهذا نص فكيف يقال: افترض عليه صلاة زائدة على الخمس؟! هذا لا يصح».

ثم قال ـ رحمه الله ـ:

«وقيل: كانت صلاة الليل تطوعًا منه، وكانت في الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة، كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ وعلى هذا يكون الأمر بالتنفل من جهة الندب ويكون الخطاب للنبي ﷺ؛ لأنه مغفور له، فهو إذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة في الدرجات، وغيره من الأمة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع في الفرض، وقيل: عطية؛ لأن العبد لا ينال من السعادة عطاء أفضل من التوفيق في العبادة»[1].

* قال العلامة أبو السعود:

«﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن صلاة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها، أو تطوعًا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له ﷺ في الدرجات كما قال مجاهد والسدي».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

«والنافلة في اللغة: الزيادة.

ثم ساق قول الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقال:

إن رواية الطبري عن ابن عباس إسنادها ضعيف».

(١) «القرطبي» ص(٣٩٢٤ ـ ٣٩٢٥).

ثم تكلم عن رواية مجاهد التي ساقها الطبري وابن أبي حاتم فقال الحافظ: إن إسنادها حسن» وعن قتادة كذلك.

ثم قال الحافظ ابن حجر: «ورجّح الطبري الأول[١] وليس الثاني[٢] ببيعد من الصواب»[٣].

قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾:

* قال ابن جرير: [«عسى» من اللَّه واجبة، ثم قال:

قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم] ا.هـ.

وعزاه ـ رحمه اللَّه ـ إلى ابن عباس وحذيفة والحسن ومجاهد وسلمان وقتادة.

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: [اختلف العلماء في كون القيام بالليل سببًا للمقام المحمود على قولين:

أحدهما: أن البارئ تعالى يجعل من شاء من فعله سببًا لفضله من غير معرفة بوجه الحكمة فيه أو بمعرفة وجه الحكمة.

الثاني: أن قيام الليل فيه الخلوة مع البارئ والمناجاة دون الناس فأعطى الخلوة به ومناجاته في قيامه، ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم، فأجلهم فيه درجة محمد ﷺ فإنه

(١) رواية ابن عباس.

(٢) رواية مجاهد وقتادة.

(٣) «فتح الباري» (ج٣ ص٦).

يـعطى ما لا يعطى أحد» [1].

*قال أبو السعود ـ رحمه اللَّه ـ:

« ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الذي يبلغـك إلى كمالك اللائق بـك من بعد الموت الأكـبر كما انبـعث من النوم الـذي هو الموت الأصغر بالصـلاة والعبادة و ﴿مَّحْمُودًا﴾ عندك وعند جمـيع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل».

* **لطيفة للقشيري:**

قال القشيري ـ رحمه اللَّه ـ:

«الليل لأحد أقوام: لطالبي النجـاة وهم العاصون، من جنح منهم إلى التـوبة، أو لأصحاب الـدرجات وهم الذيـن يجدّون في الـطاعات ويسارعون في الخـيرات، أو لأصحاب المناجاة مع المحبوب عـندما يكون الناس فيما هم فيه من الغفلة» [2].

« فأهل المعرفة لم يطلبوا مؤنسًا سواه وما طلبوا شيئًا غيره كما قيل:

أنتـم سروري وأنتم مـشتكى حزني ... وأنـتـمُ فـي سـواد الـلـيـل سـمّـاري

فإن تكـلـمت لـم ألفظ بغيـــركـم ... وإن سـكـتُّ فأنتم عقد إضمـاري [3]

«ويقال: اللـيل لأحد رجلين للمـطيع والعاصي: هذا فـي احتيال أعماله وهذا في اعتذاره عن قبيح أفعاله» [4].

*قال الشيخ سـيد قطب: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

---

(1)«تفسير القرطبي» (٣٩٢٨) كتاب الشعب.

(2)«لطائف الإشارات».

(3)«التحبير في التذكير» ص(٦٨) دار الكتاب العربي.

(4)«لطائف الإشارات» (٤/ ٣٦).

بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به وبهذه الصلة الدائمة بالله فهذا هو الطريق المؤدي إلى المقام المحمود. وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به في درجاتهم فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق»[1].

الآية السادسة

قال تعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾[آل عمران: ١١٣].

سبب النزول:

*«عن ابن مسعود قال: أخّر رسول اللَّه ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة. قال: «**أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم**» قال: وأنزل اللَّه هذه الآيات ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ...**﴾حتى بلغ ﴿**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**﴾»[2]

*هذا وقد ورد للآية سبب آخر:

فعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «لمّا أسلم عبد اللَّه بن

---

(١) «في ظلال القرآن» (ج١٥ ص٦٢).

(٢) **حديث حسن:** قال مقبل بن هادي الوادعي في «الصحيح المسند من أسباب النزول» ص(٢٧، ٢٨): أخرجه الإمام أحمد (ج٢ ص٣٩٦) في «مسنده»، وهو حسن كما قال الشوكاني (ج١ص٢٧٥) نقلاً عن السيوطي؛ لأن عاصمًا في حفظه شيء، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج١ص٣١٢): رجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» كما في «موارد الظمآن» ص(٩١)، وابن جرير (ج٤ ص٥٥).

سلام، وثعلبة بن سَعْيَة وأسيد بن سعية وأسد بن عُبيد ومَن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل اللَّه في ذلك من قوله: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾إلى قوله: ﴿ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(١).

*قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»:

«واختار الإمام أبو جعفر بن جرير الأول، حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال:

غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال: عنى بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء؛ لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف اللَّه أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا باللَّه ورسوله(٢).

«وأقول: لا مانع من نزول الآية في الجميع، أو أنه تعدد نزولها واللَّه أعلم»(٣).

وقال بمثل قول ابن عباس: قتادة، فقد قال: ليس كل القوم هلك لقد كان للَّه فيهم بقية.

*وقال ابن جريج: ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾:عبد اللَّه بن سلام، وثعلبة بن

---

(١) في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٢٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) نقلاً عن «أسباب النزول» لمقبل بن هادي الوادعي، وعزاه إلى ابن كثير في «تفسيره» (ج١ص٣٩٧). وانظر أيضًا: «تفسير الطبري» (ج٧ص١٢٩) طبعة دار المعارف.

(٣) «أسباب النزول» ص(٢٨) لمقبل بن هادي الوادعي.

سلام أخوه، وسعية بن مبشر، وأسيد، وأسد ابنا كعب.

*قال ابن جرير الطبري:

«﴿سَوَاءً﴾ في هذا الموضع بمعنى: التـام والاكتفاء، وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال: قد تمت القصة عند قوله: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ عن إخبار اللّـه بأمر مؤمني أهل الكتـاب وأهل الكفر منهـم، وأن قوله: ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ خبر مبـتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج»[1].

قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾:

عن ابن عباس: «أمة مهتدية قائمة على أمر اللّه لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيّعوه».

عن قتادة: «أمة قائمة على كتاب اللّه وفرائضه وحدوده».

عن وكيع: «قائمة على كتاب اللّه وحدوده وفرائضه».

وهذه أولى الأقوال عند ابن جرير.

وتأويل الـكلام: من أهل الـكتاب جماعـة معتصـمة بكتـاب اللّه متمسكة به، ثابتة على العمل بما فيه وما سنّ لهم رسوله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾:

قال ابن جرير الطبري:

[يعني بـقوله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يقرءون كتاب اللّـه آناء الليل ويعني بقوله: ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾ ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ.

يتلون ذلك ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾: في ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه.

---

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ١٢٠، ١٢٢).

أما آناء الليل: فساعات الليل وواحدها «إِنْي» كما قال الشاعر:

حلو ومر كعطف القِدْحِ مِرَّتُـــهُ في كل إِنْيٍ حذاه الليـل ينتعل (١)

وقد قيل: إن واحد الآناء: «إِنى» مقصور كما واحد الأمعاء «مِعَى» فقال قتادة والربيع وعبد اللَّه بن كثير: ﴿ **آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾:ساعات الليل.

وقال السدي: جوف الليل.

وقال ابن مسعود: صلاة العتمة (٢).

وقال منصور: فيما بين المغرب والعشاء.

قال ابن جرير: وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني، وذلك أن اللَّه تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات اللَّه في ساعات الليل وهي آناؤه، وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تاليًا لها آناء الليل، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء، ومن تلاها جوف الليل فكلٌ تالٍ له ساعات الليل.

أما قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ يَسْجُدُونَ** ﴾:فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود؛ لأن التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فكان معنى الكلام عنده: يتلون آيات اللَّه آناء الليل وهم يصلون (٣).

وليس المعنى على ما ذهب إليه، وإنما معنى الكلام: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللَّه آناء الليل في صلاتهم وهم في ذلك

---

(١)الشاعر هو: المتنخل الهذلي، وقال ابن فارس: إني وإنيان (١/ ٢٠٣١) والجمع: آناء.

(٢)وهو أيضًا قول مجاهد ورد في «زاد المسير».

(٣)هذه مقالة الفرّاء في «معاني القرآن» (١٠/ ٢٣١).

يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة»[1] ا.هـ.

* قال القرطبي: « ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾:

قال الأخفش: التقدير من أهل الكتاب ذو أمة، أي: ذو طريقة حسنة وأنشد: «وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع».

و﴿يَسْجُدُونَ﴾: يصلون عند الفراء والزجاج؛ لأن التلاوة لا تكون في الركوع والسجود نظير قوله: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلون، وفي الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾، وفي النجم: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

وقيل: يراد به السجود المعروف خاصة، وسبب النزول يرده، وأن المراد صلاة العتمة كما ذكرنا عن ابن مسعود، فعبدة الأوثان ناموا حيث جن عليهم الليل، والموحدون قيام بين يدي اللَّه تعالى في صلاة العشاء يتلون آيات اللَّه ألا ترى لمَّا ذكر قيامهم قال: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ أي: مع القيام أيضًا»].

* قال الزمخشري في «الكشاف»:

[﴿أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾: مستقيمة عادلة، من قوله: أقمت العود؛ فقام بمعنى: استقام. وعبّر عن تهجدهم بتلاوة القرآن ساعات الليل مع السجود؛ لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم. وقيل: عني صلاة العشاء؛ لأن أهل الكتاب لا يصلونها.

وقوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ و﴿يُؤْمِنُونَ﴾ صفتان لأمة: أي: أمة قائمة

---

(١) «القرطبي» (١٤١٨، ١٤١٩).

تالون، مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين، ومن الإيمان بالله](1) ا.هـ.

***

الآية السابعة

قال تعالى: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩].

* ﴿**أَمَّنْ**﴾ قرأها الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائي بالتشديد، وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿ **أَمَنْ هُوَ** ﴾ بالتخفيف على معنى النداء كأنه قال: يا من هو قانت.

قال الفرّاء: الألف بمنزلة «يا» تقول: يا زيد أقبل، و: أزيد أقبل.

وحكى ذلك سيبويه وجميع النحويين كما قال أوس بن حُجْر:

أَبني لُبينَى لَسْتُمُ بِيَدٍ إلاَّ يَدًا ليستْ لها عَضُدُ

وقال الآخر وهو ذو الرمة:

أداراً بِحُزْوَى هجتِ للعينِ عَبْرَةً فماء الهوى ينفضّ أو يترقرق

فالتقدير عَلى هذا: «قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار»، يا من هو قانت، إنك من أصحاب الجنة. كما يقال في الكلام: فلان لا يصلي ولا يصوم، فيا من يصلي ويصوم أبشر، فحذف لدلالة الكلام عليه.

---

(١) «الكشاف» (١/٤٥٦) طبع مصطفى الحلبي.

وقيل: إن الألف في ﴿أَمَنْ﴾ استفهام أي: «أَمَنْ هو قانت آناء الليل أفضل أمن جعل للَّه أندادًا»، والتقدير: الذي هو قانت خير.

ومنْ شدّد ﴿أَمَّنْ﴾ فالمعنى: «العاصون المتقدم ذكرهم أَخْيَرُ أَمَّنْ هو قانت» فالجملة التي عادلت أم محذوفة.

وقال النحاس: و﴿أَمْ﴾ بمعنى: «بل» و﴿مَنْ﴾ بمعنى: «الذي» والتقدير: بل الذي هو قانت أفضل ممن ذكر.

*وفي ﴿قَانِتٌ﴾ عدة أوجه:

أحدها: أنه المطيع، قاله ابن مسعود وابن عباس والسدي والنحاس ونافع وقتادة.

والثاني: أنه الخاشع في صلاته؛ قاله ابن شهاب.

والثالث: القائم في صلاته: قاله يحيى بن سلاّم.

والرابع: أنه الداعي لربه.

والخامس: طول القيام، قال ابن عمر: كان إذا سئل عن القنوت، قال: «لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام»[1] وقرأ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ... سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾. قال الحسن: يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه[2].

واختلف في تعيين «القانت» ها هنا.

فقال ابن عمر: هو عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ، وقال مقاتل: إنه عمّار بن ياسر، وقال يحيى بن سلاّم: إنه رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) ابن جرير (ج٢٣ص٢٠٠).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(١٥).

وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه: هو أبو بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ.

وقال الكلبي: صهيب وأبو ذر وابن مسعود، وقيل: أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي».

* قال ابن عباس: من أحب أن يهوّن اللَّه عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره اللَّه في ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة.

* قوله: ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾: قال ابن عباس: يحذر عقاب الآخرة.

قال سعيد بن جبير: أي: عذاب الآخرة.

﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾: عن ابن عباس: «يرجو أن يرحمه اللَّه فيدخله الجنة»[1].

* قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾:

قال الزجاج: أي: كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، كذلك لا يستوي المطيع والعاصي.

وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ويعمل به فهو بمنزلة من لا يعلم.

* قال الزمخشري:

«وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم للذين يقتنون العلوم ويفتنون بالدنيا فهم عند اللَّه جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه»[2].

---

(١) ابن جرير (ج٢٣ ص٢٠٠).

(٢) «الكشاف» (ج٣ ص٣٩٠).

* قال العلاّمة أبو السعود:

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ تقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة[١].

* قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

«وفي الآية إشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم إذ عبر عنهم أولاً بالقانت ثم نفى المساواة بينه وبين غيره ليكون تأكيدًا له وتصريحًا بأن غير العامل كأنه ليس بعالم.

قال القاشاني: «وإنما كان المطيع هو العالم؛ لأن العلم هو الذي رسخ في القلب وتأصل بعروقه في النفس بحيث لا يمكن صاحبه من مخالفته، بل سيط باللحم والدم فظهر أثره على الأعضاء لا ينفك شيء منها عن مقتضاه، وأما المرتسم في حيز التخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم، إنما هو أمر تصوري وتخيل عارض لا يلبث أن يزول سريعًا لا يغذو القلب ولا يسمن ولا يغني من جوع»[٢].

* قال الشيخ سيد قطب في «الظلال»: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ...﴾

«هي صورة مشرقة مرهفة... فالقنوت والطاعة والتوجه وهو ساجد وقائم، وهذه الحساسية المرهفة وهو يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التي تفتح البصيرة، وتمنح القلب نعمة الرؤية والالتقاط والتلقي، هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر.

(١) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (٤/ ٣٠٣).
(٢) «محاسن التأويل» ص(٥١٣١).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «العلم الحق هو المعرفة.. هوإدراك الحق، هو تفتح البصيرة.. هو الاتصال بالحقائق الثابتة في هذا الوجود وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التي تزحم الذهن ولا تؤدي إلى حقائق الكون الكبرى ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس.

وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقي والمعرفة المستنيرة.. هذا هو القنوت للَّه.. وحساسية القلب.. واستشعار الحذر من الآخرة والتطلع إلى رحمة اللَّه وفضله.. ومراقبة اللَّه هذه المراقبة الواجفة الخاشعة هذا هو الطريق.

ومن ثم يدرك اللب ويعرف، وينتفع بما يرى وبما يسمع وبما يجرب، وينتهي إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات، والتجارب الصغيرة..

فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة والمشاهدات الظاهرة.. فهم جامعو معلومات وليسوا بعلماء.. وإنما يعرف أصحاب القلوب الواعية المتفتحة المدركة لما وراء الظواهر من حقائق.. المنتفعة بما ترى وتعلم.. التي تذكر اللَّه في كل شيء تراه وتلمسه ولا تنساه ولا تنسى يوم لقاه»[1].

***

(١) «الظلال».

الآية الثامنة

قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ..﴾: [الفتح: ٢٩].

* قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

« (السيما): العلامة أي: لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر.

قال شِمَر بن عطية: هو صفرة الوجه من قيام الليل.

وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى.

وقال سفيان الثوري: يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤي ذلك في وجوههم.

وقال الضحاك: أما إنه ليس بالنَّدْب في وجوههم ولكنه الصفرة.

وقال الضحاك: هو السهوم[1] إذا سهر الرجل من الليل أصبح مصفراً»[2] .

وقال عكرمة: هو السهر يُرى في وجوههم[3] .

* * *

(١) هو تغير الوجه.

(٢) «القرطبي» ص(٦١١٣، ٦١١٤).

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٢٠).

الآية التاسعة

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾ [ق: ٤٠].

* قال ابن العربي ـ رحمه اللَّه ـ:

«الصلاة تسمى: تسبيحًا لما فيها من التسبيح، ومنه سبحة الضحى».

* قال ابن جرير: «هي الصلاة بالليل من أي وقت صلى».

وقال مجاهد: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ ﴾ من الليل كله.

ـ ثم ذكر أقوالاً أخرى وقال بعدها:

« والقول الذي قاله مجاهد في ذلك أقرب إلى الصواب وذلك أن اللَّه جل ثناؤه قال: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾ فلم يحدد وقتًا من الليل دون وقت، وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل»[1] .

* قال سيد قطب: «اصبر وسبّح واسجد وأنت في حالة انتظار وتوقع للأمر الهائل الجلل المتوقع في كل لحظة من لحظات الليل والنهار لا يغفل عنه إلا الغافلون وهو الأمر الذي تدور عليه السورة كلها وهو موضوعها الأصيل»[2] .

* * *

(١) «تفسير الطبري» (ج٢٦ص١٨٠).

(٢) «الظلال» ص(١٦٩).

الآية العاشرة

قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٦].

* قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

[﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ يعني: الصلاة والتسبيح][1].

* قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

[﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ يعني: التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان: كل تسبيح في القرآن فهو صلاة.

وقيل: هو الذكر المطلق سواء في الصلاة أو في غيرها.

وقال ابن زيد: إن قوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ منسوخ بالصلوات الخمس، وقيل: هو ندب.

وقيل: هو مخصوص بالصلوات الخمس.

وقول ابن حبيب حسن][2].

* قال القاسمي ـ رحمه الله ـ:

[﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ بالتهجد فيه، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ أي: مقدارًا طويلاً نصفه، أو زيادة عليه.

وفي هذه الأوامر، مع الأمر في أول «المزمل» وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه. والقصد حثه ﷺ على أن يستعين في دعوة قومه والصدع بما أمر به، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح

---

(١) «الطبري» (ج٢٩ ص٢٢٥).

(٢) «القرطبي» ص(٦٩٤١).

كقوله: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ وقوله: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ وأمثالهما](١) .

* قال الشيخ سيد قطب في «الظلال»:

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ :

«هذا هو الزاد حيث يلتقي العبد بربه في خلوة، وفي نجاء وفي تطلع وفي أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من أشواك الطريق هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك.. هو زاد أصحاب الدعوة إلى اللَّه في كل أرض وفي كل جيل إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها، ويعيش فيها رواد هذا الطريق، ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ: عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾:

[إن هؤلاء القريبي المطامح والاهتمامات، والصغار المطالب والتصورات، هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون في العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلاً.. ثقيلاً بتبعاته.. ثقيلاً بنتائجه.. ثقيلاً بوزنه في ميزان الحقيقة](٢) .

---

(١) «محاسن التأويل» ص(٦٠١٦).

(٢) «الظلال» (ج٦ ص٢٣٠).

الآية الحادية عشرة

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾[الطور: ٤٨ ـ ٤٩].

* قال القرطبي: «قال أبو الجوزاء وحسان بن عطية: المعنى: حين تقوم من منامك.. قال حسّان: ليكون مفتتحًا لعمله بذكر اللَّه».

وقال الكلبي: واذكر اللَّه باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر. وذكره أيضًا القاسمي.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾:

* قال القاسمي: «أي: اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل»[1].

* قال أبو السعود: «إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل»[2].

* قال سيد قطب: «يلقي ظلاً فريدًا.. أرق وأشف من كل ظل.. ولا يملك التعبير البشري أن يترجم هذا التعبير الخاص.. فحسبنا أن نشير إلى ظلاله وأن نعيش في هذه الظلال.

ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلة الدائمة به ﴿وَسَبِّحْ ...﴾ فعلى مدار اليوم... عند اليقظة من النوم... وفي ثنايا الليل... عند إدبار النجوم في الفجر... هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب... والتسبيح زاد وأنس ومناجاة للقلوب، فكيف بقلب المحب الحبيب القريب!»[3].

---

(١) «محاسن التأويل» ص(٥٥٥١).

(٢) «تفسير أبي السعود» (ج٥ ص١٠٩).

(٣) «في ظلال القرآن».

الآية الثانيـــة عشرة

قـال تعـالى: ﴿فَـإِذَا فَرَغْـتَ فَانصَـبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّـكَ فَـارْغَبْ﴾ [ألم نشرح: ٧، ٨].

* قال محمد بن نصر ـ رحمه اللَّه ـ:

«قال عبد اللَّه: إذا فرغت من المكتوبة فانصب في قيام الليل. وقيل: فراغك بالليل»[١].

وقال القرطبي: «قال ابن مسعود: إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل»[٢].

* * *

الآية الثالثة عشرة

قال تعالى: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧].

* قال شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه ـ:

القانتين: المطيعين له، ثم نسب القول إلى قتادة.

أما قوله: ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ فقال أبو جعفر:

«اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم:

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٠).

(٢) «القرطبي» ص(٧١٩٨ ـ ٧١٩٩).

* فقال بعضهم: هم المصلون بالأسحار ـ وساقه بإسناده إلى قتادة.

* وقال آخرون: هم المستغفرون وذلك قول ابن مسعود، وأسند ـ رحمه اللَّه ـ إلى نافع أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع هل أسحرنا؟ فيقول: لا، فيعاود الصلاة، فإذا قلت: نعم، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح.

وأسند إلى جعفر بن محمد ـ رحمه اللَّه ـ: «من صلى بالليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كُتب من المستغفرين بالأسحار».

* وقال آخرون: هم الذين يشهدون الصبح في جماعة، وهو قول زيد بن أسلم.

قال ابن جرير: «وأولى هذه الأقوال: قول من قال: هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء»[1].

* قال الإمام القرطبي: «يقال: سَحَر ـ وسَحْر بفتح الحاء وسكونها ـ.

وقال الزجّاج: من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثاني.

وقال ابن زيد: السحر هو سدس الليل الأخير.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ:

«واختلف في معنى قوله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾:

فقال أنس بن مالك: هم السائلون المغفرة.

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧) طبعة دار المعارف.

وقال قتادة: المصلون.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ:

«الاستغفار مندوب إليه، وقد أثنى اللَّه على المستغفرين في هذه الآية وغيرها فقال: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «فهذا كله يدل عن أنه استغفار باللسان مع حضور القلب، لا ما قال ابن زيد أن المراد بالمستغفرين: الذين يصلون الصبح في جماعة واللَّه أعلم».

وقال لقمان لابنه: «يا بني لا يكون الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم».

والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخاري عن شداد بن أوس ـ وليس له في الجامع غيره ـ عن النبي ﷺ قال: **«سيد الاستغفار أن تقول: اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ـ قال ـ: من قالها من النهار موقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»**[1] [2].

* قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادي في «تفسيره»:

«قال مجاهد وقتادة والكلبي: أي: المصلين بالأسحار.

---

(١) أخرجه البخاري، والنسائي، وأحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، انظر: «صحيح الجامع» (ج٣ ص٢١٩) حديث رقم (٣٥٦٨) طبع المكتب الإسلامي.

(٢) «تفسير القرطبي» (٢/ ١٢٨٠ ـ ١٢٨٢).

وقال الحسن ـ رحمه اللَّه ـ: مَدُّوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا.

وقال أيضًا: كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار.

وتخصيص الأسحار بالاستغفار؛ لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة، إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والروح أجمع لا سيما للمتهجدين.

وتوسط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها»[1] .

* قال الألوسي ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره»:

«وقول أبي حيان: لا نعلم أن العطف في الصفة بالواو يدل على الكمال ردّه الحلبي بأن علماء البيان علموه وهُم هُم»[2] .

* قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير»:

«قال إبراهيم بن السري: السحر: الوقت الذي قبل طلوع الفجر، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر.

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ:

وصفهم اللَّه بهذه الصفات «الطاعات» ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون»[3] .

---

(١) «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» (ج١ ص٢٢١) مطبعة محمد علي صبيح.

(٢) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للألوسي (ج١ ص١٠٣) طبعة دار الفكر.

(٣) «زاد المسير» لابن الجوزي (١/ ٣٦١) طبع المكتب الإسلامي.

رحمة اللَّه على مَن كانت هذه صفتهم أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم.

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني:

«إن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾، وإن الدعاء في ذلك الوقت مجاب، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين؛ لأن سبب التخلف وقوع الخلل في شرط من شروط الدعاء كالاحتراز في المطعم والمشرب والملبس أو الاستعجال أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد، أو لأمر يريده اللَّه»[١].

*** فائـــدة لغويـــة:**

* قال أبومحمد عبد الحق بن عطية الغرناطي في «تفسيره»:

«السَّحَر والسَّحْر بفتح الحاء وسكونها: آخر الليل.

وقال الزجاج وغيره: وهو قبل طلوع الفجر. وهذا صحيح؛ لأن ما بعد الفجر هو من اليوم لا من الليلة.

وقال بعض اللغويين: السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر، والحديث في التنزل وهذه الآية في الاستغفار يؤيدان هذا. وقد يجيء في أشعار العرب ما يقتضي أن حكم السَّحر يستمر فيما بعد الفجر نحو قول امرئ القيس:

يُعَـــلُّ بهـــا بَـــردُ أنيابهـــا إذا طَرَّب الطائـــر المســـتحر[٢]

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» كتاب التهجد (ج٣ ص٣٨، ٣٩) طبع السلفية - الطبعة الثانية.

(٢) استحر الطائر: غرد بسحر، يُعل به: أي: يسقى به، إذا طرّب: إذا صوّت الديك. =

ويقال: أسحر واستحر إذا دخل في السَّحر، وكذلك قولهم: نسيم سحر، يقع لما بعد الفجر، وكذلك قول الشاعر:

تجـد النساء حواســرًا ينــدبنه قـد قمن قبــل تبلـج الأسـحار[1]

فقد قضى أن السحر يتبلج بطلوع الفجر.

ولكن حقيقة السحر في هذه الأحكام الشرعية من الاستغفار محمود ومن سحور الصيام، ومن يمين لو وقعت، إنما هي من ثلث الليل الباقي إلى الفجر»[2].

* قال القشيري في «لطائف الإشارات»[3]:

«القانتين: بنفوسهم بالاستقامة في محبة اللَّه.

والمستغفرين: عن جميع ما فعلوه لرؤية تقصيرهم في اللَّه. ويقال: «الصابرين» بقلوبهم، «والصادقين» بأرواحهم، و«القانتين» بنفوسهم، و«المستغفرين» بألسنتهم.

ويقال: «الصابرين» على صدق القصود، و«الصادقين» في العهود، و«القانتين» بحفظ الحدود، و«المستغفرين» عن أعمالهم وأحوالهم.

ويقال: «الصابرين» الذين صبروا على الطلب، ولم يتعللوا

= أي: هي طيبة ريح الفم في الوقت الذي تتغير فيه الأفواه، وإنما تتغير الأفواه بعد النوم، ويروى: «إذا صوّت»، انظر: «الديوان» (١٥٨)، و«اللسان» (٦/ ١٤)، و«البحر» (٢/ ٣٩٨).

(١) البيت للربيع بن زياد في مالك بن زهير العبسي، انظر: «ديوان الحماسة» (٣/ ٦٢).

(٢) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (٢/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) تحقيق أحمد صادق الملاح طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٣) (١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).

بالهرب، ولم يحتشموا من التعب، وهجروا كل راحة وطلب، صبروا على البلوى، ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى، ولم يقطعهم شيء من الدنيا.

و«الصادقين» الذين صدقوا في الطلب فقصدوا، ثم صدقوا حتى وردوا.

و«القانتين» الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال، الذين لازموا الباب، وداموا على تجرع الاكتئاب، وتركوا المحاب.

و«المنفقين» الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال، ثم جادوا بميسورهم من الأموال، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال، ثم جادوا بترك كل حظ لهم في العاجل».

* قال الشيخ سيد قطب:

« والاستغفار بالأسحار بعد هذا كله يلقي ظلالاً رفافة ندية عميقة، ولفظة الأسحار في ذاتها ترسم ظلال هذه الفترة من الليل قبيل الفجر، الفترة التي يصفو فيها الجو ويرق ويسكن، وتترقرق فيها خواطر النفس وخلجاتها الدفينة، فإذا انضمت إليها صورة الاستغفار ألقت تلك الظلال المنسابة في عالم النفس وفي ضمير الوجود سواء.

هؤلاء الصابرون الصادقون القانتون المنفقون المستغفرون بالأسحار لهم رضوان من اللَّه وهم أهل لهذا الرضوان... ظله ومعناه»[1].

* * *

(١) «ظلال القرآن» (٣/ ٥٩) عيسى الحلبي الطبعة الأولى.

الآية الرابعة عشرة

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩].

هذي وجوه المؤمنين من أهل الجنة في الدنيا والآخرة.. وجوه نضرة.

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ[١]:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: أي: مشرقة مضيئة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم، وهي وجوه المؤمنين.

﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي: مسرورة فرحة.

﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: أي: بما آتاها اللَّه من الكرامة.

وقال عطاء الخراساني: ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾: من طول ما اغبرّت في سبيل اللَّه جل ثناؤه. ذكره أبو نعيم، وقال الضحاك: من آثار الوضوء.

ابن عباس: من قيام الليل، لما روي في الحديث: «**من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار**» يقال حسن وجهه بالنهار»[٢].

* * *

[١] «القرطبي» (١/٧٠١٦، ٧٠١٧).

[٢] قال العقيلي: حديث باطل. وقال العراقي: لا أصل له.

الآية الخامسة عشرة

قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢].

* قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ:

قوله تعالى: ﴿ خِلْفَةً ﴾:

قال أبو عُبيدة: الخِلفة كل شيء بعد شيء، وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه.

ومن هذا المعنى قول زهير بن أبي سُلْمى:

بها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وأَطْلاؤُها يَنْهَضْنَ من كُلِّ مجثَمِ[1]

الرئم ولد الظبي وجمعه آرام، يقول: إذا ذهب فوج جاء فوج.

قال مجاهد: ﴿ خِلْفَةً ﴾ من الخلاف، هذا أبيض وهذا أسود، والأول: أقوى، وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان. وقيل: هو من باب حذف المضاف، أي: جعل الليل والنهار ذوي خلفة أي: اختلاف.

﴿ لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾: أي: يتذكر، فيعلم أن اللَّه لم يجعله كذلك عبثًا، فيعتبر في مصنوعات اللَّه، ويشكر اللَّه تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم. وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن: معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته

---

(١) العِين: بكسر العين جمع أعين وعيناء وهي: بقر الوحش سميت بذلك لسعة أعينها. والأطلاء: جمع طلا وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير. والمجثم: الموضع الذي يقام فيه.

النهار أدركه بالليل.

* قال ابن العربي: سمعت ذا الشهيد الأكبر يقول: إن اللَّه تعالى خلق العبد حيًا عالمًا، وبذلك كماله، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة، إذ الكمال للأوّل الخالق، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة اللَّه فليفعل، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوًا، وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة. ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية، ولا يتلف عمره بسهر في لذةٍ باقية عند الغنيّ الوفيّ الذي ليس بعديم ولا ظلوم.

المسألة الثالثة: الأشياء لا تتفاضل بأنفسها، فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة، وإنما يقع التفاضل بالصفات. وقد اختلف: في الوقتين أفضل، الليل أو النهار؟ وفي الصوم غنية في الدلالة، واللَّه أعلم. قاله ابن العربي.

قلت: والليل عظيم قدره، أمر اللَّه نبيه عليه الصلاة والسلام بقيامه. فقال: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ به نَافِلَةً لَّكَ**﴾، وقال: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ**﴾ ومدح المؤمنين على قيامه فقال: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾، وقال عليه السلام: «**والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**» وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء وفيه ينزل الرب تبارك وتعالى.

الرابعة: قرأ حمزة وحده ﴿**يَذْكُر**﴾ بسكون الذال وضم الكاف،

وهي قراءة وثاب وطلحة والنخعيّ. وفي مصحف أبيّ ﴿يتذكّر﴾ بزيادة تاء. وقرأ الباقون ﴿يَذَّكَّرُ﴾ بتشديد الكاف. ويَذْكُر ويَذَّكر بمعنى واحد، وقيل: معنى: «يذْكُر» بالتخفيف أي: يذكر ما نسيه في أحد الوقتين في الوقت الثاني، أو ليذكر تنزيه اللَّه وتسبيحه فيها».

﴿شُكُورًا﴾، وهذا الشكور على أنه جعلهما قوامًا لمعاشهم. وكأنهم لمّا قالوا: ﴿وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ قالوا: هو الذي يقدر على هذه الأشياء»[1] ا.هـ. كلام القرطبي.

* وقال الإمام ابن رجب الحنبلي:

«روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مالك بن دينار قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما.

وكان يقول: اعملوا الليل لما خلق له، واعملوا النهار لما خلق له.

وعن الحسن أنه كان يقول: يا ابن آدم، اليوم ضيفك، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك، وكذلك ليلتك.

وبإسناده عن بكر المزني أنه قال: ما من يوم أخرجه اللَّه إلى أهل الدنيا إلا ينادي: ابن آدم اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلة إلا تنادي: ابن آدم اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدي.

وعن داود الطائي أنه قال: إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن

---

(١) «القرطبي» (ج ص٤٧٨١ ـ ٤٧٨٣).

تقدم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك.

وفي «تفسير عبد بن حميد» وغيره من التفاسير المسندة عن الحسن في قول اللَّه عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً ... ﴾الآية قال:

من عجز بالليل كان له من النهار مستعتب، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعتب.

وعن قتادة قال: إن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار، وينسى بالنهار ويذكر بالليل.

قال قتادة: فأدوا إلى اللَّه من أعمالكم خيرًا في هذا الليل والنهار فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم، يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، ويجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة»[1] ا.هـ.

* * *

(١)«لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي ص(٧، ٨).



الترغيب
في القيــــام
من الســـنة المطهـــرة

الترغيب في القيام من السنة المطهرة

الترغيب في أن ينام الإنسان طاهرًا ناويًا القيام:

* عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من بات طاهرًا بات في شِعارِه مَلَكٌ فلا يستيقظُ إلا قال المَلَكُ: اللَّهم اغْفِرْ لعبدِك فلانٍ، فإنه بات طاهرًا»[1].

الشِعار: ما يلي البدن من ثوب وغيره.

* وعن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

«ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرًا فَيَتَعَارَّ من الليل، فيسألُ اللَّهَ خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه»[2].

* وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«طهروا هذه الأجساد، طهركم اللَّه، فإنه ليس من عبد يبيت طاهرًا إلا بات معه في شعاره ملك، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال: اللَّهم اغفر لعبدك، فإنه

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان في «صحيحه» وصححه، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» للمنذري، والألباني طبع المكتب الإسلامي (ج١ص٢٤٥).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود من رواية عاصم بن بهدلة عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ، ورواه ابن ماجه في «الدعاء» عن معاذ، وأحمد في «مسنده»، والنسائي في «اليوم والليلة»، والطيالسي. قال الحافظ ابن حجر: «وأبو ظبية شامي ثقة»، قال المناوي في «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: ورمز السيوطي لحسنه. وقال الألباني: حديث صحيح، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١ص٢٤٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٦٣٠)، و«فيض القدير» (ج٥ص٤٩٧).

بات طاهرًا»[1] .

* قال المناوي: «قال الطيبي: عبّر بقوله: «يتعارّ» دون يهب أو يستيقظ ونحوهما لزيادة معنى، أراد أن يخبر مَن هبّ مِن نومه ذاكرًا للَّه مع الهبوب فيسأل اللَّه خيرًا أنه يعطيه. فأوجز فقال: «يتعار» ليجمع بين المعنيين، وإنما يوجد ذلك عند من تعوّد الذكر فاستأنس به وغلب عليه حتى صار الذكر حديث نفسه في نومه ويقظته، وصرح عليه الصلاة والسلام باللفظ وعرّض بالمعنى وذلك من جوامع الكلم التي أوتيها.

وظاهر قوله: «يبيت» أي: أن ذا خاص بنوم الليل واشترط في ذلك المبيت على طهر»[2] ا.هـ.

وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ:

«والطهارة عند النوم قسمان:

طهارة الظاهر وهي معروفة، وطهارة الباطن وهي: بالتوبة وهي آكد من الظاهرة فربما مات في نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة وأن يزيل مِن قلبه كل غش وحقد ومكروه لكل مسلم»[3] .

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«ما من امرئٍ تكون له صلاة بليل، فيغلبه عليها نوم إلا كتب اللَّه له أجر

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط». وقال المناوي في «فيض القدير»: «وأبو الشيخ والديلمي عن ابن عمر، وقال الهيثمي: أرجو أنه حسن الإسناد، وقال المنذري: إسناده جيد، وقال الألباني: حديث حسن. انظر: «صحيح الترغيب» (١/ ٢٤٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٨٣١)، و«فيض القدير» (٤/ ٢٧١).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (ج٥ص٤٩٧).

(٣) «فيض القدير» (ج٤ ص٢٧١).

صلاته، وكان نومه عليه صدقة» [(١)].

* وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ يَبلغُ به النبي ﷺ قال:

«من أتى فراشَه، وهو ينوي أن يقومَ يُصلي من الليل، فغلبتْه عينُه حتى أصبحَ، كُتِبَ له ما نوى، وكان نومه صدقةً عليه من ربِّه» [(٢)].

* وعن أبي ذر أو أبي الدرداء ـ شك شعبة ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «ما من عبد يُحدِّثُ نفسَه بقيامِ ساعةٍ من الليل فينامُ عنها، إلا كان نومُه

---

(١) صحيح: رواه مالك، وأبو داود، والنسائي، وابن نصر عن عائشة. وقال العراقي: «فيه رجل لم يسم وسماه النسائي في روايته: الأسود بن يزيد، لكن في طريقه: أبو جعفر الرازي، قال النسائي: ليس بالقوي»، وقال المنذري في «الترغيب»: «الأسود بن يزيد ثقة ثبت وبقية إسناده ثقات، ورواه ابن أبي الدنيا في «كتاب التهجد» بإسناد جيد ورواته محتج بهم في «الصحيح» ا.هـ. وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٢٤٦)، وصححه في «الجامع» (٥٥٦٧).

(٢) حديث صحيح: رواه النسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن نصر، والبزار.

قال المنذري في «الترغيب»: «رواه النسائي، وابن ماجه بإسناد جيد، وابن خزيمة في «صحيحه». ورواه النسائي أيضًا، وابن خزيمة عن أبي الدرداء، وأبي ذر موقوفًا. قال الدارقطني: وهو المحفوظ. وقال ابن خزيمة: «هذا خبر لا أعلم أسنده غير حسين بن علي عن زائدة وقد اختلف الرواة في إسناد هذا الخبر».

قال المناوي في «فيض القدير»: «قال الحاكم: على شرطهما، وعلته أن معاوية بن عمرو رواه عن زائدة فوقفه، وحسين الجعفي أحفظ، كذا في «المستدرك» وأقره الذهبي، وقال العراقي: سنده صحيح». «فيض القدير» (ج٦) حديث رقم (٨٢٨٦ ص٢٣)، وصحح إسناده المناوي (ج٥ ص٤٧٢) «فيض القدير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨١٧)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: حديث صحيح. انظر: «صحيح الترغيب» (ج١ص٢٤٦)، وصححه عبد القادر الأرناؤوط في «تحقيق جامع الأصول» (ج٢).

صدقةً تَصَدَّق اللَّهُ بها عليه، وكَتَبَ له أجرَ ما نوى»[١] .

* قال الإمام أبو الوليد الباجي ـ رحمه اللَّه ـ:

«قوله: «**إلا كتب له أجر صلاته**»: يريد الصلاة التي اعتادها ويحتمل ذلك عندي وجوهًا:

أحدها: أن يكون له أجرها غير مضاعف ولو عملها لكان أجرها مضاعفًا؛ لأنه لا خلاف أن الذي يصليها أكمل حالاً ولذلك قال ﷺ لعلي وفاطمة: «**ألا تصليان؟!**» فلما قال له علي ـ رضي اللَّه عنه ـ: إنما أنفسنا بيد اللَّه فإذا شاء أن يبعثها بعثها.

خرج رسول اللَّه ﷺ يضرب فخذه ويقول: ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾.

* ويحتمل أن يريد أن له أجر مَن تمنى أن يصلي مثل تلك الصلاة.

* ولعله أراد أجر تأسفه مع ما فاته منها »[٢] .

---

(١) **صحيح**: قال المنذري: رواه ابن حبان مرفوعًا، وابن خزيمة موقوفًا ولم يرفعه، وقال الألباني: حديث صحيح.
تخريج الحديث رقم (٥، ٦)
قال الألباني في قول الدارقطني: «وهو المحفوظ»، وقول المنذري، وابن خزيمة في «صحيحه»: موقوفًا ولم يرفعه.
قلت: ولكنه لا يقال بالرأي فهو في حكم المرفوع، وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا». انظر: «صحيح الترغيب» (ج١ ص٢٤٦).

(٢) «المنتقى» للإمام أبي الوليد سليمان الباجي «على موطأ الإمام مالك» باب ما جاء في صلاة الليل (ج١ ص٢١١) الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة.

* وقال العلامة أبو الطيب أبادي:

«إلا كتب له أجر صلاته» يفيد أنه يكتب له الأجر وإن لم يقض، فما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ولمضاعفة الأجر واللَّه أعلم»[١] .

* وقوله: **«وكان نومه صدقة عليه»**.

قال الباجي: «يعني: أنه لا يحتسب عليه به، ويكتب له أجر المصلين».

فصل

الترغيب في كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل

* عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال:

«مَن تعارَّ من الليل فقال: «لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، والحمد للَّه، وسبحان اللَّه ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه»، ثم قال: «اللَّهم اغفر لي»، أو دعا استجيب له، فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته»[٢] .

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق عبد العظيم أبادي (ج٤ ص١٩٩) طبعة السلفية بالمدينة المنورة.

* ملحوظة: سنذكر أذكار النوم في هدي رسول اللَّه ﷺ في القيام.

(٢) رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وعند البخاري: **«أو دعا استجيب، فإن توضأ قبلت صلاته»**.

قال الحافظ في «الفتح» (ج٣): رجال الإسناد كلهم شاميون، وجميع روايات البخاري اتفقت على تقديم الحمد على التسبيح لكن عند الإسماعيلي بالعكس، والظاهر أنه من تصرف الرواة؛ لأن الواو لا تستلزم الترتيب.

قال الحافظ في «الفتح»:

«قال في «المحكم»: تعار الظليم معرة: صاح، والتعار أيضًا: السهر والتمطي والتقلب على الفراش ليلاً مع كلام.

وقال الأكثر: التعار: اليقظة مع صوت.

وقال ابن التين: «إن معنى تعار: استيقظ؛ لأنه قال: «من تعار، فقال: فعطف القول على التعار» ا.هـ.

ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ؛ لأنه قد يصوت بغير ذكر، فخص الفضل المذكور بمن صوّت بما ذكر من ذكر اللَّه تعالى، وهذا هو السر في اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه في يقظته ونومه، فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته»، ثم قال الحافظ: «قال ابن بطال: وعد اللَّه على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجًا بتوحيد ربه والإذعان له بالملك، والاعتراف بنعمه بحمده عليها وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه، أنه إذا دعاه أجابه، وإذا صلى قبلت صلاته، فينبغي لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى».

قال ابن المنير في «الحاشية» في قوله «قبلت صلاته»: «وجه ترجمة البخاري بفضل الصلاة، وليس في الحديث إلا القبول، وهو من لوازم الصحة سواء كانت فاضلة أم مفضولة؛ لأن القبول في هذا الموطن أرجى منه في غيره، ولولا ذلك لم يكن في الكلام فائدة، فلأجل قرب الرجاء

فيه من اليقين تميز على غيره وثبت له الفضل» ا.هـ.

والذي يظهر أن المراد بالقبول هنا قدر زائد على الصحة، ومن ثَمَّ قال الداودي ما محصله: «من قبل اللَّه له حسنة لم يعذبه، ولهذا قال الحسن: وددت أني أعلم أن اللَّه قبل لي سجدة واحدة».

(فائـــدة): قال أبو عبد اللَّه الفربري الراوي عن البخاري:

أجريت هذا الذكر على لساني عند انتباهي ثم نمت فأتاني آتٍ فقرأ ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾[1] ا.هـ.

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد للَّه الذي ردّ على روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره**»[2].

* عن ابن مسعود قال: من قال في قيام الليل: سبحان اللَّه والحمد للَّه ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، كان له مثل أجر ـ أو قال ـ: من الأجر كألف ألف حسنة[3].

* * *

(١) «فتح الباري» (ج٣ص٥٠).

(٢) **حسن:** رواه الترمذي، والنسائي، وابن السني في «اليوم والليلة». قال المناوي في «فيض القدير» (ج١ص٢٨٠) حديث رقم (٤٣٧): وقال النووي: سنده صحيح، وقال ابن حجر: حسن فقط لتفرد محمد بن عجلان به وهو سيئ الحفظ وتبعه السيوطي فرمز لحسنه»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٦).

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٤٧).

الحث على قيام الليل والترغيب فيه

* عن ابن عمر قال: «كان الرجل[١] في حياة رسول اللَّه ﷺ إذا رأى رُؤْيَا قَصَّها على رسول اللَّه ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أنْ أرى رُؤْيا أقُصها على النبي ﷺ قال: وكنت غلامًا شابًا عَزَبًا وكنتُ أنامُ في المسجد على عهد رسول اللَّه ﷺ فرأيتُ في النوم كأن مَلَكَيْن أخذاني فذهبا بي إلى النار[٢] فإذا هي مطويةٌ[٣] كَطَيِّ البئر، وإذا لها قرْنان كقرني البئر[٤]، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم فجعلت أقول: أعوذ باللَّه من النار، أعوذ باللَّه من النار، أعوذ باللَّه من النار، قال: فلقيهما مَلَكٌ، فقال لي: لَمْ تُرَعْ[٥]، فقصصتُها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول اللَّه ﷺ فقال النبي ﷺ:

«نِعْمَ الرجلُ عبدُ اللَّهِ لو كان يصلي من الليل»[٦].

---

(١) كان الرجل: إنما ذكر للغالب «ابن حجر العسقلاني».

(٢) التقدير: أن يذهبا بي إلى النار فيدخلاني فيها فلما نظرتها فإذا هي مطوية.

(٣) فإذا هي مطوية: أي مبنية، والبئر قبل أن تُبنى تسمى قليبًا.

(٤) قرْني البئر: قال النووي: «هما الخشبتان اللتان عليهما الخطّاف، وهي الحديدة التي في جانب البكرة، قاله ابن دريد. وقال الخليل: هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التي يدور عليها المحور وهي الحديدة التي تدور عليها البكرة».
قال العسقلاني: «إن كان من بناء فهما القرنان، وإن كان من خشب فهما الزرنوقان ـ بزاي منقوطة قبل المهملة ثم نون ثم قاف ـ وقد يطلق على الخشبة أيضًا: القرنان».

(٥) لم تُرعْ: أي: لم تخف، والمعنى: لا خوف عليك بعد هذا. ورواية الجمهور بإثبات الألف «تُرَاع». قال ابن التين: وهي لغة قليلة ـ أي: الجزم بلن ـ حتي قال القزار: لا أعلم له شاهدًا وتعقب بقول الشاعر: «ولن يحل للعينين بعدك منظر».

(٦) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، وأحمد في «مسنده».

قال سالم: فكان عبد اللَّه بعد ذلك لاينام من الليل إلا قليلاً.

(فائــدة): قال القرطبي: «إنما فسّر الشارع من رؤيا عبد اللَّه ما هو ممدوح؛ لأنه عرض على النار ثم عوفي منها، وقيل له: لا روع عليك، وذلك لصلاحه، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد اللَّه من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يتقي به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك».

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

«شاهد الترجمة قوله: «**نعم الرجل عبد اللَّه لو كان يصلي من الليل**» فمقتضاه أنَّ مَنْ كان يصلي من الليل يوصف بكونه: نعم الرجل»(١).

«وفي هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب»(٢) ا.هـ.

* قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن عبد اللَّه رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل**»(٣)

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقد، يَضْرِبُ على كل عُقْدَة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر اللَّه تعالى انحلّتْ عُقدةٌ، فإن تَوَضّأ انحلت عُقْدةٌ، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها، فأصبح نشيطًا طيِّب النفس،**

(١) «فتح الباري» (ج٣) كتاب التهجد باب فضل قيام الليل ص(٩ ـ ١٠).

(٢) «زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم» لأبي الجكني اليوسفي الشنقيطي (ج٣ ص٤٤٠) دار إحياء التراث.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه من رواية حفصة. انظر: «صحيح الجامع» حديث (٢١٠١).

وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[(١)].

شرح الحديث:

«**الشيطان**»: قال ابن حجر في «الفتح»: «كأن المراد به الجنس، وفاعل ذلك هو القرين أو غيره، ويحتمل أن يراد به رأس الشياطين وهو إبليس، وتجوز نسبة ذلك إليه لكونه الآمر به الداعي إليه، ولذا أورده المصنف في «باب صفة إبليس» من بدء الخلق»[(٢)].

«**قافية رأس أحدكم**»: قال أبو زرعة الحافظ في «طرح التثريب»:

«ذكر صاحب الصحاح والمحكم والمشارق والنهاية: أن القافية القفا، ثم قال في النهاية: وقيل: قافية الرأس، مؤخره، وقيل: وسطه، وقال النووي في «شرح مسلم»: القافية: آخر الرأس، وقافية كل شيء آخره ومنه قافية الشِّعر، وقال ابن بطال: القافية: مؤخر الرأس، وفيه العقل والفهم»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «ظاهر قوله: «**أحدكم**» التعميم في المخاطبين، ومَنْ في معناهم، ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره، ومن ورد في حقه أنهُ يحفظ من الشيطان كالأنبياء، ومن تناوله قوله: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾، وكمن قرأ آية الكرسي عند نومه فقد

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، ومالك، وأحمد، وابن ماجه وقال: «**فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسيلاً خبيث النفس لم يصب خيرًا**».

(٢) «فتح الباري» (٣/ ٣٠ ـ ٣٤).

(٣) «طرح التثريب في شرح التقريب» (٣/ ٨٣) طبعة دار الفكر العربي.

ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح».

«يضرب على مكان كل عقدة»:

قال الحافظ: [«يضرب» أي: بيده على العقدة تأكيدًا وإحكامًا لها قائلاً ذلك، وقيل: معنى يضرب: يحجب الحسّ عن النائم حتى لا يستيقظ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ**﴾ أي: حجبنا الحسّ أن يلج في آذانهم فيتنبهوا، وعند سعيد بن منصور بسند جيد عن ابن عمر: «ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعًا».

«عليك ليل طويل»:

قال الحافظ في «الفتح»:

«كذا في جميع الطرق عند البخاري بالرفع، ووقع في رواية أبي مصعب في «الموطأ» عن مالك: «**عليك ليلاً طويلاً**»، وهي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم.

* قال عياض: رواية الأكثر عند مسلم بالنصب على الإغراء، ومن رفع فعلى الابتداء، أي: باق عليك، أو بإضمار فعل، أي: بقي.

* وقال القرطبي: الرفع أولى من جهة المعنى؛ لأنه الأمكن في الغرور من حيث إنه يخبره عن طول الليل، ثم يأمره بالرقاد بقوله: «**فارقد**» وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد، وحينئذ يكون قوله: «**فارقد**» ضائعًا، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه».

* **الاختلاف في هذه العُقَـــد:** قال الحافظ في «الفتح»: «وقد

اختلف في هذه العقد.

* فقيل: هو على الحقيقة، وأنه كما يعقد الساحر من يسحره، وأكثر من يفعله النساء، تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور من ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها، وهل العقد في شعر الرأس أو غيره؟ الأقرب: الثاني، إذ ليس لكل أحد شعر، ويؤيده ما ورد في بعض طرقه أن على رأس كل آدمي حبلاً، ففي رواية ابن ماجه ومحمد بن نصر من طريق أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد**» ولأحمد عن أبي هريرة بلفظ: «**إذا نام أحدكم عقد على رأسه جرير**» وهو الحبل.

وفهم بعضهم من هذا أن العقد لازمة، ويرده التصريح بأنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها فأبهم فاعله في حديث جابر وفُسِّر في حديث غيره[1].

* وقيل: هو المجاز[2] كأنه شبّه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور، فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده، كان هذا مثله من الشيطان للنائم.

---

(١) قال الشيخ الألباني - حفظه الله -: «في تفسير العقد أقوال، والأقرب أنه على حقيقته، بمعنى: السحر للإنسان، منعه من القيام، كما يعقد الساحر من سحره» واستشهد الشيخ ناصر مؤيدًا كلامه بحديث أبي هريرة يرفعه الذي رواه ابن ماجه وحديث جابر لابن خزيمة. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١ ص٢٥٢).

(٢) رجّحه ابن عبد البر، وظنه المقصود، كما في «طرح التثريب» (ج٣ ص٨٢).

* وقيل: المراد به عقد القلب وتصميمه على الشيء كأنه يوسوس له بأنه بقي من الليلة قطعة طويلة، فيتأخر عن القيام، وانحلال العقد كناية عن علمه بكذبه فيما وسوس به.

* وقيل: العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور، ومنه عقدت فلانًا عن امرأته ـ أي: منعته عنها، أو عن تثقيله عليه النوم كأنه قد شد عليه شدادًا.

* وقال بعضهم: المراد بالعقد الثلاث الأكل والشرب والنوم؛ لأن من أكثر الأكل والشرب كثر نومه [كما قال الأثري].

واستبعده المحب الطبري؛ لأن الحديث يقتضي أن العقد تقع عند النوم فهي غيره» ا.هـ. كلام الحافظ ابن حجر.

* قال ابن بطّال: «قال المهلب: قد فسّر النبي ﷺ معنى العقد وهو قوله: «**عليك ليل طويل فارقد**» فكأنه يقولها إذا أراد النائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد في نفسه أنه قد بقيت من الليلة بقية طويلة حتى يروم بذلك إتلاف ساعات ليله وتفويت حزبه فإذا ذكر اللَّه انحلت عقده، أي: علم أنه قد مر من الليل طويل، والقافية فيها العقل، وعقده فيه إثباته في فهمه أنه بقي عليه ليل طويل»[1].

* قال الحافظ في «الفتح»: «قال القرطبي: الحكمة في الاقتصار على الثلاث أن أغلب ما يكون انتباه الإنسان في السحر فإن اتفق له أن يرجع إلى النوم ثلاث مرات لم تنقض النومة الثالثة إلا وقد ذهب الليل.

---

(١) «طرح التثريب» (ج٣ ص٨١).

وقال البيضاوي: التقييد بالثلاث إما للتأكيد؛ أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء: الذكر والوضوء والصلاة، فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه. وكأن تخصيص القفا بذلك لكونه محل الوهم ومجال تصرفه وهو أطوع القوى للشيطان وأسرعها إجابة لدعوته. وفي كلام الشيخ الملوي أن العقد يقع على خزانة الإلهيات من الحافظة وهي الكنز المحصل من القوى، ومنها يتناول القلب ما يريد التذكر به».

«انحلت عُقَدُه»:

* قال الحافظ: «بلفظ الجمع بغير اختلاف في البخاري، ووقع لبعض رواة «الموطأ» بالإفراد، ويؤيده رواية أحمد المشار إليها قبل فإنّ فيها: «فإن ذكر اللَّه انحلت عقدة واحدة، وإن قام فتوضأ أطلقت الثانية، فإن صلى أطلقت الثالثة»، وكأنه محمول على الغالب وهو من ينام مضطجعًا فيحتاج إلى الوضوء إذا انتبه فيكون لكل فعل عقدة يحلها، ويؤيد الأول ما سيأتي في «بدء الخلق» من وجه آخر بلفظ: «عقده كلها»[1] ولمسلم «انحلت العقد» وظاهره أن العقد تنحل كلها بالصلاة خاصة وهو كذلك في حق من لم يحتج إلى الطهارة كمن نام متمكنًا مثلاً[2] ثم انتبه فصلى من قبل أن يذكر أو يتطهر، فإن الصلاة تجزئه في حل العقد كلها؛ لأنها تستلزم الطهارة وتتضمن الذكر، وعلى هذا فيكون معنى قوله: «فإذا صلى انحلت عقده كلها» إن كان المراد به من لا يحتاج إلى الوضوء فظاهر على

---

(١) وهي التي ذكرناها.

(٢) جاء في «فتح الباري» طبعة السلفية الثانية من تعليق الشيخ ابن باز على قول الحافظ ابن حجر: «هذا فيه نظر والصواب أن النوم ينقض الوضوء وإن كان النائم متمكنًا لحديث صفوان: «لكن من غائط وبول ونوم» فتنبه واللَّه أعلم». (ج٣ ص٢٦).

ما قررناه، وإن كان من يحتاج إليه فالمعنى انحلت كل عقدة أو انحلت عقده كلها بانحلال الأخيرة التي بها يتم انحلال العقد.

وفي رواية أحمد المذكورة قبل وهي محمولة على الغالب وهو من ينام مضطجعًا فيحتاج إلى تجديد الطهارة عند استيقاظه فيكون لكل فعل عقدة يحلها» ا.هـ.

* قال النووي في «شرح مسلم»: «وقوله ﷺ: «وإذا توضأ انحلت عقدتان» معناه تمام عقدتين، أي: انحلت عقدة ثانية، وتم بها عقدتان ومثله في «صحيح مسلم»: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»[١].

* قال الحافظ أبو زرعة في «طرح التثريب»:

«قوله: «فإن صلى انحلت عقدة» رُوي بفتح القاف على الجَمْع، وبإسكانها على الإفراد كاللتين قبلهما والأول هو المشهور وهو الذي ضبطناه عن شيخنا والدي ـ رحمه اللّه ـ ويدل له قوله في رواية مسلم: «العقد» وقوله في رواية النسائي: «العقد كلها»، ونقل ابن عبد البر عن رواية يحيى بن يحيى: الثاني، وعلى الأول فالمراد أنه انحل بالصلاة تمام عقده»[٢].

* قوله: «طيب النفس»:

قال النووي: «معناه لسروره بما وفقه اللّه الكريم له من الطاعة، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له في نفسه، وتصرفه في كل أموره مع

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢ص٤٣٥).
(٢) «طرح التثريب» (ج٣ ص٣٥).

ما زال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه».

* قال الحافظ في «الفتح»:

«والذي يظهر لي أن في صلاة الليل سرًا في طيب النفس وإن لم يستحضر المصلي شيئًا مما ذكر، وكذا عكسه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾ وقد استنبط بعضهم من فعل ذلك مرة ثم عاد إلى النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكور ثانيًا، واستثنى بعضهم - ممن يقوم ويذكر ويتوضأ ويصلي - من لم ينهه ذلك عن الفحشاء، بل يفعل ذلك من غير أن يقلع، والذي يظهر فيه التفصيل بين من يفعل ذلك مع الندم والتوبة والعزم على الإقلاع وبين المصرّ»[1] ا. هـ.

* قوله: «**وإلا أصبح خبيث النَّفْس..**»:

* قال النووي: «معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه، واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه».

* وقال الحافظ: «**خبيث النفس**»: أي: بتركه ما كان اعتاده أو أراده من فعل الخير كذا قيل. «**كسلان**» غير مصروف للوصف ولزيادة الألف والنون».

* قال الحافظ أبو زرعة في «طرح التثريب»: «قال أبو العباس القرطبي: «**نشيطًا**»: لما يرد عليه من العبادات لكونه ألفها، «**طيب النفس**»: لرجاء ثواب ما فعل. وقوله: «**خبيث النفس**»: أي: بشؤم

---

(١) انظر: «فتح الباري» في شرح هذا الحديث (ج٣ ص٣٠ - ٣٤).

تفريطه وتمام خديعة الشيطان له، «**كسلان**»: أي: متثاقل عن الخيرات، وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات»، انتهى، وهو قريب من المعنى الذي ذكره النووي لكنه أحسن منه بيانًا وإيضاحًا».

* **فائـــدة:** قال النووي: «ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهي: الذكر والوضوء والصلاة؛ فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان».

* قال الحافظ ـ وقد ذكر كلام النووي السابق ـ: «وإن أتى ببعضها وهو كذلك لكن يختلف ذلك بالقوة والخفة، فمن ذكر اللَّه مثلاً كان في ذلك أخف ممن لم يذكر أصلاً» ووافقه أبو زرعة.

* ثم ذكر الحافظ ابن حجر: [«وروينا في حديث أبي سعيد «**فإن قام فصلى، انحلت العقد كلهن وإن استيقظ ولم يتوضأ ولم يصل أصبحت العقد كلها كهيئتها**» وقال ابن عبد البر: «هذا الذم يختص بمن لم يقم إلى صلاته وضيّعها، أما من كانت عادته القيام إلى الصلاة المكتوبة أو إلى النافلة بالليل فغلبته عينه فنام، فقد ثبت أن اللَّه يكتب له أجر صلاته ونومه عليه صدقة».

وقال أيضًا: «زعم قوم أن هذا الحديث يعارض قوله ﷺ: «**لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي**» وليس كذلك؛ لأن النهي إنما ورد عن إضافة المرء ذلك إلى نفسه كراهة لتلك الكلمة، وهذا الحديث وقع ذمًا لفعله، ولكل من الحديثين وجه».

وقال الباجي: «ليس بين الحديثين اختلاف؛ لأنه نهى عن إضافة ذلك إلى النفس ـ لكون الخبث بمعنى فساد الدين ـ ووصف بعض

الأفعال بذلك تحذيرًا منها وتنفيرًا».

قلت[1] تقرير الإشكال أنه ﷺ نهى عن إضافة ذلك إلى النفس فكل ما نُهي المؤمن أن يضيفه إلى نفسه نُهي أن يضيفه إلى أخيه المؤمن، وقد وصف النبي ﷺ هذا المرء بهذه الصفة فيلزم جواز وصفنا له بذلك لمحل التأسي، ويحدث الانفصال فيما يظهر أن النهي محمول على ما إذا لم يكن هناك حامل على الوصف بذلك كالتنفير والتحذير» } ا.هـ. كلام الحافظ في «الفتح».

تنبيهات وفوائـــــد:

الأول: الاختلاف في الصلاة المرادة في هذا الحديث هل هي صلاة العشاء أو الصبح أو تهجد الليل؟

قال الحافظ في «الفتح»:

«يحتمل أن تكون الصلاة صلاة العشاء، فكأنه يرى أن الشيطان إنما يفعل ذلك بمن نام قبل صلاة العشاء، بخلاف مَنْ صلاّها ولا سيما في الجماعة. وكأن هذا هو السر في إيراده لحديث سمرة عقب هذا الحديث؛ لأنه قال فيه: «وينام عن الصلاة المكتوبة»، ولا يعكر على هذا كونه أورد هذه الترجمة في تضاعيف صلاة الليل؛ لأنه يمكن أن يجاب عنه بأنه أراد دفع توهم من يحمل الحديثين على صلاة الليل؛ لأنه ورد في بعض طرق الحديث ـ حديث سمرة ـ مطلقًا غير مقيد بالمكتوبة، والوعيد علامة الوجوب، وكأنه أشار إلى خطأ منِ احتج به على وجوب صلاة الليل حملاً للمطلق على المقيد».

(١) الحافظ ابن حجر.

ثم قال الحافظ: «ثم وجدت معنى هذا الاحتمال للشيخ ولي الدين الملوي وقوّاه بما ذكرته من حديث سمرة، فحمدت اللَّه على التوفيق لذلك، ويقويه ما ثبت عنه ﷺ: أن «**من صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة**»؛ لأن مسمى قيام الليل يحصل للمؤمن بقيام بعضه، فحينئذ يصدق على من صلى العشاء في جماعة أنه قام الليل. والعقد المذكورة تنحل بقيام الليل فصار من صلّى العشاء في جماعة كمن قام الليل في حل عقد الشيطان».

* قال الحافظ أبو زرعة في «طرح التثريب»: «ويوافق ذلك أن الطحاوي حمل قوله عليه الصلاة والسلام فيمن نام ليله كله حتى أصبح «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» على أنه نام عن صلاة العشاء حتى انقضى الليل كله. قال ابن عبد البر: «ويدل على ذلك أن من السلف قومًا كانوا ينامون قبل العشاء، ويصلونها في وقتها، ثم حكى عن الحكم قال: كانوا ينامون قبل صلاة العشاء، وعن ابن عمر أنه كان يرقد قبل صلاة العشاء ويوكل مَن يوقظه، وعن سرية لعلي - رضي اللَّه عنه - أنه ربما أغفى قبل العشاء، وذكر إباحة النوم قبل العشاء عن الأسود بن يزيد وعروة بن الزبير وعلي الأزدي وسعيد بن جبير وابن سيرين، ذكره ابن أبي شيبة عنهم وهذا كله عنهم على أنهم كانوا يصلون العشاء في وقتها أو مع الجماعة» انتهى كلام ابن عبد البر.

* قال أبو زرعة: «ويخالف هذا الذي ذكرته أن البخاري أورد هذا الحديث في صلاة الليل وذلك مناف لحمله على صلاة العشاء واللَّه أعلم».

* قال أبو زرعة: «قال ابن العربي: «وهذه العقدة تنحل بصلاته الصبح ويكون في ذمة اللَّه كما قال رسول اللَّه ﷺ».

ما ذكره ابن العربي من حمل الصلاة التي تنحل بها عقدة الشيطان على صلاة الصبح لا بأس به، ويؤيده أن في رواية الإمام أحمد في «مسنده»: «**فإن أصبح ولم يصل الصبح أصبح خبيث النفس**» الحديث.
ويوافق ذلك كلام ابن عبد البر فإنه قال: «فيه الإخبار عن حال مَن لم يقم إلى صلاته وضيّعها حتى خرج وقتها»، ثم قال: «أما مَن كانت عادته القيام إلى صلاته المكتوبة أو نافلته مِن الليل فغلبته عينه فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه يكتب له أجر صلاته ونومه صدقة عليه.
وقال اللَّه عز وجل: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ الآية وفي هذا كله العذر المبين، والمخرج الواسع لمن غلبه نومه على صلاته».

ثم قال الحافظ أبو زرعة: «إن الحديث ندب إلى قيام الليل والاستغفار بالأسحار وأقل أحواله أن يكون ندبًا إلى أن لا يطلع الفجر على المؤمن إلا وقد ذكر الصلاة وتأهب بالوضوء للصلاة.

وقد ظهر بذلك أنه قد حصل التردد في الصلاة المرادة في هذا الحديث واللَّه أعلم»[1] ا.هـ. كلام أبي زرعة.

* **الثاني: قال الحافظ في «الفتــح»:**

«ذكر الليل في قوله: «**عليك ليل**» ظاهره اختصاص ذلك بنوم الليل، وهو كذلك، لكن لا يبعد أن يجيء مثله في نوم النهار كالنوم حالة الإبراد ولا سيما على تفسير البخاري أن المراد بالحديث الصلاة المفروضة» ا.هـ.

---

(١) «طرح التثريب» (ج٣).

* **الثالث**: قال الحافظ في «الفتح»:

«قد يظن أن بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة الذي فيه: «إن قارئ آية الكرسي عند نومه لا يقربه الشيطان» معارضة، وليس كذلك؛ لأن العقد إن حمل على الأمر المعنوي، والقرب على الأمر الحسي وكذا العكس فلا إشكال، إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه، كما لا يلزم من مماسته أن يقربه بسرقة أو أذى في جسده ونحو ذلك. وإن حملا على المعنويين أو العكس فيجاب بادعاء المخصوص في عموم أحدهما. والأقرب أن المخصوص حديث الباب كما تقدم تخصيصه عن ابن عبد البر بمن لم ينو القيام، فكذا يمكن أن يقال: يختص بمن لم يقرأ آية الكرسي لطرد الشيطان والله أعلم».

* **الرابع: قال الحافظ أبو زرعة:**

«في الحديث فضيلة الصلاة بالليل، وإن قلت: لكن هل يحصل انحلال عقدة الشيطان الأخيرة بمجرد الشروع في الصلاة أو بتمامها؟ الظاهر الثاني، فإنه لو أفسدها قبل تمامها لم يحصل بذلك غرض.

ورأيت والدي - رحمه الله - لما سئل عن الحكمة في افتتاح الليل بركعتين خفيفتين. أجاب عن ذلك بأن الحكمة فيه استعجال حل عقد الشيطان وهو معنى حسن بديع، ومقتضاه ما رجحته من أنه لا يحصل ذلك إلا بتمام الصلاة».

* قال الحافظ في «الفتح»:

«ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين في «شرح الترمذي» أن السر في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد الشيطان، وبناه على أن الحل لا يتم إلا بتمام الصلاة، وهو واضح؛ لأنه

لو شرع في صلاة، ثم أفسدها لم يساو من أتمّها، وكذا الوضوء، وكأن الشروع في حل العقد يحصل بالشروع في العبادة وينتهي بانتهائها».

وفي الرد على من يقول ويورد أن الركعتين الخفيفتين إنما وردتا من فعله ﷺ وهو منزه عن عقد الشيطان قال الحافظ: «ورد الأمر بصلاة الركعتين الخفيفتين عند مسلم من حديث أبي هريرة، حتى ولو لم يرد الأمر بذلك لأمكن أن يقال: يحمل فعله ذلك على تعليم أمته وإرشادهم إلى ما يحفظهم من الشيطان. وقد وقع عند ابن خزيمة من وجه آخر عن أبي هريرة في آخر الحديث: **«فحلوا عقد الشيطان ولو بركعتين»**.

* **الخامس: قال الحافظ في «الفتح»:**

[«لا يتعين للذكر شيء مخصوص لا يجزئ غيره، بل كل ما صدق عليه ذكر اللَّه أجزأ، ويدخل فيه تلاوة القرآن، وقراءة الحديث النبوي، والاشتغال بالعلم الشرعي، وأولى ما يذكر به [ما جاء في باب] «فضل من تعار من الليل» وإلى قول الحافظ ذهب أبو زرعة وفضّل الأذكار المأثورة حتى وإن حصل الذكر بغيرها.

* عن جابر - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما من ذكر ولا أُنثى إلا على رأسه جرير معقود حين يرقد، فإن استيقظ فذكر اللَّه انحلّتْ عقدة، فإن قام فتوضأ وصلى انحلت العقد، وأصبح خفيفًا طيِّبَ النفس قد أصاب خيرًا»[1].

قال ابن خزيمة: الجرير: الحبل.

* عن جابر - رضي اللَّه عنه - أن النبي ﷺ قال:

---

(١) حديث صحيح: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (ج٢ ص١٧٥، ١٧٦)، وقال الألباني: حديث صحيح، وقال الدكتور محمد مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح، انظر أيضًا: «صحيح الترغيب» (ج١) حديث رقم (٦١٠).

«ما من مسلم، ذكر ولا أنثى، ينامُ إلا وعليه جرير معقودٌ، فإن هو توضأ وقام إلى الصلاة أصبح نشيطًا قد أصاب خيرًا، وقد انحلت عُقَدهُ كلها، وإن استيقظ ولم يذكر اللَّه أصبح وعقده عليه، وأصبح ثقيلاً كسلان، ولم يُصِبْ خيرًا»(١) .

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر اللَّه المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(٢) .

* قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: «قوله ﷺ : «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»، فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار.

---

(١) حديث صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١/ ٢٦٦) حديث رقم (٦٤٤).

(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن خزيمة في «صحيحه»، قال ابن حجر في «الفتح» (ج٣ ص٩): «وقد أخرج فيه مسلم حديث أبي هريرة: «أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» وكأن البخاري توقف فيه للاختلاف في وصله وإرساله وفي رفعه ووقفه».
وقال أبو عيسى الترمذي: حديث أبي هريرة حسن. انظر: «تحفة الأحوذي» (ج٢ ص٥١٧) وجاء في «تحفة الأشراف» للمزي: قول الترمذي عن هذا الحديث «حسن صحيح». انظر: «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» للمزي (ج٩ ص٣٣٦، ٤١٦)، وصححه الألباني. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١) حديث رقم (٦١١).
لطيفة في الإسناد: قال النووي: اعلم أن أبا هريرة يروي عنه اثنان كل واحد منهما حُميد بن عبد الرحمن أحدهما: هذا الحِميْريّ، والثاني: حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قال الحميدي في «الجمع بين الصحيحين»: «كل ما في البخاري، ومسلم حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة فهو الزهري إلا هذا الحديث خاصة، «أفضل الصلاة. . .» فإن راويه حميد بن عبد الرحمن الحميري عن أبي هريرة، وهذا الحديث لم يذكره البخاري، ولا ذكر للحميري في البخاري أصلاً ولا في مسلم إلا هذا الحديث»ا. هـ.

وفيه حجة لأبي إسحاق المروزي من أصحابنا ومَن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة، وقال أكثر أصحابنا: الرواتب أفضل؛ لأنها تشبه الفرائض، والأول أقوى وأوفق للحديث والله أعلم».

* قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي»:

«قال الطيبي: «ولعمري إن صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وغيرهما من الآيات لكفاه مزية»ا.هـ.

* قال رسول الله ﷺ:

«أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرّم»[1].

* عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ: «أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: **«سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات، يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»**[2] [3].

---

(١) رواه مسلم، والترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة، والرُّوياني «محمد بن هارون الحافظ» في «مسنده»، والطبراني في «الكبير» عن جندب. انظر: «صحيح الجامع».

(٢) أخرجه البخاري، والترمذي، وأحمد، في «مسنده» عن أم سلمة. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٥٩٣).

(٣) جاء في تحقيق «شرح السنة»: عارية: بتخفيف الياء، وهي مجرورة في أكثر الروايات على التعنت، وقال السهيلي: إنه الأحسن عند سيبويه؛ لأن «رب» عنده حرف جر =

* ذكر البخاري هذا الحديث في باب «تحريض النبي ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب» قال الحافظ في «الفتح»[١] : «قال ابن رشيد: كأن البخاري فهم أن المراد بالإيقاظ الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل؛ لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار؛ لأنه لا يفوت» ثم ذكر آراءً أخرى ورجّح هذا الرأي وقال: «وما نسبه إلى فهم البخاري أولاً فهو المعتمد، فإنه وقع في رواية شعيب عن الزهري عند المصنف في الأدب وغيره في هذا الحديث: «**من يوقظ صواحب الحجر ـ يريد أزواجه ـ؛ حتى يصلين**».

وفي الحديث إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة، لا سيما عند نزول آية»[٢] .

* عن علي بن أبي طالب: «أن رسول اللّه ﷺ طرَقه وفاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال: «**ألا تُصَلِّيان؟**» فقلت: يا رسول اللّه، أنفسنا بيد اللّه، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حين قلت ذلك ولم يَرْجعْ إليّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فَخِذَه وهو يقول: «**وكان الإنسان أكثر شيءٍ جَدَلاً**»[٣] .

(طرقه وفاطمة) في رواية مسلم لم يذكر «ليلة».

قال النووي والعسقلاني: الطروق الإتيان بالليل.

= يلزم صدر الكلام، ويجوز الرفع على إضمار مبتدأ والجملة في موضع النعت أي: هي عارية.

(١) «فتح الباري» (ج٣ ص١٤).

(٢) «تحقيق شرح السنة» لشعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش (ج٤ ص٣٤).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

قال العسقلاني: «وعلى هذا فقول: «ليلة» للتأكيد. وحكى ابن فارس أن معنى «طرق»: أتى، فعلى هذا يكون في قوله: «ليلة» بيان وقت المجيء، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «ليلة»: أي مرة واحدة.

قوله: «**ألا تصليان؟**» وعند مسلم: «طرقه وفاطمة فقال: **ألا تصلون؟**» قال النووي: هكذا هو في الأصل «تصلون» وجمع الاثنين صحيح لكن هل هو حقيقة أو مجاز؟ فيه الخلاف المشهور والأكثرون على أنه مجاز، والآخرون قالوا: إنه حقيقة.

قوله: «بعثنا» أي: أيقظنا، (ولم يرجع) أي: لم يجبني.

قوله: «يضرب فخذه» قال النووي: «المختار في معناه أنه تعجب من سرعة جوابه، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا، ولهذا ضرب فخذه، وقيل: قاله تسليمًا لعذرهما وأنه لا عتب عليهما»[١].

* قال العسقلاني في «الفتح»:

« قال ابن بطّال: فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك»، قال الطبري: لولا ما علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله اللَّه لخلقه سكنًا لكنّه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ** ﴾[٢]

* عن عبد اللَّه بن سلام ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

«أوَّل ما قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، انجفل الناس إليه فكنتُ

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢ ص٤٣٣).

(٢) «فتح الباري» (ج٣ ص١٥).

فيمن جاءه، فلما تأملتُ وجهه، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، قال: فكان أوّل ما سمعت من كلامه أن قال:

«أيها الناس! أَفْشُوا السلامْ، وأطعموا الطعامْ، وصِلُوا الأرحامْ، وصَلّوا بالليل والناس نيامْ[1] **، تدخلوا الجنة بسلامْ»**[2] .

(انجفل الناس): أي: أسرعوا ومضوا كلهم.

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«أطب الكلامْ، وأفْشِ السَّلاَمْ، وصِلِ الأرحامْ، وصَلِّ بالليل والناس نيامْ، ثم ادخل الجَنَّة بسلامْ»[3] .

* عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال:

«في الجنة غرفة يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطِنُها من ظاهرها» ، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول اللَّه؟ قال: **«لمن أطابَ الكلامْ،**

---

(١) قال الألباني ـ حفظه اللَّه ـ : «هذا وكل ما يشبهه مما سبق أو يأتي من الكلام المقفّى المسجّع قلّ أو كثر، يقف القارئ على كل فصل منه، ولا يعرب آخره مراعاة للسجع والوزن ونظيره «اللَّه أكبرْ، خربت خيبرْ» وما في معناه. كما في العجالة (٧٩ ـ ٨٠) وقد أطال فيه. انظر: «صحيح الترغيب» (ج١ ص٢٥٣) بالهامش.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، وابن ماجه والحاكم، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، وقال الألباني: «حديث صحيح». انظر: «صحيح الجامع» ـ رقم (٧٧٤٢)، و«الصحيحة» رقم (٥٦٩) و«صحيح الترغيب» (ج١ ص٢٥٣).

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو نعيم في «الحلية»، وضعفه السيوطي، وقال المناوي في «فيض القدير» (ج١ ص٥٣٦): وفيه أبو نعيم عبد اللَّه بن صالح بن عبد الجبار قال في «اللسان» عن العقيلي: شيخ مجهول. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(١٠٣٠) و«الأحاديث الصحيحة» رقم (٥٦٩).

وأطعم الطعامْ، وبات قائمًا والناس نيامْ»[1] .

* عن أبي مالك الأشعري - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال :

«إنّ في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها اللَّه لمن أطعم الطعامْ، وأفشى السلامْ، وصلى بالليل والناس نيامْ»[2] ، فسبحان من جعل الغرف جزاء التهجد ثناءً على صلاة الليل.

* قال رسول اللَّه ﷺ :

«إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها أعدّها اللَّه تعالى لمن أطعم الطعامْ، وألان الكلامْ، وتابع الصيامْ، وصلى بالليل والناس نيامْ»[3] .

---

(١) **حديث صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن، والحاكم وقال: «صحيح على شرطهما» ووافقه الذهبي، وحسّنه الهيثمي وصححه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب» رقم (٦١٣).

(٢) **حديث صحيح**: رواه ابن حبّان في «صحيحه»، وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١ ص٢٥٤) حديث رقم (٦١٤).

(٣) **حديث حسن**: رواه أحمد في «مسنده»،وابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي: «في شعب الإيمان» عن أبي مالك الأشعري. والترمذي عن عليّ قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تُكلم فيه من قبل حفظه. وضعف إسناده العراقي. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن معانق ووثقه ابن حبان.

قال المناوي: هو وإن ضعفه ابن عدي لكن أقام له شواهد يعتضد بها. وقال الألباني: «حديث حسن». انظر: «صحيح الجامع» حديث (٢١١٩)، و«تخريج الترغيب» (٤٦/٢)، و«تخريج المشكاة» (١٢٣٥).

* قال رسول اللَّه ﷺ :

«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا، فوضع يده بين كتفي، حتى وجدت بردها بين ثديي، فعلمت فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الكفارات والدرجات. والكفارات: المكث في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، قال:صدقت يا محمد، ومن فعل ذلك عاش بخير، ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال: يا محمد، إذا صليت فقل: اللَّهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وتتوب عليّ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، والدرجات: إفشاء السلام، وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام»[(١)] .

* قال رسول اللَّه ﷺ :

«ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات، فأما

---

(١) **حديث صحيح**: رواه الترمذي، وأحمد في «مسنده»، وعبد الرزاق في «الجامع»، وعبد ابن حميد عن ابن عباس. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، ورواه معاذ بن جبل: قال الترمذي: سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا فقال: هذا حديث حسن صحيح. وقد صححه الإمام أحمد، والإمام ابن رجب، وجمع طرقه الإمام ابن رجب. انظر: «اختيار الأولى» وصححه الألباني حديث رقم (٥٩ ج١ ص٧٢، ٧٣)، وانظر: «تخريج الترغيب والترهيب» (ج١ ص١٦٤ ـ ١٦٥) حديث (١٦٤) قال الألباني: «وسنده صحيح» وقد تكلمت عليه في أول «الجنائز» من «إرواء الغليل» وقد كنت ذهبت في بعض التعليقات إلى تضعيف الحديث فقد رجعت عنه. وقال الشيخ الناجي: إن الحافظ أبا أحمد العسال قد ساق في كتاب «المعرفة» الحديث من عدة طرق وألفاظ، ومن رواية جماعة من الصحابة وأكثرها مصرح بأن ذلك كان في المنام، «صحيح الترغيب» (ج١ ص١٦٥)، ورد في بعض الروايات «**وإسباغ الوضوء في السبرات**» وهي شدة البرد.

المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية اللَّه تعالى في السر والعلانية.

وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات.

وأما الدرجات: فإطعام الطعام وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» (١).

قال المناوي: «أي: التهجد في جوف الليل حال غفلة الناس واستغراقهم في لذة النوم وذلك هو وقت الصفا وتنزلات غيث الرحمة وإسراف الأنوار.

* وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه ﷺ قال:

«أحب الصلاة إلى اللَّه صلاةُ داود، وأحبُّ الصيام إلى اللَّه صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثُلُثه، وينام سُدُسَه، ويصوم يومًا ويفطر يومًا» (٢).

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط»، وأبو نعيم عن ابن عمر، قال العلاء: سنده ضعيف. وعده في «الميزان» من المناكير، وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٩١ - ١٩٣) فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف. وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: [وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء اللَّه تعالى». وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢): والحديث بمجموع هذه الطرق حسن على أقل الدرجات إن شاء اللَّه تعالى وبه جزم المنذري في «الترغيب»].

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده».

* قال الحافظ في «الفتح»:

«قال المهلب: كان داود عليه السلام يجمّ نفسه بنوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي اللَّه فيه: هل من سائل فأعطيه سؤله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وهذا هو النوم عند السحر، وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التي يخشى منها السآمة، وقد قال ﷺ: **«إن اللَّه لا يمل حتى تملوا»** واللَّه يحب أن يديم فضله وإحسانه» ا.هـ.

* عن ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس أخبره: عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ قال:

«أحب الصيام إلى اللَّه صيام داود كان يصوم نصف الدهر، وأحب الصلاة إلى اللَّه عز وجل صلاة داود عليه السلام كان يرقد شطر الليل، ثم يقوم، ثم يرقد آخره، ثم يقوم ثلث الليل بعد شطره»[1]

قال: قُلتُ لعمرو بن دينار: أعمرو بن أوس كان يقولُ: يقوم ثلث الليل بعد شَطْره؟ قال: نعم.

* **فائدة هامة:** قال ابن حجر في «الفتح»:

«وفي رواية ابن جريج من الفائدة ترتيب ذلك بثم ففيه رد على من أجاز في حديث الباب أن تحصل السنة بنوم السدس الأول مثلاً، وقيام الثلث، ونوم النصف الآخر، والسبب في ذلك أن الواو لا ترتب»[2].

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «فتح الباري» (ج٣ ص٢٢).

* عن جابر - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل اللَّه خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إياه، وذلك من كل ليلة**»[١].

*قال المناوي في «فيض القدير»:

« نكّرها حثّا على طلبها بإحياء الليالي.

وذلك المذكور يحصل كل ليلة فلا يختص ببعض الليالي بل كائن في جميعها، قيل: تلك الساعة في الثلث الأخير، الذي يقول اللَّه: من يدعوني فأستجيب له؟ وقيل: وقت السحر، وقيل: مطلقة، وجزم الغزالي بأنها مبهمة في جميع الليالي كليلة القدر في رمضان، وحكمة إبهامها توفير الدواعي على مراقبتها، والاجتهاد في الدعاء في جميع ساعات الليل كما قالوه في إبهام ليلة القدر»[٢].

*قال رسول اللَّه ﷺ

«**إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه ينزل اللَّه إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فيعطى؟ هل من داع فيستجاب له؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ حتى ينفجر الصبح**»[٣].

*قال رسول اللَّه ﷺ

« **يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليـــل**

---

(١)أخرجه مسلم، وأحمد في «مسنده».

(٢)فيض القدير» للمناوي (ج٢ ص٤٧١، ٤٧٢).

(٣)رواه مسلم عن أبي هريرة.

الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[1]

* قال رسول اللَّه ﷺ:

«ينزل اللَّه تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ومن ذا الذي يسألني فأعطيه؟ ومن ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»[2].

* قال رسول اللَّه ﷺ:

«ينزل اللَّه تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ أو يسألني فأعطيه، ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم»[3].

* قال رسول اللَّه ﷺ:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[4].

* قال رسول اللَّه ﷺ:

«إن اللَّه تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي هريرة.
(٢) أخرجه مسلم، والترمذي عن أبي هريرة.
(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.
(٤) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده».

فنادى: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر»[١] .

* قال رسول اللَّه ﷺ :

«إن اللَّه يمهل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثاه قال: لا يسألن عبادي غيري من يسألني أستجب له، من يسألني أعطه، من يستغفرني أغفر له، حتى يطلع الفجر»[٢] .

* قال النووي في «شرح مسلم»:

«فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها»[٣] ا.هـ.

* قال الحافظ: «لم تختلف الروايات عن الزهري في تعيين الوقت، واختلفت الروايات عن أبي هريرة وغيره، قال الترمذي: رواية أبي هريرة أصح الروايات، ويقوِّي ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها» ا.هـ.

* قال النووي في «شرح مسلم»:

«قال القاضي عياض: الصحيح رواية «حين يبقى ثلث الليل الآخر» كذا قاله شيوخ الحديث، وهو الذي تظاهرت عليه الأخبار بلفظه ومعناه، قال: ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول، وقوله:

---

(١) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي سعيد، وأبي هريرة معًا.

(٢) رواه ابن ماجه عن رفاعة الجهني، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع» رقم(١٩١٣)، و«الإرواء» رقم (٤٤٩).

(٣) «شرح مسلم» (ج٢ ص٤٠٦).

من يدعوني بعد الثلث الأخير، هذا كلام القاضي.

قلت ـ أي النووي ـ: ويحتمل أن يكون النبي ﷺ علم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأخبر به، وسمع أبو هريرة الخبرين فنقلهما جميعًا، وسمع أبو سعيد الخدري خبر الثلث الأول فقط فأخبر به مع أبي هريرة، كما ذكره مسلم وهذا ظاهر. وفيه ردّ لما أشار إليه القاضي من تضعيف رواية الثلث الأول، وكيف يضعفها وقد رواها مسلم في «صحيحه» بإسناد لا مطعن فيه عن الصحابيين أبي سعيد، وأبي هريرة واللَّه أعلم» ا.هـ.

* قال الحافظ ابن حجر: «سلك بعضهم طريق الجمع وذلك أن الروايات انحصرت في ستة أشياء:

أولها حين يبقى ثلث الليل الآخر، ثانيها: إذا مضى الثلث الأول. ثالثها: الثلث الأول أو النصف، رابعها: النصف، خامسها: النصف أو الثلث الأخير، سادسها: الإطلاق.

فأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة.

وأما التي بأو فإن كانت «أو» للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه، وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم، وقال بعضهم: يحتمل أن يكون النزول يقع في الثلث الأول والقول يقع في النصف وفي الثلث الثاني.

وقيل: يحمل على أن ذلك يقع في جميع الأوقات التي وردت بها

الأخبار»، ثم قال: «وفي حديث الباب من الفوائد تفضيل صلاة آخر الليل على أوله، وتفضيل تأخير الوتر، وأن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار، وأن الدعاء في ذلك الوقت مجاب»[1] .

* قال الحافظ في «الفتح»:

«لم تختلف الروايات على الزهري في الاقتصار على الثلاثة المذكورة وهي الدعاء والسؤال والاستغفار، والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار وذلك إما ديني وإما دنيوي، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني، وفي الدعاء إشارة إلى الثالث.

قال الكرماني: يحتمل أن يقال: الدعاء ما لا طلب فيه نحو: يا اللَّه، والسؤال: الطلب، وأن يقال: المقصود واحد، وإن اختلف اللفظ»[2] ا. هـ.

قوله: «فأستجيب» قال الحافظ: ليست السين للطلب بل أستجيب بمعنى أجيب».

* قال رسول اللَّه ﷺ:

« تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرّج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب اللَّه تعالى له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارًا»[3] .

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (ج٣ ص٣٨).

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (ج٣ ص٣٨).

(٣) **صحيح**: رواه الطبراني في «الأوسط» عن عثمان بن أبي العاص، كما قال الألباني، =

«تسعى بفرجها»: أي: تكتسب به، و«العشار» هو المكاس.

* قال رسول الله ﷺ:

«**أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن**»[1].

* قال المناوي: «قال الطيبي: يحتمل أن يكون قوله: «**في جوف الليل**» حالاً من الرب، أي: قائلاً في جوف الليل: من يدعوني. فأستجب له سدت مسد الخبر، أو من العبد، أي: قائمًا في جوف الليل داعيًا مستغفرًا، ويحتمل أن يكون خبرًا لأقرب.

وقوله: «**الآخر**» صفة الجوف على أن ينصف الليل ويجعل لكل نصف جوف، والقرب يحصل في جوف النصف الثاني فابتداؤه يكون من الثلث الأخير» ا.هـ.

«**فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله**» ينخرط في زمرة الذاكرين لله ويكون له مساهمة معهم.

«**في تلك الساعة فكن**» وهذا أبلغ مما لو قيل: إن استطعت أن تكون ذاكرًا فكن، إذ الأولى فيها صيغة عموم شاملة للأنبياء

= وليس في «الكبير» كما قال السيوطي. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه علي بن زيد وفيه كلام. وحسنه السيوطي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٨٦).

(١) **صحيح**: رواه الترمذي واللفظ له، والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، وابن خزيمة وزاد «إن» عن عمرو بن عَبَسة. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط مسلم. وأقره الذهبي وصححه البغوي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٨٤) و«صحيح الترغيب» (٦٢٤)، و«تخريج المشكاة».

والأولياء فيكون داخلاً فيهم»[١] .

عمدة الطريق الملازمة والمخالفة، فالملازمة لذكر اللَّه والمخالفة لما يشغل عنه وهذا هو السفر إلى اللَّه.

* قال رسول اللَّه ﷺ: **«أفضل الساعات جوف الليل الآخر»**[٢] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«أفضل الساعات جوف الليل الأخير»**[٣] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم»**[٤] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى اللَّه تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»**[٥] .

---

(١) «فيض القدير» للمناوي (ج٢ ص٦٩).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عمرو بن عَبْسَة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١١٧).

(٣) صحيح: رواه أحمد، وغيره وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٥١) (ج٢ ص٨٣).

(٤) حسن: قال الألباني: «رواه الترمذي في الدعوات معلقًا، وقد وصله الحاكم وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي، وفيه معاوية بن صالح لم يخرج له البخاري، وفيه عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث وهو وإن أخرج له البخاري فإن فيه ضعفًا، ومن طريقه رواه ابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «سننه»، وقال العراقي في «تخريج الإحياء» بعد ما عزاه إليه وإلى الطبراني في «الكبير»: سنده حسن» ا.هـ «مشكاة المصابيح» (١٢٢٧)، و«الإرواء» رقم (٤٥٢).

والحديث أيضًا رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، وفيه **«وهو قربة لكم إلى ربكم»**.

وقال الألباني: حديث حسن بشواهده. وقال مصطفى الأعظمي: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥١).

(٥) حديث صحيح: رواه الترمذي، والبيهقي، والحاكم في «المستدرك» عن بلال، والترمذي،=

قوله: «قبلكم» قال المناوي: [«أي: هي عادة قديمة واظب عليها الكمل السابقون، واجتهدوا في إحراز فضلها.

«وقربة إلى اللَّه تعالى»: نكّر القربة إيذانًا بأن لها شأنًا، وأتى بالجملة ولم يعطف «قربة» على «دأب الصالحين» لتدل باستقلالها على مزيد تقريب.

قال ابن الحاج: وفي القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وينور القبور ويحسن الوجه ويذهب الكسل وينشط البدن، وترى الملائكة موضعه من السماء كما يتراءى الكوكب الدريّ لنا من السماء][(١)] ا.هـ. قول المناوي وابن الحاج.

*** فائدة طبية هامة:**

صدق الهادي البشير الذي لا ينطق عن الهوى صلوات اللَّه وسلامه عليه إذ يقول عن قيام الليل: «مطردة للداء عن الجسد» فلقد ترجم وأثبت ذلك أطباء المسلمين. وفي «مؤتمر الإعجاز الطبي في القرآن الكريم» الذي عقد بالقاهرة وشاركت فيه رابطة العالم الإسلامي، ومنظمة العلوم الطبية

= والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «السنن» عن أبي أمامة، وابن عساكر في «التاريخ» عن أبي الدرداء. والطبراني في «الكبير» عن سلمان. وابن السني عن جابر. قال الحاكم: على شرط البخاري. وأقره الذهبي. وقال الهيثمي: في سند الطبراني عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون ضعّفه أبو داود ووثقه ابن حبان. وقال الألباني: حديث صحيح. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٣٩٥٨ ج٤ ص٥٠). وقال الألباني: في «الإرواء» حديث رقم (٤٥٢): عزاه السيوطي لأحمد، والحاكم، وابن السني، وأبي نعيم وعزوه لأحمد خطأ وللحاكم محتمل، وحديث سلمان عزاه لابن السني، وأبي نعيم أيضًا.

(١) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٣٥١).

الإسلامية بأمريكا، والمنظمة الإسلامية الطبية بالكويت، والمنظمة العالمية للمساجد والأزهر قُدِّم بحث عن صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقري. وصلاة التراويح هي قيام ليل رمضان فما يجري عليها يجري على قيام الليل والتهجد بصفة عامة.

قدمت الدكتورة/ سلوى محمد رشدي جامعة حلوان كلية التربية الرياضية بحثًا كان موضوعه: «**صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقري والكفاءة الوظيفية للقلب بعد سن الستين**».

تقول الدكتورة سلوى: إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على أهمية صلاة التراويح للمسلم، وأثر ذلك على الكفاءة الوظيفية للقلب، ودرجة المرونة في العمود الفقري.. وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من ستين رجلاً وامرأة مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية صلاة التراويح في شهر رمضان عام ١٤٠٥هـ، وثلاثين من المصلين الذين لم يقوموا بتأديتها، وقد طبقت عليهم اختبارات لمعرفة درجة مرونة العمود الفقري من الأوضاع المختلفة، وكذلك اختبار الكفاءة الوظيفية باستخدام العملية الأرجومترية.. وقد أظهرت هذه الدراسة أن هناك فروقًا كبيرة بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين، في درجة مرونة العمود الفقري، وكذلك في الكفاءة الوظيفية للقلب.

وقالت الدكتورة سلوى رشدي: لقد أوصيت في هذه الدراسة بتشجيع المسلم على تأدية الصلاة عمومًا، وعلى صلاة التراويح على وجه الخصوص لما لها من فائدة على الجهاز الدوري والتنفسي، ومرونة مفاصل الجسم وخاصة العمود الفقري، حيث إن كبار السن في حاجة

إلى القيام بتأدية التمرينات التي تحافظ على اللياقة البدنية، واللياقة الوظيفية للقلب.

(انظر: «مجلة الاعتصام» العددان الرابع والخامس محرم وصفر سنة ١٤٠٦ هـ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٥م ص ٢٠، ٢١).

*** وبحث آخر في السهر وفائدته في علاج الأمراض:**

وقد قدم في نفس المؤتمر بحث حول «السهر والحمى» وعلاقتهما بمادة الأندروفين لتسكين الألم، والشفاء المبكر كما جاء في حديث المصطفى ﷺ قوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**». متفق عليه.

انطلاقًا من هذا الحديث جرى البحث والتقصي حول أهمية السهر والحمى وعلاقتهما بمادة الأندروفين التي يفرزها بعض أجزاء المخ، وأن إفراز هذا المادة يكون في اليقظة أعلى بكثير منه في حالة النوم.

فالسهر والحمى نتيجة لحدوث الألم عبارة عن تفاعلات دفاعية طبيعية لتحد من وطأة الألم، إلا أن الأطباء للأسف يحدون من هذه الظاهرة الطبيعية بإعطاء المريض المسكنات للألم وبها يستطيع أن ينام (يزول السهر)، والمخفضات لدرجة الحرارة (تزول الحمى) وذلك خوفًا من استنفاذ الطاقة الدفاعية ووقوع المريض تحت الألم الشديد الذي من المحتمل أن يؤدي إلى حدوث إغماء تصحبه وفاة.

قدم هذا البحث دكتور يحيى خرواجي قسم التشريح كلية الطب ـ جامعة الملك فيصل بالدمام.

والدكتور عبد الواهب نورولي قسم الكيمياء المرضية ـ كلية الطب ـ

جامعة الملك عبد العزيز بجدة والشيخ عبد المجيد الزنداني.

انظر هدية «منبر الإسلام» صفر ١٤٠٦هـ أكتوبر سنة ١٩٨٥م يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقل لي بربك: هل قيام الليل إلا سهر؟! وسهر في الطاعة، فانظر أثره في تسكين الأمراض وتخفيفها ومن ذاق عرف.

* عن معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - قلت: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار فقال ﷺ:

«لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسَّرهُ اللَّه عليه، تعبد اللَّه لا تُشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتُؤْتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وتحج البيت.

ألا أدُلُّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تُطفئُ الخطيئة كما يُطفئُ الماءُ النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ الآية.

ألا أخبرُك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر: الإسلام، مَن أسلم سلم، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه:الجهاد. ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ كُفَّ عليك هذا» وأشار إلى لسانه. قال: يا نبي اللَّه! وإنا لمُؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **«ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النارِ على وجُوهِهم إلا حصائد ألسنتهم»**[(١)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وأعلّه الحافظ =

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «**شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عمّا في أيدي الناس**»[(١)] .

قال المناوي: «الشرف لغة: العلو، وشرف كل شيء أعلاه، لما وقف في ليله وقت صفاء ذكره متذللاً متخشعًا بين يدي مولاه لائذًا بعز جنابه وحماه شرّفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عباده بعز طاعته على ما سواه»[(٢)] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «**أتاني جبريل، فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به،**

= ابن رجب في «شرح الأربعين النووية» ولم يصحح الألباني منه سوى: «**وذروة سنامه الجهاد**» لمجيئها من طريقين متصلين يقوي أحدهما الآخر. وقال عن إسناد الترمذي: إسناده حسن.

ولكن عاد الألباني فصحح الحديث في «صحيح الجامع» رقم (٥٠١٢)،وصححه في «الإيمان» لابن أبي شيبة ص(٢) بطريق ميمون بن أبي شبيب عن معاذ. انظر: أيضًا «الإرواء» (٤١٢) وصحح الحديث أيضًا شعيب الأرناؤوط في تحقيق «شرح السنة» للبغوي (ج١ ص٢٥) وقال: حديث صحيح بطرقه.

(١) **حسن**: أخرجه العقيلي في «الضعفاء» والخطيب في «التاريخ» عن أبي هريرة، وفيه داود ابن عثمان الثغري قال المناوي في «فيض القدير»: «قال مخرجه العقيلي: داود حدّث عن الأوزاعي وغيره بالبواطيل منها هذا الحديث وليس له أصل. ا.هـ، ومن ثم قال ابن الجوزي: موضوع والمتهم به داود. قال في «اللسان» عن العقيلي: داود يحدث بالبواطيل ثم أورد له هذا الخبر، وقال: يروى عن الحسن وغيره من قولهم، وليس له أصل مسند»ا.هـ. قال الألباني: أخرجه تمام في «الفوائد» (ق١٧٢/ ١ ـ ٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٩٩/ ١ و٨/ ٣٧/ ١) وكذا أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» كما في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٩) وللحديث شواهد مرفوعة يرتقي بها إلى درجة الحسن إن شاء اللَّه تعالى» ا.هـ. انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» حديث رقم (١٩٠٣)، وانظر أيضًا: «صحيح الجامع» مع حديث رقم (٣٦٠٤)، و«فيض القدير» (ج٤ ص١٦٠) حديث رقم (٤٨٨٣).

(٢) «فيض القدير» للمناوي (ج٤ ص١٦٠).

واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس»[1] .

* قال المناوي: [قال الزمخشري: من المجاز لفلانٍ شرف وهو علو المنزلة. «**قيامه بالليل**»: أي: علاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجد فيه، والذكر والتلاوة وهذا بيان لشيء من العمل المشار إليه بقوله: «**اعمل ما شئت**».

والقيام: انتصاب القامة، ولما كانت هيئة الانتصاب أكمل هيئات من له القامة وأحسنها استعير ذلك للمحافظة على استعمال الإنسان نفسه في الصلاة ليلاً فمعنى قيام الليل: المحافظة على الصلاة فيه وعدم تعطيله باستغراقه بالنوم أو اللهو. قال الزمخشري: «قام على الأمر: دام وثبت»، قال الغزالي: «جمعتْ هذه الكلمات حكم الأولين والآخرين، وهي كافية للمتأمل فيها طول العمر إذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقته وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية

---

(١) حسن: عزاه السيوطي في «الجامع» إلى الشيرازي في «الألقاب»، والحاكم في «المستدرك» في «الرقائق»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سهل بن سعد. والبيهقي في «شعب الإيمان» عن جابر. . ، وأبو نعيم في «الحلية» عن علي.

قال الألباني ـ حفظة اللّه ـ في «السلسلة الصحيحة» رقم (٨٣١) (ج٢ ص٥٠٥ ـ ٥٠٧): «حديث سهل أخرجه الطبراني في «الأوسط»، والسهمي في «تاريخ جرجان»، وأبو نعيم في «الحلية»، والحاكم: وقال صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي، وهو من تساهلهما، وخاصة الذهبي، فإنه أورد زافرًا في «الضعفاء»، وقال الحافظ: «صدوق كثير الأوهام، والراوي عنه فيه مقال لكن توبع، وحديث جابر أخرجه الطيالسي في «مسنده»، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان». والحديث أورده المنذري في «الترغيب» من حديث سهل، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن. قال المناوي عن الحافظ ابن حجر: وقد اختلف فيه نظر حافظين، فسلكا طريقين متناقضين، فصححه الحاكم، ووهاه ابن الجوزي، والصواب أنه لا يحكم عليه بصحة ولا وضع ولو توبع زافرًا لكان حسنًا، لكن جزم العراقي في «الرد على الصاغاني»، والمنذري في «ترغيبه» بحسنه، قال الألباني: وهو الصواب الذي يدل عليه مجموع هذه الطرق واللّه أعلم» ا.هـ.

والتلذذ بشهواتها وقد أوتي المصطفى ﷺ جوامع الكلم، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور علوم الحكمة »[١] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه اللَّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»**[٢] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : **«لا حسد إلا في اثنتين: رجل علّمه اللَّه القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه اللَّه مالاً، فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل»**[٣] .

* قال المنذري في «الترغيب»: «والمراد بالحسد هنا: الغبطة، وهو تمني مثل ما للمُغْبط، وهذا لا بأس به، وله نيته، فإن تمنى زوالها عنه فذلك حرام، وهو الحسد المذموم».

* قال رسول اللَّه ﷺ : **«لا تنافس [بينكم][٤] إلا في اثنتين: رجل أعطاه اللَّه قرآنًا فهو يقوم به آناء الليل والنهار، [ويتبع ما فيه] فيقول رجل: لو أن اللَّهَ أعطاني ما أعطى فلانًا فأقوم به كما يقوم، ورجل أعطاه اللَّه مالاً فهو يُنفق منه ويتصدق، فيقول رجلٌ مثل ذلك»**[٥] .

---

(١) «فيض القدير» (١/ ١٠٢).

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري، وأحمد عن أبي هريرة.

(٤) الزيادة التي بين القوسين من «مجمع الزوائد» كما قال الألباني وباقي الحديث كما ورد في «الترغيب».

(٥) **صحيح**: عن يزيد بن الأخنس ـ وكانت له صحبة ـ وقال المنذري، والهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني في «الكبير» ورواته ثقات مشهورون. قال الألباني: وصنيعهما يشعر أن الحديث لم يروه أحمد في «مسنده» وإلا لعزياه إليه، وهو ذهول، فقد أخرجه

وعن سمرة بن جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقول لنا: «**ليس في الدنيا حسد إلا في اثنتين: الرجلُ يَغبطُ الرجل أن يُعطَيه اللَّهُ المال الكثير فينفق منه فيكثر النفقة، يقول الآخر: لو كان لي مالٌ لأنفقتُ مثل ما ينفق هذا وأحسن، فهو يحسده، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليلَ، وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القرآن فهو يحسده على قيامه، أو على ما علمه اللَّه عز وجل القرآن، فيقول: لو علّمني اللَّهُ مثل هذا لقمت مثل ما يقوم**»[1] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن للَّه أهلينَ من الناس: أهلُ القرآن هم أهلُ اللَّه وخاصّته**»[2] .

* قال المناوي: «**أي: الذين يختصون بخدمته، قال العسكري: هذا على المجاز والتوسع فإنه لما قرّبهم واختصهم كانوا كأهله**».

* وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنّ فلانًا يُصلي بالليل، فإذا أصبح سرق. فقال: «**إنه سينهاه ما تقول**»[3] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة،**

= فيه (٤/ ١٠٤) بسند جيد، ورواه أبو يعلى من حديث أبي سعيد بإسناد جيد كما قال المنذري. انظر: «صحيح الترغيب» حديث رقم (٦٣٣، ٦٣٢ ج١ ص٢٦١).

(١) حديث حسن: رواه الطبراني في «الكبير» قال المنذري في «الترغيب»: في سنده لين، وحسّنه الألباني. انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» حديث رقم (٦٣٠ ج١).

(٢) حديث صحيح: عزاه السيوطي في «الجامع»: لأحمد في «مسنده»، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» عن أنس، وزاد الألباني: والطيالسي، وأبو عبيد، وابن نصر، وابن عساكر. ورمز السيوطي لصحته وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٢١٦١).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وقال الألباني: إسناده صحيح. انظر: «المشكاة» حديث رقم (١٢٣٧).

يقول الصيام: أي ربِّ إني منعْتُهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعْتُه النومَ بالليل فشفعني فيه فيُشفعان»[1] .

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «عجب ربنا من رجلين: رجل ثار عن وطائه ولحافه، من بين أهله وحبِّه إلى صلاته، فيقول اللَّه جل وعلا: [أيَا ملائكتي][2] انظروا إلى عبدي ثار[3] عن فراشه ووطائه من بين حبِّه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي.

ورجل غزا في سبيل اللَّه، وانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى يُهْريقَ دَمَه، فيقول اللَّه [لملائكته][4] : انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي، وشفقة مما عندي، حتى يهريق دمه»[5] .

* وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال:

---

(١) حديث صحيح: عزاه السيوطي في «الجامع» لأحمد في «مسنده»، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن عمرو. قال المناوي في «فيض القدير» (ج٤ ص٢٥٢): «قال الهيثمي: إسناده حسن، وقال غيره فيه ابن لهيعة»، وأشار السيوطي لصحته، وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» حديث رقم (١٧٧٦)، «تخريج المشكاة» رقم (١٩٦٣).

(٢) زيادة من «المسند».

(٣) أي: نهض ووثب. وانظر رحمك اللَّه إلى ما فيها من العزيمة وعلوّ الهمة والوطاء خلاف الغطاء، و«حِبِّه» أي: حبيبه، ووقع في «المسند»: حَيِّهِ.

(٤) زيادة من «المسند» وابن حبان.

(٥) حسن: قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وابن حبان في «صحيحه» من رواية ابن مسعود، وحسّنه الألباني. وقال الشيخ شاكر في تحقيق «المسند»: إسناده صحيح. وقال الأرناؤوط والشاويش في تحقيق «شرح السنة»: (ج٤ حديث ٩٣٠): «أخرجه أحمد ورجاله ثقات، إلا أن عطاء بن السائب قد اختلط وحماد ابن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعده، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان وحسّن إسناده الهيثمي»، وانظر: «صحيح الترغيب والترهيب» حديث رقم (٦٢٦ج١ ص٢٥٨).

«ثلاثة يحبهم اللَّه، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم: الذي إذا انكشفت فئةٌ قاتل وراءها بنفسه للَّه عز وجل، فإما أن يُقْتَلَ وإما أن ينصرَه اللَّه ويكفيه، فيقول: انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه؟

والذي له امرأة حسنةٌ وفراشٌ ليِّنٌ حسنٌ، فيقوم من الليل، فيقول: يَذَرُ شهوته ويذكرني، ولو شاء رقد، والذي إذا كان في سفر، وكان معه ركب، فسهروا، ثم هَجَعوا، فقام من السحر في ضرَّاءَ وسراءَ»[1] .

بأبي وأمي من يضحك اللَّه إليهم: ثلاثة من الأبرار اثنان منهما قاموا الليل أحدهم قامه وسط أهله وترك زوجه الحسناء وفراشه الوثير والآخر قامه في سفر بعد أن كابد السفر وهوله. من ضحك اللَّه إليه لا يدع من الإنعام والإكرام شيئًا إلا فعله في حقه.

* وقال رسول اللَّه ﷺ : «ثلاثة يحبهم اللَّه وثلاثة يَشْنُؤهم اللَّه: الرجلُ يلقى العدو في فئة فينصبُ لهم نحرهُ حتى يُقتلَ أو يُفتحَ لأصحابه، والقوم يسافرون فيطولُ سُراهم حتى يحبُّوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون، فيَتَنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه جارهُ، فيصبرُ على أذاهُ حتى يفرِّق بينهما موتٌ أو ظعنٌ، والذين يشنؤهم: التاجرُ الحلاّفُ والفقيرُ المختال، والبخيلُ المنَّانُ»[2] .

---

(١) حسن: رواه الطبراني في «الكبير» وقال: إسناده حسن، وقال الهيثمي في «المجمع»: «رجاله ثقات» وحسّنه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب» حديث رقم (٦٢٥).

(٢) صحيح: عزاه السيوطي في «الجامع» لأحمد في «مسنده» عن أبي ذر قال الحافظ العراقي: «فيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله. قال: ورواه أيضًا أحمد، والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد». وقال الألباني: رواه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، وابن المبارك، وابن نصر، وابن أبي شيبة، والطحاوي، وصححه الألباني، انظر: «صحيح الجامع» (٣٠٦٩)، و«المشكاة» (١٩٢٢).

يشنؤهم: أي: يبغضهم.

* وعن عقبة بن عامر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالجُ نفسه إلى الطَّهور، وعليه عُقَد، فإذا وَضَّأ يديه انحلَّتْ عقدةٌ، وإذا وضَّأ وجهَه انحلَّت عقدةٌ، وإذا مسح رأسه انحلت عقدةٌ، وإذا وضّأ رجليه انحلت عُقدة، فيقول اللَّه عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه، ويسألني، ما سألني عبدي هذا فهو له»[1].

* وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «رَحِمَ اللَّه رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته [فصلت]، فإن أبت نضح في وجهها الماء، [و] رحم اللَّه امرأة قامت من الليل فصلت، وأيقظت زوجها [فصلى] فإن أبى نضحت في وجهه الماء»[2].

* وقال رسول اللَّه ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعًا كتبا ليلتئذ من الذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات»[3].

---

(١) **حسن**: قال المنذري: رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه» واللفظ له، وحسَّنه الألباني، انظر: «صحيح الترغيب» حديث رقم (٦٢٧ ج١ ص٢٥٩).

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وقال المناوي في «فيض القدير» حديث رقم (٤٤٣١): قال النووي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٨٨) وحسّنه في «صحيح الترغيب» حديث رقم (٦٢١). وقال مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح، وحسّن إسناده عبد القادر الأرناؤوط في تحقيق «جامع الأصول»، وقال في «عون المعبود»: «وفي إسناده محمد بن عجلان وقد وثقه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي واستشهد به البخاري وأخرج له مسلم في المتابعة وتكلم فيه بعضهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا، =

«**نضح**»: قال ابن الأثير: رش.

«**في وجهها الماء**»: قال المناوي: «نُبّه به على ما في معناه من نحو ماء ورد أو زهر، وخُصّ الوجه بالنضح لشرفه؛ ولأنه محل الحواس التي بها يحصل الإدراك.

قال المناوي: (أفاد كما قال الطيبي: أن من أصاب خيرًا ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب. فقوله: «**رحم الله رجلاً**» تنبيه للأمة بمنزلة رش الماء على الوجه لاستيقاظ النائم وذلك أن المصطفى ﷺ لمّا نال ما نال بالتهجّد من الكرامة أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك، فحثهم عليه عادلاً عن صيغة الأمر للتلطف)[1].

* وقال رسول الله ﷺ: «**إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات**»[2].

* وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ذكرتُ القيام فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قال: «**نصفه، ربعه، فُواقَ حلب ناقة**»[3].

[«**نصفه، ثلثه، ربعه، فواقَ حلب ناقة، فواقَ حلب شاة**»][4].

= وابن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني. انظر: «صحيح الجامع» رقم (٥٩٠٦) ص(٢٤٣)، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط.

(١) «فيض القدير» (٤/ ٢٥ - ٢٦).

(٢) **صحيح**: عزاه السيوطي في «الجامع» لأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وأبي سعيد معًا وصححه السيوطي، والألباني. انظر: «صحيح الجامع» حديث (٣٣٠) (ج١ ص١٥١).

(٣، ٤) رواية «مجمع الزوائد» **صحيح**: قال المنذري: رواه أبو يعلى ورجاله محتج بهم في«الصحيح» . قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح . ووافقه البوصيري، وصححه الألباني في«صحيح الترغيب» حديث (٦٢٣)، وأشار إلى صحته حبيب الرحمن الأعظمي في «تحقيق المطالب العالية» حديث رقم(٥٢٢).

«فواق الناقة» هنا: هو قدر ما بين رفع يديك عن الضرع وقت الحلب وضمهما .

* وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»**(١) .

قوله **«من المقنطرين»**: أي ممن كتب له قنطار من الأجر .

* وقال الحافظ ابن حجر: «من سورة ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾ إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم» .

* وقال رسول اللَّه ﷺ: **«من قرأ بمائة آية في ليلة كُتِبَ له قنوت ليلة»**(٢) أي عبادتها كما قال المناوي .

* وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكن من الغافلين، ومن قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين، أو كتب من القانتين»**(٣) .

---

(١) **صحيح**: قال المنذري: رواه أبو داود وابن خزيمة في «صحيحه» كلاهما من رواية أبي سَوِيَّة عن أبي حُجَيرة عن عبد اللَّه بن عمرو. وقال ابن خزيمة: إن صح الخبر فإني لا أعرف أبا سوية بعدالة ولا جرح». قال الألباني عن أبي سوية: «قد روى عنه جماعة من الثقات ولذلك قال الحافظ فيه: «صدوق»، ورواه أيضًا ابن حبان في «صحيحه»، وقال الألباني في التعليق على «صحيح ابن خزيمة»: إسناده جيد، وحسنه في «صحيح الترغيب» رقم (٦٣٥)، وصححه في «صحيح الجامع» رقم (٦٣١٥)، انظر: «الصحيحة» رقم (٦٤٢) .

(٢) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» والنسائي عن تميم. قال الهيثمي: فيه سليمان بن موسى الشامي وثقه ابن معين وأبو حاتم .وقال البخاري: عنده مناكير، قال الحافظ العراقي: إسناده صحيح، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣٤٤) و «الصحيحة» (٦٤٤) .

(٣) **صحيح**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» والحاكم، وقال الألباني في التعليق على =

«من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين»[1] .

* وعن فضالة بن عبيد وتميم الداريّ ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبيﷺ قال: «من قرأ عشر آيات في ليلة كُتب له قنطار «من الأجر» والقنطار خير من الدنيا وما فيها، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل: اقرأ وارق بكل آية درجة، حتى ينتهي إلى آخر آية معه، يقول ربك عز وجل للعبد: اقبض. فيقول العبد بيده: يا رب! أنت أعلم . يقول: بهذه الخلد[2] ، وبهذه النعيم»[3]

* عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح، قال: «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه أو قال في أذنيه»[4] .

«نام ليلة حتى أصبح» قال الحافظ: «يراد به صلاة الليل أو المكتوبة».

* قال الحافظ في «الفتح»: «واختلف في بول الشيطان، فقيل: هو على حقيقته».

= «صحيح ابن خزيمة»: وإسناده على شرط الشيخين، انظر «الصحيحة» رقم(٦٤٣) و«صحيح الترغيب» رقم(٦٣٦) .

(١) قال الحاكم: على شرط مسلم.

(٢) قال الألباني: أي اقبض يمينك على الخلد وشمالك على النعيم كما في رواية أخرى لابن عساكر وفي أولها زيادة وقد خرجتها في «الضعيفة» رقم(٥٤٩٥) .

(٣) حسن: قال المنذري: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسناد حسن وفيه إسماعيل ابن عيّاش عن الشاميين، وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين وحسّنه الألباني. انظر: «صحيح الترغيب» رقم (٦٣٤) .

(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي .

* قال القرطبي وغيره: لا مانع من ذلك، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح، فلا مانع من أن يبول. وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر، وقيل: معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر. وقيل: هو كناية عن ازدراء الشيطان به. وقيل: معناه أن الشيطان استولى عليه، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه.

وقيل: هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول في أذنه فثقل أذنه، وأفسد حسه، والعرب تكني عن الفساد بالبول قال الراجز:

بال سـهيل في الفضيـخ ففسـد

وكنى بذلك عن طلوعه لأنه وقت إفساد الفضيخ فعبر عنه بالبول.

قال الحسن: إن بوله والله لثقيل.

قال ابن مسعود: «حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان في أذنه»[1].

وقال الطيبي: خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم، فإن المسامع هي موارد الانتباه، وخص البول؛ لأنه أسهل مدخلاً في التجاويف، وأسرع نفوذاً في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء»[2] ا.هـ.

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (ج٣ ص٣٥): «موقوف صحيح الإسناد».

(٢) «فتح الباري» (ج٣ ص٣٥) باب: «إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه».

* وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إن اللَّه يبغض كل جعظري جواظ صخّاب في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة**»(١) .

* عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**جعل اللَّه عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثَمة ولا فُجّار**»(٢) .

«**صلاة قوم**»: أي: دعاء قوم، فرسول اللَّه ﷺ في دعائه هذا يجعل أول صفات الأبرار قيامهم بالليل.

* عن عبد اللَّه بن أبي قيس قال: قالت عائشة: «لا تدع قيام الليل، فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا»(٣) .

وعند ابن خزيمة: «كان لا يذره، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا».

* عن أبي مسلم قال: قلت لأبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ: أي قيام الليل أفضل؟ قال أبو ذر: سألت رسول اللَّه ﷺ كما سألتني ـ يشك

---

(١) **صحيح**: رواه ابن حبان في «صحيحه»، والبيهقي في «السنن الكبرى»، وصححه الألباني في «الأحاديث الصحيحة» (١٩٥)، و«صحيح الجامع» رقم (١٨٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه عبد بن حميد، والضياء عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٨١٠) و«صحيح الجامع» رقم (٣٠٩٢).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، وابن خزيمة، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: تحقيق «صحيح ابن خزيمة»، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده صحيح، انظر: «جامع الأصول» (ج٦).

عوف ـ فقال: «**جوف الليل الغابر أو نصف الليل وقليل فاعله**»[١] .

قال الساعاتي في «الفتح الرباني»:

«شك عوف أحد الرواة في قوله: «**جوف الليل الغابر أو نصف الليل**».

«**جوف الليل**»: ثلثه، و«**الغابر**»: الباقي أي: ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل، ولفظ الغابر يطلق على الماضي والباقي؛ لأنه من الأضداد، والمعروف الكثير أن الغابر الباقي، وهو المراد هنا».

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**من صلى في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين، ومن صلى في ليلة بمائتي آية فإنه يكتب من القانتين المخلصين**»[٢] .

* عن عبد اللَّه بن مسعود أنه قال: ألا إن اللَّه يضحك إلى رجلين: رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره، فتوضأ، ثم قام إلى الصلاة، فيقول اللَّه عز وجل لملائكته: ما حمل عبدي هذا على ما صنع؟ فيقولون: ربنا رجاء ما عندك، وشفقة مما عندك، فيقول: فإني قد أعطيته مَا رَجا، وأمَّنته مما يخاف»[٣] .

وقيام الليل يدفع إلى التفكر وإلى الزهد في الدنيا.

---

(١) **سنده جيد**: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الساعاتي: «سنده جيد»، انظر: «الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري» (٤/ ٢٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في مقام احتجاج به.

(٣) **إسناده حسن**: رواه الطبراني في «الكبير»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٢ ص٢٥٧): إسناده حسن».

* عن عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ : «أن بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام فقام يصلي ذات ليلة فوق بيت المقدس في القمر، فذكر أموراً كان صنعها فخرج فتدلّى بسبب، فأصبح السبب معلقًا في المسجد، وقد ذهب، قال: فانطلق حتى أتى قومًا على شط البحر فوجدهم يضربون لبنًا، أو يصنعون لبنًا، فسألهم: كيف تأخذون على هذا اللبن؟ فأخبروه فلبن معهم، فكان يأكل من عمل يده، فإذا كان حين الصلاة قام يصلي، فرفع ذلك العمّال إلى دهقانهم أن فينا رجلاً يفعل كذا وكذا، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه ثلاث مرات، ثم إنه جاء يسير على دابته، فلما رآه فرّ فاتبعه فسبقه، فقال: انتظرني أكلمك، فقام حتى كلّمه، فأخبره خبره، فلما أخبره أنه كان ملكًا، وأنه فرّ من رهبة ربه، قال: إني لأظنني لاحق بك، قال: فاتبعه فعبدا اللَّه حتى ماتا برميلة مصر»، قال عبد اللَّه: لو أني كنت ثَمَّ لاهتديت إلى قبريهما بصفة رسول اللَّه ﷺ الذي وصف لنا(١) .

وفي رواية: فقال: ما أنت بأحوج إلى ما صنعت منّي، قال: ثم نزل عن دابته فسيّبها، ثم تبعه، فكانا يعبدان اللَّه عز وجل، فدعَوَا اللَّه أن يميتهما جميعًا، قال: فماتا.

«السبب»: أي: الحبل ونحوه.

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»(٢) .

---

(١) رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال الهيثمي: إسناده حسن. ورواه أحمد في «مسنده»، وقال الساعاتي: إسناده حسن؛ لأن يزيد بن هارون سمع من المسعودي بعد تغيره.

(٢) حسن: أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، والترمذي (٢/ ٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» =

كيف لا يقوم الليل من عرف النار؟! وكيف ينام عن التهجد من علم قدر الجنة؟!

اعمل للنار بقدر صبرك عليها، وقم الليل بقدر شوقك إلى الجنة ومقامك فيها.

واعلم أن مهور الحور العين طول التهجد في ظلمات الليالي.

* **من أدلج بلغ المنزل:**

* عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة اللَّه غالية، إلا إن سلعة اللَّه الجنة»[(١)].

من خاف قام الليل.. ومفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ومفاوز الآخرى تقطع بوصيب القلوب وذلها لعلاّم الغيوب.. وإن كانت الأرض تطوى من الليل، فإن الآخرة تقرب بالليل.. وقيام الليل يجعل الآخرة تقرب وتقرب، فرحم اللَّه رجالاً صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالآخرة.

* * *

= (١٧٨/٨)، وفي «صفة الجنة». وللحديث شاهدين مرفوعين يتقوى بهما.

قال الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٥٣): فالحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء اللَّه تعالى.

(١) **صحيح:** رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» وعبد بن حميد، والعقيلي في «الضعفاء»، وأبو نعيم في «الحلية». وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني، انظر: «الصحيحة» رقم (٩٥٤)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٠٩٨).



هدي الرسول ﷺ في القيام

هدي رسول اللَّه ﷺ في القيام

* عن أبي هريرة - وهو يقصص في قصصه - وهو يذكر رسول اللَّه ﷺ:

«إن أخًا لكم لا يقول الرفث، يعني بذلك عبد اللَّه بن رواحة:

وفينا رسول اللَّه يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع[1]

«الرفث»: الباطل أو الفحش من القول.

يقال: (سطع): إذا ارتفع (من الفجر) بيان للمعروف الساطع[2]

(يجافي جنبه): كناية عن صلاته بالليل.

* ويرحم اللَّه شوقي حين يقول عن رسول اللَّه ﷺ:

مُحيي الليالي صلاة، لا يُقَطِّعُها ... إلا بدمع من الإشفاق مُنسْجِمِ

مُسبِّحًا لك جنح الليل، مُحْتملاً ... ضُرًّا من السُّهْدِ، أو ضُرًّا من الوَرَمِ

رَضِيَّةً نفسه، لا تشتكي سَأَمًا ... ومَا مَعَ الحُبِّ إن أخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ[3]

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب التهجد من «صحيحه» باب: فضل من تعارّ من الليل.

(٢) انظر: «فتح الباري» (ج٣) كتاب التهجد باب: فضل من تعارّ من الليل.

(٣) الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقي (ج١ ص٢٠٧) طبع المكتبة التجارية الكبرى.

* كان قيامه ﷺ لربه مُخْلِصًا له الدين:

كان رسول اللَّه ﷺ سيد المخِلصين والمخلَصين، أطال النظر إلى خالقه ومولاه فشُغل عن المخلوق.

* * *

﴿ استعداده للقيام ﴾

نومُه ﷺ ذاكِرًا اللَّهَ ناوِيًا للقيام

كان رسول اللَّه ﷺ يدندن حول القيام، ويتخذ السبل التي تهيئ له هذا الأمر.

فخشونة فراشه سبب يمهده للقيام كان ينام على الحصير حتى يخط في جنبه الشريف:

*عن أنس بن مالك قال: دخلت على رسول اللَّه ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمل بشريط[(١)]، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف، فدخل عليه نفر من أصحابه، ودخل عمر فانحرف رسول اللَّه ﷺ انحرافة فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبًا، وقد أثر الشريط بجنب رسول اللَّه ﷺ فبكى عمر، فقال النبي ﷺ: **«ما يبكيك يا عمر؟»** قال: واللَّه إلاّ أن أكون أعلم أنك أكرم على اللَّه عز وجل من كسرى وقيصر وهما يعبثان في الدنيا فيما يعبثان، وأنت يا رسول اللَّه بالمكان الذي أرى، فقال النبي ﷺ: **«أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»** قال عمر: بلى، قال: **«فإنه كذلك»**[(٢)].

وعند مسلم من حديث عمر: «فدخلت على رسول اللَّه ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثر في جنبه»[(٣)] الحديث.

---

(١) مرمل: مصنوع، شريط: حبل يُفتل من الخوص.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده»، وهو عند البخاري، ومسلم، وابن ماجه من حديث عمر.

(٣) رواه مسلم كتاب الطلاق باب: الإيلاء واعتزال النساء.

* وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما -: «أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثّر في جنبه فقال: يا نبي اللَّه لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال: «**ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها**»[1].

* وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: كانت وسادته التي ينام علها بالليل من أدم حشوها ليف[2].

وها هو ذا رسول اللَّه ﷺ وهو الذي كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه، وهو الذي كان سيد العابدين إلى يوم القيامة يتخذ فراشًا من حصير، ووسادة من جلد حتى لا تلهيه عن قيام الليل معلمًا بذلك أمته.

قال المناوي - رحمه اللَّه -: «الأولى لمن غلبه الكسل، والميل للدعة والترفه أن لا يبالغ في حشو الفراش؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة والشغل عن مهمات الخيرات»[3].

*** وكانت كيفية نومه وهديه فيه تعينه على القيام:**

فلقد كان رسول اللَّه ﷺ يضطجع على شقه الأيمن عند نومه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده» وتفرد به، وعنه في «التاريخ» ابن كثير، والحاكم في «المستدرك»، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة. وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وقال الألباني: حديث صحيح: انظر: «المسند» حديث رقم (٢٧٤٤) و«صحيح الجامع» رقم (٥٥٤٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحسنه السيوطي، وصححه الألباني «صحيح الجامع» رقم (٤٧١٤).

(٣) «فيض القدير» للمناوي (ج٥ ص١٨٠).

فعن حفصة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن»[1].

وفي نوم رسول اللَّه ﷺ بهذه الكيفية سر لطيف يبينه لنا شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية فيقول ـ رحمه اللَّه ـ: «وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر، وهو أن القلب معلّق في الجانب الأيسر، فإذا نام على شقه الأيسر، استثقل نومًا؛ لأنه يكون في دعة واستراحة، فيثقل نومه، فإذا نام على شقه الأيمن، فإنه يقلق ولا يستغرق في النوم، لقلق القلب، وطلبه مستقره وميله إليه، ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه عن قيام الليل، فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب، وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن واللَّه أعلم»[2].

أذكار النـــوم:

كان رسول اللَّه ﷺ يبيت وينام على ذكر اللَّه كما قال الشاعر:

وآخر شيء أنت في كل هجعـــة   وأول شيء أنت عند هبـــوبي

ومن أذكار النوم:

*كان رسول اللَّه ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**باسمك اللَّهم أموت**

---

(١) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن حفصة، وخرجه الترمذي عن البراء بزيادة: «وقال: رب قني عذابك يوم تبعث عبادك». قال المناوي: وأشار المؤلف ـ أي السيوطي ـ إلى صحته، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٢٣).

(٢) «زاد المعاد» لابن القيم (ج١ ص٣٢١، ٣٢٢) مؤسسة الرسالة... تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.

وأحيا». وإذا استيقظ من نومه قال: «الحمد للّه الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[1] .

* و«عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة: جمع كفيه، ثم نفث فيهما يقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات»[2] .

وفي حديث أبي هريرة: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي» ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختمها، فإنه لن يزال عليك من اللّه حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: «صدقك وهو كذوب»[3] .

* وفي «الصحيحين» عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه».

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه، فلينفضه بصَنَفَة إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه بعده، وإذا اضطجع فليقل: باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك

---

(١) رواه مسلم، والنسائي، وأحمد في «مسنده» عن البراء، والبخاري، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن حذيفة، وأحمد، والبخاري، ومسلم عن أبي ذر.
(٢) رواه البخاري، ومسلم.
(٣) جزء من حديث في البخاري.

الصالحين، فإذا استيقظ فليقل: الحمد للّه الذي عافاني في جسدي، وردّ عليّ روحي وأذن لي بذكره»[١] .

و«صنفة»: الإزار: طرفه مما يلي طرته كما في «النهاية».

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ: «كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد للّه الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا، وآوانا فكم ممّن كافيَ له ولا مُؤويَ له»[٢] .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

«إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه، ثم ليضطجع على شقّه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربيِ وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[٣] .

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللّهم أنت خلقت نفسي، وأنت تتوفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتّها فاغفر لها، اللّهم إني أسألك العافية» قال ابن عمر: سمعتهن من رسول اللّه ﷺ .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: كان إذا أوى إلى فراشه قال: «اللّهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنّوى، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك

---

(١) حسن: رواه الترمذي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٢٩).
(٢) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد في «مسنده».
(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود.

من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنا الدَّين، وأغننا من الفقر».

وعن عباد بن أخضر أن رسول اللَّه ﷺ: «كان إذا أخذ مضجعه قرأ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ حتى يختمها»[1].

وعن أبي الأزهر أن رسول اللَّه ﷺ: كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسم اللَّه وضعت جنبي، واللَّهم اغفر لي ذنبي، واخسأ شيطاني، وفُكَّ رِهَاني، وثَقِّلْ مِيزَاني، واجْعَلْني في النَّديِّ الأعْلَى**»[2] [3].

---

(1) **حسن**: رواه الطبراني في «الكبير»، ورمز السيوطي لحسنه، قال المناوي: وليس كما زعم فقد أعله الهيثمي، وغيره بأن فيه يحيى الحماني ويحيى الجعفي وكلاهما ضعيف جداً «فيض القدير» (ج٥ حديث رقم ٦٥٤١) وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٢٤) وابن أخضر هو عباد بن عباد بن علقمة المازني المصري المعروف بابن أخضر وكان زوج أمه وليس بصحابي كما قال المناوي.

(2) **صحيح**: رواه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» وحسنه المناوي، وصححه الحاكم، والسيوطي، والألباني «صحيح الجامع» رقم (٤٥٢٥).

(3) قال المناوي في «فيض القدير» (ج٥ ص٩٢): «وهذا دعاء يجمع خير الدنيا والآخرة فتتأكد المواظبة عليه كلما أريد النوم، وهو من أجل الأدعية المشروعة عنده على كثرتها.
وقال ص(٩١، ٩٢): قوله: «**اخسأ شيطاني**» أي: اجعله خاسئًا مطرودًا وهو بوصل الهمزة «**وفك رهاني**» أي: خلصني من عقال ما اقترفت نفسي من الأعمال التي لا ترتضيها بالعفو عنها، والرهان كسهام الرهن وهو ما يجعل وثيقة بالدين والمراد هنا نفس الإنسان لأنها مرهونة بعملها ﴿**كل امرئ بما كسب رهين**﴾.
«**واجعلني في الندي الأعلى**»: أي: الملأ الأعلى من الملائكة، والنَّدي، بفتح النون وكسر الدال وتشديد الياء كما في «الأذكار»: القوم المجتمعون في مجلس ومنه النادي.
(أبي الأزهر) قال النووي في «الأذكار»: ويقال: أبو زهير الأنماري الشامي، قال البغوي في «المعجم»: لم ينسب، ولا أدري أله صحبة أم لا، وفي «التقريب»: صحابي لا يعرف اسمه.

وعن حفصة أن رسول اللَّه ﷺ: «كان إذا أراد أن يرقد، وضع يده اليمنى تحت خده، ثم يقول: «**اللَّهم قِني عذابك يوم تبعث عبادك**» (ثلاث مرات)[(١)].

وعن حذيفة أن رسول اللَّه ﷺ: «كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده وقال: «**اللَّهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**»[(٢)].

وفي «الصحيحين» عن البراء بن عازب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، وقل: اللَّهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مِتَّ مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول**».

وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اقرأ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرونَ﴾ عند منامك، فإنها براءة من الشرك**»[(٣)].

---

(١) **حديث صحيح**: رواه أبو داود، والنسائي في «اليوم والليلة». ورمز السيوطي لحسنه وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٣٢).
قال المناوي: «والظاهر حصول أصل السنة بمرة وكمالها باستكمال الثلاث» ويدل على كلامه الحديث الذي بعده.

(٢) **صحيح**: رواه أحمد، والترمذي، والنسائي عن البراء، وأحمد، والترمذي عن حذيفة، وأحمد، وابن ماجه عن ابن مسعود. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال ابن حجر: إسناده صحيح ورمز السيوطي لتصحيحه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٦٦٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن أنس، وأحمد في «مسنده» والبخاري في «التاريخ»، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» وابن السني عن نوفل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٧٢).

وفي وصيته لفاطمة حين أتت إليه تطلب خادمًا وتشكو إليه تعبها قال ﷺ لها ولعلي: «ألا أدلكما على خير لكما من خادم، إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبّرا أربعًا وثلاثين فإنه خير لكما من خادم»[1].

*** ما كان يبدأ به ﷺ من ذكر اللَّه عند الانتباه من النوم:**

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ:

«من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد اللَّه وسبحان اللَّه ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه. ثم قال: اللَّهم اغفر لي ـ أو دعا ـ استجيب له فإن توضأ قُبلت صلاته»[2].

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا استيقظ أحدكم فليقل: الحمد للَّه الذي ردّ عليَّ روحي، وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره»[3].**

عن ربيعة بن كعب الأسلمي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كنت أبيت عند حجرة النبي ﷺ، فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول: **«سبحان اللَّه رب العالمين» الهَوِيّ**، ثم يقول: **«سبحان اللَّه وبحمده» الهَوِيّ**[4]

---

(١) جزء من حديث علي وهو متفق عليه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حسن: رواه الترمذي، وابن السني، وحسنه الألباني «صحيح الجامع» رقم (٣٢٦).

(٤) سنده صحيح: رواه النسائي، والترمذي نحوه وقال: هذا حديث صحيح، وأخرجه أبو عوانة في «صحيحه» بتمامه. وقال الألباني في «تخريج المشكاة»: «أخرجه في «الأدب» وسنده صحيح على شرط مسلم، وقد أخرج طرفه الأول بزيادة فيه»، انظر:

و(الهوي): الزمان الطويل.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تضوّر من الليل قال: «**لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار**»[١].

(تضور): تلوّى وتقلب ظهرًا لبطن.

وعن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: «**باسمك أموت وأحيا**» وإذا قام قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[٢].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ:

«**الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردّ عليّ روحي، وأذن لي بذكره**».

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ: كان إذا كان في سفر وأسحر يقول: «**سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذًا بالله من النار**»[٣].

(إذا أسحر): قال النووي: معناه قام في السحر، أو انتهى سيره

= «المشكاة» حديث رقم (١٢١٨).

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان في «صحيحه» وابن السني، وابن نصر في «قيام الليل»، وابن منده، والسهمي.

وقال الحاكم: على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الحافظ العراقي في «أماليه» حديث صحيح. ورمز لصحته السيوطي. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٥٦٩) ص(٢١٣)، وانظر: «فيض القدير» (ج٥ حديث ٦٦١٥).

(٢) البخاري في كتاب الدعوات باب: ما يقول إذا نام (ج١١ ص١١٣).

(٣) «صحيح مسلم» كتاب الأدعية ص(٥٦٧).

إلى السحر وهو آخر الليل.

* **هديه ﷺ في التسوك لقيام الليل:**

عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»[1].

قال ابن حجر في «الفتح»: «الشَّوْص: بالفتح الغسل والتنظيف كذا في «الصحاح».

وفي «المحكم»: الغسل، والتنقية عن أبي عبيد، والدلك عند ابن الأنباري.

وقيل: الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق، واستدل قائله بأنه مأخوذ من الشوصة وهي ريح ترفع القلب عن موضعه، وعكسه الخطابي فقال: هو دلك الأسنان أو الأصابع عرضًا.

قال ابن دقيق العيد: فيه استحباب السواك عند القيام من النوم؛ لأن النوم مقتض لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه. قال: وظاهر قوله «من الليل»: عام في كل حالة، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة. قلت: ويدل عليه رواية المصنف في الصلاة بلفظ: «إذا قام للتهجد» ولمسلم نحوه: «كان النبي ﷺ إذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك». وحديث ابن عباس يشهد له، وكان ذلك هو السر في ذكره في الترجمة»[2].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد في «مسنده» عن حذيفة. والإسناد عند البخاري كله كوفيون. وفي رواية مسلم: «إذا قام ليتهجد».

(٢) «فتح الباري» (ج٢ ص٣٥٦).

ولقد ذكره البخاري في باب «طول القيام في صلاة الليل».

واستشكل ابن بطال دخوله في هذا الباب فقال: لا مدخل له هنا لأن التسوك في صلاة الليل لا يدل على طول الصلاة. قال: ويمكن أن يكون ذلك من غلط الناسخ فكتبه في غير موضعه، أو أن البخاري أعجلته المنية قبل تهذيب كتابه، فإن فيه مواضع مثل هذا تدل على ذلك.

وقال ابن المنير: يحتمل أن يكون أشار إلى أن استعمال السواك يدل على ما يناسبه من إكمال الهيئة والتأهب، وهو دليل طول القيام إذ التخفيف لا يتهيأ له هذا التهيؤ الكامل.

وقال ابن رشيد: الذي عندي أن البخاري إنما أدخله لقوله: «إذا قام للتهجد» أي: إذا قام لعادته، وقد تبينت عادته في الحديث الآخر.

ولفظ «التهجد» مع ذلك مشعر بالسهر، ولا شك أن في التسوك عونًا على دفع النوم فهو مشعر بالاستعداد للإطالة.

وقال البدر بن جماعة: يظهر لي أن البخاري أراد بهذا الحديث استحضار حديث حذيفة الذي أخرجه مسلم.

وأقرب الأقوال توجيه ابن رشيد»[1] ا.هـ. قول ابن حجر.

وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ: «كان يصلي بالليل ركعتين ركعتين، ثم ينصرف فيستاك»[2].

---

(١) «فتح الباري» (ج٣ ص١٩، ٢٠).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم في «المستدرك». وقال الحاكم: على شرطهما، لكن مغلطاي قال: ليس كما زعم. وقال ابن حجر: إسناده صحيح. وقال المنذري: رواه ابن ماجه ورجاله ثقات، ورمز لصحته السيوطي، وقال الولي العراقي: =

{ قال أبوشامة: يعني: وكان يتسوك لكل ركعتين، وفي هذا موافقة لما يفعله كثيرًا في صلاة التراويح وغيرها، قال العراقي: مقتضاه أنه لو صلى صلاة ذات تسليمات كالضحى والتراويح يستحب أن يستاك لكل ركعتين وبه صرّح النووي }(1) .

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ: « كان لا يتعارّ من الليل إلا أجرى السواك على فِيه»(2) .

قال المناوي: { «أي تسوك به، وإن تعدد انتباهه فيسن ذلك لكل أحد»(3) .

وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - أن النبي ﷺ: «كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوّك»(4) .

قال المناوي في «فيض القدير»:

«(يرقد): أي: ينام، «من ليل ولا نهار» مِنْ لابتداء الغاية أو زائدة

= وهو عند أبي نعيم بإسناد جيد من حديث ابن عباس أن المصطفى ﷺ: كان يستاك بين كل ركعتين . صححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٤٨٣٧) ..

(١) «فيض القدير» (ج٥ ص٢٢٤).

(٢) حسن: رواه ابن نصر في «الصلاة»، والطبراني في «المعجم الكبير» وأبو يعلى. وقال الهيثمي: سنده ضعيف وفيه من لم يسم، ورواه ابن عدي، ورمز السيوطي لصحته وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٧١٨) و«السلسلة الصحيحة» (٢١١١).

(٣) «فيض القدير» (ج٥ ص١٨٢).

(٤) حسن: رواه أبو داود، وابن أبي شيبة، والطبراني في «الأوسط»، وقال النووي في «شرح أبي داود»: في إسناده ضعف، وقال المنذري: فيه علي بن زيد بن جدعان وهو لا يحتج به، وقال العراقي: فيه أيضًا أم محمد الراوية عن عائشة وهي مجهولة عينًا وحالاً. ورمز السيوطي لصحته وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٩).

قال ابن العراقي: والأقرب أنها ظرفية بمعنى: «في» كما في: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ (فيستيقظ): عطف على «يرقد» وليس جوابًا للنفي، إنما جوابه (إلا تسوّك).

* قد تجاذب السواك ترتيبه على الاستيقاظ من النوم، وفعله قبل الوضوء فاحتمل أن سببه النوم، وأن سببه الوضوء وأن كلاً منهما جزء علة، والعلة المجموع.

قال ابن العراقي: «الأول أقرب لكونه رتبه عليه، وظاهر صنيع المؤلف أن هذا هو الحديث بتمامه هكذا هو ثابت في روايتيهما فأسقطه المؤلف ذهولاً.

قال العراقي: وقوله: «قبل أن يتوضأ» صادق مع كونه قبله بزمن كثير، فلا يدل ذلك على أنه من سننه؛ لأن السواك المشروع في الوضوء داخل في مسماه بناءً على الأصح أنه من سننه، فإذا دل دليل خارجي على ندب السواك للوضوء دل على أن هذا السواك غير مشروع في الوضوء، لكن المشروع فيه داخل في قوله: «قبل أن يتوضأ»، فلو كان هو المشروع في الوضوء لزم التكرار»[1].

وعن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن النبي ﷺ: «كان لا ينام إلا والسّواك عند رأسه، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»[2].

---

(١) «فيض القدير» (ج٥ ص١٨٥).

(٢) حسن: رواه أحمد، ومحمد بن نصر في كتاب «الصلاة»، وابن حبان في «صحيحه»، وابن عدي، وقال الهيثمي: سنده ضعيف. وتابعه المناوي ورمز السيوطي لحسنه وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٧٤٨).

وعن جابر يرفعه: «كان رسول اللَّه ﷺ يتسوك من الليل مرتين أو ثلاثة، كلما رقد واستيقظ استاك وتوضأ وركع ركعتين أو ركعات»[1].

هديه ﷺ في قراءة آخر آل عمران إذا قام في الليل:

سيأتي في خبر ابن عباس وحديثه أن رسول اللَّه ﷺ: «كان يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران».

قال النووي في «شرح مسلم»: «استحباب مسح أثر النوم عن الوجه، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم»[2].

* * *

(١) **سنده حسن**: قال البوصيري: رواه عبد بن حميد، والبزار بسند حسن، وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية».

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج١ ص٤١٦).

هديه ﷺ فيما يفتتح به القيام من الذكر والدعاء «أدعية الاستفتاح ليلاً»

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللَّهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومَنْ فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض [ومن فيهن]، ولك الحمد أنت مَلِك السماوات والأرض [ومن فيهن]، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، [أنت ربنا وإليك المصير]، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، [وما أنت أعلم به مني]، أنت المقدم وأنت المؤخر [أنت إلهي]، لا إله إلا أنت، ولا إله غيرك، ولا حول، ولا قوة إلا باللَّه**»(١) .

قال الحافظ في «الفتح»:

«قوله: (إذا قام من الليل يتهجد): ظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة، وترجم عليه ابن خزيمة: الدليل على أن النبي ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر، ثم ساقه عن ابن عباس

---

(١) رواه البخاري واللفظ له [ما عدا ما بين الأقواس]، ومسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، وابن نصر، والدارمي.

قيم السموات والأرض: حافظهما وراعيهما.

أنت نور السموات والأرض: أي: منورهما وبك يهتدي مَن فيهما.

قال: كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام للتهجد قال بعد ما يكبر: «**اللَّهم لك الحمد**»[١].

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللَّهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢].

انظر رحمك اللَّه إلى حب القلوب ودوائها وهو يدعو بدعاء فيه الحياة، أشار إلى جبريل وهو ملك الوحي الذي فيه الحياة فلقد سماه المولى عز وجل «روحًا»، وميكائيل مَلَك القطر والمطر والنبات وفيه الحياة للأرض، وإسرافيل ملك النفخ في الصور وفيه الحياة بعد الموت فكأنه ﷺ يدعو في استفتاحه بهذا الدعاء بالليل لتحيا القلوب.

عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة بأي شيء كان يفتتح رسول اللَّه ﷺ قيام الليل؟ فقالت: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك:

(كان إذا قام كبّر عشرًا وحمد اللَّه عشرًا وسبّح عشرًا وهلّل عشرًا، واستغفر عشرًا، وقال: اللَّهم اغفر لي واهدني وارزقني، وعافني (عشرًا)، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة)[٣].

---

(١) «فتح الباري» (ج٣ ص٣، ٤).

(٢) رواه مسلم، وأبو عوانة، وأبو داود.

انظر: «صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل.

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، ورواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطبراني في «الأوسط» بسند صحيح والآخر حسن=

عن أبي سعيد الخدري قال:

(كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام الليل كبّر ثم يقول:

«سبحانك اللَّهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا اللَّه (ثلاثًا) ثم يقول: اللَّه أكبر كبيراً (ثلاثًا)[١] ، **وأعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه**[٢] **ونفخه ونفثه» ثم يقرأ**[٣] .

* **ومن أدعيته ﷺ في الاستفتاح ليلاً:**

«اللَّه أكبر (ثلاثًا) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة»[٤] .

وهذه الأدعية خاصة بالاستفتاح في قيام الليل، وله أن يدعو بأدعية الاستفتاح الأخرى.

* * *

= وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» حديث (١٢١٦ ج١ ص٣٨٣).

(١) إلى هنا للطحاوي بسند حسن كما قال الألباني انظر: «صفة صلاة النبي» للألباني تحت عنوان: أدعية الاستفتاح ص(٤٩).

(٢) همز الشيطان: المؤتة: نوع من الجنون، نفخه: الكبر، نفثه: الشعر المذموم. والتفسيرات الثلاث وردت مرفوعة إلى النبي ﷺ بسند صحيح مرسل كما قال الألباني.

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب: من رأى الاستفتاح بـ «سبحانك»، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» في الحديث عن الحديث رقم (١٢١٧) ولمزيد الكلام على صحة الحديث واختلاف القول فيه راجع «بذل المجهود» (ج٤ ص٥١٣، ٥١٤).

(٤) إسناده صحيح: رواه أبو داود الطيالسي، وصححه الألباني في «صفة الصلاة» ص(٥١).

وقت قيامه ﷺ

عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «ما كنا نشاء أن نرى رسول اللَّه ﷺ في الليل مصليًا إلا رأيناه، ولا نشاء أن نراه نائمًا إلا رأيناه»[(١)] .

وعند البخاري عن أنس قال: «كان رسول اللَّه ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصليًا إلا رأيته ولا نائمًا إلا رأيته»[(٢)] .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

«أي: أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل، ولا يرتب وقتًا معينًا بل بحسب ما تيسر له القيام، ولا يعارضه قول عائشة: «كان إذا سمع الصارخ قام» فإن عائشة تخبر عما لها عليه اطلاع، وذلك أن صلاة الليل تقع منه غالبًا في البيت، فخبر أنس محمول على ما وراء ذلك»[(٣)] ا.هـ.

وعن مسروق قال: سألت عائشة عن عمل رسول اللَّه ﷺ فقالت: (كان يحب الدائم)، قال: قلت: أيُّ حينٍ كان يصلي؟ فقالت: «كان إذا سمع الصارخ قام فصلى»[(٤)] .

---

(١) **إسناده صحيح**: أخرجه النسائي في «سننه» كتاب قيام الليل باب: ذكر صلاة رسول اللَّه ﷺ وقال الألباني: إسناده صحيح على شرطهما وصحح إسناده أيضًا عبد القادر الأرناؤوط، انظر: «مشكاة المصابيح» رقم (٨٦).

(٢) «صحيح البخاري» كتاب التهجد باب: قيام النبي ﷺ بالليل ونومه.

(٣) «فتح الباري» كتاب التهجد شرح باب: قيام النبي ﷺ بالليل ونومه ص(٢٣).

(٤) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي... واللفظ لمسلم باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ كتاب صلاة المسافرين.

وعند أبي داود «الصُّراخَ»، وعند الطيالسي في «مسنده» «الصارخ الديك» والصرخة: هي الصيحة الشديدة.

* قال النووي: « فيه الحث على القصد في العبادة، وأنه ينبغي للإنسان ألا يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه ثم يحافظ عليه».

وقال أيضًا: «الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء قالوا: وسمي بذلك لكثرة صياحه».

* قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «جرت العادة بأن الديك يصيح عند منتصف الليل غالبًا قاله محمد بن نصر، قال ابن التين: وهو موافق لقول ابن عباس: «نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل».

وقال ابن بطال: الصارخ يصرخ عند ثلث الليل، وكان داود يتحرى الوقت الذي ينادي اللَّه فيه: «هل من سائل» كذا قال، والمراد بالدوام: قيامه كل ليلة في ذلك الوقت لا الدوام المطلق»[1] ا.هـ.

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت:

« كان ﷺ ينام أول الليل ويُحيي آخره، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام، فإذا كان عند النداء الأول قالت: وثب ـ ولا واللَّه ما قالت قام ـ «فأفاض عليه الماء» ـ ولا واللَّه ما قالت اغتسل وأنا أعلم ما تريده ـ وإن لم يكن جنبًا توضأ وضوء الرجل للصلاة ثم صلى الركعتين»[2] .

---

(١) «فتح الباري» ـ كتاب التهجد شرح باب: مَنْ نام عند السحر.

(٢) البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي ـ واللفظ لمسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل.

وعند البخاري: «كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلي، ثم يرجع إلى فراشه».

وعن عائشة قالت: «إنْ كانَ رسول اللَّه ﷺ ليوقظه اللَّه عز وجل بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من حزبه»(١).

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت - وأنا في سفر مع رسول اللَّه ﷺ -: واللَّه لأرقبن رسول اللَّه ﷺ للصلاة؛ حتى أرى فعله، فلما صلى صلاة العشاء - وهي العتمة - اضطجع هويًا من الليل، ثم استيقظ فنظر في الأفق، فقال: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً**﴾ حتى بلغ إلى ﴿**إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾، ثم أهوى رسول اللَّه ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا، ثم أفرغ في قدح من إداوةٍ عنده ماءً، فاستنَّ، ثم قام فصلَّى حتى قلت قد صلى قدر ما نام، ثم اضطجع حتى قلت: قد نام قدر ما صلى، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة، وقال مثل ما قال، ففعل رسول اللَّه ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر»(٢).

* وسيمر بك في حديث أم سلمة - رضي اللَّه عنها - عن صلاته ﷺ: «كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح».

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أبو داود في الصلاة باب: وقت قيام النبي ﷺ، وسكت عنه المنذري، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده حسن. انظر: التعليق على «شرح السنة».

(٢) **إسناده صحيح**: رواه النسائي في «سننه»، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم. وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط: إسناده حسن، انظر: تخريج حديث رقم (١٢٠٩).

قيامه ﷺ ما بين المغرب والعشاء

عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ: «أنه صلى مع النبي ﷺ المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء»[(١)] .

عن عبيدة مولى رسول اللَّه ﷺ أن النبي ﷺ : «كان يصلي بين المغرب والعشاء»[(٢)] .

تطيبه ﷺ للقيام

عن أنس قال: «كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباع نسائه»[(٣)] .

* * *

(١) صحيح: رواه النسائي، والترمذي مطولاً «في مناقب الحسن والحسين»، وأحمد في «مسنده»، وابن خزيمة في «صحيحه»، وابن نصر، والبيهقي في «سننه»، والحاكم في «المستدرك» وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢١٣٢)، وقال الساعاتي: إسناده جيد، وصححه الدكتور مصطفى الأعظمي في التعليق على «صحيح ابن خزيمة» حديث رقم (١١٩٤).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير»، وأحمد، وقال الهيثمي: «مداره كله في طرقه على رجل لم يسم، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح». وقال الذهبي: عن ابن عبد البر رواه عن ابن عبيد سليمان التيمي وسقط بينهما رجل وحسنه السيوطي وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٣٨).

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٤٨).

عدد صلاة النبي ﷺ بالليل

عن القاسم بن محمد عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان النبي ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، منها الوتر وركعتا الفجر»(١).

عن مسروق قال: «سألت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن صلاة رسول اللَّه ﷺ بالليل، فقالت: سبع وتسع وإحدى عشرة، سوى ركعتي الفجر»(٢).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: كيف كانت صلاة النبي ﷺ في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة: يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا، قالت عائشة: فقلت: يا رسول اللَّه أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة، إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي»(٣).

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة ـ يعني بالليل ـ(٤).

عن ابن عباس قال: إن النبي ﷺ صلى من الليل ثلاث عشرة(٥).

(١، ٢، ٣) رواه البخاري كتاب التهجد باب: كيف صلاة النبي ﷺ؟

(٤) رواه البخاري كتاب التهجد باب: كيف صلاة النبي ﷺ؟

(٥) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الشيخ أحمد شاكر حديث رقم (٢٠١٩).

عن زيد بن خالد الجُهني أنه قال:

«لأرمقن صلاة رسول اللَّه ﷺ، فصلى ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة»[1].

* قال النووي: «قال القاضي عياض: «قال العلماء: في هذه الأحاديث إخبار كل واحد من ابن عباس وعائشة وزيد بما شاهد».

وأما الاختلاف في عائشة فقيل: هو منها، وقيل: من الرواة عنها، فيحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب، وباقي رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادرًا في بعض الأوقات فأكثره خمس عشرة بركعتي الفجر، وأقله سبع، وذلك بحسب ما كان من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءته كما جاء في حديث حذيفة وابن مسعود، أو لنوم أو عذر أو مرض أو غيره، أو في بعض الأوقات عند كبر في السن كما قالت: «فلما أسنّ صلى سبع ركعات»، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين في أول قيام الليل كما في رواية زيد بن خالد، وروتها عائشة بعد في «صحيح مسلم»، وتعد ركعتي الفجر تارة وتحذفهما تارة، أو تعد إحداهما، وقد تكون عدت راتبة العشاء مع ذلك تارة وحذفتها تارة.

قال القاضي: «ولا خلاف أنه ليس في ذلك حد لا يزاد عليه ولا

(١) رواه مالك في «صلاة الليل» باب: صلاة النبي ﷺ في الوتر، وعنه مسلم في «صلاة المسافرين» باب: الدعاء في الليل، وأبو عوانة، وأبو داود، وابن نصر.

ينقص منه، وأن صلاة الليل من الطاعات التي كلما زاد فيها زاد الأجر، وإنما الخلاف في فعل النبي ﷺ وما اختاره لنفسه والله أعلم»[1] ا.هـ.

* قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

«ما أجابت به عائشة - رضي الله عنها - مسروقًا فمرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعًا، وتارة تسعًا، وتارة إحدى عشرة. أما حديث القاسم فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله كما ورد في رواية أبي سلمة عنها أن ذلك كان أكثر ما يصليه من الليل.

أما ما رواه الزهري عن عروة عنها في باب «ما يقرأ في ركعتي الفجر» بلفظ: «كان يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة، ثم يصلي إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين» فظاهره مخالف لما تقدم، فيحتمل أن تكون أضافت إلى صلاة الليل سنة العشاء، لكونه كان يصليها في بيته، أو ما كان يفتتح به صلاة الليل فقد ثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها أنه كان يفتتحها بركعتين خفيفتين وهذا أرجح في نظري؛ لأن رواية أبي سلمة التي دلت على الحصر في إحدى عشرة جاء في صفتها عند المصنف وغيره «يصلي أربعًا، ثم أربعًا ثم ثلاثًا» فدل على أنها لم تتعرض للركعتين الخفيفتين، وتعرضت لهما في رواية الزهري، والزيادة من الحافظ مقبولة وبهذا يجمع بين الروايات.

وينبغي أن نستحضر هنا ما تقدم في أبواب الوتر من ذكر الركعتين بعد الوتر، والاختلاف هل هما الركعتان بعد الفجر، أو صلاة مفردة بعد

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» باب: صلاة الليل والوتر من كتاب صلاة المسافرين ص(٣٨٨).

الوتر، ويؤيده ما وقع عند أحمد وأبي داود من رواية عبد اللَّه بن أبي قيس عن عائشة بلفظ: «كان يوتر بأربع وثلاث، وست وثلاث، وثمان وثلاث، وعشر وثلاث، ولم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ولا أنقص من سبع» وهذا أصح ما وقفت عليه من ذلك، وبه يجمع بين ما اختلف عن عائشة من ذلك واللَّه أعلم.

قال القرطبي: أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب، وهذا إنما يتم لو كان الراوي عنها واحدًا أو أخبرت عن وقت واحد، والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة، بحسب النشاط وبيان الجواز واللَّه أعلم.

وظهر لي أن الحكمة في عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل، وفرائض النهار ـ الظهر وهي أربع، والعصر وهي أربع، والمغرب وهي ثلاث وتر النهار، فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلاً وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية إلى ما بعدها»[1] ا.هـ. كلام ابن حجر.

* قال الألباني: «ويؤيد الجمع الذي رجحه الحافظ، أن رواية مالك جاءت مفصلة بذكر الركعتين الخفيفتين من حديث زيد بن خالد الجهني ـ المذكور سابقًا ـ قلت: ويحتمل عندي أن تكون هاتان الركعتان الخفيفتان ركعتي سنة العشاء، بل هو الظاهر فإني لم أجد رواية تذكرهما مع هذه

(١) «فتح الباري» (ج٣ ص٢٠) شرح باب: كيف صلاة النبي ﷺ

الركعات الثلاث عشرة، بل وجدت ما يؤيد ما استظهرته وهو حديث جابر بن عبد اللَّه قال: أقبلنا مع رسول اللَّه ﷺ من الحديبية حتى إذا كنا بالسقيا (قرية بين مكة والمدينة) قام رسول اللَّه ﷺ وجابر إلى جنبه فصلى العتمة، ثم صلى ثلاث عشرة سجدة. رواه ابن نصر ص(٤٨) فهذا الحديث كالنص في أن سنة العشاء داخلة في الثلاث عشرة ركعة ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد ففيه ضعف»[١] ا.هـ. كلام الألباني.

* قال الحافظ ابن قيم الجوزية:

«كان قيامه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنهما هذا وهذا. ففي «الصحيحين» عنهما: ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة. وفي «الصحيحين» عنها أيضًا: «كان رسول اللَّه يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن»[٢] . والصحيح عن عائشة الأول. والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر، جاء ذلك مبينًا عنها في هذا الحديث بعينه: كان رسول اللَّه ﷺ يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر ذكره مسلم في «صحيحه»[٣] . وقال البخاري في هذا الحديث: كان رسول اللَّه ﷺ

(١) «صلاة التراويح» للألباني ص(١٧) طبع المكتب الإسلامي ـ الطبعة الثانية.

(٢) مسلم في صلاة المسافرين باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، والبخاري في «التهجد» باب: كيف صلاة النبي ﷺ ؟.

(٣) صلاة المسافرين، باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ.

يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة، ثم يصلي إذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين[١] . وفي «الصحيحين» عن القاسم بن محمد قال: سمعت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ تقول: كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة، ويركع ركعتي الفجر، وذلك ثلاث عشرة ركعة[٢] فهذا مفسر مبين.

وأما ابن عباس، فقد اختلف عليه، ففي «الصحيحين» عن أبي جمرة عنه: كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ ثلاث عشرة ركعة ـ يعني بالليل ـ[٣] لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا بأنها ركعتا الفجر.

قال الشعبي: سألت عبد اللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن صلاة رسول اللَّه ﷺ بالليل، فقالا: ثلاث عشرة ركعة، منها ثمان، ويوتر بثلاث، وركعتين قبل صلاة الفجر.

وفي «الصحيحين» عن كريب عنه في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث، أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة، ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر، صلى ركعتين خفيفتين، وفي لفظ: فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج يصلي الصبح[٤].

(١) رواه البخاري في «التهجد» باب: ما يقرأ في ركعتي الفجر.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ في صلاة المسافرين ـ باب: صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ.

(٣) رواه البخاري في «التهجد» باب: كيف صلاة النبي ﷺ وكم كان يصلي بالليل. ومسلم في «صلاة المسافرين» باب: الدعاء في صلاة الليل. والترمذي في الصلاة.

(٤) رواه البخاري في أبواب: العمل في الصلاة، باب: استعانة اليد في الصلاة، وفي =

فقد حصل الاتفاق على إحدى عشرة ركعة.

واختلف في الركعتين الأخيرتين: هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما؟ فإذا أضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التي كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده بالليل والنهار أربعين ركعة، كان يحافظ عليها دائمًا، سبعة عشرة فرضًا، وعشر ركعات أو اثنتا عشرة سنة راتبة، وإحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل، والمجموع أربعون ركعة، وما زاد على ذلك فعارض غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات [1]، وصلاة الضحى إذا قدم من سفر، وصلاته عند من يزوره، وتحية المسجد ونحو ذلك، فينبغي للعبد أن يواظب على هذا الورد دائمًا إلى الممات فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة. والله المستعان» [2]ا.هـ.

* * *

= «العلم»: باب: السمر في العلم، وفي «الوضوء» باب: التخفيف في الوضوء، وباب: قراءة القرآن بعد الحدث وغيره وفي «الجماعة» باب: من يقوم عن يمين الإمام.

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية ص(٣٢٥ ـ ٣٢٧) تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط.

الكَيْفِيَّات التي صلى بها الرسول ﷺ في صلاة الليل والوتر

لَمَّا كثر القول في الكيفية التي صلى بها رسول اللَّه ﷺ في صلاة الليل وجدت أشفى وأوفى وأتم وأجمل ما كتب فيها كلام محدث ديار الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ وهو من هو: هو مجدد عصرنا هذا في علم الحديث كما قال الشيخ ابن باز.. و«قل رجل يكون مثله في هذا المجال» كما قال شيخنا ابن عثيمين في رسالة بعث بها إليّ.

فرأيت أن أنقله بتمامه واللَّه الموفق.

قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللَّه ـ:

«اعلم أيها المسلم أن قيام النبي ﷺ في الليل ووتره، كان على أنواع وكيفيات كثيرة، ولَمّا كان ذلك غير مدون في كتب الفقه، سواء منها المختصرة أو المطولة، وكان من الواجب بيان سننه ﷺ للناس لكي تمهد السبيل لمن كان منهم محبًا لاتباعها أن يعمل بها فيكتب لنا أجره إن شاء اللَّه تعالى، وحتى يتورع عن إنكار شيء منها من كان جاهلاً، وفقنا اللَّه تبارك وتعالى لاتباعه ﷺ حق الاتباع، واجتناب ما حذرنا من الابتداع، فقد وجب بيان ذلك فأقول:

يصلي ١٣ ركعة يفتتحها بركعتين خفيفتين:

وفيه أحاديث:

الأول: حديث زيد بن خالد الجهني.

الثاني: حديث ابن عباس قال: «بت عند رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة، فنام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ فقام إلى شن[١] فيه ماء فتوضأ وتوضأت معه، ثم قام فقمت إلى جنبه على يساره، فجعلني على يمينه، ثم وضع يده على رأسي كأنه يمس أذني كأنه يوقظني فصلى ركعتين خفيفتين، قد قرأ فيهما بأم القرآن في كل ركعة، ثم سلم، ثم صلى حتى صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام، فأتاه بلال فقال: الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين، ثم صلى بالناس»[٢].

الثالث: حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم صلى ثمان ركعات، ثم أوتر» وفي لفظ: «كان يصلي العشاء ثم يتجوز بركعتين، وقد أعد سواكه وطهوره، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه، فيتسوك ويتوضأ ثم يصلي ركعتين، ثم يقوم فيصلي ثمان ركعات، يُسَوِّي بينهن في القراءة، ثم يوتر بالتاسعة فلما أسن[٣] رسول الله ﷺ وأخذه اللحم جعل تلك الثماني ستًا، ثم يوتر بالسابعة، ثم يصلي ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما

---

(١) شن: قربة.

(٢) صحيح: قال الألباني: رواه أبو داود (١/ ٢١٥)، وعنه أبو عوانة في «صحيحه» (٢/ ٣١٨) وأصله في «الصحيحين»، انظر: «صلاة التراويح» ص(٨٧). قال الألباني: قد فاتت ابن القيم هذه الرواية فقال: «ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة..

(٣) أي كثر لحمه «لحم بدنه» ﷺ ، ففي رواية أخرى للنسائي: «حتى أسنّ ولحم» فذكرت من لحمه ما شاء الله.

قال السندي: «لحم» أي: كثر لحمه. [الألباني].

بـ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[1]

* قال الألباني:

«واللفظ عند الطحاوي صريح في أن عدد الركعات ثلاث عشرة، فهو دليل على أن قولها في اللفظ الأول: «ثم أوتر» . أي بثلاث، ليتفق مجموع الركعات فيه مع هذا اللفظ الآخر، وبذلك يكون حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ هذا مثل حديث ابن عباس الذي قبله.

ويلاحظ في اللفظ الثاني أن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ ذكرت الركعتين الخفيفتين بعد صلاته ﷺ للعشاء، ولم تذكر بينهما سنة العشاء، فهذا يؤيد ما كنت أرجحه أن هاتين الركعتين الخفيفتين هما سنة العشاء واللَّه أعلم.

يصلي ١٣ ركعة، منها ثمانية يسلم بين كل ركعتين، ثم يوتر بخمس لا يجلس ولا يسلّم إلاّ في الخامسة.

وفيه حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان ﷺ يرقد، فإذا استيقظ تسوّك، ثم توضأ، ثم صلى ثمان ركعات يجلس بين كل ركعتين فيسلم، ثم يوتر بخمس ركعات لا يجلس إلا في الخامسة، ولا يُسَلِّم إلا في الخامسة [فإذا أذّن المؤذن قام فصلى ركعتين خفيفتين][2]

---

(١) **إسناده صحيح**: قال الألباني: أخرجه الطحاوي (١/ ١٦٥) باللفظين وإسنادهما صحيح، والشطر الأول من اللفظ أخرجه مسلم (٢/ ١٨٤)، وأبو عوانة وكلهم رووه من طريق الحسن البصري معنعنًا، لكن أخرجه النسائي، وأحمد من طريقه مصرحًا بالتحديث باللفظ الثاني نحوه.

(١) **سنده صحيح**: رواه أحمد وسنده صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه مسلم، =

ورواية أحمد هذه صريحة بأن مجموع الركعات ثلاث عشرة ركعة ما عدا ركعتي الفجر، فهو بظاهره مخالف لحديث عائشة المتقدم بلفظ: «ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة» وقد تقدم الجمع بينهما هناك بما خلاصته أنها أرادت بهذا اللفظ ما عدا الركعتين الخيفتين اللتين كان ﷺ يفتتح بها صلاة الليل، وقد وجدت ما هو كالنص في هذا الجمع وهو حديثها الآخر الذي ذكرت فيه هاتين الركعتين ثم ثمان ركعات ثم الوتر، وقد مضى في النوع الذي قبله.

يصلي ١١ ركعة يسلم بين كل ركعتين، ثم يوتر بواحدة.

لحديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت:

«كان ﷺ يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء ـ وهي التي يدعو الناس العتمة ـ إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يسلّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة، [ويمكث في سجوده قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه] فإذا سكت المؤذن في الفجر، وتبين له الفجر، وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة»(١) .

= وأبو عوانة، وأبو داود، والترمذي وصححه، والدارمي، وابن نصر، والبيهقي، وابن حزم في «المحلى»، ورووه كلهم مختصرًا ليس فيه التسليم من كل ركعتين، وروى منه الشافعي، والطيالسي، والحاكم الإيتار بالخمس فقط، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود، والبيهقي وسنده صحيح ا.هـ. تخريج الألباني انظر: «صلاة التراويح» ص(٨٩).

(١) رواه مسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، والطحاوي، وأحمد، وأخرجه الأولان من حديث ابن عمر أيضًا، وأبو عوانة من حديث ابن عباس.

ويشهد لهذا النوع حديث ابن عمر أيضًا أن رجلاً سأل رسول اللَّه ﷺ عن صلاة الليل؟ فقال: «**صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح، ركع ركعة واحدة توتر له ما قد صلى**»[١] وزاد: «فقيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ قال: أن يسلّم في كل ركعتين» وفي رواية مالك والبخاري: «أن عبد اللَّه بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين في الوتر حتى يأمر ببعض حاجته».

وتفسير ابن عمر المذكور رواه أحمد رقم (٥١٠٣) مرفوعًا مدرجًا في صلب الحديث، لكن في سنده عبد العزيز بن أبي رواد وهو صدوق ربما وهم، كما في «التقريب» وأخشى أن يكون قد وهم في رفعه. واللَّه أعلم.

يصلي ١١ ركعة، أربعًا بتسليمة واحدة، ثم أربعًا مثلها، ثم ثلاثًا.

رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ كيف كانت صلاة رسول اللَّه ﷺ في رمضان؟ فقالت: «**ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة**[٢] **يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا**»[٣].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، ومالك، وأبو عوانة.

(٢) قال الألباني: وفي رواية لابن أبي شيبة (٢/ ١١٦/ ١) ومسلم وغيرهما «كانت صلاته في شهر رمضان وغيره ثلاث عشرة ركعة بالليل منها ركعتا الفجر».

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ومالك، وعنه البيهقي، وأحمد.

*قال النووي ـ في قولها: «يصلي أربعًا» ـ: «وهذا لبيان الجواز، وإلا فالأفضل التسليم من كل ركعتين، وهو المشهور من فعل رسول اللَّه ﷺ، وأمره بالصلاة مثنى مثنى» ا.هـ.

*قال الألباني: «وصدق ـ رحمه اللَّه ـ فقول الشافعية: «يجب أن يسلم من كل ركعتين، فإذا صلاّها بسلام واحد لم تصح» كما في «الفقه على المذاهب الأربعة» (١/ ٢٩٨)، و«شرح القسطلاني على البخاري» (٥/ ٤) وغيرها خلاف هذا الحديث الصحيح، ومناف لقول النووي بالجواز وهو من كبار العلماء المحققين في المذهب الشافعي فلا عذر لأحد يفتي بخلافه».

قال الألباني: «وظاهر الحديث أنه كان يقعد بين كل ركعتين من الأربع والثلاث، ولكنه لا يسلّم وبه فسّره النووي كما تقدم، وقد روي ذلك صريحًا في بعض الأحاديث عن عائشة أنه ﷺ كان لا يسلم بين الركعتين والوتر، ولكنها معلولة كلها كما ذكر الحافظ ابن نصر والبيهقي والنووي وبينته في «التعليقات الجياد على زاد المعاد». فالعمدة في مشروعية الفصل بالقعود بدون تسليم ظاهر في هذا الحديث، ولكن سيأتي ما ينافي هذا الظاهر في آخر الفصل واللّه أعلم».

يصلي ١١ ركعة، منها ثمان ركعات لا يقعد فيها إلا في الثامنة يتشهد ويصلي على النبي ﷺ، ثم يقوم ولا يسلم، ثم يوتر بركعة، ثم يسلم، ثم يصلي ركعتين وهو جالس:

لحديث عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ رواه سعد بن هشام بن عامر أنه

أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول اللَّه ﷺ، فقال ابن عباس: ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول اللَّه ﷺ؟ قال: من؟ قال: عائشة، فأْتِها فاسْأَلْهَا، فانطلقت إليها، قال: قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول اللَّه ﷺ، فقالت: «كنا نعدُّ له سواكه وطهوره، فيبعثه اللَّه ما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات، لا يجلس فيها إلا في الثامنة، فيذكر اللَّه ويحمده [ويصلي على نبيه][1]، ويدعو، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر اللَّه ويحمده، [ويصلي على نبيه ﷺ] ويدعو، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد، فتلك إحدى عشرة يا بني، فلما أسَنّ نَبيُّ اللَّه ﷺ، وأخذ اللحمَ أوتر بسبع، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بُنيّ»[2].

يصلي ٩ ركعات، منها ست ركعات لا يقعد إلا في السادسة منها، يتشهد ويصلي على النبي ﷺ، ثم يقوم ولا يسلم، ثم يوتر بركعة، ثم يسلم، ثم يصلي ركعتين وهو جالس.

لحديث عائشة الذي ذكرته.

ثم قال الألباني: «هذه هي الكيفيات التي كان رسول اللَّه ﷺ

---

(١) قال الألباني: «هذه فائدة هامة فيها البيان الواضح أنه ﷺ كان يصلي على نفسه بنفسه وأنه كان يجعل هذه الصلاة في التشهد الأول، كما يجعلها في التشهد الآخر، ومن المقرر عند العلماء أنه لا فرق في أحكام الصلاة بين الفريضة والنافلة إلا بدليل وهو هنا معدوم.

(٢) رواه مسلم، وأبو عوانة، وأبو داود، والنسائي، وابن نصر، والبيهقي، وأحمد.

يصلي بها صلاة الليل والوتر، ويمكن أن يزاد عليها أنواع أخرى، وذلك بأن ينقص من كل نوع من الكيفيات المذكورة سابقًا ما شاء من الركعات، وحتى يجوز له أن يقتصر على ركعة واحدة، لقوله ﷺ: «**فمن شاء فليوتر بخمس، ومن شاء فليوتر بثلاث، ومن شاء بواحدة**».

فهذا الحديث نص في جواز الإيتار بهذه الأنواع الثلاثة المذكورة فيه، وإن كان لم يصح النقل بها عن رسول اللَّه ﷺ، بل صح من حديث عائشة أنه ﷺ لم يكن يوتر بأقل من سبع كما سبق، فهذه الخمس والثلاث إن شاء صلاها بقعود واحد، وتسليمة واحدة كما في النوع الثاني، وإن شاء صلاها بقعود بين كل ركعتين بدون سلام كما في النوع الرابع، وإن شاء سلّم بين كل ركعتين وهو الأفضل كما في النوع الثالث وغيره»[1] انتهى كلام الشيخ الألباني ـ حفظه اللَّه ـ .

* * *

(١) انظر: «صلاة التراويح» للألباني من ص(٨٧) حتى ص(٩٤).

كيفية قيامه ﷺ كما ذكرها ابن القيم

* قال الحافظ ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» عن كيفية قيامه ﷺ:

منها هذا الذي ذكره ابن عباس: «قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف، فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة...»[1] الحديث.

النوع الثاني: ما ذكرته عائشة: أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين، ثم يتمم ورده إحدى عشرة ركعة، يسلم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة.

ثلاث عشرة ركعة كذلك.

يصلي ثمان ركعات، يسلم بين كل ركعتين، ثم يوتر بخمس سرداً متوالية، لا يجلس في شيء إلا في آخرهن.

تسع ركعات، يسرد منهن ثمانيًا، لا يجلس في شيء منهن، إلا في الثامنة، يجلس يذكر اللَّه تعالى ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم، ثم يصلي التاسعة، ثم يقعد ويتشهد ويسلم ثم يصلي ركعتين جالسًا بعد ما يسلم.

النوع السادس: يصلي سبعًا كالتسع المذكورة، ثم يصلي بعدها ركعتين جالسًا.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب: «الدعاء في صلاة الليل وقيامه».

النوع السابع: أنه كان يصلي مثنى مثنى، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن، فهذا رواه الإمام أحمد عن عائشة: «أنه كان يوتر بثلاث لا فصل بينهن»[1] وروى النسائي عنها: «كان لا يسلم في ركعتي الوتر»[2]، وهذه الصفة فيها نظر، فقد روى أبو حاتم وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: **«لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس، أو سبع، ولا تشبهوا بصلاة المغرب»**، وسيأتي بالتفصيل في الوتر - والأحاديث في التسليم في الوتر أقوى وأكثر وأثبت عن النبي ﷺ.

ومن هديه ﷺ في القيام أيضًا:

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

«كان ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ، وهو إنما يصيح في النصف الثاني، وكان يقطع ورده تارة، ويصله تارة وهو الأكثر، ويقطعه كما قال ابن عباس في حديث مبيته عنده، ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة، فإما أنه كان يفعل هذا تارة، وهذا تارة، وإما أن تكون عائشة حفظت ما لم يحفظ ابن عباس وهو الأظهر لملازمتها له، ولمراعاتها ذلك، ولكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل» ا.هـ.

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٥٥، ١٥٦)، ولفظه يرجع إليه، وفي سنده يزيد بن جعفر، قال الذهبي في «الميزان»: ليس بحجة، وقال الدارقطني: يعتبر به، أي: في المتابعة، وإلا فهو لين.

(٢) **إسناده صحيح**: قال عبد القادر الأرناؤوط: «رواه النسائي» (٣/ ٢٣٤) في صلاة الليل، باب: كيف الوتر بثلاث، والحاكم (١/ ٣٠٤)، والدارقطني ص(١٧٥)، والطحاوي (١/ ٢٨٠)، والبيهقي (٣/ ٣١)، وإسناده صحيح، وقال النووي في «شرح المهذب» (٤/ ٧): رواه النسائي بإسناد حسن، والبيهقي في «السنن الكبرى» بإسناد صحيح ا.هـ.

هديه ﷺ إذا تكرر قيامه

عن ابن عباس حدّث: أنه بات عند نبي اللَّه ﷺ ذات ليلة فقام نبي اللَّه ﷺ من الليل فخرج فنظر إلى السماء ثم تلا هذه الآية التي في آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ حتى بلغ ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى، ثم اضطجع، ثم رجع أيضًا فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية، ثم رجع فتسوك وتوضأ، ثم قام فصلى[١] .

***

(١) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، حديث رقم (٢٤٨٨).

هديه ﷺ في افتتاح صلاته بركعتين خفيفتين

مرّ بك بعض الأحاديث في ذلك، وإليك حديثان آخران يدلان على استحباب ذلك لينشط بهما لما بعدهما.

* عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«**إذا قام أحدكم من صلاة الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين**»[١].

وعن عائشة قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا قام من الليل ليصلي افتتح صلاته بركعتين خفيفتين»[٢].

فهذا نصحٌ منه ﷺ لأمته، وقد فعله.

* كان ابن سيرين ـ رحمه اللَّه ـ يقرأ فيهما في الركعة الأولى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ وفي الثانية: ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾. إلى آخر السورة[٣].

* * *

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: حديث رقم (٧٧٣٤)، ورواه مسلم ولفظ مسلم: «**إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين**».

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل.

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٥٥).

افتتاح القيام بركعتين طويلتين أحيانًا

قال محمد بن نصر - رحمه الله - عن افتتاحه ﷺ صلاته من الليل بركعتين خفيفتين: «وهذا عندنا اختيار وليس بواجب، فإن افتتح صلاته بركعتين طويلتين فذلك مباح والدليل على ذلك:

حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة، فقلت: يركع عند المائة الأولى، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**»، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: «**سبحان ربي الأعلى**» فكان سجوده قريبًا من قيامه»[1].

عن ابن عباس قال: كنت في بيت ميمونة فقام النبي ﷺ يصلي من الليل فقمت معه على يساره فأخذ بيدي فجعلني عن يمينه، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة حَزَرتُ قَدْر قيامه في كل ركعة قدر: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾[2].

---

(١) رواه مسلم واللفظ له باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، والنسائي، وأبو داود.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وصححه الشيخ شاكر (٣٤٥٩)، والألباني في «صفة الصلاة» والساعاتي في «الفتح الرباني».

* وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: قمت مع رسول اللَّه ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعة: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة[1] ا.هـ. أي سورة النساء ثم المائدة.

* * *

(١) **إسناده حسن**: رواه أبو داود واللفظ له في الصلاة باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، والنسائي في الافتتاح في باب: نوع آخر من الذكر وحسّنه الألباني في «مشكاة المصابيح» رقم (٨٨٢)، وعبد القادر الأرناؤوط في «جامع الأصول».

صفة صلاته ﷺ

طولها:

* عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

«صَلَّيْتُ مع رسول اللَّه ﷺ فأطال حتى هممت بأمرِ سَوْءٍ.

قال: قيل: وما هممتَ به؟

قال: هممت أن أجلس وأدَعه»(١) .

وعند البخاري بلفظ: «صليت مع النبي ﷺ ليلةً فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذرَ النبي ﷺ ».

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي الحديث دليل على اختيار النبي ﷺ تطويل صلاة الليل، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظًا على الاقتداء بالنبي ﷺ وما همّ بالقعود إلا بعد طولٍ كثير ما اعتاده»(٢) .

* وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

«**أفضل الصلاة طول القنوت**»(٣) .

قال النووي: «المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت،

---

(١) رواه البخاري في التهجد باب: طول القيام في صلاة الليل، ومسلم في صلاة المسافرين، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، ورواه ابن ماجه.

(٢) «فتح الباري» (ج٣) كتاب التهجد ص(١٩).

(٣) «صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين باب: صلاة الليل مثنى مثنى.

وفيه دليل للشافعي ومن يقول كقوله: إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود».

* عن حذيفة: أنه رأى رسول اللَّه ﷺ يصلي من الليل فكان يقول: «**اللَّه أكبر (ثلاثًا) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة**»، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحوًا من قيامه، وكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم**»، ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوًا من ركوعه، يقول: «**لربي الحمد**» ثم سجد فكان سجوده نحوًا من قيامه، فكان يقول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، ثم رفع رأسه من السجود، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده، وكان يقول: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي**» فصلى أربع ركعات قرأ فيهنّ (البقرة وآل عمران والنساء) والمائدة أو الأنعام[1] شك شعبة.

* عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: وجد رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة شيئًا فلما أصبح قيل: يا رسول اللَّه إن أثر الوجع عليك لبيِّن. قال: «**إني على ما ترون بحمد اللَّه قد قرأت السبع الطوال**»[2].

* «وكان ـ أحيانًا ـ يقرأ في كل ركعة بسورة منها»[3].

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، وصححه الألباني في «المشكاة» رقم (١٢٠٠)، وعبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على «جامع الأصول».

(٢) **صحيح**: قال الألباني: أخرجه أبو يعلى، والحاكم في كتاب صلاة التطوع وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وسكت عنه الألباني.

وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وأورده الحافظ في «المطالب العالية»، وضعفه الألباني في التعليق على حديث رقم (١١٣٦) من «صحيح ابن خزيمة» وقال: إسناده ضعيف مؤمل صدوق سيئ الحفظ انظر: «صفة الصلاة» رقم (٦٦)، و«المستدرك» (ج١ ص٣٠٨).

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، والنسائي بإسناد صححه الألباني في «صفة الصلاة» ص(٦٧).

*وما علم عنه أنه قرأ القرآن كله في ليلة قط.

حديث جامـــع:

عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول اللَّه ﷺ فقال ابن عباس: ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول اللَّه ﷺ؟ قال: من؟ قال: عائشة، فأْتها فاسألها ثم ائتني فأخبرني بردها عليك، فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلْحَقْتُهُ إليها فقال: ما أنا بقاربها؛ لأني نهيتُها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا فأبت فيهما إلا مضيًا قال: فأقسمتُ عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة فاستأْذنّا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت: أحكيمٌ؟ - فَعَرَفَتْهُ - فقال: نعم، فقالت: من معك؟ قال: سعد بن هشام، قالت مَنْ هشام؟ قال: ابن عامر، فترحمتْ عليه وقالت خيرًا - قال قتادة: وكان أصيب يوم أحد - .

فقلت: يا أم المؤمنين: أنبئيني عن خلق رسول اللَّه ﷺ؟ قالت: ألست تقرأ القرآن؟ قُلت: بلى، قالت: فإن خلق نبي اللَّه ﷺ كان القرآن.

قال: فهمَمَتُ أن أقوم ولا أسأل أحدًا عن شيء حتى أموت، ثم بدا لي فقلت: أنبئيني عن قيام رسول اللَّه ﷺ، قالت: ألست تقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن اللَّه عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي اللَّه ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك اللَّه خاتمتها اثني عشر شهرًا في السماء حتى أنزل اللَّه في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعًا بعد فريضة.

قال : قلت: يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول اللَّه ﷺ فقالت: كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه اللَّه ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا الثامنة، فيذكر اللَّه ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم، ثم يقوم فيصلي التاسعة، ثم يقعد فيذكر اللَّه ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليمًا يُسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة يا بُني، فلما أسنّ نبي اللَّه ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني، وكان نبي اللَّه ﷺ إذا صلّى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي اللَّه ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهرًا كاملاً غير رمضان.

قال: فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال: صَدَقَتْ لو كنتُ أَقربُها أو أدخل عليها لأتيتها؛ حتى تشافهني به، قال: قلت: لو علمتُ أنك لا تدخل عليها ما حدّثتك حديثها[1] .

* وكان ﷺ لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث. عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان ﷺ لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث»[2].

* وكان يقرأ في كل ليلة بـ«بني إسرائيل والزمر وتبارك والسجدة والمسبحات».

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود.

(٢) صحيح: أخرجه ابن سعد (١/٣٧٦)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» قال المناوي: ورمز السيوطي لحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٤٧٤٢).

عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ :

«كان لا ينام حتى يقرأ ﴿آلم﴾ تنزيل السجدة، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾»(١)

وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ : «كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر»(٢) .

و«كان ﷺ يقرأ المُسَبِّحَات قبل أن ينام، وإذا اضطجع»(٣) .

* و«كان ـ أحيانًا ـ يقرأ في كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر»(٤) .

* * *

(١) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والنسائي، والحاكم. وقال البغوي: غريب. وقال الصدر المناوي: فيه اضطراب. وقال الحاكم: على شرطهما. ورمز السيوطي لصحته، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٧٤٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، والترمذي، والحاكم، والدارمي. وقال الترمذي: حسن غريب. وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٧٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي وحسّنه، وأبو داود، وحسنه الحافظ، انظر: حديث رقم (٩٩٤) من كتاب «النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة» للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل ـ نشر دار طيبة.

(٤) أخرجه البخاري، وأبو داود.

هديه ﷺ في القراءة ليلاً

الترتيل في القيـــام:

عن حفصة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[1]، وفي رواية أخرى عنها ـ رضي اللَّه عنها ـ: «كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها».

و«كانت قراءته ﷺ مُفَسَّرةً حرفًا حرفًا».

عن يعلى بن مَمْلَك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول اللَّه ﷺ وصلاته؟ فقالت: «ما لكم وصلاته[2]؟ كان يصلي، وينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح، ونعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءته مفسرة حرفًا حرفًا»[3] أي: مرتلة ومجوّدة مميزة غير مخالطة، بل كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ، والمراد حسن الترتيل والتلاوة.

قال الطيبي: «وهذا يحتمل وجهين، أحدهما: أن تقول: كانت قراءته كيت وكيت.

---

(١) أخرجه مسلم، ومالك.

(٢) معناه: أي شيء يحصل لكم مع وصف قراءته وصلاته وأنتم لا تستطيعون أن تفعلوا مثله؟ ففيه نوع تعجب، ونظيره قول عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: «وأيكم يطيق ما كان رسول اللَّه ﷺ يطيق؟».

(٣) سنده صحيح: قال المنذري: أخرجه الترمذي، والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. وأخرجه أحمد، وابن المبارك في «الزهد» ص(١٩٢)، وصحح إسناده الألباني في «صفة الصلاة» وفي «المشكاة» رقم (١٢١٠).

وثانيهما: أن تقرأ مرتلة مبينة كقراءة النبي ﷺ كذا ذكره في المرقاة».

* وكان ﷺ يمد قراءته مدًا:

عن قتادة قال: «سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: كان يمد مدًّا»[1].

وعن قتادة قال: «سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مَدًّا. ثم قرأ بـ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يمد ببسم اللَّه، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم»[2] والمراد أنه كان يمد ما كان في كلامه من حروف المد واللين بالقدر المعروف والشرط المعلوم.

* وكان ﷺ يقف على رءوس الآي:

عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ: «كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية»: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ ثم يقف: ﴿ **الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾ ثم يقف»[3].

«ولقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع على الآيات وإن تعلق بعضهن ببعض[4] وهي سنة أعرض عنها

(١) أخرجه البخاري، وأبو داود.

(٢) البخاري، وأحمد في «المسند»، والنسائي، وابن ماجه.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، وابن خزيمة، والحاكم وقال الحاكم: على شرط الشيخين. وأقره الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الدارقطني: إسناده صحيح. وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٧٦) وصححه أيضًا عبد القادر الأرناؤوط.

(٤) أبو عمرو الداني في «المكتفى» ونقله عنه الألباني في «صفة الصلاة».

الناس» فالواجب لمن كان له عقل يعقل عن رسول اللَّه ﷺ التأدب بأدب رسول اللَّه ﷺ . وها هو ذا ينصح أمته:

فعن عبد اللَّه بن عمرو، قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

«يقال لصاحب القرآن: اقرءْ وارتَقِ، ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[1] .

ولقد سار على هذا الهدي صحابة رسول اللَّه ﷺ وسلف الأمة.

«فعن علقمة قال: صليت مع ابن مسعود من أول الليل إلى انصرافه من الفجر فكان يرتل ولا يرتجع ويسمع من في المسجد.

وفي رواية أن علقمة قرأ على عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنه ـ وكان حسن الصوت فكأنه عجل، قال: «رتل فداك أبي وأمي فإنه زين القرآن».

وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ:

«لا تهذُّوا القرآن كهذّ الشعر ولا تنثروه كنثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحرّكوا به القلوب، ولا يكون همّ أحدكم من السورة آخرها».

* وعن ابن عباس في قوله: ﴿**أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ بيّنه تبيينًا.

وعن ابن أبي مليكة «سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة وهم يسيرون إليها، وينزلون بالليل فكان ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والترمذي، وقال الألباني: إسناده حسن، انظر: «المشكاة» رقم (٢١٣٤).

يقوم نصف الليل فيقرآ القرآن حرفًا حرفًا ثم حكى قراءته قال: ثم يبكي حتى نسمع له نشيجًا».

* وقال ابن عون: كان محمد بن سيرين يحب الترتيل في القرآن ويقول: هذه الأصوات التي تقرءونها محدثة.

وقيل لمجاهد: رجل يعجل في القرآن وآخر يترسل. قال: إن أحب الناس إلى اللَّه أعقلهم عنه»[(١)] .

* قال ابن القيم: «وذكر الزهري أن قراءة رسول اللَّه ﷺ كانت آية آية، وهذا هو الأفضل، الوقوف على رءوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها، واتباع هدي النبي ﷺ وسنته أولى. وممن ذكر ذلك البيهقي في «شعب الإيمان» وغيره، ورجح الوقوف على رءوس الآي وإن تعلقت بما بعدها»[(٢)] ا. هـ.

قال مجاهد وطاووس: كانوا يستحبون إذا قام الرجل من الليل أن يمد صوته بالآية من القرآن»[(٣)] .

*** وكان ﷺ ـ أحيانًا ـ يُرَجِّعُ صوته:**

* فعن أم هانئ ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشي يرجّع القرآن»[(٤)] .

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٥٦).
(٢) «زاد المعاد» طبع مؤسسة الرسالة (ج١ ص٣٣٧).
(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٥٧).
(٤) **إسناده صحيح**: قال الحافظ في «الفتح» (ج١) باب: الترجيع: رواه الترمذي في =

وعند محمد بن نصر: «... قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي»[1] [2].

قال الحافظ في «الفتح»:

«هو تقارب ضروب الحركات في القراءة وأصله الترديد، وترجيع الصوت: ترديده في الحلق».

وقال أيضًا: «والذي يظهر أن في الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة: معنى الترجيع: تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء؛ لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة» ا.هـ.

وقال المناوي: «وذلك ينشأ غالبًا على أريحية وانبساط» ا.هـ.

ولا شك أن رسول اللَّه ﷺ كان يحصل له من ذلك حظ وافر في قيام الليل، قال النووي في شرحه لحديث ترجيع النبي ﷺ سورة الفتح على راحلته يوم فتح مكة:

قال القاضي عياض: أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها. قال أبو عبيد: والأحاديث الواردة في ذلك محمولة على

= «الشمائل»، والنسائي، وابن ماجه وابن أبي داود واللفظ له. وقال الشيخ الأرناؤوط: أخرجه أيضًا أحمد وإسناده صحيح.

(١) إسناده صحيح: قال في «الزوائد» عن حديث ابن ماجه: إسناده صحيح ورجاله ثقات، رواه ابن ماجه في كتاب «إقامة الصلاة» باب: «ما جاء في القراءة في صلاة الليل» حديث رقم (١٣٤٩) (ج١ ص٤٢٩).

(٢) العريش: هو البيت: أي: سقف بيتها، والمراد ما يستظل به، وقد سميت بيوت مكة عروشًا؛ لأنها عيدان تنصب وتظلل.

التحزين والتشويق. قال: واختلفوا في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والفهم، وأباحهما أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث؛ ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه.

قال النووي: قلت: «قال الشافعي في موضع: أكره القراءة بالألحان، وقال في موضع: لا أكرهها. قال أصحابنا: ليس له فيها خلاف، وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود، وإدغام ما لا يجوز إدغامه، ونحو ذلك.

وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضع الكلام. واللَّه أعلم»[1] ا. هـ.

* * *

(١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (ج٢ ص٤٤٨) والحديث أخرجه البخاري، ومسلم عن عبد اللَّه بن مغفل المزني.

بكاؤه ﷺ في صلاته

عن عبد اللَّه بن الشخير ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو يصلي، وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[1] .

وايم اللَّه لقد كان خوفه ﷺ وهو سيد الخائفين لا يوصف ولا يجارى فقد قال ﷺ :

«شيَّبتني هود وأخواتها»[2] وفي حديث آخر: **«شيَّبتني هود وأخواتها قبل المشيب»**[3] .

وقال ﷺ : **«شيبتني هود وأخواتها من المفصّل»**[4] وقال ﷺ : **«شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات و عمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت»**[5] .

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود، والترمذي في «الشمائل»، وقال النووي في «الأربعين النووية»: إسناده صحيح، وقال الألباني في «التراويح»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» عن عقبة بن عامر، وعن أبي جحيفة وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن مردويه عن أبي بكر وحسّنه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٥)، و«الصحيحة» رقم (٩٥٥).

(٤) **صحيح**: أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» عن أنس وابن مردويه عن عمران، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٦).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذي في «الشمائل» عن ابن عباس، وفي «السنن»، وقال: حديث حسن غريب، والحاكم عن أبي بكر في «المستدرك»، وقال: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي، والحاكم أيضًا عن ابن عباس. والحديث أخرجه أيضًا ابن مردويه عن سعد، وابن سعد في «الطبقات»، وأبو نعيم في «الحلية»، والضياء في «الأحاديث المختارة». وقال ابن الصلاح في «الاقتراح»: إسناده على شرط البخاري. وحسّنه السيوطي في «الدر»، وفي «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٧).

عن عطاء قال: «دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقال عبد الله بن عمير:

حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ؟ فبكت، وقالت: قام ليلة من الليالي فقال: يا عائشة ذريني أتعبد لربي، قالت: قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بلّ الأرض، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً. لقد نزلت عليّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** الآية[1].

***

(١) **إسناده جيد:** رواه أبو الشيخ ابن حبان في «أخلاق النبي ﷺ»، وابن حبان في «صحيحه»، وصححه الألباني.

صفة قراءته ﷺ

كان ﷺ يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة، ويجهر تارة بها كما قال ابن القيم في «زاد المعاد».

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كانت قراءة رسول اللَّه ﷺ بالليل قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت»، وعند أبي داود: «كانت قراءة رسول اللَّه ﷺ على قدر ما يسمعه من في الحجرة وهو في البيت».

قال القاري: «المراد بالحجرة: أخص من البيت يعني: كان لا يرفع صوته كثيرًا ولا يسر بحيث لا يسمعه أحد، وهذا إذا كان يصلي ليلاً وأما في المسجد فكان يرفع صوته فيها كثيرًا ذكره ابن الملك» ا.هـ.

وقال الألباني: «الحجرة» هنا ما يتخذ حجرة للمبيت عند بابه، مثل الحريم للبيت. والحديث يعني: أنه ﷺ كان يتوسط بين الجهر والإسرار»[1] ا.هـ.

و«كان ربما رفع صوته أكثر من ذلك حتى يسمعه من كان ظلى عريشه»[2].

أي: خارج الحجرة.

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كانت قراءة النبي ﷺ

(١) انظر: «صفة صلاة النبي ﷺ» في التعليق على «الجهر والإسرار في القراءة في صلاة الليل».

(٢) أورده هكذا الألباني في «صفة الصلاة» وقال: رواه النسائي والترمذي في «الشمائل» والبيهقي في «الدلائل» بإسناد حسن.

ربما يسمعه من في الحجرة، وهو في البيت»[1] .

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

«كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طورًا ويخفض طورًا»[2]

وعند ابن نصر عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ: «كان إذا قرأ من الليل رفع طورًا وخفض طورًا»[2] .

عن أم هانئ قالت:

«كنت أسمع قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشي»[3] .

عن عبد اللَّه بن أبي قيس قال: سألت عائشة كيف كانت قراءة النبي ﷺ بالليل؟ فقالت:

«كل ذلك قد كان يفعل، ربما أسرّ بالقراءة وربما جهر». فقلت: «الحمد للَّه جعل في الأمر سعة»[4] ولفظ النسائي: «سألت عائشة كيف

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي في «الشمائل» واللفظ له وقال الألباني: إسناده حسن صحيح، وقال الألباني: هذا الحديث يدل على توسطه ﷺ في القراءة. انظر: «مختصر الشمائل المحمدية» للشيخ الألباني طبع المكتبة الإسلامية بالأردن حديث رقم (٢٧٥) ص(١٦٩).

(٢) **حسن**: رواه أبو داود في «سننه»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان في «صحيحه»، وابن نصر في «الصلاة»، وسكت عنه أبو داود، والمنذري فهو صالح كما قال المناوي، وحسّنه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٦٤٣).

(٣) **حسن صحيح**: أخرجه النسائي، وابن ماجه، والترمذي في «الشمائل» واللفظ له، وقال الألباني: إسناده حسن صحيح. قولها: «وأنا على عريشي»: أي: على سريري. والرسول ﷺ يصلي في الليل عند الكعبة، انظر: «مختصر الشمائل المحمدية» ص(١٦٧) حديث رقم (٢٧٢).

(٤) **إسناده حسن**: رواه الترمذي واللفظ له، والنسائي نحوه، وقال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الشوكاني في «نيل الأوطار»: رجاله =

كانت قراءة رسول اللَّه ﷺ بالليل يجهر أم يُسِرّ؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعل ربما جهر وربما أسر».

وقال صاحب «تحفة الأحوذي»: الحديث يدل على أن الجهر والإسرار جائزان في قراءة صلاة الليل، وحديث أبي قتادة [سيأتي ذكره في قيام الصدِّيق] يدل على أن المستحب في القراءة في صلاة الليل التوسط بين الجهر والإسرار».

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ :

«ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[1]

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة»**[2]

قال النووي - رحمه اللَّه -: «جاءت أحاديث بفضيلة رفع الصوت بالقراءة، وآثار بفضيلة الإسرار، قال العلماء: والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف، فإن لم يخف فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذي غيره من مصل أو نائم أو غيرهما» ا.هـ.

وسيمر بك مرور رسول اللَّه ﷺ وسماعه لأبي موسى من الليل

= رجال الصحيح، وقال عبد القادر الأرناؤوط والشاويش: إسناده حسن في التعليق على «شرح السنة» (ج٤ ص٢٩).

(١) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له باب: تحسين الصوت بالقرآن، وابن منده في «التوحيد».

(٢) **صحيح**: رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي عن عقبة بن عامر، والحاكم عن معاذ، وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٠٠)، وفي إسناد الطريق الأول إسماعيل بن عياش، وفيه مقال ومنهم من يصحح حديثه عن الشاميين وهذا الحديث شامي الإسناد.

وسماعه لعباد بن بشر ودعاؤه له وسماعه لرجل ذكّره آية من القرآن أُنْسيها، وسماعه أصوات الأشعريين بالقرآن، وفيها جواز رفع الصوت بالقراءة في الليل، وفي المسجد ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحدًا ولا تعرض للرياء والإعجاب» ا.هـ. من «عون المعبود».

وفي فعله ﷺ سعة وهدي لمن جاء بعده من أمته.

«عن أبي بكر بن محمد قال: أتتنا عَمْرة فباتت عندنا فقمت من الليل أصلي فجعلت أخافت بقراءتي فقالت: يا ابن أختي لم لا تجهر القرآن فوالله ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ أو قراءة أفلح مولى أبي أيوب وفي رواية: وتميم الداري.

وقال عن أبيه محمد بن أبي بكر أنه كان يرفع صوته بالقرآن بالليل»[1] ا.هـ.

* * *

(١) «مختصر قيام الليل» للمروزي ص(٧

هديه ﷺ في التغني بالقرآن

قال رسول اللَّه ﷺ : «لَيْسَ منّا مَنْ لَمْ يتغَنّ بالقرآن»(١) .

وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ : «ما أذن اللَّه لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن»(٢) ، وفي لفظ آخر: «ما أذن لنبي أن يتغنّى بالقرآن» وآخر: «كما يأذن لنبي بالقرآن» وآخر: «ما أذن اللَّه لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به».

وآخر: «لم يأذن اللَّه لشيءٍ ما أذن لنبي أن يتغنّى بالقرآن».

وآخر: «ما أذن لنبي في الترنم في القرآن»(٢) .

وآخر: «حسن الترنم بالقرآن»(٢)

وردت عدة تأويلات لتفسير التغني.

قال الحافظ في «الفتح»: «والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة وهو أن يحسن صوته، جاهرًا به، مترنمًا على طريق التحزن، مستغنيًا به عن غيره من الأخبار(٣) طالبًا به غنى النفس(٤) وقد نظمت ذلك في بيتين:

تغنّ بالقرآن حسّن بـه الصـو ت حزينـًا جاهـراً رنّـمْ
واستغن عن كتب الألى طالبـًا غنـى يـد، والنفس ثـم الزمْ

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة، وأبو داود، وأحمد في «مسنده»، والحاكم عن سعد، وأبو داود عن أبي لبابة بن عبد المنذر، والحاكم عن ابن عباس وعن عائشة والدارمي، وابن نصر.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وأحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، والطبري، والطحاوي، وابن أبي داود.

(٣، ٤) رأيان لسفيان بن عيينة.

ولقد اختلف على كلمة التغني، قال ابن الجوزي: «يتغنى على أربعة أقوال:

أحدها: تحسين الصوت. والثاني: الاستغناء. والثالث: التحزن قاله الشافعي. والرابع: التشاغل به تقول العرب: تغنى بالمكان أقام فيه.

وفيه أقوال أخرى سردها الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الفتح»:

التلذذ والاستحلاء له: كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، فأطلق عليه تغنيًا من حدث إنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء، وهو كقول النابغة:

بكاء حمامة تدعو هديلاً مُفَجَّعَةً على فَنَنٍ تغني

أطلق على صوتها غناء؛ لأنه يطرب كما يطرب الغناء وإن لم يكن غناء حقيقة... حكاه ابن الأنباري في «الزاهر».

وفيه قول آخر حسن: «وهو أنه يجعله هجيراه كما يجعل المسافر والفارغ هجيراه الغناء، قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن يكون هجيراه التلاوة مكان التغني»[1] ا.هـ.

* عن إبراهيم: «ما بعث اللَّه نبيًا إلا حسن الوجه والصوت»[2].

(ما أذن): قال العلماء: معنى «أذن» في اللغة: الاستماع ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

وقال عدي بن زيد:

أيها القلب تعلل بددن إن همي في استماع وأذن

(١) انظر: «فتح الباري» ـ كتاب فضائل القرآن ـ باب من لم يتغن بالقرآن (٨/ ٦٨٦).
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٦٠).

وقال النووي: «معنى يتغنى عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون: يُحَسِّنُ صوته به».

قال الليث بن سعد: يتغنى: يتحزن به ويرقق به قلبه.

* وعن أبي هريرة أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثي[1] .

* وعن عُبيد بن عمير قال: «كان داود عليه السلام يتغنّى حين يقرأ - ويبكي ويُبكِّي».

وعن ابن عباس: «أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم، وكان إذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت».

«ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لم يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وقد كان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك، فإن لم يكن حسنًا فليحسِّنهُ ما استطاع، ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم، فإن الحسن الصوت يزداد حُسنًا بذلك ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعَلّ هذا مستند من كره القراءة بالأنغام؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معًا فلا شك في أنه أرجح من غيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة

(١) **إسناده حسن:** ذكره ابن أبي داود انظر: «فتح الباري» شرح باب: من لم يتغن بالقرآن.

الأداء والله أعلم[١] .

* قال رسول الله ﷺ : **«تعلّموا كتاب الله وتعاهدوه، واقتنوه، وتغنّوا به فوالذي نفسي بيده لهُوَ أشد تفلتًا من المخاض في العقل»**[٢] .

* عن فضالة بن عُبيد مرفوعًا: **«للَّه أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»**[٣] .

* وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله»**[٤] .

وقال ﷺ : **«إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله»**[٥] .

* وقال رسول الله ﷺ : **«حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا»**[٦] وفي رواية: **«زينوا القرآن بأصواتكم»**[٧] .

---

(١) «فتح الباري» شرح باب: من لم يتغن بالقرآن (ج٣) كتاب التهجد.

(٢) **سنده صحيح**: رواه الدارمي، وأحمد بسند صححه الألباني في «صفة الصلاة» ص(٧٢)، والمخاض هي: الإبل، والعقل: جمع عقال، وهو الحبل الذي يعقل به البعير.

(٣) رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وصححه على شرط الشيخين، وابن حبان وصححه، والكجي، وقال الذهبي: هو منقطع.

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢١٩٨).

(٥) **صحيح**: رواه ابن المبارك في «الزهد»، والدارمي، وابن نصر، والطبراني، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان»، والضياء في «المختارة». انظر: الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ».

(٦) **صحيح**: رواه البخاري تعليقًا، والدارمي، والحاكم، وتمام الرازي بسندين صحيحين كما قال الألباني في «صفة الصلاة»، وابن نصر في «الصلاة»، كلهم عن البراء بن عازب وحسنه السيوطي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٤٠).

(٧) **صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن =

* وفي رواية: «زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا»[1] .

وروى مسلم عن عبد اللَّه بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «إن عبد اللَّه بن قيس أو الأشعري أُعطيَ من مزامير آل داود».

وعند البخاري: «يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود» والمراد بآل داود نفسه؛ لأنه لم ينقل أن أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أُعطِيَ، وقد يطلق آل الرجل على نفس الرجل، قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وفرعون أولهم والمراد بالمزمار الصوت الحسن، وأصله الآلة، وأطلق اسمه على الصوت للمشابهة.

قال أبو عثمان النهدي: «دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوتًا صبخ ولا بربط ولا ناي أحسن من صوته»[2] .

= البراء. وأبو نصر السجزي في «الإبانة» عن أبي هريرة، والدارقطني في «الأفراد»، والطبراني في «المعجم الكبير» عن ابن عباس، وأبو نعيم في «الحلية» عن عائشة، والدارمي، وأبو نعيم في «الحلية» عن البراء، وابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة. وابن سعد، وابن نصر عن ابن مسعود، وعلقه البخاري في آخر «الصحيح»، وقال ابن حجر: هذا الحديث لم يصله البخاري في «صحيحه» ووصله في «خلق أفعال العباد» وصححه الحاكم، وابن حبان، وحسنه الدارقطني، وصححه السيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٧٤)، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط في «التعليق على شرح السنة» (ج٤ ص٤٨٦).

(١) صحيح: رواه الحاكم في «فضائل القرآن»، والدارمي عن البراء. وصححه الحاكم، والسيوطي، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٧٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»، وقال الحافظ في «الفتح» شرح باب: حسن الصوت بالقراءة بالقرآن: إسناده حسن.

وقال أيضًا: «إنه كان يصلي بنا فنودّ أنه قرأ بالبقرة من حسن صوته وهو يقرأ القرآن، فقال عليّ بن أبي طالب لعمر بن الخطاب: ألا تنهى هذا أن يغني بالقرآن في مسجد رسول اللَّه ﷺ، فأمهل عمر حتى إذا كان الليل خرج فاستمع لأبي موسى وهو يقرأ فلما سمع قراءته قَ لها حتى بكى ثم انصرف، فلما أصبح واجتمع إليه أصحابه قال لهم: من استطاع منكم أن يغني غناء أبي موسى فليفعل.

وقدم أبو موسى - رضي اللَّه عنه - على معاوية فنزل في بعض الدور بدمشق فخرج معاوية من الليل إلى منزله يمشي حتى استمع قراءته[1].

ولقد كان رسول اللَّه ﷺ يحب سماع القرآن ليلاً من غيره، سمعه من سالم مولى أبي حذيفة فحمد اللَّه أن جعل في أمته مثله، وسمعه من أبي موسى الأشعري ووقف لقراءته، واستمعه من عبّاد بن بشر ودعا له. فالقرآن سماع النبيين فارْقِ بقلبك وتصور صوت رسول اللَّه ﷺ وما أحلى صحله وهو يترنم في الليل، وقد أرخى الليل سدوله، وتصورَّ خوفَ سيد العابدين وحسن صوته وبكائه وقد رأى عند سدرة المنتهى ما رأى ثم عاد إلى الأرض ومعه الحنين والشوق إلى مولاه، وارْقِ إلى داود في روضات الفردوس وهو قائم عند ساق العرش ومولاه يقول له: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرّخيم، فيقول: كيف وقد سلبتنيه في الدنيا؟ فيقول: فإني أرده عليك، فيرفع داود صوته بالزبور والقرآن فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة. اللَّهم بلّغنا روضات الجنان.

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٥٩).

ومن هديه ﷺ التعوذ والتسبيح في القراءة

عن حذيفة بن اليمان قال: كان ﷺ إذا مرّ بآية خوف تعوّذ، وإذا مرّ بآية رحمة سأل، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه للَّه سبَّح[1].

قال المناوي في «فيض القدير»:

«قال الحليمي: فينبغي للمؤمنين سواه أن يكونوا كذلك، بل هم أولى به منه إذا كان اللَّه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهم من أمرهم على خطر» ا.هـ.

* وفي لفظ آخر عند ابن خزيمة: «صليت مع رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة، ما مرّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا مرّ بآية عذاب إلا وقف عندها تعوّذ»[2].

وعند النسائي: «لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بأية عذاب إلا استجار».

* * *

(١) رواه مسلم، وأحمد في «مسنده»، وأبو داود في «سننه»، والنسائي، وابن ماجه.

(٢) إسناده صحيح: كما قال الدكتور مصطفى الأعظمي في تحقيق الحديث رقم (٥٤٣) من «صحيح ابن خزيمة».

قيامه ﷺ بآية حتى الصباح

عن جَسرة بنت دجَاجَة قالت: سمعت أبا ذر يقول: قام النبي ﷺ حتى إذا أصبح بآية، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][(١)] .

وفي لفظ ابن ماجه وابن خزيمة: قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وفي لفظ آخر: قام رسول اللَّه ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب اللَّه بها يركع وبها يسجد، وبها يدعو حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فلما أصبح قلتُ لعبد اللَّه بن مسعود: إن رسول اللَّه ﷺ فعل الليلة كذا وكذا فلو سألته عن ذلك، فقال عبد اللَّه: بأبي وأمي يا رسول اللَّه، قمت الليل بآية واحدة بها تركع وبها تسجد وبها تدعو، وقد علمك اللَّه القرآن كله [لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه] قال: «**إني دعوت لأمتي [إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلة إن شاء اللَّه لمن لا يشرك باللَّه شيئًا**][(٢)] .

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه النسائي في كتاب افتتاح الصلاة - ترديد الآية، وابن ماجه باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل كتاب «إقامة الصلاة»، وأحمد في «مسنده» وابن خزيمة في «صحيحه» والحاكم وابن نصر، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححه د. مصطفى الأعظمي في تحقيق «صحيح ابن خزيمة» (ج١ ص٢٧١)، وعبد القادر الأرناؤوط في التعليق على «زاد المعاد» (ج١ ص٣٣١).

(٢) لفظ النسائي - اللفظ عند ابن نصر في «قيام الليل» سوى ما بين الأقواس [ ].

عن خبـاب بن الأرت ـ رضي اللَّه عـنه ـ وكان قد شهـد بدرًا مع رسول اللَّه ﷺ ـ أنه راقب رسول اللَّه ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجـر فلما سلـم رسول اللَّه ﷺ من صـلاته جاءه خباب فـقال: يا رسول اللَّه، بأبي أنت وأمي، لقد صليـت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها، فقـال رسول اللَّه ﷺ : **«أجل، إنـها صلاة رغب ورهـب [وإني] سألت ربي عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها، وسألت ربي عز وجل أن لا يظـهر عـلينـا عدوًا من غـيرنـا فأعطـانيهـا، وسألـت ربي أن لا يلـبسنـا شيـعًا فمنعنيها»**[1] .

***

(١) رواه النسائي في كتاب الليل باب: إحيـاء الليل، وأحمد، والترمذي في «الفتن»، وقال: حديث حسن صحيح، والطبراني. وفي لفظ [أن لا يهلك أمتي بسنة].

هديه ﷺ في الجمع بين السورتين في ركعة

عن أبي وائل قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: قرأت المفصل الليلة في ركعة فقال: هذًا كهذّ الشعر، لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن - فذكر عشرين سورة من المفصل. سورتين في ركعة[١] .

وفي طرف آخر عند البخاري: غدونا على عبد اللَّه فقال رجل: قرأت المفصل البارحة فقال: هذًا كهذّ الشعر، إنا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القرناء التي كان يقرأ بهن الرسول ﷺ: ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم»[٢] .

وفي لفظ آخر للبخاري: اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد اللَّه ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه، فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم الدخان وعمّ يتساءلون[٣] .

ولفظ مسلم: عن أبي وائل: قال: جاء رجل يقال له: نهيكُ بن سنان إلى عبد اللَّه فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف ألفًا تجده أم ياءً ﴿مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أو: من ماءٍ غير ياسنٍ؟! قال: فقال عبد اللَّه: وكُلَّ القرآن أحصيت غيرَ هذا؟

قال: إني لأقرأ المفصل في كل ركعة، فقال عبد اللَّه: هذًا كهذٍّ

---

(١) البخاري، ومسلم واللفظ للبخاري كتاب الأذان باب: الجمع بين السورتين في ركعة، ورواه أبو داود، والنسائي.

(٢، ٣) البخاري كتاب فضائل القرآن باب: الترتيل في القراءة وباب: تأليف القرآن.

الشعر إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إني لأعلم النظائر التي كان رسول اللَّه ﷺ يَقْرن بينهن سورتين في كل ركعة ثم قام عبد اللَّه فدخل علقمة في أثره ثم خرج فقال: قد أخبرني بها[1]. اهـ.

وفي لفظ آخر عنده: جاء رجل من بني بَجيلة إلى عبد اللَّه..

وعنده: عشرون سورة من المفصل في تأليف عبد اللَّه.

* وفي حديث نحوه: اثنتين في ركعة، عشرين سورة في عشر ركعات.

* وعنده أيضًا:

قال رجل من القوم: قرأت المفصل البارحة كله. قال: فقال عبد اللَّه: هذًا كهذِّ الشعر، إنا لقد سمعنا القرائن وإني لأحفظ القرائن التي كان يقرأهن رسول اللَّه ﷺ ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم.

والنظائر هي: السور المتماثلة في المعاني كالموعظة أو الحكم أو القصص.

والمفصل منتهاه آخر القرآن اتفاقًا، وابتداؤه من ﴿ق﴾ على الأصح»[2]. اهـ.

وسمي مفصلاً: لقصر سوره، وقرب انفصال بعضها من بعض.

---

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب: ترتيل القرآن واجتناب الهذّ.

(٢) «صفة صلاة النبي ﷺ» ص(٥٧) نقلاً عن «فتح الباري» (ج٢).

قوله :(عشرون سورة في عشر ركعات):

قال النووي: «قال القاضي: هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس أن قيام النبي ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر، وأن هذا كان قدر قراءته غالبًا، وأن تطويله الوارد إنما كان في التدبر والترتيل، وما ورد من غير ذلك في قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان في نادر من الأوقات»[١] ا. هـ.

قوله: «عشرون من المفصل».

لا تعارض فيه؛ لأن مراده في الثانية معظم العشرين من المفصل بدليل أنه فرق بينهما في الأولى. وقوله في الأولى أكثر تفصيلاً.

(آل حم): يعني حم.

قال الحافظ في «الفتح»:

«وفي الأحاديث: كراهة الإفراط في سرعة التلاوة؛ لأنه ينافي المطلوب من التدبر، والتفكر في معاني القرآن، وفيه جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما قبلها، وإذا جاز الجمع بين السورتين ساغ الجمع بين ثالث فصاعدًا لعدم الفرق.

عن عبد اللَّه بن شقيق قال: سألت عائشة: أكان رسول اللَّه ﷺ يجمع بين السور؟ قالت: نعم، من المفصل[٢] .

«ولا يخالف هذا أنّه جمع بين البقرة وغيرها من الطوال؛ لأنه يحمل على النادر.

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

(٢) رواه أبو داود، وصححه ابن خزيمة.

وليس في حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة، بل فيه أنه كان يقرن بين السور المعنيات إذا قرأ من المفصل»[1] ا.هـ.

ولقد ورد ذكر هذه السور في رواية ابن خزيمة الآتية وعند أبي داود. ففي «صحيح ابن خزيمة»:

«جاء نهيك بن سنان إلى عبد اللَّه فقال: كيف تجد هذا الحرف: ﴿مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أو ياسنٍ؟ فقال: أَكُلّ القرآن أحصيت غير هذا؟.

قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة. فقال عبد اللَّه: هذّا كهذّ الشعر، إن أقوامًا يقرءون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم، ولكنه إذا دخل في القلب فرسخ فيه نفع. وإن أخير الصلاة الركوع والسجود. وإني لأعلم النظائر التي كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ بهن سورتين في كل ركعة، ثم أخذ بيد علقمة فدخل، ثم خرج فعدّهن علينا.

قال الأعمش: وهي عشرون سورة على تأليف عبد اللَّه، وأولهن الرحمن وآخرتهن الدخان.

الرحمن والنجم، والذاريات والطور، هذه النظائر. واقتربت والحاقة، والواقعة ونون، والنازعات وسأل سائل، والمدثر والمزمل، وويل للمطففين وعبس، ولا أقسم وهل أتى، والمرسلات وعمّ يتساءلون، وإذا الشمس كورت والدخان»[2] [3].

---

(١) «فتح الباري» (ج٢ ص٢٥٥، ٢٧٨).

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» كتاب الصلاة باب: إباحة قراءة السورتين في الركعة الواحدة (ج١ ص٢٦٩، ٢٧٠) وذكره مسلم مختصرًا، وكذا النسائي.

(٣) ولقد ذكر أبو داود السور في كتاب الصلاة باب: تحزيب الآي. إلا أن أبا داود كان يذكر كلمة ركعة فيقول: الرحمن والنجم في ركعة. وفي الثانية عنده: اقتربت والحاقة، والثالثة

هديه ﷺ في طول ركوعه ليلاً وما يقول فيه

عن البراء - رضي اللَّه عنه - قال: «كان ركوع النبي ﷺ وسجوده، وبين السجدتين، وإذا رفع من الركوع، ما خلا القيام والقعود قريبًا من السواء»(١) .

ولقد مر في حديث حذيفة: «فكان ركوعه نحواً من قيامه» ولقد قام في تلك الليلة بالبقرة والنساء وآل عمران.

ومرّ بك حديث عوف بن مالك الأشجعي، ولفظ النسائي عنه:

«قمت مع رسول اللَّه ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**».

* وعند ابن خزيمة عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان ركوعه مثل قيامه، فقال في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**».

فالسنة في القيام طول الركوع؛ حتى يكون قريبًا من القيام، فالزمها.

* * *

= عنده هي الثانية في رواية ابن خزيمة، وويل للمطففين وعبس مكان المدثر والمزمل ولم يخالفه في الاقتران.

(١) متفق عليه.

أذكار الركوع

«**سبحان ربي العظيم**» (ثلاث مرات)[١].

وكان أحيانًا يكررها أكثر من ذلك، وبالغ مرة في تكرارها في صلاة الليل حتى كان ركوعه قريبًا من قيامه.

«**سبحان ربي العظيم وبحمده**» (ثلاثًا)[٢].

«**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**»[٣].

«**سبحانك اللَّهم وبحمدك اللَّهم اغفر لي**»، وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده يتأول القرآن. وفي لفظ آخر لمسلم: «**سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك**»[٤].

«**اللَّهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت [أنت ربي] خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي** (وفي رواية: وعظامي) **وعصبي، [وما استقلت به قدمي للَّه رب العالمين]**»[٥].

«**اللَّهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكلت، أنت ربي**

---

(١) قال الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ»: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والدارقطني، والطحاوي، والبزار، والطبراني في «الكبير» عن سبعة من الصحابة ففيه رد على من أنكر ورود التقييد بثلاث تسبيحات كابن القيم وغيره.

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبو داود، والدارقطني، وأحمد، والطبراني، والبيهقي.

(٣) جزء من حديث عند مسلم، وأبي عوانة، «السبوح»: الذي ينزه عن كل سوء، و«القدوس»: المبارك، وقيل: الظاهر.

(٤) جزء من حديث في البخاري، ومسلم... معنى «يتأول القرآن» يعمل بما أُمر به فيه أي: في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

(٥) جزء من حديث صحيح عند مسلم، وأبي عوانة، والطحاوي، والدارقطني.

خشع سمعي وبصري ودمي ولحمي وعظمي وعصبي للَّه رب العالمين»[١]

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت، فإذا هو راكع أو ساجد يقول: «**سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت**» فقلت: بأبي أنت وأمي إني لفي شأن وإنك لفي آخر»[٢].

(فائـــدة): قال الألباني: «هل يشرع الجمع بين هذه الأذكار في الركوع الواحد أم لا؟ اختلفوا في ذلك، وتردد فيه ابن القيم في «الزاد» وجزم النووي في «الأذكار» بالأول فقال: «والأفضل أن يجمع بين هذه الأذكار كلها إن تمكن، وكذا ينبغي أن يفعل في جميع الأبواب».

وتعقبه أبو الطيب صديق حسن خان فقال في «نزل الأبرار» (٨٤): «يأتي مرة بهذه، وبتلك أخرى، ولا أرى دليلاً على الجمع، وقد كان رسول اللَّه ﷺ لا يجمعها في ركن واحد، بل يقول هذا مرة، وهذا مرة والاتباع خير من الابتداع». قال الألباني: «هذا هو الحق إن شاء اللَّه تعالى، لكن قد ثبت في السنة إطالة هذا الركن وغيره حتى يكون قريبًا من القيام، فإذا أراد المصلي الاقتداء به ﷺ في هذه السنة فلا يمكنه ذلك إلا على طريقة الجمع الذي ذهب إليه النووي، وقد رواه ابن نصر في «قيام الليل» عن عطاء، وإلاّ على طريقة التكرار المنصوص عليه في

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه النسائي بسند صححه الألباني في «صفة الصلاة».

(٢) رواه مسلم باب: ما يقول في الركوع والسجود.

بعض الأذكار، وهذا أقرب إلى السنة والله أعلم»[1] .

قال ابن جريج قلت لعطاء: كيف تقول في الركوع؟ قال: إذا لم أعجل ولم يكن معي من يعجلني فإني أقول: سبحانك وبحمدك ولا إله إلا أنت، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ثلاث مرات، وسبحان ربي العظيم ثلاث مرات، ثم أقول: سبحان الله وبحمده ثلاث مرات وسبحان الملك القدوس ثلاث مرات، وسبوح قدوس رب الملائكة والروح تسبق رحمة ربي غضبه، مراراً[2] .

* * *

(١) «صفة صلاة النبي ﷺ» ص(٧٨ ـ ٧٩).

(٢) «مختصر قيام الليل» للسمرقندي ووردت مطولة أكثر من ذلك في «المصنف» (ج١ ص١٦١).

هديه ﷺ في الرفع من الركوع وأذكاره

مر بك سابقًا «وكان قيامه نحوًا من ركوعه، وكان ركوعه وإذا رفع رأسه من الركوع، وجلوسه بين السجدتين قريبًا من السواء».

أما أذكار الرفع من الركوع فهي مثل باقي الصلوات.

عن حذيفة أنه صلى مع رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة فسمعه حين كبّر قال: «**اللَّه أكبر ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**»، وكان يقول في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، وإذا رفع رأسه من الركوع قال: «**لربي الحمد، لربي الحمد**»، وفي سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، وبين السجدتين: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي**»، وكان قيامه وركوعه وإذا رفع رأسه من ركوعه وسجوده وما بين السجدتين قريبًا من السواء[1] .

«**ربنا ولك الحمد**»[2] وتارة يقول:

«**ربنا لك الحمد**»[3] وتارة يضيف إلى هذين اللفظين قوله: «**اللَّهم**»[4] وتارة يزيد على ذلك:

«**ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد**»[5] .

---

(١) **إسناده صحيح:** قال الألباني: رواه أبو داود، والنسائي بسند صحيح، انظر: «صفة صلاة النبي ﷺ ».

(٢، ٣) البخاري، ومسلم.

(٤) البخاري، وأحمد وقد سها ابن القيم - رحمه اللَّه - فأنكر في «الزاد» صحة الرواية الجامعة بين «اللَّهم» و«الواو» مع أنها في «صحيح البخاري»، و«مسند أحمد»، والنسائي، وأحمد أيضًا من طريقين عن أبي هريرة، وعند الدارمي من حديث ابن عمر، وعند البيهقي عن أبي سعيد الخدري، وعند النسائي من حديث أبي موسى «قاله الألباني».

(٥) مسلم، وأبو عوانة.

وإما «ملء السموات و[ملء] الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»[1]

وتارة يضيف إلى ذلك قوله:

«أهل الثناء والمجد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[2] .

وتارة تكون الإضافة:

«ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد [اللَّهم] لا مانع لما أعطيت [ولا معطي لما منعت] ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[3] .

«ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه [مباركًا عليه، كما يحب ربنا ويرضى]»[4] .

* * *

(١، ٢) مسلم، وأبو عوانة.

(٣) أبو داود، والنسائي بسند صحيح.

(٤) مالك، والبخاري، وأبو داود. انظر: «صفة صلاة النبي ﷺ» ص(٨١).

هديه ﷺ في سجوده وأذكار السجود

طول سجوده:

عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول اللَّه ﷺ كان يصلي إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة[١] .

وكان سجوده نحواً من قيامه من الركوع.

أذكار السجود عامة:

«**سبحان ربي الأعلى**» (ثلاث مرات)[٢] وكان أحيانًا يكررها أكثر من ذلك وكان يبالغ في تكرارها في سجوده في صلاة الليل.

«**سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثًا**»[٣] .

«**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**».

«**سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك، اللَّهم اغفر لي**».

عن عائشة كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللَّهم ربنا وبحمدك اللَّهم اغفر لي يتأول القرآن**»[٤] .

---

(١) البخاري (ج٣) كتاب التهجد باب: طول السجود في قيام الليل.

(٢) أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني في «الكبير»، والطحاوي، والبزار، والدارقطني.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود، وأحمد في «مسنده»، والبيهقي، والطبراني، وصححه الألباني.

(٤) البخاري، ومسلم.

«اللَّهم لك سجدت، وبك آمنت، ولـك أسلمت، [وأنت ربي] سجد وجهي للذي خلقه وصـوره [فأحسن صوره]، وشق سمعه وبصره، [فـ] تـبارك اللَّه أحسن الخالقين»[(١)]

«اللَّهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسرّه»[(٢)]

«سجد لك سوادي وخـيالي، وآمن بك فؤادي، وأبوء بنعمـتك عليّ، هذي يدي وما جنيت على نفسي»[(٣)] .

وورد في ذكـره في سجـوده ليـلاً الأذكار التـالية ولا يـنفـي ذلك مشروعية هذه الأوراد في «الفرض» لعدم وجـود الفرق بينه وبين النفل، وبهذا يـقول الشافعـي وأحمد وإسحاق يرون أن هـذا جائز في المكـتوبة والتطوع، كما حكاه الترمذي وذهب إلى مشروعية ذلك الإمام الطحاوي أيضًا في «مشكل الآثار». . . والنظر الـصحيح يؤيد ذلك؛ لأنه ليس في الصلاة مكان لا يشرع فيه ذكر، فينبغي أن يكون كذلك الأمر ههنا وهذا بيّن لا يخفى[(٤)] :

«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة».

«اللَّهـم [إني] أعوذ برضاك مـن سخطك، و[أعوذ] بمعـافاتك من عقـوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[(٥)] .

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: فقدت رسول اللَّه ﷺ ليلة

(١) مسلم، وأبو عوانة، والطحاوي، والدارقطني.

(٢) مسلم، وأبو عوانة.

(٣) ابن نصر، والبزار، والحاكم، وصححه، انظر: «صفة صلاة النبي ﷺ».

(٤) «صفة صلاة النبي ﷺ» ص(٨٧).

(٥) مسلم، وأبو عوانة، وابن أبي شيبة في «المصنف».

من الفراش فالتمسته، فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «**اللَّهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[١] .

*قال الخطابي: «في هذا معنى لطيف، وذلك أنه استعاذ باللَّه تعالى وسأله أن يجيره برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، والرضاء والسخط ضدان متقابلان، وكذلك المعافاة والعقوبة، فلما صار إلى ذكر ما لا ضد له وهو اللَّه سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير، ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه. وقوله: «**لا أحصي ثناءً عليك**»، أي: لا أطيقه ولا آتي عليه، وقيل: لا أحيط به، وقال مالك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: معناه لا أحصي نعمتك وإحسانك والثناء عليك وإن اجتهدت في الثناء عليك.

وقوله: «**أنت كما أثنيت على نفسك**»: اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين، فوكل ذلك إلى اللَّه المحيط بكل شيء»[٢] ا.هـ.

«**سبحانك [اللَّهم] وبحمدك، لا إله إلا أنت**»[٣] .

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «فقدت رسول اللَّه ﷺ من مضجعه فجعلت ألتمسه، وظننت أنه أتى بعض جواريه، فوقعت يدي عليه وهو ساجد وهو يقول: «**اللَّهم اغفر لي ما أسررت**

---

(١) «صحيح مسلم» باب: ما يقول في الركوع والسجود رقم (١١٨).
(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢ ص١٢٣، ١٢٤).
(٣) جزء من حديث في «صحيح مسلم»، وأبي عوانة، والنسائي، وابن نصر.

وما أعلنت» [١].

عن ابن عباس قال: «بت عند خالتي ميمونة بنت الحارث، وبات رسول اللَّه ﷺ عندها، فرأيته قام لحاجته، فأتى القربة فحلّ شناقها، ثم توضأ وضوءًا بين الوضوءين، ثم أتى فراشه، فنام، ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحلّ شناقها ثم توضأ وضوءًا هو الوضوء، ثم قام يصلي، وكان يقول في سجوده: «**اللَّهم اجعل في قلبي نورًا [وفي لساني نورًا]، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من تحتي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، واجعل أمامي نورًا، واجعل خلفي نورًا، وأعظم لي نورًا**» وفي لفظ مسلم «**واجعلني نورًا**» [٢].

عن عائشة قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يقول في صلاة الليل في سجوده:

«**سبحانك لا إله إلا أنت**» [٣].

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء**» [٤].

قال الحافظ في «الفتح»:

«الأمر بإكثار الدعاء في السجود يشمل الحث على تكثير الطلب

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبي شيبة، والنسائي، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي حديث (١١٩).

(٢) رواه مسلم، وأبو عوانة، وابن أبي شيبة في «المصنف»، والنسائي واللفظ له سوى ما بين القوسين.

(٣) أحمد في «مسنده» ورجاله ثقات.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وأحمد، والبيهقي، وأبو عوانة.

لكل حاجة، ويشمل التكرار للسؤال الواحد»[١] ا. هـ.

أذكار ما بين السجدتين

مر بك أحاديث مطولة ورد فيها ذكر ما بين السجدتين.

عن حذيفة أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين:

«**رب اغفر لي، رب اغفر لي**»[٢].

عن ابن عباس قال: «بت عند خالتي ميمونة قال: فانتبه رسول اللَّه ﷺ من الليل... فذكر الحديث، قال: ثم ركع، قال: فرأيته قال في ركوعه: «**سبحان ربي العظيم**»، ثم رفع رأسه، فحمد اللَّه ما شاء أن يحمده، قال: ثم سجد، قال: فكان يقول في سجوده: «**سبحان ربي الأعلى**»، قال: ثم رفع رأسه فكان يقول فيما بين السجدتين: «**رب اغفر لي وارحمني، واجبرني، وارفعني، وارزقني واهدني**»[٣].

وقد ورد الذكر بألفاظ عدة:

* «**اللَّهم [رب] اغفر لي، وارحمني، [واجبرني]، و[ارفعني]، واهدني[وعافني وارزقني]**».

«**اللَّهم اغفر لي وارحمني، واجبرني واهدني وارزقني**» عند الترمذي.

---

(١) «فتح الباري» (ج٢ ص٣٠٠).

(٢) رواه ابن ماجه، وقال الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ»: إسناده حسن.

(٣) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، وابن ماجه، والبيهقي: وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير»: فيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه، وقال صاحب «تحفة الأحوذي»: إن لم يصح فهو حسن، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: الحديث رقم (٣٥١٤) في «المسند».

«اللَّهم اغفر لي وعافني وارزقني واهدني» عند أبي داود.

«اللَّهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني وارفعني» عند ابن ماجه.

«اللَّهم اغفر لي واجبرني وارحمني وارفعني، وارزقني واهدني» عند الحاكم.

* * *

هديه ﷺ في القيام والقعود في صلاة الليل

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

«كانت صلاته ﷺ بالليل ثلاثة أنواع:

أحدها: وهو أكثرها: صلاته قائمًا.

الثاني: أنه كان يُصلي قاعدًا، ويركع قاعدًا.

الثالث: أنه كان يقرأ، فإذا بقي يسير من قراءته، قام فركع قائمًا، والأنواع الثلاثة صحت عنه»(١) ا.هـ.

واليك الأحاديث في ذلك:

عن عبد اللَّه بن شقيق قال: قلت لعائشة: «هل كان النبي ﷺ يصلي وهو قاعد؟ قالت: نعم، بعد ما حَطَمه الناس»(٢).

«المعنى: حطم فلانًا أهله إذا كبر فيهم، كأنه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صيروه شيخًا محطومًا والحطم الشيء اليابس»(٣).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته «أن النبي ﷺ لم يمت حتى كان كثير من صلاته وهو جالس»(٤).

عن عروة عن عائشة قالت: «لمّا بدّن رسول اللَّه ﷺ وثَقُل كان

---

(١) «زاد المعاد» طبع مؤسسة الرسالة (ج١ ص٣٣١، ٣٣٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا.

(٣) «صحيح مسلم» (ج٢) شرح باب جواز النافلة ص(٢٨٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، وفي «الشمائل» للترمذي بسند صحيح.

أكثر صلاته جالسًا »[1] .

قال النووي: «قال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ : قال أبو عبيد في تفسير هذا الحديث: بدّن الرجل بفتح الدال المشددة تبدينًا إذا أسنَّ . قال أبو عبيد: ومن رواه «بدُن» بضم الدال المخففة فليس له معنى هنا، لأن معناه كثر لحمه وهو خلاف صفته ﷺ ، يقال: بدن يبدن بدانة. وأنكر أبو عبيد الضم .

قال القاضي: روايتنا في مسلم عن جمهورهم «بدُن» بالضم، وعن العذري بالتشديد وأراه إصلاحًا، قال: ولا ينكر اللفظان في حقه ﷺ ففي حديث عائشة في «مسلم»: فلمّا أسنّ رسول اللَّه ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع، وفي حديث آخر «ولحم» وفي آخر «أسنّ وكثر لحمه» وفي وصفه «بادن متماسك» هذا كلام القاضي، والذي ضبطناه ووقع في بلادنا التشديد واللَّه أعلم» ا.هـ.

عن حفصة أنها قالت: «ما رأيت رسول اللَّه ﷺ صلّى في سُبْحَته قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدًا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[2] وفي رواية أخرى «بعام أو اثنين».

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا.

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، و«الموطأ» في صلاة الجماعة باب: ما جاء في صلاة القاعد في النافلة.

(فائدة): في الحديث في «مسلم» لطيفة في الإسناد ففيه ثلاثة من الصحابة يروي بعضهم عن بعض: السائب بن يزيد عن المطلب بن وداعة عن حفصة ـ رضي اللَّه عنها ـ «ا.هـ.

* عن جابر بن سَمُرة: «أن النبي ﷺ لم يمت حتى صلّى قاعدًا» وكان رسول اللَّه ﷺ يصلي قاعدًا سواء مرض أم لم يمرض.

عن عبد اللَّه بن أبي قيس قال: قالت عائشة:

«لا تدع قيام الليل فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يدعه، وكان إذا مرض أو كسل صلّى قاعدًا»(١).

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: ما رأيت رسول اللَّه ﷺ يقرأ في شيء من صلاة الليل جالسًا حتى إذا كَبرَ قرأ جالسًا حتى إذا بقي عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع»(٢).

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ: «كان يصلي جالسًا فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك»(٣).

وزاد البخاري: «فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معي، وإن كنت نائمة اضطجع».

عن عَمْرَة عن عائشة قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يقرأ وهو قاعد، فإذا أراد أن يركع قام قدر ما يقرأ الإنسان أربعين آية»(٤).

عن علقمة بن وقاص قال: قلت لعائشة: كيف كان يصنع

---

(١) **صحيح**: سبق تخريجه.

(٢) البخاري، ومسلم، واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا.

(٣) البخاري، ومسلم، واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا.

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا.

رسول اللَّه ﷺ في الركعتين وهو جالس . قالت: «كان يقرأ فيهما فإذا أراد أن يركع قام فركع»[1] .

فوائد من الأحاديث:

* إباحة التطوع جالسًا وإن لم يكن بالمرء مرض وهو إجماع العلماء.

قال ابن حجر في «الفتح» عن قول عائشة: «من صلاة الليل . . . حتى أسن وكبر» .

[قال ابن التين: قيدت عائشة ذلك بصلاة الليل لتخرج الفريضة . و«حتى أسنّ» لتعلم أنه إنما فعل ذلك إبقاءً على نفسه ليستديم الصلاة وأفادت أنه كان يديم القيام، وأنه كان لا يجلس عما يطيقه من ذلك .

* جواز إيقاع بعض الصلاة قاعدًا، وبعضها قائمًا في صلاة الليل، وجواز القعود في أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائمًا، كما يباح له أن يفتتحها قاعدًا ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين .

* قولها: «فإذا بقي من قراءته»، قال الحافظ ابن حجر: «فيه إشارة إلى أن الذي كان يقرأه قبل أن يقوم أكثر، لأن البقية تطلق في الغالب على الأقل وفي هذا الحديث أنه لا يشترط لمن افتتح النافلة قاعدًا أن يركع قاعدًا، أو قائمًا أن يركع قائمًا»[2] .

* وفي الحديث كما قال النووي: «دليل على استحباب تطويل القيام

---

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٢) البخاري كتاب «تقصير الصلاة» شرح باب: إذا صلى قاعدًا ثم صح من «فتح الباري» .

في النافلة، وأنه أفضل من تكثير الركعات في ذلك الزمان»[١] وهو مذهب الشافعي .

عن عبد اللَّه بن شقيق عن عائشة قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ يصلي ليلاً طويلاً، فإذا صلّى قائمًا ركع قائمًا، وإذا صلى قاعدًا ركع قاعدًا» وفي لفظ آخر: «يصلي ليلاً طويلاً قائمًا» .

* عن عبد اللَّه بن شقيق قال: سألت عائشة عن صلاة رسول اللَّه ﷺ بالليل فقالت: «كان يصلي ليلاً طويلاً قائمًا، وليلاً طويلاً قاعدًا، وكان إذا قرأ قائمًا، ركع قائمًا، وإذا قرأ قاعدًا ركع قاعدًا»[٢] .

وفي لفظ آخر:

* عن عبد اللَّه بن شقيق قال: سألنا عائشة عن صلاة رسول اللَّه ﷺ فقالت:

«كان رسول اللَّه ﷺ يكثر الصلاة قائمًا وقاعدًا، فإذا افتتح الصلاة قائمًا ركع قائمًا، وإذا افتتح الصلاة قاعدًا ركع قاعدًا» .

* قال ابن خزيمة في «صحيحه»:

« قد أنكر هشام بن عروة خبر عبد اللَّه بن شقيق؛ إذ ظاهره كان عنده خلاف خبره عن أبيه عن عائشة، وهو عندي غير مخالف لخبره؛ لأن في رواية خالد عن عبد اللَّه بن شقيق عن عائشة: «فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد»، فعلى هذه اللفظة هذا الخبر ليس بخلاف خبر عروة وعَمْرَة عن

(١) «شرح النووي لمسلم» (ج٢ ص٣٨٤، ٣٨٥).

(٢) مسلم باب: جواز الصلاة قائمًا وقاعدًا .

عائشة؛ لأن هذه اللفظة التي ذكرها خالد دالة على أنه كان إذا كان جميع القراءة قاعدًا ركع قاعدًا، وإذا كان جميع القراءة قائمًا ركع قائمًا، ولم يذكر عبد اللَّه بن شقيق صفة صلاته إذا كان بعض القراءة قائمًا وبعضها قاعدًا، وإنما ذكره عروة وأبو سلمة وعَمْرَة عن عائشة إذا كانت القراءة في الحالتين جميعًا بعضها قائمًا وبعضها قاعدًا، فذكر أنه كان يركع وهو قائم إذا كانت قراءته في الحالتين كلتيهما»[1] .

ثم تكلم الحافظ ابن خزيمة عن الحديث الأخير فقال: «هذا الخبر يبين هذه الأخبار كلها، فعلى هذا الخبر إذا افتتح الصلاة قائمًا ثم قعد وقرأ انبغى له أن يقوم فيقرأ بعض قراءته ثم يركع وهو قائم، فإذا افتتح صلاته قاعدًا قرأ جميع قراءته وهو قاعد، ثم ركع وهو قاعد اتباعًا لفعل النبي ﷺ» ا. هـ.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في تعليقه على حديث عروة عن عائشة: «فيه رد على من اشترط على من افتتح الصلاة النافلة قاعدًا أن يركع قاعدًا أو قائمًا أن يركع قائمًا، وهو محكي عن أشهب وبعض الحنفية والحجة فيه حديث عبد اللَّه بن شقيق عن عائشة .

وحديث عبد اللَّه بن شقيق صحيح، ولكن لا يلزم منه منع ما رواه عروة عنها، فيجمع بينهما بأنه كان يفعل كُلاً من ذلك بحسب النشاط وعدمه واللَّه أعلم»[2] .

* * *

(١) «صحيح ابن خزيمة» (ج١ ص ٢٤٠، ٢٤١).
(٢) «فتح الباري» (ج٣) كتاب «التهجد» شرح قيام النبي ﷺ في رمضان وغيره .

كيفية جلوسه إذا صلى قاعدًا:

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت:

«رأيت رسول اللَّه ﷺ يصلي متربعًا»[١] .

خاصية لرسول اللَّه ﷺ في القيام والقعود ليلاً:

عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال:

حُدِّثت أن رسول اللَّه ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة» قال: فأتيته فوجدته يصلي جالسًا، فوضعت يدي على رأسه، فقال: «**ما لك يا عبد اللَّه بن عمرو؟**» قلت: حُدِّثت يارسول اللَّه أنك قلت: صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة، وأنت تصلي قاعدًا، قال: «**أجل، ولكني لست كأحد منكم**»[٢] .

---

(١) **إسناده صحيح**: قال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير»: [رواه النسائي والدارقطني وابن حبان، والحاكم من حديث عائشة، قال النسائي: «ما أعلم أحدًا رواه غير أبي داود الحفري «وهو ثقة» ولا أحسبه إلا أخطأ» . وقد رواه ابن خزيمة والبيهقي من طريق محمد ابن سعيد الأصبهاني بمتابعة أبي داود فظهر أنه لا خطأ فيه؟ وروى البيهقي من طريق ابن عيينة عن ابن عجلان عن عامر بن عبد اللَّه بن الزبير عن أبيه: «رأيت النبي ﷺ يدعو هكذا؟ ووضع يديه على ركبتيه وهو متربع جالس» ورواه البيهقي عن حميد: رأيت أنسًا يصلي متربعًا على فراشه، وعلقه البخاري] ا.هـ. كلام الحافظ.

ولقد نحا الحافظ محمد بن نصر المروزي منحى النسائي وذهب في «قيام الليل» إلى خطأ الراوي .

وقال الألباني: « إسناده صحيح كما قال الحاكم والذهبي، تخطئة الثقة بالظن لا يجوز» انظر تحقيق «صحيح ابن خزيمة» (ج١) حديث رقم(١٢٣٨)، وقال الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ»: رواه عبد الغني المقدسي في «السنن» وابن خزيمة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مسلم باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

قال النووي: { هو من خصائص النبي ﷺ فجعلت نافلته قاعدًا مع القدرة على القيام كنافلته قائمًا تشريفًا له كما خص بأشياء معروفة }.

وقال القاضي عياض: « معناه أن النبي ﷺ لحقه مشقة من القيام لحطم الناس وللسن، فكان أجره تامًا بخلاف غيره ممن لا عذر له»

هذا كلامه وهو ضعيف باطل، لأن غيره ﷺ إن كان معذورًا فثوابه أيضًا كامل، وإن كان قادرًا على القيام فليس هو كالمعذور فلا يبقى فيه تخصيص فلا يحسن على هذا التقدير **«لست كأحد منكم»** وإطلاق هذا القول، فالصواب ما قاله أصحابنا أن نافلته ﷺ قاعدًا مع القدرة على القيام ثوابها كثوابها قائمًا وهو من الخصائص والله أعلم»}[1] ا.هـ. كلام النووي

* * *

(١) انظر «شرح صحيح مسلم » للنووي (ج٢ ص٣٨٦، ٣٨٧).

هديه ﷺ في القيام عند مرضه

مر بك أنه ﷺ قرأ وهو وجع بالسبع الطوال في ليلة، وذلك من اجتهاده ﷺ في العبادة وحرصه على قيام الليل، ومرت بك أحاديث صلاته قاعدًا . وكان ﷺ إذا مرض صلى قاعدًا وأحيانًا يترك القيام .

عن عبد اللَّه بن أبي موسى قال: قالت لي عائشة: «لا تدع قيام الليل فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يذره، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدًا»(١) .

عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: « عليكم بقيام الليل، فإن رسول اللَّه ﷺ كان لا يدعه، فإن مرض قرأ وهو قاعد، وقد عرفت أن أحدكم يقول بحسبي أن أقيم ما كتب لي، وأنّى له ذلك»(٢) .

قال الشيخ الساعاتي في «الفتح الرباني»:

«فيه الحث على قيام الليل والاهتمام به، والاقتداء برسول اللَّه ﷺ فيه، حيث لم يتركه مطلقًا (٣) حتى إن كان مريضًا أداه قاعدًا، فهذا رسول اللَّه ﷺ وقد غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لم يترك قيام الليل ونحن مع ارتكابنا للذنوب وتقصيرنا في الأعمال نتقاعد عن فعله، مع أننا لو صمنا النهار وقمنا الليل جميعه لم نبلغ عُشر

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» كتاب «أبواب صلاة التطوع بالليل». باب: استحباب صلاة الليل قاعدًا إذا مرض المرء أو كسل». وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه أبو داود .

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» وهو طرف من حديث طويل .

(٣) سيأتي الرد على ذلك .

معشار ما بلغه ﷺ من الدرجة والفضل، وأنى لنا ذلك؟ فيجدر بنا أن نسارع فنستبق إلى قيام الليل، لأننا أحوج إلى رحمة اللَّه تعالى ومغفرته»[1] .

* وأحيانًا كان يترك قيام الليل لوجعه أو مرضه .

عن جندب بن سفيان قال: « اشتكى رسول اللَّه ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فجاءته امرأة، فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، ولم أره قَربَك منذ ليلتين أو ثلاثة قال: فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿ **وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى** ﴾[2] .

ولقد بوّب البخاري ـ رحمه اللَّه ـ : في تركه ﷺ للقيام فقال في كتاب«التهجد» باب: «ترك القيام للمريض» وهناك دليل آخر على تركه ﷺ أحيانًا للقيام أثناء مرضه سنذكره فيما بعد إن شاء اللَّه تعالى.

* * *

(١) «الفتح الرباني» (ج٤ ص٢٣٧) .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي واللفظ لمسلم كتاب الجهاد باب: « ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين » (ج٤ ص٤٤٠)، وذكره البخاري في «صحيحه» في فضائل القرآن وذكره مختصرًا في التهجد .

هديه ﷺ في القيام في السفر

ما كان رسول اللَّه ﷺ ليترك قيام الليل في السفر.

عن حميد بن عبد الرحمن قال: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت ـ وأنا في سفر مع رسول اللَّه ﷺ ـ: واللَّه لأرقبنَّ رسول اللَّه ﷺ للصلاة حتى أرى فعله، فلما صلَّى صلاة العشاء وهي العتمة اضطجع هَوِيًا من الليل، ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم أهوى رسول اللَّه ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا، ثم أفرغ في قدح من إداوة عنده ماء فاستنّ ثم قام فصلى حتى قلتُ: قد صلى قدر ما نام، ثم اضطجع حتى قلت: قد نام قدر ما صلى، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة، وقال مثل ما قال، ففعل رسول اللَّه ﷺ ذلك ثلاث مرات قبل الفجر(١).

حديث ثوبان: «إن هذا السفر جهد»...

عن عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة أن أباه أخبره أنه رأى النبي ﷺ صلى السُبحَةَ بالليل في السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به(٢).

عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «رأيت رسول اللَّه

(١) **إسناده صحيح:** رواه النسائي في «سننه»، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم انظر: حديث رقم (١٢٠٩)، «مشكاة المصابيح»، وقال عبد القادر الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) رواه البخاري في الوتر في السفر، ومسلم في صلاة المسافرين باب: جواز النافلة على الدابة في السفر، وأحمد في «مسنده».

ﷺ إذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء، قال سالم: وكان عبد اللَّه يفعله إذا أعجله السير، ويقيم المغرب فيصليها ثلاثًا ثم يسلم، ثم قَلَّما يلبث حتى يقيم العشاء فيصليها ركعتين ثم يسلم، ولا يسبح بينهما بركعة، ولا بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل»[1] .

قال سالم: كان عبد اللَّه يصلي على دابته من الليل وهو مسافر ما يبالي حيثما كان وجهه: قال ابن عمر: وكان رسول اللَّه ﷺ يسبح على الراحلة قِبَل أي وجهٍ توجه. ويوتر عليها، غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة»[2] . ومن هذه الأحاديث نرى أن رسول اللَّه ﷺ كان يتهجد ويصلي الليل في السفر، ونفي التطوع في السفر ليس محمولاً على الوتر أو صلاة الليل، وأنه ﷺ كان يتطوع على الدابة.

قال الشافعي: ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتنفل ليلاً وهو يقصر.

قال الإمام ابن القيم في «زاد المعاد» (ج١ ص٤٧٥): «كان من هديه ﷺ التطوع على راحلته حيث توجهت به، وكان يومئ إيماءً برأسه في ركوعه وسجوده، وسجوده أخفض من ركوعه»[3] .

عن أنس: أن النبي ﷺ : «كان إذا أراد أن يتطوع في السفر

---

(١) البخاري ـ تقصير الصلاة. باب: هل يؤذن أو يقيم.

(٢) البخاري ـ تقصير الصلاة . باب: ينزل للمكتوبة.

(٣) انظر: ابن خزيمة حديث رقم (١٢٧٠)، وانظر: حديث رقم (١٣٤٦) «مشكاة المصابيح».

استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه»[١] .

ولقد استحب ذلك أحمد، وأبو ثور.

«وفي هذا الحديث نظر، وسائر من وصف صلاته ﷺ على راحلته أطلقوا أنه كان يصلي عليها قِبَل أي جهة توجهت به، ولم يستثنوا من ذلك تكبيرة الإحرام ولا غيرها، كعامر بن ربيعة، وعبد الله ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأحاديثهم أصح من حديث أنس هذا والله أعلم. وصلى على الراحلة وعلى الحمار»[٢] .

عن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ يصلي في السفر على راحلته حيث توجهت به، يومئ إيماءً صلاة الليل إلا الفرائض، ويوتر على راحلته»[٣] . وعلى هديه سار أصحابه ﷺ من بعده ومن بعدهم من التابعين.

عن مجاهد قال: سافرت مع عبد الله بن عمر من مكة، فكان يصلي على راحلته الليل كله.

* عن عثمان بن عبد الله بن سراقة أنه رأى حفص بن عاصم يسبح في السفر ومعهم في ذلك السفر عبد الله بن عمر، فقيل: إن

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٣)، وأبو داود في الصلاة. باب: التطوع على الراحلة والوتر ورواه ابن حبان في «كتاب الثقات»، والضياء في «المختارة»، والدارقطني. وصححه غير واحد كما قال عبد القادر الأرناؤوط. وصححه ابن السكن، وابن الملقن وحسنه المنذري، وصححه الشيخ الألباني في «المشكاة» (١٣٤٥).

(٢) مسلم ـ باب: جواز صلاة النافلة على الدابة.

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري في الوتر. باب: الوتر في السفر، وباب: الوتر على الدابة، وكذا أخرجه النسائي في «القبلة»، باب: الحال التي يجوز عليها استقبال غير القبلة.

خالك ينهى عن هذا، فسألت ابن عمر، عن ذلك فقال: رأيت رسول اللَّه لا يصنع ذلك، لا يصلي قبل الصلاة ولا بعدها، قلت: أصلي بالليل؟ فقال: صلِّ بالليل ما بدا لك»[1] .

عن جابر قال: رأيت النبي ﷺ وهو على راحلته يصلي النوافل في كل وجه، ولكنه يخفض السجدتين من الركعتين ويومئ إيماء»[2] .

* * *

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» .. جماع أبواب صلاة التطوع في السفر حديث رقم (١٢٥٦)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (ج١ حديث رقم ١٢٧٠)، وأخرجه أبو داود، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وقال الألباني: إسناده صحيح.

نومه ﷺ في السحر

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: ما أَلْفى رسول اللَّه ﷺ السحر الأعلى في بيتي أو عندي إلا نائمًا[١].

وعند الإسماعيلي: «ما ألفى النبي ﷺ عندي بالأسحار إلا وهو نائم» ولم يذكر البخاري لفظ الأعلى.

ألفاه: أي: وجده.

قال الحافظ ابن حجر: «المراد نومه بعد القيام الذي مبدؤه عند سماع الصارخ جمعًا بينه وبين رواية مسروق التي قبلها» ا.هـ.

وقال أيضًا الحافظ ابن حجر:

«قال ابن التين: (قولها) إلاّ نائمًا تعني: مضطجعًا على جنبه؛ لأنها قالت في حديث آخر: «فإن كنت يقظانة حدثني وإلا اضطجع» وتعقبه ابن رشد بأنه لا ضرورة لحمل هذا التأويل؛ لأن السياق ظاهر في النوم حقيقة وظاهر في المداومة على ذلك، ولا يلزم من أنه ربما لم ينم وقت السحر هذا التأويل، فدار الأمر بين حمل النوم على مجاز التشبيه، أو حمل التعميم على إرادة التخصيص، والثاني أرجح وإليه مال البخاري؛ لأنه ترجم بقوله: «من نام عند السحر» ثم ترجم عقبه بقوله: «من تسحر فلم ينم».

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، واللفظ له، وأبو داود، والنسائي ـ البخاري كتاب التهجد باب: من نام السحر، ومسلم كتاب صلاة المسافرين. باب: عدد ركعات النبي ﷺ

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: «أن نبي الله ﷺ وزيد ابن ثابت ـ رضي الله عنه ـ تسحرا، فلما فرغا من سحورهما قام نبي الله ﷺ إلى الصلاة فصلى. قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية».

فأومأ إلى تخصيص رمضان من غيره، فكأن العادة جرت في جميع السنة أنه كان ينام عند السحر إلا في رمضان فإنه كان يتشاغل بالسحور في آخر الليل، ثم يخرج إلى الصلاة عقبه.

وقال ابن بطال: النوم وقت السحر كان يفعله النبي ﷺ في الليالي الطوال وفي غير شهر رمضان، كذا قال: ويحتاج في إخراج الليالي القصار إلى دليل»[1] انتهى كلام الحافظ.

ونوم السحر هو هدي نبي الله داود عليه السلام ففي الحديث .. و«ينام سدسه»، وذلك كما قال الحافظ: أرفق للبدن؛ لأنه يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، ويريح البدن، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم، بخلاف السهر إلى الصباح وفيه من المصلحة استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال، وأنه أقرب إلى عدم الرياء؛ لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفي عمله على من يراه وأشار إلى ذلك ابن دقيق العيد»ا.هـ.

---

(١) «فتح الباري» شرح باب: من نام السحر (ج٣ ص١٨)، وأحمد في «مسنده».

خاصية لرسول اللَّه ﷺ في نومه:

عن عائشة قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلي ولا يتوضأ»[١].

عن أنس أن النبي ﷺ: «كان تنام عيناه ولا ينام قلبه»[٢].

عن ابن عباس أن رسول اللَّه ﷺ: «نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ»[٣].

وفي حديث له ﷺ: **«يا عائشة إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي»**[٤].

قال النووي: «هذا من خصائص الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم، ومر في حديث نومه ﷺ في الوادي، فلم يعلم فوات وقت الصبح حتى طلعت الشمس، وأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين لا بالقلب، وأما أمر الحدث ونحوه فمتعلق بالقلب، وأنه قيل إنه في وقت ينام قلبه، وفي وقت لا ينام فصادف الوادي نومه، والصواب الأول»[٥] ا.هـ.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب: الوضوء من النوم، وصححه السيوطي. وقال المناوي: سنده صحيح، وقال مغلطاي: على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٩٣).

(٢) صحيح: رواه الحاكم عن أنس، وأحمد في «مسنده» عن ابن عباس. وقال الحاكم: على شرط مسلم، ورده الذهبي بأن يعقوب بن محمد الزهري ضعيف ولم يرو له مسلم، وصححه السيوطي، والألباني. انظر: «فيض القدير» (ج٥ ص١٦٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٤٦٨٢).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: «المسند» رقم (٣١٩٤).

(٤) رواه البخاري، ومسلم عن عائشة وكذا مالك، وأحمد، وأبو داود، والطحاوي.

(٥) «صحيح مسلم بشرح النووي» (ج٢ ص٣٩١، ٣٩٢).

* وفي حديث نوم ابن عباس عند خالته ميمونة قول ابن عباس: «فنام حتى نفخ ثم أتاه بلال فآذنه بالصلاة فخرج فصلى الصبح ولم يتوضأ».

صلاته ﷺ على فراشه وزوجه معترضة بين يديه:

عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كنت أنام بين يدي رسول اللَّه ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح»[1].

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «لقد كان رسول اللَّه ﷺ يقوم فيصلي من الليل، وإني لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله»[2].

* عن عروة أن النبي ﷺ كان يصلي وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذي ينامان عليه.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه، جُعلت قرة عينك في الصلاة فلم يشغلك عنها شيء من متاع الدنيا.

فعن عائشة قالت: «لقد رأيتني مضطجعة على السرير فيجيء النبي ﷺ فيتوسط السرير فيصلي فأكره أن أسنحه[3] فأنسل من قبل رجلي السرير حتى أنسل من لحافي. والمراد أنه كان يصلي إلى السرير، أي: أسفل منه والسرير بينه وبين القبلة.

(١، ٢) رواه البخاري كتاب الصلاة (ج١) باب: الصلاة على الفراش، وباب: الصلاة خلف النائم، وباب: الصلاة خلف المرأة، وباب: الصلاة إلى السرير.

(٣) أن أظهر له من قدامه.

صلاته ﷺ القيام جماعة أحيانًا:

وذلك ثابت في هديه، وقيام بعض أصحابه معه مثل ابن عباس وحذيفة وعبد اللَّه بن مسعود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى، ولقد حث الرجل على قيام الليل مع أهله ودعا بالرحمة لهما وأخبر أنهما إن صليا كتبا من الذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات.

عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ قام من الليل يصلي، فقمت فتوضأت فقمت عن يساره فجذبني فجرني فأقامني عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء»[(١)].

«وسأل ابن جريج عطاءً: أيصلي القوم بصلاة الرجل في التطوع فإن ابن عباس قد صلى إلى جنب النبي ﷺ متطوعًا؟ قال: أجل.

قال محمد بن نصر: وكره أصحاب الرأي أن يصلى التطوع في جماعة ما خلا قيام رمضان، وصلاة كسوف الشمس، وذلك خلاف السنة، فقد ثبت عن رسول اللَّه ﷺ أنه صلى التطوع جماعة في غير شهر رمضان ليلاً ونهارًا وفعل ذلك جماعة من أصحابه من بعده.

* عن هشام بن عروة: رأيت عبد اللَّه بن الزبير يؤمهم في المسجد الحرام بالنوافل ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح يرون أن ذلك حسن.

* قال هشام: إن الإمام كان يؤمهم في المكتوبة ثم يدخل الدار

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر: «المسند» حديث رقم (٢٢٧٦).

فيسبح[1] ويسبحون بصلاته وهو يؤمهم وكان عروة يفعل ذلك ويراه حسنًا.

قال محمد بن نصر: وفي الباب أحاديث كثيرة.... وسئل مالك عن الرجل يؤم الرجل في النافلة قال: ما أرى بذلك بأسًا»[2] ا.هـ.

* ولقد بوب الإمام البخاري في التهجد فقال: «باب: صلاة النوافل جماعة. ثم أورد أحاديث قال الحافظ ابن حجر بعدها: «وفي الحديث فوائد كثيرة، فيه ما ترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة. وروى وهب عن مالك: أنه لا بأس أن يؤم النفر في النافلة، فأما أن يكون مشتهرًا ويجمع له الناس فلا»[3] ا.هـ.

صلاته ﷺ بعد العشاء ركعات أحيانًا:

وأحيانًا كان ﷺ يصلي ركعات بعد العشاء قبل نومه فقد ثبت: «أن النبي ﷺ كان إذا صلى العشاء ورجع إلى بيته صلى أربع ركعات»[4].

عن عائشة قالت: «ما صلى رسول اللَّه ﷺ العشاء قط فدخل عليّ إلاّ صلّى أربع ركعات أو ست ركعات، ولقد مطرنا مرة بالليل

---

(١) أي: يصلي.

(٢) «مختصر قيام الليل» للسمرقندي ص(٩١، ٩٢).

(٣) «فتح الباري» (ج٣ ص٦٢).

(٤) قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ج١ ص٢٢٤) حديث رقم (٥٨٩): حديث صحيح: ثبت ذلك من حديث ابن عباس وغيره في «صحيح البخاري» وغيره وهو مخرج في «صحيح أبي داود» (١٢١٦ ـ ١٢١٨ ـ ١٢٤٨).

فطرحنا له نطعًا فكأني أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه، وما رأيته متقيًا الأرض بشيء من ثيابه قط»[١] قال صاحب «عون المعبود»: «قال القاري: «وقال الزرقاني في «شرح المواهب»: قالت عائشة: ما صلّى رسول اللَّه ﷺ العشاء قط فدخل بيتي إلا صلى أربع ركعات» أي: تارة، أو ست ركعات أي: أخرى فليست «أو» للشك، وفي «مسلم»: قالت: «ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين»، وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين. ومفاد الأحاديث أنه كان بحسب ما تيسر له ركعتين أو أربعًا أو ستًا إذا دخل بيته بعد العشاء»[٢] ا. هـ.

صلاته ﷺ لركعتين بعد الوتر وهو جالس:

عن أبي سلمة قال: سألت عائشة عن صلاة رسول اللَّه ﷺ فقالت: «كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات، ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح»[٣].

وفي جزء من حديث لها عند مسلم: «كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه اللَّه ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس فيها إلا في الثامنة فيذكر اللَّه ويحمده ويدعوه، ثم ينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر اللَّه ويحمده ويدعوه ثم

---

(١) رواه أبو داود حديث رقم (١٢٨٩)، وأشار الألباني إلى صحته.

(٢) «عون المعبود» (ج٤ ص١٨٦) شرح الحديث (١٢٨٩).

(٣) رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين باب: صلاة الليل والوتر، وكذا رواه أبو داود، والنسائي، وابن خزيمة.

يسلم تسليمًا يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلمّا أسنَّ نبي اللَّه ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع، وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنيّ».

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يوتر بواحدة، ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس، فإذا أراد أن يركع قام فركع»[1].

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: زرت خالتي ميمونة فوافقت ليلة النبي ﷺ فقام رسول اللَّه ﷺ بسحر طويل، فأسبغ الوضوء، ثم قام يصلي فقمت فتوضأت ثم جئت إلى جنبه، فلما علم أني أريد الصلاة معه أخذ بيدي فحوّلني عن يمينه، فأوتر بتسع أو سبع، ثم صلى ركعتين، ووضع جنبه حتى سمعت ضفيزه[2] ثم أقيمت الصلاة فانطلق فصلى»[3].

قال الإمام ابن خزيمة: «هاتان الركعتان اللتان ذكرهما ابن عباس في هذا الخبر يحتمل أن يكون أراد الركعتين اللتين كان النبي ﷺ يصليهما بعد الوتر كما أخبرت عائشة، ويحتمل أن يكون أراد بهما ركعتي الفجر

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه ابن ماجه في «سننه» ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب: ما جاء في الركعتين بعد الوتر جالسًا، وقال في «زوائد ابن ماجه»: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) ضفيزه: أي: غطيطه كما جاء في «لسان العرب».

(٣) **إسناده صحيح**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه» ـ أبواب ذكر الوتر ـ باب: الرخصة في الصلاة بعد الوتر، وقال الدكتور مصطفى الأعظمي: إسناد صحيح، انظر: حديث رقم (١١٠٣) «صحيح ابن خزيمة».

اللتين كان يصليهما قبل صلاة الفريضة»[١] ، ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ بعد هذا الكلام ببابين: «باب ذكر الدليل على أن الصلاة بعد الوتر مباحة لجميع من يريد الصلاة بعده، وأن الركعتين اللتين كان النبي ﷺ يصليهما بعد الوتر لم يكونا خاصة للنبي ﷺ دون أمته، إذ إنه ﷺ قد أمرنا بالركعتين بعد الوتر أمر ندب وفضيلة لا أمر إيجاب وفريضة»[١]، ثم ذكر الحديث الآتي:

عن ثوبان مولى رسول اللَّه ﷺ قال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في سفر فقال: «**إن هذا السفر جهد وثقل، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين فإن استيقظ وإلا كانتا له**»[٢] .

قال الألباني بعد ذكره لكلام ابن خزيمة تعليقًا على حديث ثوبان:

«وهذه فائدة هامة استفدناها من هذا الحديث، وقد كنا من قبل مترددين في التوفيق بين صلاته ﷺ الركعتين وبين قوله: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**» وقلنا في التعليق على «صفة الصلاة»: «والأحوط تركهما اتباعًا للأمر واللَّه أعلم». وقد تبين لنا من هذا الحديث أن الركعتين بعد الوتر ليستا من خصوصياته ﷺ ، لأمره ﷺ بهما أمته أمرًا عامًا، فكأن المقصود بالأمر بجعل آخر صلاة الليل وترًا أن لا يهمل

(١) «صحيح ابن خزيمة» (ج٢ ص١٥٨، ١٥٩).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه ابن خزيمة في «صحيحه»، والدارقطني، وابن حبان، والدارمي، وفيه: «**إن هذا السهر جهد**»، وقال الهيثمي في «الزوائد» (٢/ ٢٤٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط، وفيه عبد اللَّه بن صالح كاتب الليث وفيه مقال انظر: «موارد الظمآن» حديث (٦٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٩٣)، وقال مصطفى الأعظمي: إسناده صحيح لغيره.

الإيتار بركعة فلا ينافيه صلاة ركعتين بعدهما لما ثبت من فعله وأمره والله أعلم»[1] ا. هـ. كلام الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ.

* عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «أنه قام من الليل فاستنَّ، ثم صلى ركعتين، ثم نام، ثم قام فاستنَّ وتوضأ وصلى ركعتين حتى صلى ستًا، ثم أوتر بثلاث وصلى ركعتين»[2].

* عن أبي أمامة: أن النبي ﷺ «كان يصليهما بعد الوتر وهو جالس، يقرأ فيهما ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[3]».

وعند ابن نصر في «قيام الليل» عن أبي أمامة قال: «كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع، حتى إذا بدُن وكثر لحمه أوتر بسبع وصلي ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.

* قال النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لحديث «ثم يصلي ركعتين وهو جالس . . .» الحديث:

«هذا الحديث أخذ بظاهره الأوزاعي وأحمد فيما حكاه القاضي عنهما، فأباحا ركعتين بعد الوتر جالسًا، وقال أحمد: لا أفعله ولا أمنع من فعله. قال: وأنكره مالك . قلت: والصواب أن هاتين الركعتين فعلهما ﷺ بعد الوتر جالسًا لبيان جواز الصلاة بعد الوتر، وبيان

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (ج٤ ص٦٤٧)..

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح انظر: حديث رقم (٣٢٧١) نحوه.

(٣) **إسناده حسن**: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٠)، والبيهقي، وابن نصر بسند حسن كما قاله الألباني في «صفة صلاة النبي ﷺ»، وعبد القادر الأرناؤوط في «التعليق» على (ج٤) من «شرح السنة» ص(٩٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في «الكبير»، وأحمد ورجال أحمد ثقات.

جواز النفل جالسًا، ولم يواظب على ذلك، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة، ولا تغتر بقولها: «كان يصلي» فإن المختار الذي عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين أن لفظة (كان) لا يلزم منها الدوام ولا التكرار وإنما هي فعل ماض يدل على وقوعه مرة، فإن دل دليل على التكرار عمل به، وإلاّ فلا تقتضيه بوضعها . وإنما تأولنا حديث الركعتين جالسًا؛ لأن الروايات المشهورة في «الصحيحين» وغيرهما عن عائشة مع روايات خلائق من الصحابة في «الصحيحين» مصرحة بأن آخر صلاته ﷺ في الليل كان وترًا فكيف يظن به ﷺ مع هذه الأحاديث وأشباهها أنه يداوم على ركعتين بعد الوتر ويجعلهما آخر صلاة الليل؟ وإنما معناه ما قدمناه من بيان الجواز وهذا الجواب هو الصواب، وأما ما أشار إليه القاضي عياض من ترجيح الأحاديث المشهورة، ورد رواية الركعتين جالسًا فليس بصواب؛ لأن الأحاديث إذا صحت وأمكن الجمع بينها تعين، وقد جمعنا بينها ولله الحمد»[1] ا.هـ. كلام النووي.

* وقال الحافظ في «الفتح»: «اختلف السلف في مشروعية ركعتين بعد الوتر من جلوس». ثم ساق حديث عائشة وقال: «وقد ذهب إليه بعض أهل العلم وجعلوا الأمر في قوله: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**» مختصًا بمن أوتر آخر الليل، وأجاب من لم يقل ذلك بأن الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر، وحمله النووي على أنه ﷺ فعله لبيان جواز النفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسًا»[2] ا.هـ.

---

(١) «شرح مسلم» (٢/ ٣٩٢).

(٢) «فتح الباري» كتاب الوتر شرح أحاديث باب: ما جاء في الوتر.

* قال الإمام الحافظ ابن القيم:

«وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يُصلي بعد الوتر ركعتين جالسًا تارة، وتارة يقرأ فيهما جالسًا فإذا أراد أن يركع قام فركع» ثم ساق حديث عائشة وقال: وفي «المسند» عن أم سلمة: «أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس»[1]، ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ بعد ذكره الأحاديث: «وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضًا لقوله ﷺ: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**» وأنكر مالك ـ رحمه اللَّه ـ هاتين الركعتين، وقال أحمد: لا أفعله، ولا أمنع من فعله، قال: وأنكره مالك، وقالت طائفة: إنما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر، وأن فعله لا يقطع التنفل، وحملوا قوله: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا**» على الاستحباب، وصلاة الركعتين بعده على الجواز والصواب أن يقال: إن هاتين الركعتين تجريان مجرى السنة وتكميل الوتر، فإن الوتر عبادة مستقلة، ولا سيما إن قيل بوجوبه، فتجري الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فإنه وتر النهار والركعتان بعدها تكميل لها، فكذلك الركعتان بعد وتر الليل واللَّه أعلم»[2] ا.هـ. كلام ابن القيم وستأتي زيادة بيان في «فقه القيام».

قضاؤه ﷺ للتهجد إن نام عنه أو مرض:

عن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ: «كان إذا فاتته الصلاة من الليل

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/٢٩٨ ـ ٢٩٩) ورجاله ثقات قاله الأرناؤوط في التعليق على «شرح السنة».

(٢) «زاد المعاد» طبع مؤسسة الرسالة (ج١ ص٣٣٢ ـ ٣٣٣).

من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»(١) .

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من نهار ثنتي عشرة ركعة، قالت: وما رأيت رسول اللَّه ﷺ قام ليلة حتى الصباح، وما صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان»(٢) .

* ومن حديث لها عند مسلم: «كان نبي اللَّه ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة. .» الحديث.

* ولها عند الترمذي: «كان النبي ﷺ إذا لم يصلّ من الليل منعه من ذلك النوم، أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»(٣).

قال صاحب «تحفة الأحوذي»: «أي: فيما بين صلاة الفجر والظهر، وفيه دليل على استحباب المحافظة على الصلاة، وحث على ذلك أمته، وبيّن الوقت الذي يقضي فيه صلاة التهجد» ا.هـ.

متى يقضي من نام عن حزبه من الليل؟

عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل»**(٤) .

---

(١) رواه مسلم واللفظ له، والترمذي في الصلاة من «الجامع» وفي «الشمائل»، والنسائي.

(٢) رواه مسلم واللفظ له، وكذا رواه أبو داود.

(٣) الترمذي في «الجامع» ـ كتاب الصلاة باب منه، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب صلاة المسافرين باب: من نام عن صلاة الليل أو مرض=

«وفيه استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضى» كما قال النووي.

قال صاحب «عون المعبود»: «والحديث يدل على مشروعية اتخاذ ورد في الليل وعلى مشروعية قضائه، إذا فات لنوم أو عذر من الأعذار، وأن من فعله فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كان كمن فعله في الليل، وفيه استحباب قضاء التهجد إذا فاته من الليل، ولم يستحب أصحاب الشافعي قضاءه، إنما استحبوا قضاء السنن الرواتب» قاله الشوكاني.

(كتب له): قال القرطبي: هذا الفضل من اللَّه تعالى، وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام اهـ. كلام صاحب «عون المعبود».

* أمَّا ما جاء فيمن كانت له صلاة بالليل وغلبه عليها النوم، وأنها تكتب له أجر صلاته فلا تعارض بينها وبين القضاء فكما قال صاحب «عون المعبود»: «ما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة، ولمضاعفة الأجر واللَّه أعلم».

قال السيوطي: «من نام عن حزبه» أي: من نام في الليل عن ورده، والحمل على الليل بقرينة النوم ويشهد له آخر الحديث، وهو قوله: «ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر» ثم الظاهر أنه تحريض على المبادرة، ويحتمل أن فضل الأداء مع المضاعفة مشروط بخصوص الوقت، وفي الحديث دليل على أن النوافل تقضى».

= واللفظ له، ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي، وابن خزيمة.

وقال السيوطي - رحمه الله - «الحزب: هو الجزء من القرآن يصلى به»[١] ا. هـ.

اجتهاده ﷺ في القيام:

عن المغيرة بن شعبة: «أن النبي ﷺ صلّى حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلَّفُ هذا وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**[٢].

وعند مسلم بلفظ آخر: «قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه، قالوا: قد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**.

وعند البخاري: «إنْ كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلي - حتى تَرِمَ قدماه - أو ساقاه - فيقول: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**.

عن عائشة قالت: «كان رسول اللّه إذا صلى قام حتى تَفَطَّرَ رجلاه. قالت عائشة: يا رسول اللّه، أتصنع هذا وقد غُفِر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: **«يا عائشة، أفلا أكون عبداً شكوراً»**[٣].

وعند البخاري: «أن نبي اللّه ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر

---

(١) حاشية السيوطي على النسائي (ج٣ ص٢٥٩).

(٢) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، والترمذي والنسائي. رواه مسلم في كتاب المنافقين باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والبخاري في التهجد باب: «قيام النبي ﷺ الليل».

(٣) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له من كتاب صفات المنافقين باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، والبخاري تفسير سورة الفتح باب: ﴿ليغفر لك اللّه ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾.

قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا وقد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»، فلما كثر لحمه صلّى جالسًا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع».

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان رسول اللَّه ﷺ يصلي حتى تزّلع ـ يعني تشقق ـ قدماه»[1] .

«تفطر»: بتاء واحدة وفي رواية: «تتفطر» والفطور: الشقوق كذا ذكره أبو عبيدة في «المجاز».

قال النووي: تفطرت: تشققت، قالوا: ومنه فطر الصائم وأفطره؛ لأنه خرق صومه وشقه.

«حتى تَرِمَ»: بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم هكذا سمع وهو نادر.

«حتى تزلع»: قال الحافظ في «الفتح»:

«لا اختلاف بين هذه الروايات فإنه إذا حصل الانتفاخ أو الورم حصل الزلع والتشقق واللَّه أعلم».

«كثر لحمه»، وفي أخرى «بدن».

بدّن: بدُن بالتخفيف: إذا سمن، وبالتشديد، إذا كبر.

«**أفلا أكون عبداً شكوراً**» قال الحافظ: «الفاء للسببية، وهي عن محذوف تقديره أأترك تهجدي فلا أكون عبدًا شكورًا؟! والمعنى: أي: المغفرة سبب لكون التهجد شكرًا فكيف أتركه؟».

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه النسائي في قيام الليل باب: الاختلاف على عائشة في إحياء الليل.

قال ابن بطال: «وفي هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة وإن أضر ذلك ببدنه؛ لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار» ا. هـ.

ومحل ذلك، إذا لم يفض إلى الملال؛ لأن حال النبي ﷺ كانت كمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه، وإن أضرَّ ذلك ببدنه، بل صح أنه قال: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

قال القرطبي: ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة في العبادة أنه إنما يعبد اللَّه خوفًا من الذنوب وطلبًا للمغفرة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك، فأفادهم أن هناك طريقًا آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة، فمن كثر ذلك منه سمي شكورًا، ومِنْ ثَمَّ قال سبحانه وتعالى:

﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾.

قال العلماء: إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة اللَّه تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره، مع أن حقوق اللَّه أعظم من أن يقوم بها العباد واللَّه أعلم.

(فائدة): قال الحافظ في «الفتح»:

«قيل: أخرج البخاري هذا الحديث لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه؛ لأنه يجمع بينهما بأنه

ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل بل كان يقوم وينام كما أخبر عن نفسه وأخبرت عنه عائشة أيضًا»[1] ا.هـ.

بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه ﷺ من كان له القدح المُعلّى في العبادة حتى تقول إحدى أمهات المؤمنين ـ رضوان اللَّه عليهن ـ : «وأيكم يطيق ما كان يطيق؟!» وأخرى تقول: «ما لكم وصلاته ﷺ ؟!».

حُسن صلاته وقيامه ﷺ :

مرّ بك في حديث عائشة المخرج في «الصحيح»: «ما كان رسول اللَّه ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا..» الحديث.

قال النووي: «هن في نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف».

تطيبه ﷺ للقيام:

عن أنس قال: «كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباع نسائه»[2] .

* * *

(١) «فتح الباري» شرح باب: قيام النبي ﷺ.

(٢) ذكره بسنده في «مختصر قيام الليل» ص(٤٨).

نصحه ﷺ لأهله وحثهم على القيام:

ولقد مرّت أحاديث توضح حرص رسول اللَّه ﷺ، وكيف يمر على ابنته وابن عمه في وقت جعله اللَّه سكنًا ضانًا بهما أن يركنا إلى الدعة والسكون قائلاً لهما: «**ألا تصليان؟**» وقوله حاثًا لنسائه: «**من يوقظ صواحب الحجرات**» يعني: أمهات المؤمنين، وسيمر بك إيقاظ أهله للوتر فصاروا بحثِّه ﷺ إياهم على قيام الليل إذا ذكر أصحاب الليل كانوا ثمتهم.

دعاؤه وحبه ﷺ لمن يُعين على قيام الليل:

عن ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول اللَّه ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي «**سل**»، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة. قال: «**أو غير ذلك؟**»، قلت: هو ذاك. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»[1] .

فانظر إلى ذلك الصحابي وكيف نال من الشرف ما نال من إعانته رسول اللَّه ﷺ على القيام حتى يقول له الرسول ﷺ لما رأى منه ذلك يقول له: «**سل**».

عن ابن عباس: «**أن رسول اللَّه ﷺ كان في بيت ميمونة فَوَضَعْتُ له وضوءًا من الليل. قال: فقالت ميمونة: يا رسول اللَّه، وضع لك هذا عبد اللَّه بن عباس فقال: «اللَّهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل**»[2] لقد نال ابن عباس ما نال بسبب دعاء رسول اللَّه ﷺ لمّا

---

١) رواه مسلم كتاب الصلاة باب: فضل السجود والحث عليه.

٢) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٠٣٣).

أعانه على القيام وأعدّ له وضوءه.

عن زيد بن خالد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تسبّوا الديك؛ فإنه يوقظ للصلاة»**(١) لقد مرّ بك في الأحاديث أنه ﷺ: «كان إذا سمع الصارخ قام فصلّى».

قال المناوي: «(**فإنه يوقظ للصلاة**): أي: لقيام الليل بصياحه فيه، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم، وفي رواية للطيالسي: **«لا تسبوا الديك؛ فإنه يدل على مواقيت الصلاة»**.

قال الحليمي: وفيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغي أن يسب ولا يستهان به، بل حقه الإكرام والشكر ويتلقى الإحسان. وليس في معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراحة: «صلوا» أو حانت الصلاة، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر ـ وفي الثلث الأخير وقت قيامه ﷺ ـ وعند الزوال فطرة فطره اللَّه عليها، فيذكر الناس بصراخه للصلاة»(٢)..

فطوبى لك يا من أعنت على قيام الليل أهلك وستعلم قدرك بوصول هدية الملِك «كتبا من الذاكرين اللَّه كثيرًا والذاكرات».

---

(١) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود في «الأدب» باب: في الديك والبهائم، وأخرجه النسائي مسندًا ومرسلاً كما قال المنذري.
وصحح إسناد الحديث النووي في «الأذكار» و«الرياض»، وقال غيره: رجاله ثقات. وصححه المناوي وحسّنه السيوطي، وقال المناوي متعقبًا له: «فرمز المؤلف لحسنه فقط تقصير أو قصور»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، رقم (٧١٩١)، وانظر: «تخريج المشكاة» (٤١٣٦).

(٢) «فيض القدير».

اللَّهم مَنْ دل غيره على قيام الليل فارزقه شهادة في سبيلك، واجعله من العلماء الربانيين وأسكنه الفردوس، واغفر له خطاياه، فهو أحوج من كل الأنام إلى رحمتك يا أكرم الأكرمين.

تذكيره ﷺ بالآخرة في الليل ليسهل القيام:

انظر إليه ﷺ وهو يقول: «**ما أنزل الليلة من الخزائن.. يا ربّ كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة..**».

عن قبيصة: «كان رسول اللَّه ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذكروا اللَّه، جاءت الراجفة، من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه**»[1].

قيامه ﷺ عند الشدائد:

انظر إلى الخبير ﷺ العالم بمجامع الطرق وكيف يأخذ بها في قرع أبواب مَنْ لا تضيق عنده المنادح.

انظر إليه ﷺ: ـ يوم بدر ـ.

عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم، إلاّ رسول اللَّه ﷺ تحت شجرة

---

(١) إسناده حسن: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وروى نحوه أبو نعيم في «الحلية»، وأحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرك»، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي، ومحمد بن نصر في «قيام الليل»،وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٩٥٤).

يصلي ويبكي حتى أصبح».

وفي رواية: «فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح»[1].

انظر إلى حبه وتعطشه للقيام والدعاء: لما نزل طش من المطر فانطلق الصحابة تحت الشجر والحجف وفي التروس يستظلون تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ: «يدعو ربه».

قال الحافظ ابن كثير في: «يدعو ربه»: يعني قائمًا يصلي.

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في «البداية والنهاية»: «بات رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع شجرة هناك، ويكثر في سجوده أن يقول: «**يا حي يا قيوم**» يكرر ذلك ويلظّ عليه السلام بقيام الليل والبكاء حتى الصباح والدعاء والاستغاثة بطلب النصر «**اللَّهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللَّهم إن شئت لم تعبد**»[2] يصلي هو وأبو بكر ويقول في صلاته: «**اللَّهم لا تودع مني، اللَّهم لا تخذلني، اللَّهم لا تترني، اللَّهم أنشدك ما وعدتني**»[3]. «**اللَّهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك، اللَّهم فنصرك الذي وعدتني**».

---

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» وابن خزيمة في «صحيحه» وصححه ابن خزيمة وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره وعزاه لأبي يعلى عن زهير عن عبد الرحمن بن مهدي، وغفل عن عزوه للإمام أحمد، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في «المسند» رقم (١٠٢٣، ١١٦١).

وقال الساعاتي: سنده صحيح: انظر «الفتح الرباني» (١/٣٦)، وحارثة بن مضرب ثقة كما قال الهيثمي في «المجمع» (٦/٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» حديث رقم (٥٤٦).

(٢) جزء من حديث البخاري (٥٩٥٣).

(٣) جزء من حديث في «مسلم».

يقول ابن مسعود: «ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر: «اللَّهم إني أنشدك ما وعدتني»[١] يدعو حتى يسقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه فقال: «يا نبي اللَّه كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ..﴾ الآية فأمده اللَّه بالملائكة» ا. هـ.

هذا هو الزاد عند الشدائد ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ يعطيه القدوة ﷺ لمن بعده... يأخذ بمجامع الطرق... ويديم قَرع أبواب السماء... يستغيث بربه يطلب منه العون والمدد... فَمَنْ كان اللَّه معه، فممَّنْ يخاف ومَنْ يخشى..؟! يقوم رسول اللَّه ﷺ الليل باكيًا داعيًا.. وترك هذا الميراث للقادة الذين سجلوا بأحرف من نور أروع الانتصارات في التاريخ الإسلامي.. صلاح الدين الأيوبي وأستاذه نور الدين محمود زنكي ومحمد الفاتح.. وضيّع قوم الميراث فأضاعوا البلاد:

حكّامنا ضيعونا حينما فسقوا ... باعوا المآذن والقرآن والدينا
أي الحكايا ستُروى عارُنا جلل ... نحن الهوان وذل القدس يكفينا

قيامه ﷺ في غزوة الأحزاب:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا

---

(١) إسناده حسن: رواه الطبراني، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» شرح حديث (٣٩٥٣ج٧): إسناده حسن.

هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ صورة وضيئة في وسط الظلام، مطمئنة في وسط الزلزال، واثقة باللَّه، مستيقنة من نصر اللَّه.. لقد كان رسول اللَّه ﷺ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد، مثابة الأمان للمسلمين.

لنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم، وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز وهم يرون الرسول يضرب الفأس ويجرف بالمسحاة ويحمل في المكتل، ومع هذا كانت روحه ﷺ تستشرف النصر من بعيد، وتراه رأي العين في ومضات الصخور على ضرب المعاول... فإذا جاء الليل وظلمته الشديدة مع ما هم فيه من الجوع الشديد والبرد القارس.. جاء الهول الذي يزلزلهم، ويكرب أنفاسهم.. لقد كان الهول الذي واجهه المسلمون من الضخامة، وكان الكرب الذي واجهوه من الشدة، وكان الفزع الذي لقوه من العنف بحيث زلزلهم زلزالاً شديدًا، كما قال عنهم أصدق القائلين: **﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴾** ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه ويرى نفوسهم من داخلها ـ روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة فقال رجل: لو أدركت رسول اللَّه ﷺ قاتلت معه وأبليت، فقال حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟! لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ فقال رسول اللَّه ﷺ: « **ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله اللَّه معي يوم القيامة؟** » فسكتنا فلم يجبه منا أحد، ثم قال: « **ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله اللَّه**

معي يوم القيامة؟» فسكتنا فلم يجبه منا أحد، فقال: **«قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم»**، فلم أجد بدًا إذ دعاني باسمي أن أقوم، قال: **«اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم عليّ»**، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمّام حتى أتيتهم، فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمًا في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول اللَّه ﷺ: **«ولا تذعرهم عليّ»**، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمّام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْت فألبسني رسول اللَّه ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائمًا حتى أصبحت فلما أصبحت قال: **«قم يا نومان»**.

وفي «مسند أحمد»: عن محمد بن كعب القرظي قال: قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد اللَّه، رأيتم رسول اللَّه ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللَّه لقد كنا نجهد، قال: واللَّه لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولجعلناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي واللَّه لقد رأيتنا مع رسول اللَّه ﷺ بالخندق وصلى رسول اللَّه ﷺ من الليل هويًا، ثم التفت إلينا فقال: **«مَن رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول اللَّه ﷺ أنه يرجع أدخله اللَّه الجنة؟»**، فما قام رجل ثم صلى رسول اللَّه ﷺ هويًا من الليل، ثم التفت إلينا فقال: **«مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول اللَّه ﷺ الرجعة أسأل اللَّه أن يكون رفيقي في الجنة؟»**، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد، دعاني رسول اللَّه ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال: **«يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر**

ما يفعلون، ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود اللَّه عز وجل تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدرًا ولا نارًا ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ مَنْ جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان ابن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم واللَّه ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكُرَاعُ[1] والخف[2]، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح الذي ترون. واللَّه ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا إني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم. ولولا عهد رسول اللَّه ﷺ إليّ: «أن لا تحدث شيئًا حتى تأتيني»، ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة: فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ وهو قائم يصلي في مرط[3] لبعض نسائه مُرَحّل، فلمّا رآني أدخلني بين رجليه، وطرح عليّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم».

إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار وكرب الأنفاس الصلة التي لا تنقطع باللَّه، والإدراك الذي لا يضل عن سنن اللَّه، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن.. وكان قيام رسول اللَّه ﷺ وتهجده مع

---

(١) الكراع: اسم لجميع الخيل.

(٢) الخف: الإبل.

(٣) المرط: بكسر فسكون: كساء من صوف.

شدة الجوع والبرد والظلمة والريح . .

وصورة وضيئة لرسول اللَّه ﷺ : بينا هو في تهجده وصلاته واتصاله بربه، لا يترك حذيفة يرتعش حتى ينتهي من صلاته بل يأخذه صلوات اللَّه وسلامه عليه بين رجليه، ويلقي عليه طرف الثوب ليدفئه في حنو، ويمضي في صلاته.

وصورة مشرقة أخرى: العتاب والمداعبة الرقيقة من رسول اللَّه ﷺ لحذيفة بعد ما عاد من استطلاعه ومهمته وقد بلغ به الجهد مبلغه فنام حتى أصبح فيقول له صاحب الهمة العلية ﷺ : «**قم يا نومان...**» يعاتبه على عدم القيام والتهجد؛ حتى وإن بلغ به الجهد مبلغه . . . بأبي أنت وأمي يا رسول اللَّه.

قيامه ﷺ الليل في غزوة تبوك:

أما في غزوة تبوك فقد وردت الفوائد في ظلام ليلها:

«عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم: «**لقد أعطيت الليلة خمسًا ما أعطيهن أحد قبلي: أما أنا فأرسلت إلى الناس عامة..، وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينه مسيرة شهر لملئ مني رعبًا، وأحلت لي الغنائم كلها، وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها، وجعلت لي الأرض مساجد وطهورًا أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت، وكان من قبلي يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم، والخامسة هي ما هي، قيل لي: سل فإن كل نبي قد سأل،**

فادخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا اللَّه»[١].

فكانت أعظم هداياه تزف لأمته إثر صلاته بالليل في غزوة تبوك: الشفاعة وهي ما هي.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١].

ويخشع القلم حين يذكر قيام رسول اللَّه ﷺ بالأنبياء ويعجز العقل عن كنه ذلك، ويقر القلب، ويأتي سالمًا مصدقًا، ويالجلال الموقف وطهر اللقاء حين تتكلم عن قيام الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى!.

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها فكربت كربة ما كُرِبْتُ مثله قط، قال: فرفعه اللَّه لي، وأنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفي، وإذا

---

(١) رواه أحمد، وقال البيهقي: رجاله ثقات، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (ج٤/ ٤٣٣): رواه أحمد بإسناد صحيح، وقال ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٢٥٥): إسناد جيد قوي ولم يخرجوه. وقال مقبل بن هادي الوادعي: هذا الحديث بهذا السند صحيح لغيره، فإن عمرو بن شعيب إذا صح السند إليه فحسن كما أفاده الحافظ الذهبي في «الميزان». انظر: كتاب «الشفاعة» لمقبل الوادعي ص(٧٩، ٨٠) طبع دار الأرقم بالكويت.

إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممتهم فلمّا فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام»[1] . فإن قيل: كيف يصلون وهم أموات وهم في الدار الآخرة وليست دار عمل؟.

قال الإمام النووي: «قال القاضي عياض: إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى اللَّه تعالى بما استطاعوا؛ لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل»[2] ا.هـ.

* * *

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب: ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال (ج١ ص٤١٣).

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» ص(٤٠٤) باب: الإسراء وفرض الصلوات.



قيام الليل
عند الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

قيام الليل عند الأنبياء
صلوات اللّٰه وسلامه عليهم
قيام موسى عليه الصلاة والسلام

عن أنس ـ رضي اللّٰه عنه ـ قال: قال رسول اللّٰه ﷺ :

«مررتُ ليلة أسري بي على موسى قائمًا يصلي في قبره»[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّٰه ـ: «وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة. في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن.

وهذه الصلاة ونحوها مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس في الدنيا النفس، فهذا ليس من عمل التكليف الذي يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذي تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبي ﷺ : **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»** يريد به العمل الذي يكون له ثواب، لم يرد به نفس العمل الذي يتنعم به، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى اللّٰه، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن،

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، والنسائي.

ويقال لقارئ القرآن: «**اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**».

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور في الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهي في الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح في الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة، وهو في الآخرة نفس الثواب الذي يتنعم به والله أعلم»[1] ا.هـ. كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بأبي وأمي نبي الله موسى عليه السلام لسان حاله يقول لمولاه:

فمـــا منكم بُدٌّ ولا عنكــمُ غِنًى وَمَا لِيَ من صبـــرٍ فأسـلوَ عنكمُ

ويرحم الله ابن القيم ـ رحمه الله ـ حين يقول عن المحب لله عز وجل:

وتفنى عـظـــام الصب بعد مماته وأشـــواقه وقف عليــه مُحَـــرَّمُ

فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أحياء في قبورهم؟!

قيام عيسى عليه السلام

كان عليه السلام يقول: «إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما» ويقول: «اعملوا الليل لما خلق، واعملوا النهار لما خلق له».

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

رُوي عن ابن عباس أنه قال لرجل سأله عن الصيام:

«وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد، ولا يسأل عما فقد ليس له ولد يموت، ولا بيت يخرب، وكان أينما أدركه الليل صف بين قدميه وقام يصلي حتى يصبح»[1] .

قيام نبي اللَّه داود عليه السلام

صوتُ الأوَّابِ مزاميرٌ فلتصغ جبال البلدان

قال رسول اللَّه ﷺ : **«كان داود أعبد البشر»**[2] .

وقال ﷺ : **«أحب الصلاة إلى اللَّه صلاة داود، وأحب الصيام إلى اللَّه صيام داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ويصوم يومًا ويفطر يومًا»**[3] .

* عن الجريري قال: «بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام سأل جبريل فقال: يا جبريل: أي الليل أفضل؟ قال: يا داود ما أدري إلاّ أن العَرش يهتز من السحر»[4] .

قال الحسن: لما أصاب داود الخطيئة خرّ ساجدًا أربعين ليلة فقيل له: يا داود ارفع رأسك فقد عفوت عنك. وعن عبد اللَّه بن عبيد بن

---

(١) «البداية والنهاية» (ج٢ ص١٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم عن ابن عمر، والترمذي، والحاكم في «المستدرك»، والبخاري في «التاريخ» عن أبي الدرداء، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٢٩).

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد.

(٤) رواه أحمد بن حنبل في «الزهد» ص(٧٠).

عمير قال: خرّ داود أربعين ليلة ساجدًا يبكي فرفع رأسه وما في جبينه لُحادة من لحم»[١] .

قال تعالى: ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ** ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير: «كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلاّ وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهارًا، وكان داود عليه السلام هو المقتدى به في ذلك الوقت في العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات.

قال تعالى: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ .

قال ابن عباس ومجاهد: الأيد: القوة في الطاعة يعني ذا قوة في العبادة.

وروي عن ابن عباس عن قيام داود عليه السلام:

«وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي ببكائه كل شيء ويصرف بصوته الهموم والأحزان»[٢] .

قيام سليمان بن داود عليهما السلام

قال قتادة: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «عجبًا لتاجر كيف يخلص يحلف بالنهار وينام بالليل؟!»[٣] .

ورُوي عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يا بُنَيَّ لا تكثر النوم**

(١) «الزهد والرقائق» ص(١٦٢)، و«الزهد» لابن حنبل ص(٧١).

(٢) «البداية والنهاية» (ج٢ ص١٦).

(٣) «الزهد» لابن حنبل ص(٤٠).

بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة»(١).

من قيام داود وآله عليهم السلام:

عن وهيب بن الورد أن داود عليه السلام كان قد جعل الليل كله نُوبًا عليه وعلى أهل بيته، لا تمر ساعة من الليل إلا وفي بيته مصل للَّه وذاكر، فلما كان نوبة داود قام يصلي وبين يديه غدير، وكأنه أعجب بما هو فيه وأهل بيته مما فضلوا به من العبادة فأنطق اللَّه ضفدعًا من الماء فنادته: «يا داود كأنك أعجبت بما أنت فيه وأهل بيتك من عبادة ربك، فوالذي أكرمك بالنبوة إني لقائمة للَّه منذ خلقني على رجل ما استراحت أوداجي من تسبيحه إلى هذه الساعة فما الذي يعجبك من نفسك وأهل بيتك؟ قال: فتصاغرت إلى داود نفسه. وعن ابن عباس فنادته ضفدع: يا داود كنت أدأب منك لقد أغفيت إغفاءة، وفي رواية: لا تعجب بنفسك فقد رأيتك البارحة حين خفقت برأسك.

* عن ثابت البناني بلغنا أن داود عليه السلام جزّى أهل بيته الصلاة فلم تكن تأتي ساعة من ليل إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي. وعن مجاهد «لما أنزلت ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ﴾ قال داود لسليمان: إن اللَّه قد ذكر الشكر فاكفني قيام النهار وأكفيك قيام الليل قال: لا أستطيع، قال: فاكفني إلى صلاة الظهر فكفاه. وعن ابن شبرمة: لما أنزلت ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ اعتقبوا الليل فكنت لا ترى منهم إلا مصليًا.

---

(١) رواه ابن ماجه، والبيهقي، وقال الهيثمي: وفي إسناده احتمال للتحسين، وقال ابن حجر فيه الفضل بن عيسى الرقاشي، وقد أجمعوا على ضعفه، انظر: «مجمع الزوائد» (ج٢ ص٨٠).

قيام يحيى بن زكريا
السيد الحصور المبارك عليهما السلام

الخائف الوجل الذي أثنى ربه عليه فقال:

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٢ ـ ١٥].

عن مجاهد قال: «كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب وإن كان ليبكي من خشية اللَّه ما لو كان القار على عينيه لخرقته دموعه، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه»[١].

* عن يحيى بن جابر عن يزيد بن ميسرة قال: كان طعام يحيى الجراد وقلوب الشجر وكان يقول: مَنْ أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر[١]

* عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال له: إني أريد أن أنصحك قال: كذبت أنت لا تنصحني ولكن أخبرني عن بني آدم قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه؛ حتى نفتنه ونستمكن منه، ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود له فيعود فلا نحنُ نيأسُ منه، ولا نحن ندرك منه حاجتنا. وأما الصنف

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(١٦٥، ٤٧)، وانظر: «الزهد» لابن حنبل ص(٩٠).

الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الأكرة [١] في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم، وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء، فقال له يحيى: على ذلك هل قدرت مني على شيء؟ قال: لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعامًا تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها، فقال له يحيى: لا جرم لا شبعتُ من طعام أبدًا حتى أموت. فقال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدميًا بعدك [٢].

ليلة واحدة تنامها أيها المبارك أيها السيد الحصور فتقسم ألا تشبع من طعام أبدًا؛ حتى لا تفوتك صلاتك بالليل، أما نحن فسل عنا الجشأ وسل عنا الوسادة.

قيام إدريس عليه السلام

عن القاسم بن عوف الشيباني قال: بينا أنا عند خالد بن عرعرة وأبي عُجَيل وزارهما الربيع بن خيثم فقال أحدهما لصاحبه: حدّث أبا يزيد ما سمعت من كعب، فقال: بينا نحن عند كعب إذ أتاه رجل بين بردي حبرة فإذا هو ابن عباس فقال ابن عباس لكعب إني سائلك عن أشياء أجدها في كتاب اللَّه فسأله عن إدريس ورفع مكانه فقال: إن إدريس كان رجلاً خياطًا وكان يكسب فيجري كسبه فيتصدق بثلثه وكان لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يفتر عن ذكر اللَّه فأتاه جبريل فبشره وقال هل لك من حاجة؟ قال: وددت أني أعلم متى أجلي؟ قال: ما أعلم ذلك فصعد به إلى السماء فإذا ملك الموت فسأله متى أجله فنظر

(١) جمع كرة.
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٤).

ملك الموت في الكتاب فوجده لم تبق من أجله إلا ست ساعات أو سبع، وقال: أمرت أن أقبض روحه ههنا فقبض روحه في السماء فذلك رفع مكانه»[1] .

قيام ذي النون عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . نبي اللَّه يونس عليه السلام صاحب الحوت يناجي في الظلمات: ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ويسبح، لسان حاله يقول: «قد اتخذت لك مسجدًا ـ وهو بطن الحوت ـ ما اتخذه أحد قبله يسافر الليل مع الحوت داعيًا مسبحًا مناجيًا متهجدًا.

للَّه أنتم معاشر الأنبياء.

* * *

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٤).

ملحوظة: نسبنا الكلام إلى مصدره، وبذلك برئت منا الذمة والعهدة على مصدره. وقد قال رسولنا ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» أي من طول الإسناد وأفضل الهدي هدي محمد ﷺ ونعرض ما جاءنا عنهم على كتاب اللَّه وعلى سنة نبيه ﷺ

أما كعب الأحبار فالجمهور على توثيقه ويكفي قول الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٢٨٥): كان من أخيار الأحبار.

والأحرى بكعب رحمه اللَّه لو أنه ميز في مروياته بين الغث والسمين وما يجوز نقله وما لا يجوز. انظر: «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» ص(٣٧٢، ١٠٢) وما بعدهما.

قيام مريم البتول عليها السلام

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾[آل عمران: ٤٣].
قال مجاهد: قامت حتى تورّمت قدماها[١] [٢].

* * *

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٨٤).
(٢) مريم عليها السلام ليست نبية بل هي من أولياء اللَّه عز وجل كملت من النساء.



قيام الليل
عند الصحابة
رضوان الله عليهم

قيام الليل عند الصحابة
رضوان اللَّه عليهم

القانتــون المخبتــون لربهـــم	النــاطقــون بأصــدق الأقــوال
يحيــون ليلهم بطاعـــة ربهــم	بتـــلاوة، وتضــــرع، وســـؤال
وعيونهـم تجري بفيض دموعـهـم	مثــل انهمـــال الوابـل الهطّــال
في الليل رهبــان، وعند جهادهم	لعــدوهم من أشجــع الأبــطال
وإذا بـــدا علــمُ الرِّهــان رأيتهم	يتســابقون بصـالح الأعمـــال
بوجوههـم أثر السجــود لربهــم	وبهـــا أشـــعة نـــوره المتــلالي
ولقد أبــان لك الكتاب صفاتــهم	في ســـورة الفتــح المبين العالي
وبرابــع السبع الطوال صفاتــهم	قـــــوم يحبهــم ذوو إدلال
وبراءةٍ والحشـــرِ فيهـــا وصفهم	وبهـــل أتى وبســـورة الأنفــال[1]

مهما سطر القلم وخطّ المداد، ومهما أوتينا من لسن وفصاحة فلن نوفِّيَ أصحاب رسول اللَّه ﷺ حقهم وصدق اللَّه تعالى إذ يقول: **﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ ﴾**.

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«خير القرون قرني ثم الذين يلونهم»**.

وقال رسول اللَّه ﷺ : **«والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما أنفق مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**[2] .

---

(١) ابن القيم «إغاثة اللهفان».

(٢) رواه البخاري، ومسلم.

هُمْ عباد اللَّه الذين اصطفى كما قال سفيان: اختارهم اللَّه على الثقلين سوى النبيين والمرسلين.

قال ابن مسعود: «إن اللَّه نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ»[١].

كانوا خير هذه الأمة: أبرها قلوبًا، أعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا.

* صلّى علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - صلاة الفجر فلما سلّم انفتل[٢] عن يمينه ثم مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قلب يده فقال:

لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم، واللَّه إن كانوا ليصبحون شعثًا غبرًا صفرًا، بين أعينهم أمثال رُكَب المعْزى، قد باتوا يتلون كتاب اللَّه يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر اللَّه مادوا كما تميد الريح في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل واللَّه ثيابهم واللَّه لكأن القوم باتوا غافلين.

نعم يا أبا الحسن . ليس أحد يشبههم.

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني جنونًا فزدني من حديثك يا سعدُ

بأبي وأمي أناس تشتاق إليهم الجنة لعبادتهم. .كم بيننا وبينهم؟!.

قال رسول اللَّه ﷺ : **«اشتاقت الجنة إلى علي وعمّار وسلمان»**.

---

(١) «التبصرة» (ج١ ص٤٧٧).

(٢) انصرف.

ونحن ما نشتاق إلى الجنة!!.

إلى العبّـــاد في الدنيـــا	جنـــان الخلـــد تشتَاقُ
عبيـــد من خطـاياهـــم	إلى الرحمـــن أُبَّـــاقُ
عليهـــم حيـن تلقاهـــم	سكـينـــاتٌ وإطْـــراقُ
يضجـــون إلى اللّـــه	ودمـــع العيـــن مهـــراق
توهَّمْهـــم وقْـــد مالت	بسُكر القـــوم أحـــداقُ
وقـــد قامـــوا فلا يَهْجـــ	ـــعُ من قد ذاق ما ذاقـوا[1]

كمْ في صحابة رسول اللَّه ﷺ من أوّاه تالٍ.. بل كلهم أوّاه متهجد تالٍ.. كل فرد منهم نسيج وحده في التهجد والعبادة.. ما المجتهد فيمن بعدهم إلا كاللاعب.. لقد سبقوا على خَيل ضمر.. وأتعبوا من خلفهم.

انظر رحمــك اللَّه إلى الصدق يشع من كلام هند زوج أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنها ـ وقد أتت زوجها صبيحة فتح مكة، ورأت تهجد الصحابة.. فقالت لزوجها: «إني أريد أن أبايع محمدًا ﷺ قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين. قالت: إي واللَّه! واللَّه ما رأيت اللَّه تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، واللَّه إن باتوا إلا مصلين قيامًا وركوعًا وسجودًا»[2].

هذا الموقف وهذا التهجد الطيب الصادق الذي شعّ صدقه ونوره،

---

(١) «التبصرة» (ج١ ص٤٩٨).

(٢) «حياة الصحابة» ص(٤٩٦)، وانظر: «البداية والنهاية»، وعند ابن منده في «بيعة النساء».

ورفّ نداه في جنبات مكة حتى أثر في صخرها.. أثر في هند ومسّ شغاف قلبها ودفعها لتنضم لقافلة النور ـ رضي اللَّه عنها ـ.

* وانظر إلى موقف آخر: «والخير ما شهدت به الأعداء».

عن عروة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «لما تدانى العسكران [يوم اليرموك] بعث القبقلاء رجلاً عربيًا.. فذكر الحديث، وفيه: فقال: ما وراءك؟ قال: بالليل رهبان وبالنهار فرسان»[1]

* موقف آخر: «لما هزمت جنود هرقل أمام المسلمين، قال لهم: فما بالكم تنهزمون؟

فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار»[2].

انظر إلى عظيم الروم بعد خروجه من بيت المقدس إلى غير رجعة قال: «عليك السلام يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده، ويرحل إلى عاصمة ملكه، وهناك يسأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسر مع المسلمين، فقال: أخبرني عن هؤلاء القوم.

قال: أخبرك كأنك تنظر إليهم، هم فرسان بالنهار، رهبان بالليل، لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه، فقال: لئن صدقت ليملكن موضع قدميّ هاتين»[3].

---

(١) «الطبري» (ج٢ ص٦١).
(٢) ابن عساكر (ج١ ص١٤٣) عن ابن إسحاق.
(٣) «البداية والنهاية» (ج٧ ص٥٩).

سلوا عظيم الروم يخبركم أن جبال الصدق، ومعادن التقوى، ورعاة النجوم أهل الليل من أصحاب محمد ﷺ، قد صدقوا اللَّه فصدقهم، طوبى لهم. ولهم أحق الناس بكلام عليّ بن أبي طالب لنوف البكالي إذ خرج معه ذات ليلة فنظر إلى النجوم فقال له: «يا نوف أراقد أنت أم رامق؟ قال: قلت: بلى رامق يا أمير المؤمنين، فقال: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا والراغبين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطًا، وترابها فراشًا، وماءها طيبًا، والقرآن والدعاء دثارًا وشعارًا»[1] . . . نعم ضحكت الآخرة لهم وبكت الدنيا عليهم وشغلوا بالتهجد والقرآن فرضوان اللَّه عليهم أجمعين.

قيام أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ

أنا مولاي إمام ضحكت	من ثنايا فضله آي الزُّمَرْ
صَدّق المرسل إيمانًا به	ولحا في اللَّه من كان كفَرْ
ثم بالغار له منقبة	خصه اللَّه بها دون البشَرْ
«ثاني اثنين» وقول المصطفى	معنا اللَّه فلا تُبْدي الحذَرْ[2]

طار واللَّه صديق الأمة ـ رضي اللَّه عنه ـ بعنائها، وفاز بحبائها، وذهب بفضائلها، وأدرك سوابقها كانت فضائله وعبادته مستورة بنقاب «ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء وَقَرَ في صدره» فهي مجانسة لمنقبته ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾.

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٦ ص٥٣).

(٢) «التبصرة» (ج١ ص٣٩٧).

مَـنْ لي بمثـــل ســـيرك المُـدلَّل تمشي رويـــدًا وتجي في الأوَّلِ

«كان علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ يحلف باللَّه أن اللَّه عز وجل أنزل اسم أبي بكر من السماء (الصديق)»[1] .

عن أبي قتادة قال: «إن النبي ﷺ خرج ليلة، فإذا هو بأبي بكر الصديق يصلي يخفض من صوته، قال: ومر بعمر وهو يصلي رافعًا صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال النبي ﷺ: **«يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض صوتك»**، قال: «قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول اللَّه». قال: وقال لعمر: **«مررت بك وأنت تصلي رافعًا صوتك»** قال: فقال: يا رسول اللَّه أوقظ الوَسْنَان وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: **«يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئًا»** وقال لعمر: **«اخفض من صوتك شيئًا»**[2] .

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول: «قد أسمعت من ناجيتُ؟!».

* * *

(١) «التبصرة» (ج١ ص٣٩٨).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أبو داود واللفظ له باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وروى الترمذي نحوه في كتاب الصلاة باب: ما جاء في قراءة الليل (٢/ ٣١٠) وقال: حديث غريب. وقال الألباني في «تخريج المشكاة»: وإسناده صحيح فإن الذي وصله ثقة، وصحح إسناده أيضًا الشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط في «التعليق على شرح السنة» (ج٤ ص٣١).

قيام الفاروق عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ

قالت عائشة: «إذا شئتم أن يطيب المجلس فعليكم بذكر عمر بن الخطاب».

ساهر العين بالعزائم يقظا ن، وقد قيّد العيون الرقادُ
قد كَفَتْهُ المناقبُ المدحَ إلاّ مَدْحُنا من صفاته يستفادُ

* قال الحسن: «تزوج عثمان بن أبي العاص امرأة من نساء عمر ابن الخطاب، فقال: واللَّه ما نكحتها رغبة في مال ولا ولد، ولكني أحببت أن تخبرني عن ليل عمر، فسألتها، فقال: كيف كان صلاة عمر بالليل؟ قالت: كان يصلي العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تورًا فيه ماء فيتعار من الليل فيضع يده في الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر اللَّه عز وجل حتى يغفى، ثم يتعارّ حتى تأتي الساعة التي يقوم فيها»(١) .

قال أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب: «كنا نبيت عند عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أنا ويرفأ فكانت له ساعة من الليل يصليها فربما لم يَقل فنقول: لا يقوم كما كان يقوم، فيكون أبكر ما كان قائمًا، وكان إذا استيقظ قرأ هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

قال: حتى إذا كان ذات ليلة قام فصلى، ثم انصرف قال: قوما فصليا فواللَّه ما أستطيع أن أصلي وما أستطيع أن أرقد، وإني لأفتتح السورة فلا أدري في أولها أو في آخرها، قلنا: ولم يا أمير المؤمنين؟

---

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(١١٨، ١١٩)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (ج٩ ص٧٣): «وأخرجه الطبراني ورجاله ثقات».

قال: مِن همّي بالناس منذ جاءني هذا الخبر عن أبي عبيدة ـ رحمهما اللَّه ـ»(١) .

ـ «وقال لمعاوية بن خديج وقد دخل عليه في وقت الظهيرة فظنه قائلاً: قال: بئس ما قلت، أو بئس ما ظننت لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟!»(٢) .

ولذا كان ينعس وهو قاعد فقيل له: ألا تنام يا أمير المؤمنين فيقول: كيف أنام؟ إن نمت الليل ضيعت حظي مع اللَّه.

للَّه درك يا فاروق الإسلام. . . خفقات برأسك فقط ولا تركن إلى الفراش!!.

بأبي هو وأمي لسان حاله يقول:

لستُ أدري أطـــال ليــلي أمْ لا ... كيف يــدري بذاك منْ يتقلّى

لو تفرغت لاستطـالة ليــلي ... ولرَعْي النجــوم كنتُ مُخِـلاً

* قال الحافظ ابن كثير: «وكان يصلي بالناس العشاء، ثم يدخل بيته فلا يزال يصلي إلى الفجر.

* وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال:

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري» (١٦/ ٢٣٧)، ومالك في «الموطأ»، وعبد الرزاق في «المصنف»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن أبي الدنيا في «كتـــاب التهجـــد» ص(٣٩٨)، وإسناده صحيح.

(٢) «الزهد» لابن حنبل ص(١٢٢، ١٢٣).

نعم. فباتا يحرسانهم ويصليان»[١].

لم يكن شيء يشغله عن قيام الليل، ويقضي الوقت الواحد في أكثر من طاعة.

* قال العباس بن عبد المطلب: «كنت جارًا لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر: إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس»[٢].

* وعن الفاروق قال: «لولا ثلاث لما أحببت البقاء: لولا أن أحمل على جياد الخيل في سبيل اللَّه، ومكابدة الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب التمر»[٣].

* عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يصلي من الليل ما شاء اللَّه، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: «الصلاة الصلاة ثم يتلو هذه الآية: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾»[٤].

وفي «الصحيحين» أنه لما تُوفي عمر قال عليّ عليه السلام: «ما خلّفت أحدًا أحبّ أن ألقى اللَّه بمثل عمله منك يا عمر».

* «كان في وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء، وكان يمرّ

---

(١) «البداية والنهاية» (ج٧ ص١٤٩).

(٢) «حلية الأولياء» ص(٥٤).

(٣) «مدارج السالكين» (ج٢ ص٢٨١).

(٤) **إسناده صحيح**: رواه مالك في «الموطأ» باب: ما جاء في صلاة الليل وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط انظر: «التعليق على جامع الأصول».

بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ويبقى في البيت حتى يُعَاد للمرض»[١].

لقد استلذّ ـ رضي اللَّه عنه ـ بشراب الدموع ولولا صحو السهر والجوع ما بات عند الجبل هلالُ «يا سارية»[٢] ولله در القائل:

فمن يجاري أبا حفصٍ وسـيرتَه أو منْ يحـاول للفاروق تشبيها

هذه درجات أهل الفضائل وأهلها هم أهل الزلفى والدرجات العلى كما يقول ابن القيم.

فرضي اللَّه عن أبَوي المسلمين وشيخيهما ووزيري رسول اللَّه ﷺ الذي قال مادحًا لهما:

«**هذان السمع والبصر** ـ يعني: أبا بكر وعمر ـ»[٣]. وقال أيضًا: «**هذان سيدا كهول أهل الجنة، من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين، لا تخبرهما يا عليّ** ـ يعني أبا بكر وعمر ـ »[٤].

* * *

(١) «التبصرة» (ج١ ص٤٢١).
(٢) «التبصرة» (ج١ ص٤٢٣).
(٣) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك» عن عبد اللَّه بن حنطب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٦٨١)، و«الصحيحة» رقم (٨١٤).
(٤) صحيح: رواه الترمذي عن أنس، وعلي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٦٨٢) و«الصحيحة» رقم (٨٢٢).

قيام ذي النورين عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ

تَحَدَّثْ ولا تخــرج بكل عجيبــة … عن البحر أو تلك الخــلال الزَّواهر
ولا عيب في أخلاقــه غير أنهـا … فرائــد در ما لهـــا من نظــائر
يُقرّ لها بالفضـــل كل منـــازع … إذا قيل يوم الجمـــع هل من مفاخر

* عن ابن سيرين قال: «قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة»(١) .

* «رُوي عنه أنه كا يقرأ القرآن في ركعة ثم يوتر بها»(٢) .

* وعن جدة للزبير بن عبد اللَّه يقال لها زهيمة قالت: «كان عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ يصوم النهار ويقوم الليل إلا من هجعة من أوله»(٣) .

* «وما كان ـ رحمه اللَّه ـ يوقظ أحدًا من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه»(٤) .

* قال عبد الرحمن التيمي: لأغلبن الليلة النفر على المقام، فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، قال: فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي، فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فبدأ بأم

---

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(١٢٧).
(٢) إسناده صحيح: أخرجه الطحاوي، والبيهقي (٣/ ٢٥)، وابن أبي داود، وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ زهير الشاويش في تحقيق «شرح السنة» (ج٤ ص٤٩٩).
(٣) «الزهد» ص(١٢٩).
(٤) «الزهد» ص(١٢٦).

القرآن فقرأ حتى ختم القرآن، فركع وسجد، ثم أخذ نعليه فلا أدري صلّى قبل ذلك شيئًا أم لا»[١] .

* «عن الشعبي قال: لقي مسروق الأشتر، فقال مسروق للأشتر: قتلتم عثمان؟ قال: نعم، قال: أما واللَّه لقد قتلتموه صوّامًا قوّامًا»[٢] .

* وقال الحافظ ابن كثير: «وقد رُوي من غير وجه أنه صلّى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه ـ رضي اللَّه عنه ـ ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ قال. هو عثمان بن عفان»[٣] .

* وقال حسان بن ثابت ـ رضي اللَّه عنه ـ:

ضَحَّوا بأشمط عُنوان السجود به   يُقَطِّعُ الليل تسبيحًا وقرآنا

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي: ـ رحمه اللَّه ـ: قلت: لأغلبن الليلة على المقام، فسبقت إليه فبينا أنا قائم أصلي إذ وضع رجل يده على ظهري فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان ـ رحمة اللَّه عليه ـ وهو خليفة، فتنحيت عنه فقام، فما برح قائمًا حتى فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها. فلما انصرف قلت: يا أمير المؤمنين إنما صلَّيتَ ركعة[٤] ؟

(١) «حلية الأولياء» (ج١ ص٥٦، ٥٧).
(٢) «حلية الأولياء» (ج١ ص٥٦، ٥٧).
(٣) انظر: تفسير سورة الزمر الآية (٩).
(٤) خبر صحيح: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٦)، وعبد الرزاق (٣/ ٢٤)، في «مصنفه»، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٧٥)، والبيهقي في «سننه» (٣/ ٢٤ ـ ٢٥)، وابن عساكر (٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٦).

قال: أجل هي وترِي.

وقال سليمان بن يسار ـ رحمه اللَّه ـ: قام عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ بعد العشاء فقرأ القرآن في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها[1].

* * *

قيام أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ

إنْ كُنت وَيْحَك لم تسمع مناقِبَه فاسمع مناقبه من «هل أتى» وكفى

رضي اللَّه عَمَّنْ لازم السهر ليسمع: «هل مِنْ سائل».

* وصفه ضرار بن ضمرة الكناني حين طلب منه ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال في وصفه: «يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد باللَّه لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا ـ يتضرع إليه ـ ثم يقول للدنيا ـ إليّ تغررت، إليّ تشوفت، هيهات هيهات، غري غيري، قد بنتك ثلاثًا، فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة

---

(١) خبر صحيح: أخرجه ابن المبارك، وابن سعد، وابن عساكر. انظر: «صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين عثمان بن عفان» لمجدي فتحي السيد ص(٤٥) ـ طبعة دار الصحابة.

الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق». فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه، وقد اختنق القوم بالبكاء. فقال: «كذا كان أبو الحسن ـ رحمه اللَّه ـ. كيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وَجْدُ من ذبح واحدها في حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها»[1].

رحمك اللَّه يا مَنْ كنت غزير الدمعة، يا مَنْ قال فيك ابن حنبل: «إن عليًا ما زانته الخلافة ولكن هو زانها»[2].

ما بات إلاّ على هَمٍّ ولا اغتمضت عينـــاهُ إلا على عـزم وإزمــاعِ
يذوق بالعين طعم النوم مضمضة إذا الجبـــان ملا عينًا بتهجـاعِ[3]

*قال ـ رحمه اللَّه ـ في وصف المتقين ـ وهو من ساداتهم ـ:

«ألا إن للَّه عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلة، لعقبى زاحة طويلة. أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى اللَّه في فكاك رقابهم، وأما النهار فظماء حُلماء، بررة أتقياء كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر ويقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، وخولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم»[4]. وروي عنه أنه كان يقول: «علامة الصالحين صفرة الألوان وعمش العيون وذبول الشفاه»[5].

---

(١) «الحلية» (ج١ ص٨٥).
(٢) «التبصرة» (ج١ ص٤٤٣).
(٣) «التبصرة» (ج١ ص٤٤٧).
(٤) «البداية والنهاية» (ج٨ ص٧).
(٥) «تنبيه المغترين» للشعراني ص(٤٤).

ولله در الشاعر محمد عبد المطلب حين يصف أمير المؤمنين فيقول:

ونفسًا لم تذق طعـــم الدنـــايا ... ولا لذَّت من الدنيـــا طعــامًـا
غذاهـا الدين مذ كانت فشبَّت ... على التقـــوى رضاعًا وانفطامـــا
ونشَّـــأها على كـــرم وأيْـــد ... وصـــاغ من الجـــلال لهـا قَوامـــا
ووجْهًا فـاض نـــور الله فيـــه ... فألْبَسَـــهُ المهـــابةَ والقســـاما
وكم أجرى على المحراب دمعـًا ... لخـــوف الله ينبســـجم انسـجامـا
إذا ما قـام في المحراب قامت ... له زُمـــرُ الملائكـــة احتشـــامـا
صـــلاة الليـــل يجعلهـــا سحوراً ... إذا ما في الغـــداة نوى الصياما[1]

* * *

قيام أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ
«حكيم الأمة»

كان ـ رضي الله عنه ـ إذا سمع المتهجدين بالقرآن يقول: «بأبي النَّواحُون على أنفسهم قبل يوم القيامة، وتندى قلوبهم بذكر ـ أو لذكر الله»[2] . وانظر إلى الحكيم الذي يعلم أوقات الدعاء حين تبدو السماء قربَ طالبها فيقول: «إن العبد المسلم ليغفر له وهو نائم، فقالت أم الدرداء: وكيف ذاك؟ قال: «يقوم أخوه من الليل فيتهجد، فيدعو الله

---

(١) «القصائد الإسلامية الطُّوال في العصر الحديث» قراءة ... ونصوص، دار الاعتصام، د/ حلمي محمد القاعود (ص٢٦٠ ـ ٢٦١).
(٢) «الحلية» (ج١ ص٢٢١).

فيستجيب له، ويدعو لأخيه فيستجيب له». وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد بات ليلته يصلي فجعل يبكي ويقول: «اللَّهم أحسنت خَلْقِي فأحسن خُلُقي» حتى أصبح، فحمل هذا أم الدرداء على أن تسأله ـ رضي اللَّه عنه ـ: «ما كان دعاؤك منذ الليلة إلاّ في حسن الخلق؟!»(١).

* وقال ـ رضي اللَّه عنه ـ: «إن شئت لأقسمن لكم إنّ أحب عباد اللَّه إلى اللَّه لرعاء الشمس والقمر»(٢).

قيام عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ

«كنيف مُلئ علمًا».

* قال عمر بن الخطاب: كان رسول اللَّه ﷺ لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة كذلك في الأمر من أمر المسلمين، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه، فخرج رسول اللَّه ﷺ يمشي وخرجنا معه، فإذا رجل قائم يصلي في المسجد، فقام رسول اللَّه ﷺ يسمع قراءته، فلمّا كدنا أن نعرف الرجل قال رسول اللَّه ﷺ:

«من سَرَّه أن يقرأ القرآن رطبًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

قال: ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول اللَّه ﷺ يقول: «سَلْ تُعْطَ» مرتين.

قال: فقال عمر: فقلتُ واللَّه لأغدوَنّ إليه فلأبشرنّه، قال: فغدوتُ إليه لأبشره، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره، ولا واللَّه ما سبقته

(١) «الزهد» ص(١٤٠).
(٢) «الزهد» ص(١٤٣).

إلى خير قط إلا سبقني»(١).

*«وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا هدأت العيون قام فيُسمع له دويٌّ كدويّ النحل»(٢).

* وقال ـ رضي اللَّه عنه ـ: «فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية»(٣).

* وقال ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطربَ نهار»(٣).

* وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ: «ينبغي لحامل القرآن أن يُعرفَ بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون»(٣).

* عن علقمة بن قيس قال: بت مع عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ فقام أول الليل ثم قام يصلي فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه، يرتل ولا يرجّع يسمع من حوله ولا يرجّع صوته، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين أذان المغرب إلى الانصراف منها إلى الوتر(٤).

---

(١) **إسناده صحيح**: هذا جزء من حديث أبي موسى عند ابن خزيمة، ورواه أحمد في «مسنده» من طريق أبي معاوية، وصحح إسناده الدكتور مصطفى الأعظمي «صحيح ابن خزيمة» (ج٢ ص١٨٦).

(٢) «الزهد» لابن حنبل ص(١٥٦).

(٣) «حلية الأولياء» (ج١ ص١٣٠) والقطرب: الذي يجلس ها هنا ساعة وها هنا ساعة.

(٤) «الحلية» (ج١ ص٢٣٣)، قال الهيثمي في «الزوائد» (ج٢ ص٢٦٦): ورواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح.

* قال أبو كنود: قال عبد اللَّه: «ما من عبد يحدّث نفسه بساعة من الليل يقومها إلا أتاه آت فقال: قم فاذكر ربك وصل ما قدر لك. قال: فيقول الشيطان: نم فإن عليك ليلاً هل تسمع صوتًا؟ قال: فيختصم الشيطان والملك قال: يقول الملك: فاتح خير، ويقول الشيطان: فاتح بشر، فإن قام فصلى أصاب خيرًا، وإن نام حتى يصبح أتاه الشيطان ففاج حتى يبول في أذنيه فينظر الصبح حزينًا مهمومًا»[(١)] .

* وعن قيس بن أبي حازم قال: قال عبد اللَّه بن مسعود: بحسب الرجل من الخيبة - أو قال: من الشر - أن يبيت ليلته لا يذكر اللَّه حتى يصبح، فيصبح وقد بال الشيطان في أذنه»[(٢)] .

رحم اللَّه عبد اللَّه بن مسعود الذي قال عنه رسول اللَّه ﷺ: «اقتدوا بالذيْن من بعدي: أبي بكر وعمر، وتمسكوا بهدي ابن أم عبد».

قيام معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه -

مقدام العلماء وإمام الحكماء ... القارئ القانت، المحب الثابت، أعلم الأمة بالحلال والحرام.

* عن ثور بن يزيد قال: كان معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - إذا

---

(١) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «التهجد» ص(٤٩٢). والحديث ذكره الهيثمي مرفوعًا في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٦٢). وقال: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عمرو بن الحصين وهو ضعيف. وأخرجه المروزي بلفظ آخر، «المختصر» ص(٨٩).

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» ص(٤٣٥). والأثر صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» في كتاب «الزهد»، باب كلام عبد اللَّه بن مسعود (٧/ ١٠٧) (ح رقم ٣٤٥٥٥).

تهجد من الليل قال: «اللَّهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حيٌّ قيوم. اللَّهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف. اللَّهم اجعل لي عندك هدى ترده إليّ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد»[١] .

* ولما حضره الموت قال: «أعوذ باللَّه من ليلة صباحها إلى النار. ومرحبًا بالموت مرحبًا زائرًا مغيب حبيب جاء على فاقة - اللَّهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك، اللَّهم إن كنت تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الشجر، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»[٢] .

* عن محمد بن النضر الحارثي يرفعه إلى معاذ بن جبل - رحمه اللَّه - قال: «ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت: الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع»[٣] .

قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه -

* عن أبي عثمان النهدي قال: تضيَّفتُ أبا هريرة سبعًا، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلي هذا ثم يوقظ هذا»[٤] .

وفي رواية أخرى: «أن أبا هريرة كان يقوم ثلث الليل، وتقوم امرأته

(١) «الحلية» (ج١ ص٢٣٣).
(٢) «الزهد» ص(١٨٠ - ١٨١).
(٣) «الزهد» لابن حنبل ص(١٨٣).
(٤) «الإصابة» لابن حجر (ج٤ ص٢٠٩) وقال ابن حجر: سنده صحيح.

ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل إذا نام هذا قام هذا»[١] .

* وكان ـ رضي اللَّه عنه ـ وأصحابه إذا صاموا قعدوا في السحر قالوا: «نطهر سيئاتنا»[٢] .

رحمه اللَّه ورضي عنه: «فقد كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يقول: أسبح بقدر ذنبي»[٣] فحياته حديث وتسبيح واستغفار وقيام.

قيام أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ

صاحب القراءة والمزمار، والرابض نفسه بالسياحة في المضمار الأشعري أبي موسى عبد اللَّه بن قيس بن حضار.

كان في أودية المحبة هائمًا، وبقراءة القرآن في الحنادس مترنمًا وقائمًا.

* في الصحيح المرفوع: **«لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود»**[٤] .

* مر رسول اللَّه ﷺ ذات ليلة وأبو موسى يقرأ في بيته، ومع النبي ﷺ عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ فقاما فاستمعا لقراءته ثم إنهما مضيا، فلما أصبح لقي أبو موسى النبي ﷺ فقال له: **«يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعي عائشة، وأنت تقرأ في بيتك فقمنا فاستمعنا لقراءتك»**، فقال أبو موسى: «يا نبي اللَّه، أما إني لو علمت بمكانك

---

(١) «الزهد» ص(١٧٧) وسنده صحيح.

(٢) «الزهد» ص(١٧٨).

(٣) «الإصابة» (ج٤ ص٢٠٩).

(٤) صححه ابن حجر في «الإصابة»، وابن كثير في «البداية والنهاية».

لحبَّرتُ لك القرآن تحبيرًا»[١] .

* وكان عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ إذا رآه قال: «ذكرنا ربنا يا أبا موسى»، وفي رواية: «شوِّقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده»[٢] .

* قال أبو عثمان النهدي: «ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا ناي أحسن من صوت أبي موسى بالقرآن»[٢]

* وعن مسروق: «كنا مع أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ في سفر، فآوانا الليل إلى بستان حرث فنزلنا فيه، فقام أبو موسى من الليل يصلي، فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته قال: وجعل لا يمر بشيء إلا قاله، ثم قال: «اللَّهم أنت السلام ومنك السلام، وأنت المؤمن تحب المؤمن، وأنت المهيمن تحب المهيمن، وأنت الصادق تحب الصادق»[٣] .

قيام الأشعريين

قوم أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنهم ـ

* عن أبي موسى قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إني لأعرفُ أصواتَ رُفْقَة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنتُ لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»**[٤] .

---

(١) «الحلية» (ج١ ص٢٥٨).

(٢) «الإصابة» (ج٢ ص٣٦٠).

(٣) «الحلية» (ج١ ص٢٥٩).

(٤) «صحيح مسلم» كتاب فضائل الصحابة باب: من فضائل الأشعريين.

قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة

عبد اللَّه بن عباس - رضي اللَّه عنهما -

* عن عبد اللَّه بن أبي مليكة قال: «صحبت ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب: كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ** ﴾ فجعل يرتل ويكثر في ذلكم النشيج»(١)

* ولقد قام الليل وهو ابن عشر سنين مع النبي ﷺ، وأعد له وضوءه من الليل فدعا له.

* عن ابن عباس قال: «صليت مع النبي ﷺ فقمت إلى جنبه عن يساره، فأخذني فأقامني عن يمينه، قال: وقال ابن عباس: وأنا يومئذ ابن عشر سنين»(٢)

وفي لفظ لمسلم: «فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذني [اليمنى يفتلها].

قال النووي: «إنما فتلها تنبيهًا له من النعاس»(٣).

ولكم يخشع القلم أمام حبر الأمة وهو يحيي الليل وهو غلام لم يتجاوز بعد العاشرة ويجعل همه حين يبيت عند خالته ميمونة أن «لا أنام حتى؛ أنظر ما يصنع في صلاة الليل» كما ورد في الحديث. عزم في

---

(١) «الحلية» (ج١ ص٣٢٧)، وعند ابن حنبل في «الزهد» «يكثر واللَّه في ذلكم التسبيح».
(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده»، وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٤٣٧).
(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (ج١٢ ص٤١٦).

نفسه على السهر ليطلِّعَ على الكيفية التي يصلي بها رسول اللَّه ﷺ ثم خشي أن يغلبه النوم فيوصي خالته كما يحدثنا «فقلت لميمونة: إذا قام رسول اللَّه ﷺ فأيقظيني»، ثم انظر إلى أدبه «فقمت فتمطيت كراهة أن يرى أني كنت أرقبه» وكأنه خشي أن يترك رسول اللَّه ﷺ بعض عمله لما جرى من عادته ﷺ أنه كان يترك بعض العمل خشية أن يفرض على أمته. ويكابد السهر وطوله مع رسول اللَّه ﷺ وهو يحيي معظم الليل..

انظر إلى جبهة الغلام الطيب المبارك وهي تسجد لربها قدر قراءة خمسين آية... في ظلال الليل ويعطف رسول اللَّه ﷺ ويشفق على حبر الأمة فيقول ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ: **«وضع يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها فجعل يمسح بها أذني فعرفت أنه إنما صنع ذلك ليؤنسني بيده في ظلمة البيت»** [1]

انظروا معاشر المؤمنين وقولوا للعالم أجمع: تعالَوْا وتأدبوا بأدب صبية بيت النبوة.

للَّه دَرُّهُم من «طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى» [2].

* * *

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٥١).

(٢) قول يحيى بن معاذ انظر: «تاريخ بغداد» (ج١٤ ص٢١١).

قيام سلمان ابن الإسلام... سلمان الخير
سلمان الفارسي - رضي الله عنه -

«سلمان منا آل البيت»(*) .

روى أبو نعيم بسنده عن سلمان: «حافظوا على هذا الصلوات الخمس، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تصب المقتلة - يعني: الكبائر - فإذا صلّى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل:

منهم من عليه ولا له، ومنهم من له ولا عليه، ومنهم من لا له ولا عليه.

* فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه في المعاصي فذلك عليه ولا له.

* ومنهم من اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقام يصلي فذلك له ولا عليه.

* ومنهم من لا له ولا عليه فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه، إياك والحقحقة وعليك بالقصد والدوام»(١) .

* وعنه - رضي الله عنه -: «لو بات رجل يعطى البيض القيان، وبات آخر يتلو كتاب اللهِ عز وجل» - قال سليمان التيمي - كأنه يرى أن

(*) ضعيف.

(١) «حلية الأولياء» ص(١٨٩، ١٩٠) قال المنذري: «رواه الطبراني في «الكبير» موقوفًا بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة» ا.هـ.

الذي يذكر اللّه أفضل. وفي أخرى: «لو بات رجل يطاعن الأقران لكان الذاكر أفضل»[١].

* قال طارق بن شهاب: «أتيت سلمان فقلت: لأنظرن كيف صلاته، فكان ينام من الليل ثلثه».

ولقد أشبع سلمان من العلم «وأوتي منه» وكان يقوم في أفضل الأوقات وقت التنزل الإلهي... وارع قلبك هذا الحديث لتعرف قدر هذا السيد من سادات المسلمين:

«عن أبي جُحَيْفَةَ قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل، فإني صائم، فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فأكل، فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن. قال: فصلّيا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»[٢]. وفي هذه منقبة ظاهرة لسلمان الخير ـ رضي اللّه عنه ـ.

---

(١) «حلية الأولياء» (ج١ ص٢٠٤).

(٢) رواه البخاري واللفظ له كتاب الأدب باب: صنع الطعام والتكلف للضيف، والترمذي، وابن خزيمة، والدارقطني، والبزار، والطبراني، وابن حبان، وأحمد، وأبو نعيم، ورواه ابن سعد مرسلاً.

قيام عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ

المتعبد المتهجد نزيل الحصباء والمساجد:

*كان ـ رضي اللَّه عنه ـ: «كلما استيقظ من الليل صلّى، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً بعد أن فهم عن رسول اللَّه ﷺ قوله: «**نعم الرجل عبد اللَّه لو كان يقوم الليل**» ويمتد قيامه إلى السحر فإن أخبره نافع به استغفر.

* عن أبي غالب مولى خالد بن عبد اللَّه القرشي قال: كان ابن عمر ينزل علينا بمكة، وكان يتهجد من الليل فقال لي ذات ليلة قبل الصبح: يا أبا غالب ألا تقوم تصلي، ولو تقرأ بثلث القرآن. فقلت: يا أبا عبد الرحمن، قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن، قال: إن سورة الإخلاص ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ تعدل ثلث القرآن»[١]

* «وكان له مهراش فيه ماء فيصلي ما قدر له، ثم يصير إلى الفراش فيغفى إغفاء الطائر، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي فيرجع إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر ثم يثب فيتوضأ ثم يصلي يفعل ذلك في الليل أربع مرات أو خمسًا»[٢]

*عن نافع: «أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول: يا نافع أسحرنا، فيقول: لا فيعاود فإذا قال: نعم، قعد يستغفر اللَّه حتى يصبح»[٣].

---

(١) «الزهد» ص(١٩٠).

(٢) «الإصابة في تمييز الصحابة» (ج٢ ص٣٤٨) طبع دار إحياء التراث العربي.

(٣) «معجم الطبراني» و«الحلية»، وقال ابن حجر في «الإصابة»: «سنده جيد» (ج٢ ص٣٤٩).

*عن نافع كان ابن عمر إذا فاتته صلاة العشاء جماعة أحيا بقية ليله [١]

*عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ حين حضرته الوفاة: «ما آسى على شيء من الدنيا إلا ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وأنِّي لم أقاتل هذه الفئة الباغية التي نزلت بنا ـ يعني الحجاج ـ» [٢].

*عن سالم عن أبيه قال: أول ما ينقص من العبادة التهجد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة [٣]

قيام أبي ذر الغفاري ـ رضي اللَّه عنه ـ

أصدق الأمة لهجة.

*وفي «الزهد» لابن حنبل عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه قال: «يا أيها الناس إني لكم ناصح، إني عليكم شفيق، صلّوا في ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور، وتصدقوا مخافة يوم عسير، يا أيها الناس إني لكم ناصح إني عليكم شفيق» [٤].

قيام عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ

صاحب الصيام والقيام.

زوّج عمرو بن العاص عبدَ اللَّه بن عمرو ـ قارئ الكتابين: التوراة

---

(١) «الإصابة» (ج٢ ص٣٤٩).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٥).

(٣) «خلق أفعال العباد» للبخاري ص(٧٧) طبع مؤسسة الرسالة.

(٤) «الزهد» ص(١٤٨).

والفرقان ـ امرأة من قريش فلما دخلت عليه جعل لا ينحاش لها مما به من القوة على العبادة من الصوم والصلاة فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها فقال لها: كيف وجدت بعلك؟

قالت: خير الرجال أو ـ كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفًا ولم يقرب لنا فراشًا فأقبل عليه قائلاً: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعضلتها وفعلت، ثم شكاه إلى رسول اللَّه ﷺ.

عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال: «أخبر رسول اللَّه ﷺ أنه يقول: لأقومنّ الليل ولأصومن النهار ما عشت فقال ﷺ: **«أأنت الذي تقول ذلك؟»** فقلت له: قد قلته يا رسول اللَّه. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونمْ وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر»**، قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك، قال: **«صم يومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام»**. قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا أفضل من ذلك»**. قال عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول اللَّه ﷺ أحب إليّ من أهلي ومالي [(١)].

وفي رواية أخرى: **«فإن لزوجك عليك حقًّا، ولزَورك عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا»** قال: فشددت فَشُدِّدَ عليّ. قال: وقال لي النبي ﷺ: **«إنك لا تدري لعلّك يطول بك عُمُر»**. وما فارق هذا الأمر الذي

---

(١)رواه مسلم في كتاب الصوم، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًّا أو لم يفطر العيدين.

فارق عليه رسول اللَّه ﷺ حتى مات.

* عن يعلى بن عطاء عن أمه «أنها كانت تصنع لعبد اللَّه بن عمرو الكحل وكان يكثر من البكاء ويغلق عليه بابه ويبكي حتى رمصت عيناه»[١].

قيام أُسَيْد بن حُضير - رضي اللَّه عنه -

«صاحب السكينة والملائكة».

* «عن أبي سعيد الخدري أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبَده[٢] إذْ جالت فرسه فقرأ، ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها، قال: فغدوت على رسول اللَّه ﷺ فقلت: يا رسول اللَّه، بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«اقرأ ابن حضير»**. قال: فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول اللَّه ﷺ: **«اقرأ ابن حضير»**. قال: فانصرفت، وكان يحيى قريبًا منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول اللَّه ﷺ: **«تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم»**[٣].

---

(١) «حلية الأولياء» (ج١ ص٢٩٠).

(٢) هو الموضع الذي ييبس فيه التمر كالبيدر للحنطة ونحوها. ا.هـ.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي.

وفي رواية البخاري: «**تلك الملائكة دنت لصوتك**» وصرّح في رواية بأن السورة كانت سورة البقرة.

انظر رحمك اللَّه إلى هذا الحديث الطيب المبارك. وكأني برسول اللَّه ﷺ استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى فكأنه يقول: استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول السكينة والملائكة واستماعها لقراءتك، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة وخوفه أن تطأ الفرس يحيى.

* انظر إلى رجل «أوتي من مزامير آل داود كما قال له ﷺ »[1] ، ومحافظته على خشوعه في صلاته؛ لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه. للَّه دَرُّك يا أبا عتيك من سيد من سادات الأنصار. واعلم رحمك اللَّه أن في هذا الحديث: «منقبة للصحابي الجليل وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوّت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح»[2] .

أنى للكلمات أن تصوّر هذا المشهد النديّ واستغراق الملائكة للاستماع في الليل لمزمار داود يتهجد في ليله ويقرأ القرآن وكأنه رسائل من فوق العرش ولو استمر تاليًا ما اختفت. مثل هذا لا يكون إلا لمثل أصحاب محمد ﷺ جيل العبادة وشموس الهدى أو من سار على دربهم.

---

(١) **صحيح**: رواه الإسماعيلي.

(٢) «فتح الباري» (ج٩ ص٦٤).

عبد اللَّه بن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ

قال عبد اللَّه بن رواحة:

أفلـح من يعالـجُ المساجـدا ويقـرأ القرآن قائمـاً وقاعـدا
ولا يبيت الليـل عنـه راقـدا[١]

قيام تميم الداري ـ رضي اللَّه عنه ـ

«لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية».

هو الصحابي الذي تفرّد برؤية الجسّاسة والمسيح الدجّال كما جاء في الحديث الصحيح.

* كان ـ رضي اللَّه عنه ـ كثير التهجد: «قام ليلة بآية حتى أصبح وهي: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾[٢]

* عن المنكدر بن محمد عن أبيه: أن تميمًا الداريَّ نام ليلة لم يقم يتهجد، فقام سنة لم ينم فيها، عقوبة للذي صنع[٣].

* عن يزيد بن عبد اللَّه بن الشخير أن رجلاً أتى تميمًا الداريَّ فقال: كيف صلاتك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا فقال: واللَّه لركعة

---

(١) «شعر الدعوة الإسلامية» لعبد اللَّه بن حامد الحامد ـ كلية اللغة العربية بالرياض.

(٢) «الإصابة» لابن حجر (ج١ ص١٨٤). قال ابن حجر: «رواه البغوي في «الجعديات» بإسناد صحيح إلى مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم... فذكره» . ا.هـ.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٥)، تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٥٩)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس».

أصليها في جوف الليل في السر أحب إليّ من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس فغضب السائل عند ذلك فقال: يا أصحاب رسول اللَّه، اللَّه أعلم بكم، إن سألناكم عنفتمونا وإنْ لم نسألكم جفوتمونا.

فأقبل تميم عند ذلك على الرجل فقال: أرأيت إن كنت مؤمنًا قويًا، وأنا مؤمن ضعيف أكنت ساطيًا عليّ بقوتك فتقطعني؟، أرأيت إن كنت مؤمنًا ضعيفًا وأنا مؤمن قوي أكنت ساطيًا عليك بقوتي فأقطعك، ولكن خذ من نفسك لدينك، ومن دينك لنفسك حتى تستقيم لك على عبادة ترضاها».

*وعن المبارك قال: ما بلغني عن أحد من أصحاب النبي ﷺ من العبادة ما بلغني عن تميم الداري [1].

*واشترى - رضي اللَّه عنه - حُلة بألف فكان يصلي فيها [2]

*وعن جعفر بن عمرو قال: كنا فئة من أبناء أصحاب النبي ﷺ قلنا: إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النبي ﷺ فهلموا نجتهد في العبادة لعلنا ندرك فضائلهم أو كما قال، قال: عبد اللَّه بن الزبير ومحمد ابن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد يغوث، قال: فاجتهدنا في العبادة بالليل والنهار وأدركنا تميمًا الداري شيخًا فما قمنا له ولا قعدنا في طول الصلاة» [3].

رحمك اللَّه يا صحابي رسول اللَّه ﷺ.

*أخرج أبو نعيم بسنده: أن نارًا خرجت على عهد عمر - رضي

(١، ٢)«الزهد» ص(١٩٩، ٢٠٠).

(٣)«الزهد» ص(٢٠٠).

اللَّه عنه ـ فجعل تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارًا فقال له عمر: لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية».

وفي رواية أخرى: فجاء عمر إلى تميم فقال: قم إلى هذه النار، فقال: يا أمير المؤمنين، من أنا وما أنا؟ فلم يزل به حتى قام معه.

قال: وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال: فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت العشب ودخل تميم خلفها وجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم يَرَ[1].

قيام عباد بن بشر ـ رضي اللَّه عنه ـ

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: تهجد رسول اللَّه ﷺ في بيتي فسمع صوت عبّاد بن بشر فقال: «**يا عائشة، صوت عبّاد بن بشر هذا؟**» قالت: نعم، قال: «**اللَّهم اغفر له**» وفي رواية أخرى: أن النبي ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال: «**اللَّهم ارحم عبّادًا**»[2].

ذلكم عباد بن بشر ـ رضي اللَّه عنه ـ.. وتعال معي أخي تر العجب العجاب من شغف عبّاد بقيام الليل، لا يمنعه من ذلك جراح كادت تؤدي بحياته:

عن جابر بن عبد اللَّه قال: «خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ[3] فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فحلف أن لا أنتهي حتى أهريق

(١) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني ص(٥١٠).
(٢) **حديث صحيح**: صححه ابن حجر في «الإصابة».
(٣) يعني: في غزوة ذات الرقاع.

دمًا في أصحاب محمد، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ فنزل النبي ﷺ فقال: «هل رجل يكلأ»(١) فانتدب رجل من المهاجرين(٢) ورجل من الأنصار(٣)، فقال: «كونا بفم الشعب» فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري، وقام الأنصاري فصلى، فأتى الرجل، فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة القوم، فرماه بسهم فوضعه فيه، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد ثم انتبه صاحبه فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب، فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري قال: سبحان اللَّه ألا أنبهتني أول ما رمى؟ قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها» ا.هـ.

وفي «دلائل النبوة»:

«فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلي، وقال: كنت أصلي بسورة وهي «الكهف» فلم أحب أن أقطعها»(٤).

إن الكلمات وقواميس اللغات كلها لتقف عاجزة أن تصور روعة هذا الموقف لذلكم السيد من سادات الأنصار والمسلمين: عباد بن بشر.

نعم يا سيد الأنصار، لكأني بك تترنم بلسان حالك ما يمنعك عن

(١) يكلؤنا ليلتنا: أي: يحرسنا.

(٢) عمار بن ياسر.

(٣) عباد بن بشر.

(٤) رواه أبو داود في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، وصححه، وعلقه البخاري في «صحيحه»، وأحمد، والدارقطني، وصححه. وابن خزيمة، والبيهقي في «سننه»، وفي «دلائل النبوة». قال ابن حجر: «كلهم من طريق ابن إسحاق وشيخه صدقة ثقة، وعقيل لا أعرف راويًا عنه غير صدقة. ولهذا لم يجزم به المصنف، أو لكونه اختصره، أو للخلاف في ابن إسحاق. وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تخريج «زاد المعاد»: في سنده عقيل بن جابر بن عبد اللَّه، وثقه ابن حبان وباقي رجاله ثقات.

مناجاة مولاك والترنم بكلام الملك والسجود إسلامًا لوجه ربك.

عذابه فيك عذب   وبعده فيك قربُ
وأنت عندي كروحي   بل أنت منها أحبُّ
حسبي من الحب أني   لما تحب أحبُّ

قيام عثمان بن مظعون ـ رضي اللَّه عنه ـ

قال الذهبي: «من سادة المهاجرين، ومن أولياء اللَّه المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فصلى عليهم، وكان أبو السائب ـ رضي اللَّه عنه ـ أول من دفن بالبقيع»[1].

عن أبي بردة: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأينها سيئة الهيئة، فقلن لها: ما لك؟ فما في قريش أغنى من بَعْلك! قالت: أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم، فلقيه النبي ﷺ فقال: «أما لك بي أسوة...» الحديث[2] قال: فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس.

غلبت عليه العبادة من صيام وقيام حتى همّ أن يختصي.

قال سعيد بن المسيب: سمعت سعداً يقول: «رد رسول اللَّه ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا»[3].

---

(١) «الاستيعاب» (٨/ ٦٣)، و«الإصابة» (٦/ ٣٩٥)، «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٥٤).

(٢) رجاله ثقات أخرجه ابن سعد، وعبد الرزاق.

(٣) حديث صحيح: أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي.

وعن عائشة أن رسول اللَّه ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون[١] .

وعن أبي النضـر قال: لما مُرّ بجنـازة عثمان بن مظعون قال رسول اللَّه ﷺ : «ذهبت ولم تَلَبّس منها بشيء»[٢] .

قيام سالم مولى أبي حذيفة - رضي اللَّه عنه -

كان - رضي اللَّه عنه - حسن الصوت في تهجده بالقرآن.

روى ابن المبارك بإسناده: أن عائشة احتبست على النبي ﷺ فقال: ما حبسك؟ قالت: سمعت قارئًا يقرأ فذكرت من حسن قراءته، فأخذ رداءه، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: **«الحمد للَّه الذي جعل في أمتي مثلك»**[٣] .

وفي رواية أخرى: سمع النبي ﷺ سالم مولى أبي حذيفة يقرأ من الليل فقال: **«الحمد للَّه الذي جعل في أمتي مثله»**[٤] .

- رضي اللَّه عنه -.. لما كثر القتل وانكشف صف المسلمين في

---

(١) **الحديث حسن بشواهده**: أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث صحيح، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، وفيه «عاصم بن عبيد اللَّه» وهو ضعيف، لكن الحديث حسن بشواهده عند البزار من حديث معاذ بن ربيعة.

(٢) أخرجه مالك في «الجنائز» مرسلاً. وقال الزرقاني: وصله ابن عبد البر من طريق يحيى ابن سعيد، عن القاسم عن عائشة.

(٣) أخرجه ابن المبارك في «كتاب الجهاد»، وأخرجه أحمد عن حنظلة، وابن ماجه، والحاكم في «المستدرك» من طريق الوليد بن مسلم، وابن المبارك أحفظ من الوليد ولكن له شاهد يقويه وهو الحديث الذي بعده.

(٤) أخرجه البزار ورجاله ثقات انظر: «الإصابة» (٢/ ٧).

موقعة اليمامة أخذ الراية سالم فقالوا له: إنا نخشى أن نؤتى من قبلك. فقال: بئس حامل القرآن إذًا أنا! ومن يكون كرجل من أصحاب الليل من حملة القرآن يحمد رسول الله ﷺ ربه أن جعل في أمته مثله؟! أي شرف وأي تاج وأي فخار وضعه رسول الله ﷺ على هام ذلكم الصحابي القانت؟!.

قيام عمرو بن العاص - رضي الله عنه -

سُمِع عمرو بن العاص وهو يصلي من الليل وهو يبكي ويقول: «اللَّهم إنك آتيت عَمْرًا مالاً فإن كان أحب إليك أن تسلب عمرًا ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله، وإنك آتيت عَمْرًا ولده فإن كان أحب إليك أن تثكل عمرًا ولده ولا تعذبه بالنار فاثكله ولده، وإنك آتيت عمرًا سلطانًا، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه».

* وقال - رضي الله عنه -: «ركعة بالليل أفضل من عشر بالنهار»[1].

قيام سعيد بن عامر الجمحي - رضي الله عنه -

وانظروا إلى ذلكم الصحابي المشتاق للجنة وحورها... سعيد بن عامر يقول لزوجه: «إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم وأن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الحسان

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٥).

اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيفٌ تُكسَ به خير من الدنيا وما فيها فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أَنْ أدعهن لك.

ولكم كان الرجل ـ رضي اللَّه عنه ـ نسيجًا وحده:

«استعمله عمر بن الخطاب على حمص فلما قدم عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوا إليه، قالوا: نشكوا أربعًا ـ وذكروا من بينها أنه لا يجيب أحدًا بليل.

فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللَّهم لا تفيل رأيي فيه اليوم. ما تشكون منه؟

قالوا: لا يجيب أحدًا بليل.

قال: ما تقول؟ قال: «إن كنت أكره ذكره... إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل للَّه عز وجل» ـ وأجاب عن بقية شكاياتهم فقال عمر: «الحمد للَّه الذي لم يفيل فراستي»[1].

أخي:

تلك المكـــارم لا قعبـــان من لبن ... شيبت بمـــاء فعادت بعـــد أبوالا

انظر إلى أهل الكويفة الصغرى.. ما ينقمون من صحابي رسول اللَّه ﷺ «لا يجيب أحدًا بليل»..«وتلك شكاة ظاهر عنك عارها».

ينقمون منه القيام والتهجد، ولولا خوف الرجل أن يخيب فيه ظن

---

(١) «الحلية» (ج١ ص٢٤٦).

إمامه الفاروق لكتم أمره ولو استطاع لأخفاه عن الكرام الكاتبين.

فاكتبوا هذا بمداد من نور واسقوا العطاشى الحيارى من سلسبيلهم ونبعهم النوراني.

قيام الحسن والحسين سبطي رسول الله ﷺ وريحانتيه من الدنيا

«كان الحسن بن علي عليه السلام يأخذ بنصيبه من القيام في أول الليل وكان الحسين عليه السلام يأخذه من آخر الليل»[1].

بأبي وأمي من أشبهوا خَلْق جدهما وخُلُقَه وأخذوا بالحظ الأوفر والنصيب الأكمل من رعي النجوم والتهجد للملك القيوم.

قيام شدّاد بن أوس الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ

صاحب اللسان المزموم[2]، صاحب الحذر والورع، والبكاء والضَرعَ.

كان ـ رضي الله عنه ـ ممن أوتي علمًا وحلمًا كما قال عنه أخواه أبو الدرداء وعبادة بن الصامت: «وكان ـ رضي الله عنه ـ إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه بمنزلة القمحة في المقلاة على النار فيقول: اللَّهم إن النار قد أذهبت مني النوم، فيقوم يصلي حتي يصبح...»[3].

---

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(١٧١).

(٢) زم لسانه: أي ضبطه وتحكّم فيه.

(٣) «حلية الأولياء» (ج١ ص٢٦٤).

للَّه درك يا أبا يعلى وعيت الخطاب «ما رأيت مثل النار نام هاربها» لجأت سيدي إلى ما يطفؤها.. لجأت سيدي إلى التهجد.

رضي اللَّه عنك يا شهيد الشِّعْب.. يا شهيد أحد.

قيام الصحابي عامر بن ربيعة - رضي اللَّه عنه -

* عن يحيى بن سعيد قال: سمعت أبا عبد اللَّه بن عامر بن ربيعة:

حين نشب الناس في الفتنة، نام أبي فأري في المنام فقيل له: قم فسل اللَّه أن يعيذك من الفتنة - قتل عثمان - التي أعاذ منها صالح عباده فقام يصلي ثم اشتكى فما خرج إلاّ في جنازة.

وفي روايــة ابنــه عبد اللَّه: لما نشب النـاس في الطعن على عثمان - رضي اللَّه عنه - قام أبي يصلي من الليل وقال: اللَّهم قني من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك، قال: فما خرج إلا في جنازة»[1].

وهذا يدل على فقه الصحابي الجليل وعلمه باستجابة الدعاء في الصلاة ليلاً.

قيام أبي ريحانة - رضي اللَّه عنه -

روى ابن المبارك في «الزهد» عن مولى لأبي ريحانة قال: «قفل - أبو ريحانة - من بعث غزا فيه، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة، ثم أخرى، فلم يزل كذلك مكانه، كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى، حتى

(١) «الحلية» (ج١ ص١٧٨).

إذا أذّن المؤذن من السحر شدّ عليه ثيابه، فأتته امرأته فقالت: يا أبا ريحانة قد غزوت فتعبت في غزوتك، ثم قدمت إليّ لم يكن لي منك حظ ونصيب. فقال: بلى واللَّه ما خطرت لي على بال، ولو ذكرتك لكان لك عليّ حق. قالت: فما الذي يشغلك يا أبا ريحانة؟ قال:

«لم يزل يهوى قلبي فيما وصف اللَّه في جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذّاتها حتى سمعت المؤذن» [1].

نعم سيدي.. سمت روحك الطاهرة إلى دارك الأولى الجنة فسلكت طريق الصالحين.. التهجد .. لسان حالك يقول: إنها الجنة شغلي وفيها خلدي.

خـــــذني إلى بيـــــتي

أرح خـــــدي على عتبـــاته

وأبـــــوس مقبـــــض بابـــه

خذني إلى بيت أعيش مشـــرداً ... إن لم أكحـــل ناظـــري بترابـــه

*عن ضمرة بن حبيب قال: استأذن أبو ريحانة صاحب مسلحته [2] من الساحل إلى أهله فأذن له، فقال له الوالي: كم تريد أن أؤجلك؟ قال: ليلة، فأقبل أبو ريحانة: وكان في منزله في بيت المقدس، فبدأ بالمسجد قبل أن يأتي أهله فافتتح سورة فقرأها ثم أخرى فلم يزل على ذلك حتى أدركه الصبح وهو في المسجد لم يرمه [3]، ولم يأت أهله فلما أصبح دعا بدابته فركبها متوجهًا إلى مسلحته، فقيل: يا أبا ريحانة إنما

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك ص(٣٠٤، ٣٠٥) طبع دار الكتب العلمية، وانظر أيضًا: «مختصر قيام الليل» ص(١٨).

(٢) المسلحة: بالفتح الثغر، والقوم ذوو سلاح.

(٣) أي: لم يبرحه.

استأذنت لتأتي أهلك فلو مضيت حتى تأتيهم ثم تنصرف إلى صاحبك؟ قال: «إنما أجّلني أميري ليلة، وقد مضت، لا أكذب ولا أخلف وانصرف إلى مسلحته ولم يأت أهله»(١) .

وفي الخبر ما فيه من شغف بالزاد السماوي والتهجد والصدق والوفاء بالعهد.

قيام شهداء بئر معونة -رضي اللَّه عنهم-

وعلى رأسهم المنذر بن عمرو بن عمرو كانوا سبعين رجلاً من الأنصار كانوا يدعون القرّاء، يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، يقومون إلى السواري للصلاة.. عبروا الدنيا راضين عن اللَّه غدرت بهم رعل وذكوان وعصية حين بلغوا بئر معونة فقتلوهم، فما وجد رسول اللَّه ﷺ على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة، وقنت شهرًا في صلاة الصبح يدعو اللَّه على رعل وذكوان وعصية.

انظر رحمك اللَّه إلى أثر التهجد والقرآن الذي يورث صاحبه الرضا عن اللَّه والشوق إلى لقياه.. انظر إلى نفوس هزهزها الحنين إلى الملأ الأعلى.. انظر حين يُطعن أحدهم وهو حرام بن ملحان فيقول مترنمًا بلحنه الشجي يملأ الكون عبيرًا وشذًا من كلامه:

«اللَّه أكبر، فزت ورب الكعبة» ورحم اللَّه القائل:

أما تبصر الطير المُقَفَّصَ يا فتى ... إذا ذكر الأوطان حَنَّ إلى المغنى
ففرّج بالتغريد ما في فؤاده ... فيفلق أرباب القلوب إذا غنّى
كذلك أرواح المحبين يا فتى ... تهزهزها الأشواق للعالم الأسنى

---

(١) «الزهد والرقائق» ص(٣٠٤، ٣٠٥).

تغريد لا يكون إلا من صحابي متهجد.. تغريد أنفس تشتاق إلى حواصل طير خضر وقناديل ذهب معلقة بأرجاء العرش.

قيام عبد اللّه بن الزبير بن العوّام

«حَمَام المسجد»

المحنّك بريق النبوة، والمبجَّل لشرف الأمومة والأبوّة، والمشاهد في القيام، المواصل للصيام ـ رضي اللّه عنه ـ.

تقول عنه الراوية الثبت أمه ذات النطاقين ـ رضي اللّه عنها ـ: «كان ابن الزبير قوّام الليل صوّام النهار، وكان يُسَمّى: «حَمَام المسجد»[1].

* واسمع إلى شهادة القانت القوّام لرفيقه على الدرب.. استمع بقلبك إلى ابن عمر يقول عنه وقد وقف عليه بعد صلبه:

«رحمك اللّه، فإنك واللّه ما علمت صوامًا قوامًا، وصولاً للرحم، واللّه لقد أفلحت أمة أنت شرها».

* واسمع إلى ابن عباس الحبر البحر الترجمان يقول عنه: «كان عفيفًا في الإسلام، قارئًا، أبوه الزبير، وأمه أسماء، وجده أبو بكر، وعمته خديجة، وجدته صفية، وخالته عائشة».

* كان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود وكان يقال ذلك من خشوعه لو رأيته وهو يصلي لقلت غصن شجرة يصفقها الريح.

---

(١) «حلية الأولياء» (ج١ ص٣٣٤، ٣٣٥).

* عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر: كان ابن الزبير لا ينام بالليل، وكان يقرأ القرآن في ليلة، وكان يحيي الدهر أجمع فكان يحيى ليلة قائمًا حتى يصبح، وليلة يحييها راكعًا حتى الصباح، وليلة يحييها ساجدًا حتى الصباح(١)

للَّه درك يا حمام المسجد يا أبا خبيب.

قيام معاذ أبي حليمة القارئ - رضي اللَّه عنه -

عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد قال: زارتنا عمرة بنت عبد الرحمن فقمت أصلي من الليل فجعلت أخفي قراءتي فقالت لي: يا ابن أخي ألا تجهر بالقرآن، فإنه ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ وأفلح مولى أبي أيوب(٢)

قيام عبد اللَّه ذي البجادين - رضي اللَّه عنه -

كان اسمه عبد العزى فسماه رسول اللَّه ذا البجادين. عبد اللَّه بن عبد نهم المزني عم عبد اللَّه بن مغفل المزني قال ابن أبي الدنيا في رسالة (الأولياء): قال رسول اللَّه ﷺ: **«بل أنت عبد اللَّه ذو البجادين الزمنا وكن معنا»** فكان يكون مع رسول اللَّه ﷺ وفي حجره قال: فكان إذا قام يصلي من الليل جهر بالدعاء والاستغفار والتمجيد قال: فقال عمر

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٨).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٢١).

إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٤٩٦/٢)، وابن أبي شيبة (٤٩٦/٢). وزاد يوقظانا من الليل برفع أصواتهما.

ابن الخطاب: يا رسول اللَّه أمراء هو؟ قال: «**دعه فإنه أحد الأواهين**». قال: فلما كان غزاة تبوك خرج مع رسول اللَّه ﷺ فمات قال: فقال ابن مسعود: إذا أنا بنار ليلاً في ناحية العسكر فقلت: ما هذا؟ فانطلقت فإذا رسول اللَّه ﷺ وأبو بكر وعمر ما معهم رابع قال فإذا ذو البجادين قد مات ورسول اللَّه ﷺ في القبر وهو يقول: «**دليا إليَّ أخاكما**» قال: فأضجعه رسول اللَّه ﷺ لشقه ثم قال: «**اللَّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه اللَّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه، اللَّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**» قال: فقال ابن مسعود: فيا ليتني كنت مكانه في حفرته»[1].

وانظر إلى قصته يسوقها طبيب القلوب ومحرك الشوق إلى بلاد الأفراح ابن القيم في «الفوائد» ص(٤٥): «كان ذو البجادين يتيمًا في الصغر فكفله عمه فنازعته نفسه إلى اتباع الرسول فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة فقعد ينتظر العم فلما تكاملت صحته نفد الصبر فناداه الوجد:

إلى كم حبسها تشكو المضيقا ... أثرها ربما وجدت طريقا

فقال: يا عم طال انتظاري لإسلامك وما أرى منك نشاطًا فقال: واللَّه لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك فصاح لسان الشوق: نظرة من

---

(١) «رسالة الأولياء» من كتاب مجموعة الرسائل لابن أبي الدنيا (ص١١٩)، و«حلية الأولياء» (١/ ٣٦٥)، وانظر: «الإصابة» (٢/ ٣٣٠) قال ابن حجر في «الإصابة»: رواه البغوي بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا» وهو كذلك في «السيرة النبوية» وأخرجه من طريق سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد اللَّه بن مسعود وقال: . . . فذكره من طريق كثير بن عبد اللَّه بن عمرو عن أبيه عن جده. والفريابي في «الذكر» وأحمد.

محمد أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال تراب من غبار نعالها ... ألذ إلى نفسي وأشفى لبلواها

فلما تجرد للسير إلى رسول اللَّه ﷺ جرده عمه من الثياب، فناولته الأم بجادًا فقطعه لسفر الوصل نصفين، اتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، فلما نادى صائح الجهاد قنع أن يكون في ساقة الأحباب والمحب لا يرى طول الطريق؛ لأن المقصود يعينه.

ألا بلغ اللَّه الحمى مَنْ يريده ... وبلغ أكناف الحمى من يريدها

فلما قضى نحبه نزل رسول اللَّه ﷺ يمهد له لحده ويقول: **«اللَّهم إني أمسيت عنه راضيًا فارض عنه»**، فصاح ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب القبر.

فيا مخنث العزم أقل ما في الرقعة البيذق فلما نهض تفرزن»ا.هـ.

فانظر إلى صحابي متهجد مجاهد يمهد له الرسول اللَّه ﷺ لحده ويقول عنه: «**إني أمسيت عنه راضيًا**»، ويقول: «**دعه فإنه أواه**».

انظر إليه وهو يرتجز:

هذا أبو القاسم فاستقيمي
تعرضي مدارجًا وسومي
تعرضي والجزاء في النجوم

رضي اللَّه عنهم صحابة رسول اللَّه ﷺ «لقد أتعبتم من خلفكم» وصاح لسان حالكم لمن بعدكم:

إن كان عندكم كرم بلا عنب ... إنا لدينا معًا التين والعنب
أو كان أفقكم مزن بلا سحب ... فالمزن في أفقنا حبلى به السحب

وكم في الصحابة من متهجد قانت وأواه تال وإن كان متجردًا من كل شيء قبل عبد اللَّه ذي البجادين يلحده رسول اللَّه ﷺ بيده حتى يتمنى ابن مسعود أن يكون مكانه.

قيام عُلبة بن زيد بن حارثة بن الأوس الأنصاري الأوسي «المتصدّق بعرضه»

قال ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٩٣):

«ذكره ابن إسحاق وابن حبيب في «المحبر» في البكائين في غزوة تبوك ثم قال: فأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى وبكى وقال: اللَّهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض..» فذكر الحديث بغير إسناد، وقد ورد مسندًا موصولاً من حديث مجمع بن حارثة، وغيره.

وروى ابن منده بإسناده: «كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وآله وسلم فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده، فقال علبة بن زيد: «اللَّهم إني ليس عندي ما أتصدق به، اللَّهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك، فأمر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وآله وسلم مناديًا فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام علبة فقال: «**قد قبلت صدقتك**».

وعند ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ١):

فقال النبي ﷺ: «**أين المتصدق هذه الليلة؟**» فلم يقم إليه أحد ثم قال: «**أين المتصدق؟ فليقم**» فقام إليه فأخبره فقال النبي ﷺ: «**أبشر**

فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة».

رضي اللَّه عنك يا علبة.

جئت وإخوانك من البكائين تستحملون رسول اللَّه ﷺ فلم يجد ما يحملكم عليه ففاضت أعينكم بالدمع.. فحملكم اللَّه بمنه وكرمه وأثابكم قرآنًا يتلى في حقكم وشرفكم:

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

هذا شوقك سيدي إلى الجهاد.. هذا حنينك هذا دمعك هذا بكاؤك.. ولكنه بكاء الرجال لموقف تندر فيه الرءوس وتخضب النحور بالدماء.. فلما عجزت عن النفقة.. علمت خير شفيع تطرق به باب الملك العلام.. فلجأت إلى التهجد.. وتصدقت بعرضك فقبل اللَّه منك سيدي فكنت نبراس خير لكل متهجد مجاهد سائر على دربكم النيّر.

قيام الصحابي
عبد اللَّه بن يزيد بن زيد بن الحصين الخطمي

قال مسعر: حدثني بعض آل عبد اللَّه بن يزيد أن عبد اللَّه بن يزيد كان لا ينام آخر أهل الدار حتى يقوم فيصلي فكان يصلي حتى تنقع رجلاه في الماء الحار(١).

* * *

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٨٤).

قيام أبي جمعة الأنصاري حبيب بن سباع

قال مولى لأبي جمعة يكنى أبا الليث قال: كان لأبي جمعة حبل معلق في مسجده يتعلق به إذا صلى بالليل.

رضي اللَّه عن أبي جمعة الأنصاري، هذا الصحابي الذي سكن الشام ثم مصر، ومات بعد السبعين.

قيام الصحابي الجليل
أبي رفاعة العدوي تميم بن أسد

قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة بالبصرة قتل بكابل سنة أربع وأربعين[1].

كان أبو رفاعة إذا صلّى وفرغ من صلاته ودعا، كان في آخر ما يدعو به: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وإذا كانت خيرًا لي، فتوفني وفاة طاهرة طيبة يغبطني بها من سمع بها من إخواني المسلمين من عفتها وطهارتها وطيبها. واجعله قتلاً في سبيلك، واجدعني[2] عن نفسي. قال: فخرج في جيش عليهم عبد الرحمن بن سمرة، فخرجت من ذلك الجيش سرية، عامتهم من بني حنيفة، فقال: إني منطلق مع هذه السرية. قال أبو قتادة: ليس ها هنا أحد من بني...، ليس في رحلك أحد. قال: إن هذا الشيء قد عزم لي عليه، إني لمنطلق. فانطلق معهم، فأطافت السرية بقلعة فيها العدو ليلاً، وبات يصلي، حتى إذا

---

(١) «الإصابة» (٤/ ٧١).

(٢) أي: اقطعني. «مقاييس اللغة» (١/ ٤٣٢).

كان من آخر الليل توسَّد ترسه فنام فأصبح أصحابه ينظرون من أين يأتون، من أين يأتونها، ونَسَوْه نائمًا حيث كان، فبصر به العدو وأنزلوا عليه ثلاثة أعلاج[١] منهم، فأتوه فأخذوا سيفه، فقال أصحابه: أبو رفاعة نسيناه حيث كان فرجعوا إليه، فوجدوا الأعلاج يريدون أن يسلبوه فأزاحوهم عنه واجتروه، فقال عبد اللَّه بن سمرة، ما شعر أخو بني عدي بالشهادة حتى أتته[٢].

وكان أبو رفاعة يقول: ما غزبت[٣] عني سورة البقرة منذ علّمنيها اللَّه عز وجل، أخذت معها ما أخذت من القرآن، وما رفعت ظهري من قيام ليلي قط، وكان يسخن لأصحابه الماء في السفر فيقول: أحسنوا الوضوء من هذا، وسأحسن أنا من هذا، فيتوضأ البارد[٤]. وصدق القائل إذا يقول:

والليل يعرفهم عباد هجعته   والحرب تعرفهم في الروع فرسانا

قيام أبي ثعلبة الخشني -رضي اللَّه عنه- صاحب النبي ﷺ

قال البخاري: اسمه جُرهم ويقال: جرثوم بن ناشم. وهو من أهل بيعة الرضوان. وأسهم له النبي ﷺ يوم خيبر، وأرسله إلى قومه.

قال أبو الزاهرية: سمعت أبا ثعلبة يقول: إني لأرجو ألا يختقني

---

(١) جمع علج وهو الرجل القوي الضخم، وقد يراد بالعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم «النهاية» (٣/ ١٢١).

(٢) «كتاب الجهاد» ص(١٣٢).

(٣) ما غابت عن علمي «لسان العرب» (١/ ٥٩٦).

(٤) «كتاب الجهاد» ص(١٣٣، ١٣٤).

اللَّه كما أراكم تخنقون. فبينا هو يصلي في جوف الليل، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباها قد مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها أين أبي؟ قالت: في مصلاه، فنادته فلم يجبها، فأنبهته فوجدته ميتًا[١].

قيام سهيل بن عمرو ـ رضي اللَّه عنه ـ

خطيب قريش، وفصيحهم، ومن أشرافهم.

تأخر إسلامه إلى يوم الفتح، ثم حسن إسلامه. كان سمحا جوادًا مفوّهًا. وقد قام بمكة خطيبًا عند وفاة رسول اللَّه ﷺ، بنحو من خطبة الصدّيق بالمدينة، فسكّنهم وعظم الإسلام.

قال الزبير بن بكار: كان سهيل بعدُ كثير الصلاة والصوم والصدقة، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدًا، ويُقال: إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغيّر، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن. وكان أميرًا على كردوس يوم اليرموك.

قال المدائني وغيره: استشهد يوم اليرموك. وقال الشافعي: مات في طاعون عمواس[٢].

قيام عبد اللَّه بن حنظلة بن أبي عامر الراهب أمير الأنصار

أبوه غسيل الملائكة، وكانت لعبد اللَّه رؤية، استشهد يوم الحرة

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٤٥)، «تهذيب ابن عساكر» (٣/ ٣٥٩)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس».

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٩٤، ١٩٥).

سنة٦٣هـ وكان أمير الأنصار بها.

قال سعد مولى عبد اللَّه بن حنظلة: «لم يكن لعبد اللَّه بن حنظلة فراش ينام عليه، إنما كان يلقي نفسه هكذا إذا أعيا من الصلاة توسَّد رداءه وذراعه يهجع شيئًا»[1].

قال سهيل بن أساف في صفة الصحابة:

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم ... ينادونه خوفًا ويدعونه قصدًا

وقاموا بليــــل والظــلام مُغَلِّلُ ... إلى منزل الأحباب فاستعملوا الكدًا

يحثون حثّ الشوق نحو مليكهم ... وقصدهم الفردوس كي يرزقوا الخلدا

أولئك قوم في العبادة أخلصوا ... فتاهوا به شوقًا وماتوا به وجدا

* * *

(١) «كتاب التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا ص(١٧٦). تحقيق ودراسة مصلح بن جزاء الحارثي ـ مكتبة الرشد.



قيام الليل
عند السلف
رضي الله عنهم

هدي السلف في القيام

فائدة هامة

قبل الدخول في سيرة سلفنا بعد الصحابة نعرّج بك على كلام طيب للشاطبي في «الاعتصام» (١/٣٠٨ ـ ٣١٣): قال ـ رحمه اللَّه ـ:

«إن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التي يشق دوامها معارض بما دل على خلافه، فقد كان رسول اللَّه ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه، فيقال له أو ليس قد غفر اللَّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟» ويظل اليوم الطويل في الحر الشديد صائمًا، وكان ﷺ يواصل الصيام ويبيت عند ربه يطعمه ويسقيه ونحو ذلك من اجتهاده في عبادة ربه، وفي رسول اللَّه ﷺ أسوة حسنة، ونحن مأمورون بالتأسي به». فإن أبيتم هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصًا بهذه القضية ولذلك كان ربه يطعمه ويسقيه، وكان يطيق من العمل ما لا تطيقه أمته. فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التي استدللتم بها على الكراهة؟ حتى إن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود وجاء عن عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه كان إذا صلى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله، وكم من رجل صلى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة؟! وسرد الصيام كذا كذا سنة؟! وكانوا هم العارفين بالسنة لا يميلون عنها لحظة. وروي عن ابن عمر وابن الزبير ـ رضي اللَّه عنهم ـ أنهما كانا يواصلان الصيام. وأجاز مالك ـ وهو إمام في الاقتداء ـ صيام

الدهر، يعني إذا أفطر أيام العيد، ومما يحكى عن أويس القرني - رضي اللَّه عنه - أنه كان يقوم ليلة حتى يصبح ويقول: بلغني أن للَّه عبادًا سجودًا أبدًا، وأن للَّه عبادًا ركوعًا أبدًا، وعبادًا قيامًا أبدًا - يريد أنه يتنفل بالصلاة فتارة يطول فيها القيام، وتارة الركوع والسجود. وعن الأسود ابن يزيد أنه كان يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له: ويحك لم تعذب هذا الجسد؟! فيقول إن الأمر جد، إن الأمر جد. والآثار في المعنى كثيرة عن الأولين، وهي تدل على الأخذ بما هو شاق في الدوام، ولم يعدُّهم أحد بذلك مخالفين للسنة، بل عدوهم من السابقين، جعلنا اللَّه منهم. وأيضًا فإن النهي ليس عن العبادة المطلوبة، بل هو عن الغلو فيها - غلوًا يدخل المشقة على العامل. فإذا فرضنا من فقدت في حقه تلك العلة، فلا ينهض النهي في حقه، كما إذا قال الشارع: «**لا يقض القاضي وهو غضبان**»، وكانت علة النهي تشويش الفكر عن استيفاء الحجج، اطرد النهي مع كل مشوش، وانتفى عند انتفائه، حتى إنه منتف مع وجود الغضب اليسير الذي لا يمنع من استيفاء الحجج وهذا صحيح جار على الأصول. وحال من فقدت في حقه العلة حال من يعمل بحكم غلبة الخوف أو الرجاء أو المحبة فإن الخوف سوط سائق والرجاء حادٍ قائد، والمحبة سيل حامل. فالخائف إن وجد المشقة فالخوف مما هو أشق يحمله على الصبر على ما هو أهون، وإن كان العمل شاقًا. والراجي يعمل وإن وجد المشقة؛ لأن رجاء الراحة التامة يحمله على الصبر على بعض التعب، والمحب يعمل ببذل المجهود شوقًا إلى المحبوب فيسهل عليه الصعب ويقرب عليه البعيد، وهو القوى (كذا) ولا يرى أنه أوفى بعهد المحبة ولا قام بشكر النعمة، ويعمر

الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمته.

وإذا كان كذلك صح الجمع بين الأدلة وجاز الدخول في العمل التزامًا مع الإيغال فيه، إما مطلقًا، وإما مع ظن انتفاء العلة، وإن دخلت المشقة فيما بعد، إذا صح مع العامل الدوام على العمل، ويكون ذلك جاريًا على مقتضى الأدلة، وعمل السلف الصالح.

والجواب أن ما تقدم من أدلة النهي صحيح صريح، وما نقل عن الأولين يحتمل ثلاثة أوجه:

(أحدها): أن يحمل أنهم عملوا على التوسط الذي هو مظنة الدوام، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى، أو يتركوا العمل، أو يبغضوه لثقله على أنفسهم بل التزموا ما كان على النفوس سهلاً في حقهم فإنما طلبوا اليسر لا العسر، وهو الذي كان حال رسول اللَّه ﷺ، وحال من تقدم النقل عنه من المتقدمين، بناءً على أنهم عملوا بمحض السنة والطريقة العامة لجميع المكلفين. وهذه طريقة الطبري في الجواب، وما تقدم في السؤال مما يظهر منه خلاف ذلك فقضايا وأحوال يمكن حملها على وجه صحيح، إذا ثبت أن العامل ممن يقتدى به.

و(الثاني): يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا، لكن على جهة الالتزام لا بنذر ولا غيره، وقد يدخل الإنسان في أعمال يشق الدوام عليها ولا يشق في الحال، فيغتنم نشاطه في حالة خاصة غير ناظر فيها فيما يأتي، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه؛ لأن المندوب لا حرج في تركه في الجملة.

فتأملوا وجه اعتبار النشاط والفراغ من الحقوق المتعلقة، أو القوة في الأعمال. وأما ما نقل عنهم من أدلة صلاة الصبح بوضوء العشاء وقيام جميع الليل وصيام الدهر ونحوه، فيحتمل أن يكون على الشرط المذكور، وهو أن لا يلتزم ذلك وإنما يدخل في العمل حالاً يغتنم نشاطه، فإذا أتى زمان آخر وجد فيه النشاط أيضًا، وإذا لم يخل بما هو أولى عمل كذلك، فيتفق أن يدوم له هذا النشاط زمانًا طويلاً.. وفي كل حالة هو في فسحة الترك، ولكنه ينتهز الفرصة مع الأوقات، فلا بُعْدَ في أن يصحبه النشاط إلى آخر العمر، فيظنه الظان التزامًا وليس بالتزام. وهذا صحيح، ولا سيما مع سائق الخوف أو حادي الرجاء أو حامل المحبة، وهو معنى قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**» فلذلك قام ﷺ حتى تورمت قدماه، وامتثل أمر ربه في قوله تعالى: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ الآية.

(والثالث): أن دخول المشقة وعدمه على المكلف في الدوام أو غيره ليس أمرًا منضبطًا بل هو إضافي مختلف بحسب اختلاف الناس في قوة أجسامهم، أو في قوة عزائمهم، أو في قوة يقينهم، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفسهم، فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين؛ لأن أحدهما أقوى جسمًا أو أقوى عزيمة أو يقينًا بالموعود، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها، وتقوى مع ضعفها.

فنحن نقول: كل عمل يشق الدوام على مثله بالنسبة إلى زيد فهو منهي عنه، ولا يشق على عمرو فلا ينهى عنه. فنحن نحمل ما داوم

عليه الأولون من الأعمال على أنه لم يكن شاقًا عليهم، وإن كان ما هو أقل منه شاقًا علينا، فليس عمل مثلهم بما عملوا به حجة لنا أن ندخل فيما دخلوا فيه، إلا بشرط أن يمتد مناط المسألة فيما بيننا وبينهم، وهو أن يكون ذلك العمل لا يشق الدوام على مثله.

وليس كلامنا في هذا لمشاهدة الجميع، فإن التوسط والأخذ بالرفق هو الأولى والأحرى للجميع، وهو الذي دلت عليه الأدلة، دون الإيغال الذي لا يسهل مثله على جميع الخلق ولا أكثرهم إلا على القليل النادر منهم.

والشاهد لصحة هذا المعنى قوله ﷺ: «**إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**» يريد ﷺ أنه لا يشق عليه الوصال، ولا يمنعه عن قضاء حق اللَّه وحقوق الخلق. فعلى هذا:

مَن رزق أنموذجًا مما أعطيه ﷺ فصار يوغل في العمل مع قوته ونشاطه وخفة العمل عليه فلا حرج.

وأما رده ﷺ على عبد اللَّه بن عمرو فيمكن أن يكون شهد بأنه لا يطيق على الدوام، ولذلك وقع له ما كان متوقعًا، حتى قال:

«ليتني قبلت رخصة نبي اللَّه ﷺ»، ويكون عمل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما في الوصال جاريًا على أنهم أُعطوا حظًا مما أعطيه رسول اللَّه ﷺ، وهذا بناء على أصل مذكور في كتاب «الموافقات» والحمد للَّه، وإذا كان كذلك لم يكن في العمل المنقول عن السلف مخالفة لما سبق»ا. هـ.

* قيام سيد التابعين: «أويس القرني»:

قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن خير التابعين رجل يقال له أويس - مروه فليستغفر لكم»**، وفي رواية أخرى: **«لوأقسم على اللَّه لأبره»**.

«يسميه الشاطبي: (سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة ويصفه الذهبي بأنه: القدوة سيد التابعين في زمانه) كان ابن حنبل يضرب به المثل في الزهد فيقول: (لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العري حتى قعد في قوصرة)(١) . عاش أويس مستغرقًا في العبادة فهو في نهاره دائم الصلاة وفي ليله قائم حتى يصبح، يقول: (بلغني أن للَّه عباداً سجوداً أبدًا) وربما يقصد بذلك التشبه بالملائكة. لأننا نقرأ له في نص آخر: (لأعبدن اللَّه في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء)»(٢) .

عن الربيع بن خيثم أنه قال: أتيت أويسًا القرني فوجدته قد صلى الصبح وقعد، فقلت: لا أشغله عن التسبيح، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر، فلما صلى العصر قعد يذكر اللَّه إلى المغرب، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء، فلما صلى العشاء صلى إلى الصبح، فلما صلى الصبح جلس فأخذته عينه، ثم انتبه فسمعته يقول: «اللَّهم إني

(١، ٢) انظر: «الزهاد الأوائل» مصطفى حلمي من ص(٨٤ - ٨٩)، «الاعتصام» (١/ ٣٠٩)، «تنبيه المغترين» ص(١١٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي، ابن سعد في «الطبقات»، ابن عساكر في «التاريخ» (٣/ ١٧٤)، «تفسير التستري» ص(٩٤).

ملحوظة: استبعد ابن حزم الحديث النبوي في وصف أويس والظاهر أنه ليس وحده ذهب إلى ذلك؛ لأن ابن عساكر يذكر أن قومًا من المحدثين أنكروا أويسًا بالكلية ويعلق على ذلك بقوله: (وأمر أويس مشهور فلا معنى لهذا القول) وأين حديث مسلم فيه؟!.

أعوذ بك من عين نوامة وبطن لا تشبع»[١].

رحمك اللَّه يا أويس تكره هذه الإغفاءة الخاطفة وتؤنب نفسك عليها. «ولهذا يعده الشاطبي ممن يأخذ بما هو شاق في الدوام، ومع هذا لا يعتبر مخالفًا للسنة، بل إنه من السابقين الأولين، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه»[٢].

* نظر إليه رجل فقال: ما لي أراك مريض الدهر؟! فقال أويس: «وما لأويس لا يكون مريضًا، إن المريض يطعم وأويس غير طاعم، وينام المريض وأويس غير نائم.. ثم قال: يا عجبًا مِمَّنْ يعلم أن الجنة تزين فوقه، وأن النار تسعر تحته، كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما؟»[٣].

وانظر إلى سيد من سادات المسلمين حبسه العري عن صلاة الجماعة أحيانًا، سيد لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيقول: «إن قيام المؤمن بأمر اللَّه لم يبق له صديقًا» يسأله الخليفة أن يكتب إلى عامل الكوفة ليستوصي به فيرفض، قال: (أكون في غبراء الناس أحبّ إلي) إلا أنه كان ينصح هرم بن حيّان بلزوم الجماعة يقول له: «لا تفارق الجماعة فتفارق دينك»، بل إنه من فرط إحساسه بالانتماء للجماعة يود لو شارك في إسعاد المسلمين جميعًا فيوفر لهم المأكل والمشرب، فهو في دعائه وتوسله إلى اللَّه يخاطب ربه بكلمات عميقة الدلالة فيقول: (اللَّهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عار، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري) ولم يكن على ظهره حينذاك إلا خرقة».

(١، ٢، ٣) انظر: المراجع السابقة.

* قيام سيد التابعين: سعيد بن المسيب ـ رحمه اللَّه ـ:

* عن عبد اللَّه بن إدريس عن أبيه قال: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة، وكان يسرد الصوم[1].

عن ابن حرملة، قلت لبرد مولى ابن المسيب: ما صلاة ابن المسيب في بيته؟ قال: ما أدري، إنه ليصلي صلاة كثيرة، إلا أنه يقرأ بـ ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[2]

قال عاصم بن العباس الأسدي: «وكان سعيد بن المسيب يُذكِّر ويُخوِّف، وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيُكثر، وسمعته يجهر ببسم اللَّه الرحمن الرحيم، وكان يحب أن يسمع الشعر، وكان لا ينشده، ورأيته يمشي حافيًا»[3].

* قيام راهب قريش: «أبي بكر بن عبد الرحمن»:

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي، أحد الفقهاء السبعة. كان صالحًا عابدًا متألهًا، وكان يقال له: راهب قريش[4].

* قيام سالم بن عبد اللَّه بن عمر:

قال محمد بن أبي سارة: رأيت سالم بن عبد اللَّه قدم علينا حاجًا، فصلى العشاء، ثم مال إلى ناحية مما يلي باب بني سهم، فافتتح

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٢ ص٨٠).

(٢) «الطبقات» (٥/ ١٣٢).

(٣) يمشي حافيًا أحيانًا وهذا من هدي رسولنا ﷺ. «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٤٠).

(٤) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٣ ـ ٦٤).

الصلاة فلم يزل يمينًا وشمالاً حتى طلع الفجر، ثم جلس فاحتبى بثوبه[١].

*** قيام الأحنف بن قيس[٢] : «سيد أهل البصرة» ـ رحمه اللَّه ـ:**

سيد أهل البصرة صاحب الحزم والرأي ـ رحمه اللَّه ـ.

* «كان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يضع المصباح قريبًا منه، فيضع إصبعه عليه فيقول: حِسٍّ يا أحنف، ما حملَك على ما صنعت يوم كذا وكذا؟ يعني كذا وكذا»[٣].

* انظر إلى حال التابعي الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه، ومع هذا يدعو بالمصحف يومًا حتى يعلم من هو، فينشر المصحف فمرّ بقوم: **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** ومر بقوم: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾** فوقف ثم قال: «اللَّهم لست أعرف نفسي ها هنا»[٤].

*** قيام عمرو بن ميمون الأودي:**

كان إذا رُئي ذُكر اللَّه تعالى:

قال إبراهيم: إن عمرو بن ميمون لمّا كبر أوتد له في الحائط، فإذا سئم من القيام للَّه تعالى، استعان بالوتد[١].

(١) «كتاب التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا ص(١٧٥).

(٢) أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ، يعد في كبار التابعين بالبصرة مات سنة سبع وستين، وقال له عمران الأحنف: سيد أهل البصرة، ومشى مصعب بن الزبير في جنازته وقال يوم موته: ذهب اليوم الحزم والرأي.

(٣) «الزهد» لابن حنبل ص(٢٣٥).

(٤) «مختصر قيام الليل» للمقريزي ص(١٧).

* قيام يزيد بن الأسود الجرشي:

من سادة التابعين بالشام: أسلم في حياة النبي ﷺ. قيل: إنه قال: قلت لقومي: اكتبوني في الغزو. قالوا: قد كبرت. قال: سبحان اللَّه، اكتبوني فأين سوادي في المسلمين؟ قالوا: أما إذ فعلت، فأفطر وتقوّ على العدو، قال: ما كنت أراني أبقى حتى أعاتب في نفسي. واللَّه لا أشبعها من الطعام، ولا أوطئها من منام حتى تلحق باللَّه[٢].

عن سليم بن عامر قال: خرج معاوية يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطّاهم. فأمره معاوية، فصعد المنبر، فقال معاوية: اللَّهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود، يا يزيد، ارفع يديك إلى اللَّه. فرفع يده ورفع الناس، فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس، وهبّت ريح فسُقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم.

عن عبد اللَّه بن يزيد قال: حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود كان يسير في أرض الروم هو ورجل، فسمع هاتفًا يقول: يا يزيد، إنك لمن المقربين، وإن صاحبك لمن العابدين، وما نحن بكاذبين[٣].

* * *

* قيام أبي رجاء العُطَاردي:

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٧).

الإمام الكبير، شيخ الإسلام، عِمْران بن مِلحان التميمي، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ .

قال ابن الأعرابي: كان أبو رجاء عابدًا، كثير الصلاة وتلاوة القرآن، كان يقول: ما آسى على شيء من الدنيا إلاَّ إن أعفِّر في التراب وجهي كل يوم خمس مرات. وكان يختم بالناس في قيام رمضان لكل عشرة أيام[1] .

*** قيام عامر بن عبد اللَّه... عامر بن عبد قيس «راهب العرب»:**

* عن الحسن: أن عامر بن عبد قيس قال: «إني وجدت عيش الناس في أربع: في النساء والطعام واللباس والنوم، فأما اللباس فواللَّه ما أبالي ما واريت به عورتي، وأما النساء فواللَّه ما أبالي امرأة رأيت أو جدارًا، وأما النوم والطعام فقد غلباني إلاّ أن أصيب منهما، فواللَّه لأضرّن بهما جهدي» قال الحسن: «فأضرّ واللَّه بهما جهده حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ[2] وقلما نام الليل ـ رحمه اللَّه ـ.

انظر إلى هذا العَلَم وهو يقول: «اللَّهم إن هؤلاء يغدون ويروحون ولِكُلٍّ حاجة، وإن حاجة عامر أن تغفر له.

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يوبخ نفسه بعد أن انتفخت ساقاه وقدماه من طول القيام فيقول: يا نفس إنما خلقت للعبادة، يا أمارة السوء قومي يا مأوى كل سوء، فوعزة ربك لأزحفنّ بك زحوف البعير، ولئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن، ثم يتلوى كما تتلوى الحبة على

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٥٣ ـ ٢٥٧).

(٢) «الزهد» ص(٢٢٤).

المقلى، ثم يقول: «اللَّهم إن النار قد منعتني من النوم فاغفر لي».

* وكان يصوم أغلب الدهر ويقوم الليل، فقيل له في ذلك، فقال: «وما هذا؟ إن هو إلا أني قد جعلت طعام النهار إلى الليل، ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك كبير أمر»[1] . وكان طعامه طيلة يومه رغفين ـ رحمه اللَّه ـ، وكان يتمثل ويردد: «**ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها**».

وكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح، وإذا جاء النهار قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي، فإذا جاء الليل قال: منْ خاف أَدلج، وعند الصباح يحمد القوم السرى»[2] .

* وقال مالك بن دينار: قالت المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد قيس: ما للناس ينامون وأنت لا تنام؟! قال: إن جهنم لا تدعني أنام.

وكان إذا قام من الليل يقول: أبت عيناي أن تذوق طعم النوم مع ذكر النار[3] .

* بعث معاوية إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله، فكان يقوم الليل كله، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة، ولا يتناول من طعام معاوية شيئًا، كان يجيء معه بكسر فيجعلها في ماء فيأكلها، ويشرب من ذلك، فكتب معاوية إلى عثمان بحاله، فأمره أن يصله

(١) «تنبيه المغترين» ص(١١٥).
(٢) «مختصر قيام الليل» للمقريزي ص(٢٦).
(٣) «مختصر قيام الليل» للمقريزي ص(١٩).

ويدنيه، فقال له: لا إرب لي في ذلك[1] .

هذا هو حال راهب العرب كما قال كعب.

*** قيام مسروق بن عبد الرحمن أبي عائشة ـ رحمه اللَّه ـ:**

قريع القرّاء وسيدهم. . . سيد قرّاء أهل الكوفة.

العالم بربه، الهائم بحبه، الذاكر لذنبه.

حج ـ رحمه اللَّه ـ فما بات إلا ساجدًا[2] .

* كانت امرأة مسروق ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ تقول: «واللَّه ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له، وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسًا ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف»[3] .

رحمك اللَّه أبا عائشة تبكي زوجك خَلْفَك وأنت تتهجد رحمة لك. . لسان حالك يقول:

رحمك اللَّه تزحف كما يزحف البعير من الضعف؟!.

أمسي وأصبح من تذكاركم قلقًا ... يرثى لي المشفقان الأهل والولدُ

قد خدّد الدمع خدي من تذكركم ... واعتادني المضنيان الشوق والكمدُ

وغاب عن مقلتي نومي فنافرها ... وخانني المسعدان الصبر والجلد

(١) «الإصابة» لابن حجر (ج٣ ص٨٥)، انظر: ترجمته في «الإصابة»، و«الحلية»، و«الطبقات الكبرى».

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٩٥)، «الزهد» ص(٣٤٩).

(٣) «تنبيه المغترين» ص(١١٤).

رحمك اللَّه تزحف كما يزحف البعير من الضعف؟!.

لا غرو للدمع أن تجري غواربه ... وتحته الخافقان القلب والكبدُ

لم يبق إلا خفي الروح من جسدي ... فداؤك الباقيان الروح والجسدُ

قال إبراهيم بن محمد: كان لمسروق ستر بينه وبين أهله فيقبل على صلاته، أو عبادته ويخلي بينهم وبين دنياهم[١].

*** أبي العالية ـ رحمه اللَّه ـ:**

* قال ـ رحمه اللَّه ـ: «كنا نعد من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئًا»[٢].

*** أبي قِلابــــة:**

الحافظ القدوة العابد محدث البصرة عبد الملك بن محمد بن عبد اللَّه الرقاشي قال أحمد بن كامل القاضي: قيل إن أبا قلابة كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة[٣].

قيل: إن أم أبي قلابة أُريت وهي حامل به كأنها ولدت هدهدًا، فقال لها عابر: إنْ صدقت رؤياك تلدين ولدًا يكثر الصلاة.

*** أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة ـ رحمه اللَّه ـ:**

* عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص أنه قال: «إنْ كان الرجل

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٨٥)، و«الحلية» (٢/ ٩٦).
(٢) «الزهد» لابن حنبل ص(٣٠٣).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ١٨٦).

فانظر ـ رحمك اللَّه ـ إلى رجل من الرعيل الأول يخبر أن من جاء الفسطاط ليلاً حيث ينزل الصحابة والتابعون يسمع دويّهم لإحياء ليلهم بالعبادة والتهجد، ثم يعجب من أمان أهل زمانه مما كان يخاف منه الأوائل. قال أحد الصالحين: «هنيئًا لمن اكتحلت عيناه برؤية تلك الحياة»[٢].

*** قيام هرم بن حيّان ـ رحمه اللَّه ـ:**

الهائم الولهان، القائم العطشان، عاش في حبه ولهان حرقًا، وعاد قبره حين دفن ريّان غدقًا.

* عن المعلى بن زياد قال: كان هرم بن حيّان يخرج في بعض الليالي وينادي بأعلى صوته: «عجبت من الجنة كيف ينام طالبها؟! وعجبت من النار كيف ينام هاربها؟!، ثم قرأ: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ثم يقرأ «العصر، وألهاكم ثم يرجع»[٣].

*وبات ـ رحمه اللَّه ـ عند حممة صاحب رسول اللَّه ﷺ قال: فبات حممة ليلته يبكي كلها حتى أصبح، فلما أصبح قال له هرم: يا حممة ما أبكاك؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها، وتناثر نجوم السماء فأبكاني ذلك.

*وتمثل محمد بن نافع في السحر ببيت من الشعر فرفع هرم عليه

---

(١)«الزهد» ص(٣٤٨).

(٢)شريط قيام الليل للطحان.

(٣)«الحلية» (ج٢ ص١١٩)، و«الزهد» ص(٢٣١).

السوط وجلده على الظهر قائلاً له: أفي هذه الساعة التي ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر؟!»[١].

* قيام أبي مسلم الخولاني[٢] ـ رحمه اللَّه ـ:

كان لأبي مسلم سوط يعلقه في مسجده فإذا كان السحر ونعس أو ملّ أخذ السوط وضرب به ساقيه، ثم قال: لأنت أولى بالضرب من شر الدواب[١] وفي رواية: «قومي لعبادة ربك واللَّه لأزحفن بك زحفًا حتى يكون الكلال منك لا منّي، وإنك لأولى بالضرب من الدابة لموضع

---

(١) «الزهد» ص(٢٣٢).

(٢) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ في «بستان العارفين» ص(١٨٣): «اسمه عبد اللَّه بن ثوب بثاء مثلثة مضمومة ثم واو مفتوحة مخففة ثم باء موحدة، ويقال: ابن ثواب، ويقال: أثوب. وهو من أهل اليمن، سكن الشام وكان من كبار التابعين، وكان قد رحل إلى رسول اللَّه ﷺ ليصحبه فتوفي النبي ﷺ وهو في الطريق، فجاء ولقي أبا بكر الصديق وعمر وغيرهما من الصحابة. وبإسناد الحافظ أبي طاهر السلفي عن شرحبيل بن الأسود أن الأسود بن قيس العنسي الكذاب لما ادّعى النبوة بعث إلى أبي مسلم الخولاني، فلما جاءه قال: أتشهد أني رسول اللَّه؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول اللَّه؟ قال: نعم. فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأجِّجت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره. فقيل: إنفه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك، فأمره بالرحيل، فأتى أبو مسلم المدينة وقد توفي رسول اللَّه ﷺ واستخلف أبو بكر، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية، فبصر به عمر فقام إليه فقال: من الرجل؟ فقال: من أهل اليمن. قال: فلعلك الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال: ذلك عبد اللَّه بن ثوب، قال: نشدتك اللَّه أنت هو؟ قال: اللَّهم نعم؛ فاعتنقه ثم بكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبي بكر فقال: الحمد للَّه الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن». وروي عنه أنه كان يقول إذا فتر: «أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه، واللَّه لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً».

عقلك وكثرة دعاويك»[٢] .

* قيام عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس ـ رحمه اللَّه ـ:

قال محمد بن إسحاق: «قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود وهو معتل الرجل، فقام يصلي الليلة حتى أصبح شاغراً رجله قائمًا على رجل وصلى بنا العشاء والفجر بوضوء واحد. وقال ـ رحمه اللَّه ـ من قرأ البقرة في ليلة تُوِّج في الجنة»[٣] .

* قيام الحسن البصري:

حليف الخوف والحزن، أليف الهمّ والشجن، عديم النوم والوَسَنْ أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن.

قيل مرة ليونس بن عبيد: هل رأيت أحدًا يعمل بعمل الحسن البصري؟ فقال: واللَّه ما رأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله؟! «كان وعظه يبكي القلوب ووعظ غيره لا يبكي العيون»[٤] .

كان إذا قدم فكأنما أقبل من دفن حميم له، وإذا بكى فكأن النار لم تخلق إلاّ له، رضع لبان الحكمة من أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ.

* قال ـ رحمه اللَّه ـ: إني لم أجد من العبادة شيئًا أشد من الصلاة في جوف هذا الليل[١] .

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٨).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).

(٣) «الزهد» ص(٣٦٠، ٣٦١) و«تهذيب التهذيب» ص(١٤٠).

(٤) «تنبيه المغترين» ص(٩).

* وعنه قال: في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ قال: «من عجز الليل فإنّ له في النهار مستعتب، ومن عجز بالنهار كان له في الليل مستعتب»[2] .

* قال الحسن: «إذا نام العبد ساجدًا باهى اللَّه به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي، يعبدني وروحه عندي وهو ساجد»[3] .

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ما عمل عملاً بعد الجهاد في سبيل اللَّه أفضل من ناشئة الليل» .

* وعنه ـ رحمه اللَّه ـ: «واللَّه لقد أدركت أقوامًا، وصحبت طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوَ له ثوب قط، ولا نُصب له قدر، ولا جُعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها، وسألوا اللَّه أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا اللَّه أن يغفرها، فما زالوا كذلك على ذلك، فواللَّه ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت ـ واللَّه ـ في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(٢٥٩).

(٢) «الزهد» لابن حنبل (٢٧٢).

(٣) «الزهد» ص(٢٨٦).

اللَّه عز وجل في كل يوم وليلة»[١] .

* كلمات للحياة:

وعن الحسن ـ رحمه اللَّه ـ وكلامه يستمطر الدمع لصدقه، وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستعارة ـ يقول:

«إن للَّه عز وجل عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار مخلدين: قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، حوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة، صبروا أيامًا قصارًا تعقب راحة طويلة.

أما الليل فَمُصَّافَّةٌ أقدامهم، تسيل دموعهم على خدودهم، يجأرون: ربنا ربنا، وأما النهار فحلماء علماء، بررة أتقياء كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم»[٢] .

* ويقول ـ رحمه اللَّه ـ في قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ قال: «الذين يمشون على الأرض بالوقار والسكينة، حلماء لا يجهلون وإن جُهل عليهم حلموا، ذلت واللَّه الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى، واللَّه ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة، هذه أخلاقهم التي انتشروا بها في

---

(١) «الزهد» ص(٢٨٥).

(٢) «حلية الأولياء» (ص١٥١ ج٢).

الناس، وهم الذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، أسهروا بالليل الأعين، وهضموا في الآخرة كل شيء، واللَّه ما تعاظم في أنفسهم شيء طلبوا به الجنة، وقالوا حين دخلوا الجنة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ**﴾، ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ:

«واللَّه لقد كابدوا في الدنيا أحزانًا شديدة وخوفًا شديدًا، واللَّه ما أحزنهم من أحزان الناس شيء، أبكاهم الخوف من النار، وأن اللَّه لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة، فعجِّلوا الخوف حتى تلقوا ربكم». وقال: «ذكر ليلهم خير ليل فقال: ﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾، ينتصبون للَّه على أقدامهم، ويفترشون وجوههم سجدًا لربهم، تجري دموعهم على خدودهم فرقًا من ربهم، لأمر ما سهروا ليلهم، ولأمر ما خشعوا نهارهم، صدق القوم واللَّه الذي لا إله إلاّ هو فعملوا، وأنتم تتمنون، فإيّاكم وهذه الأمانيّ رحمكم اللَّه، فإن اللَّه لم يعط عبدًا منيته خيرًا في دنيا ولا آخرة»، وكان يقول: «يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة».

* ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «لقد صحبت أقوامًا يبيتون لربهم في سواد هذا الليل سجدًا وقيامًا، يقومون هذا الليل على أطرافهم، تسيل دموعهم على خدودهم، فمرة ركعًا، ومرة سجدًا، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء في يوم المرجع، فأصبح القوم لما أصابوا من النصب للَّه في أبدانهم فرحين، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين فرحم اللَّه امرءًا نافسهم في مثل هذه الأعمال، ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير في أمره، واليسير من

فعله، فإن الدنيا عن أهلها منقطعة، والأعمال على أهلها مردودة[1]، ثم يبكي حتى تُبل لحيته بالدموع.

* وعنه: «كان يقال ما عمل الناس من عمل أثبت في خير من صلاة في جوف الليل، وما في الأرض شيء أجهد للناس من قيام الليل والصدقة» وكان ـ رحمه اللَّه ـ يصلي قائمًا، فإذا عَي صلّى قاعدًا، فإذا فتر صلى مضطجعًا[2].

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «كان أحدهم يبيت يقرأ القرآن فيصبح يعرف ذلك فيه، وأحدهم اليوم يقرأ القرآن فكأنما يحمل به رداء كتان»[3].

* وقال أيضًا ـ رحمه اللَّه ـ: «قرّاء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة، وصنف أقاموا حروفه وضيّعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم اللَّه، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف، وركدوا في محاربهم، وخَبَوْا في برانسهم، فأولئك اللَّه ينصر بهم على الأعداء، ويسقي بهم الغيث، فواللَّه لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر».

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول لمجتهدي زمانه في العبادة: «واللَّه إن اجتهادكم كاللعب بالنظر لمن كان قبلكم»[1].

* عن عبد اللَّه بن محمد بن إسماعيل قال: حدثني رجل من قيس

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٥، ١٦، ١٧).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٦).

(٣) «الحلية» ص(١٥٠ ج٨).

يكنى أبا عبد اللَّه قال: «بينا أنا ذات ليلة عند الحسن فقام من الليل يصلي فلم يزل يردد هذه الآية حتى أسحر: ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فلما أصبح قلنا: يا أبا سعيد، لم تكن تجاوز هذه الآية سائر الليلة، قال: إن فيها معتبراً ما ترفع طرفًا ولا ترد إلا وقع على نعمة، وما لا نعلم من نعم اللَّه أكثر»[٢].

* صدقت يا طبيب القلوب، يا من نافست من سبقك حتى يعلم أصحاب محمد ﷺ أنهم خلّفوا بعدهم رجالاً فقلت: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره».

قد هيئوك لأمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

*** قيام الربيع بن خُثيم ـ رحمه اللَّه ـ:**

تلميذ عبد اللَّه بن مسعود الذي كان يثني عليه فيقول: «يا أبا يزيد، لو رآك رسول اللَّه ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين»[٣]

* عن عبد الرحمن بن عجلان قال: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي، فمرّ بهذه الآية: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ**﴾ الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد»[٤].

* وكان أصحابه يُعلِّمون شَعْره عند المساء ـ وكان ذا وفرة ـ ثم يصبح والعلامة كما هي، فيعرفون أن الربيع لم يضع جنبه الليلة على

(١) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).

(٢) «كتاب التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا ص(١٥٩).

(٣) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١٠٦).

(٤) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١١٢).

فراشه[١].

* وكانت أمه تناديه: يا بني يا ربيع ألا تنام؟ فيقول: يا أمه من جنّ عليه الليل وهو يخالف البيات حق له ألا ينام»[٢]

* وكانت ابنته تقول له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟!.

فقال: إن النار لا تدع أباك أن ينام[٣].

* واشترى ـ رحمه اللَّه ـ فرسًا بثلاثين ألفًا فغزا عليها، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلي، وربط فرسه، فجاء الغلام فقال: يا ربيع أين فرسك؟ قال: سُرِقت يا يسار. قال: وأنت تنظر إليها؟ قال: نعم يا يسار إني كنت أناجي ربي عز وجل فلم يشغلني عن مناجاة ربي شيء، اللَّهم إنه سرقني ولم أكن لأسرقه، اللَّهم إن كان غنيًا فاهده، وإن كان فقيراً فأغنه، ثلاث مرات[٤].

يا لروعة الموقف، ويا حسن أخلاقك يا أبا يزيد حين تدعو لسارقك.. وأنّي للكلمات أن تصور رقة هذا الموقف؟ ونعم تلميذ عبد اللَّه ابن مسعود أنت، فقد ربّاك على سمعه وبصره، وصُنعت على عينه.

* **قيام عروة بن الزبير بن العوام:**

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١١٢).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١١٤)، «مختصر قيام الليل» ص(١٩)، و«الزهد» ص(٣٢٩، ٣٣٠).

(٣) «الزهد» ص(٢٣١، ٢٣٢)، «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

(٤) «الزهد» ص(٢٣١، ٢٣٢)، «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

المجتهد المتعبد الصوّام ـ رحمه اللَّه ـ:

* عن ابن شوذب قال: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل[1].

رحمك اللَّه يا ابن حواري رسول اللَّه ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة، تقطع رجلك وأنتم صائم فما يتضور وجهك، ثم تقوم من ليلتك هذه!! لقد أتعبتم من خلفكم، وسبقتم واللَّه على كل ضامر فسقى اللَّه قبركم وجمعنا بكم في مستقر رحمته.

*** قيام مطرف بن عبد اللَّه:**

عن ثابت قال: قال مطرف: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن، وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾**، **﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾**، **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾** فلا أراني فيهم، فأعرض نفسي على هذه الآية **﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾** فأرى القوم مكذبين، وأمر بهذه الآية **﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾** فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم[2].

* * *

*** قيام أبي الصهباء صلة بن أشيم العدوي:**

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١٧٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/٤٢٦).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص١٩٨).

كان في الحنادس منتصبًا ذاكرًا.

*قالت عنه زوجته العابدة المتهجدة معاذة: «ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلا حَبْوًا، يقوم حتى يفتر، فما يجيء إلى فراشه إلا حبوًا»[(١)] .

* وكان صلة يخرج إلى الجبّانة فكان يمر عليه شبان يلهون ويلعبون، قال: فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق، وباتوا الليل، متى يقطعون سفرهم؟! قال: فكان كذلك يمر بهم فيعظهم، قال فمرّ بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فقال شاب منهم: يا قوم إنه واللَّه ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام، ثم اتبع صلة وتعبد معه[(٢)] .

*رحم اللَّه قومًا أنت منهم أبا الصهباء فقد قال ثابت: «كان قوم من بني عدي قد أدركنا بعضهم إن كان أحدهم ليصلي حتى ما يأتي فراشه إلا زحفًا، وكان ابن الربيع العدوي يصلي حتى ما يأتي الفراش إلا زاحفًا أو حبوًا، وما كانوا يعدونه من أعبدهم»[(٣)] .

*عن جعفر بن زيد قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، قال: فترك الناس عند العتمة، ثم اضطجع فالتمس غفلة

---

(١)«الزهد» لابن حنبل ص(٢٠٩)، و«مختصر قيام الليل» (١٩)، وأخرجه ابن سعد من طريق عفان بهذا الإسناد وهو صحيح، انظر: «تحقيق سير أعلام النبلاء» (ج٣ ص٤٩٧) صححه شعيب الأرناؤوط.

(٢)«الزهد» ص(٢٠٨)، و«الحلية» (ج٢ ص٢٣٨).

(٣)«مختصر قيام الليل» ص(١٩).

الناس، حتى إذا قلت: هدأت العيون، وثب فدخل غيضة قريبًا منه، فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة. قال: وجاء أسد حتى دنا منه، قال: فصعدت إلى شجرة، قال: أفتراه التفت إليه أو عذبه[1] حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء، فجلس ثم سلم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيرًا أقول تصدعت منه الجبال، فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد اللَّه بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء اللَّه، ثم قال اللَّهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبي من الفترة شيء اللَّه تعالى به عليم[2].

* **قيام محمد بن سيرين:**

كان بالليل بكاءً نائحًا، وبالنهار بسامًا سائحًا.

قالت أم عباد امرأة هشام بن حسن: كنا نزولاً مع محمد بن سيرين في داره فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار[3].

* وقال محمد بن سيرين ـ رحمه اللَّه ـ: لا بد من قيام ولو قدر حلب شاة[4].

عن أنس بن سيرين قال: كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها

---

(١) طرده أو منعه.

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٢٤٠)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، انظر: «تحقيق سير أعلام النبلاء» (ج٣ ص٤٩٩).

(٣) «الحلية» (ج٢ ص٢٧٢).

(٤) «الزهد» ص(٣٠٦).

من الليل فإذا فاته منها شيء قرأه بالنهار في الصلاة[١] .

* قيام مسلم بن يسار:

ذكروا له قلة التفاته في صلاته، فقال: وما يدريكم أين قلبي؟! وكان إذا دخل في صلاته يقول لأهله: تحدثوا فلست أسمع حديثكم.

وكان يقول: «ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة اللَّه عز وجل، وكان يدخل الكعبة فيصلي ركعتين بين العمودين المقدمين ويسجد ويبكي حتى يبل المرمر ويقول: اغفر لي ذنوبي وما قدمته يدي، وكان يقول في سجوده: متى ألقاك وأنت عني راض؟[٢] .

* قيام معاوية بن قرة:

البسام بالنهار البكاء في الأسحار.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: من يدلني على رجل بكّاء بالليل بسّام بالنهار؟[٣] .

* وحدّث أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلوا العشاء: يا بني ناموا لعلّ اللَّه أن يرزقكم من الليل خيراً.

* * *

* قيام عمرو بن الأسود السكوني:

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٧٦)، «والحلية» (٢/ ٢٧١)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٦٥).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤).

(٣) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٢٩)، «الزهد» ص(٢٨٩)، «مختصر قيام الليل» ص(١٩).

كان عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ يقول: «من سرّه أن ينظر إلى هدي رسول اللَّه ﷺ فلينظر إلى هدي عمرو بن الأسود».

* كان ـ رحمه اللَّه ـ من العبّاد الزهاد وكان له حلة بمائتي درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل[1] .

* **قيام الليل عند أبي محمد ثابت بن أسلم البناني ـ رحمه اللَّه ـ:**

المتعبد الناحل والمتهجد الذابل.

قال أنس بن مالك: «إن للخير مفاتيح، وإن ثابتًا مفتاح من مفاتيح الخير».

قال ـ رحمه اللَّه ـ: لا يسمى عابد أبدًا عابدًا وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه.

قالت ابنته: كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال في دعائه:

«اللَّهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة في قبره فأعطينيها فما كان اللَّه ليرد ذلك الدعاء»[2]

* وكان يصلي قائمًا حتى يعيى، فإذا أُعيى جلس فيصلي وهو جالس.

* وعنه: الصلاة خدمة اللَّه في الأرض، لو علم اللَّه عز وجل

---

(١) «البداية والنهاية» (ج٨ ص٢٦).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣١٨).

شيئًا أفضل من الصلاة لما قال: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾.

* وعن المبارك بن فضالة ـ رحمه اللَّه ـ: دخلت على ثابت البناني في مرضه، فلما دخلنا عليه قال: يا إخوتاه لم أقدر أن أصلي البارحة كما كنت أصلي، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابي فأذكر اللَّه عز وجل كما كنت أذكره معهم، ثم قال: «اللَّهم إذا حبستني عن ثلاث فلا تدعني في الدنيا ساعة: إذا حبستني أن أصلي كما أريد، وأصوم كما أريد، وأذكرك كما أريد فلا تدعني فيها ساعة.

* قال ثابت: كان رجل من العباد يقول: إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم فلا أنام اللَّه عينيّ إذًا. قال جعفر: كنا نرى ثابتًا إنما يعني نفسه[1].

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعّمتُ بها عشرين سنة[2].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلي فلا يأتي فراشه إلا زاحفًا[3].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل».

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقوم الليل فإذا أصبح يأخذ قدماه بيده

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٢٠).
(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٢١).
(٣) «تنبيه المغترين» ص(١١٥).

فيعصرهما ثم يقول: «مضى العابدون وقُطِع بي، وا لهفاه»[١] .

قال شعبة: كان ثابت البناني يقرأ القرآن في كل ليلة ويصوم الدهر[٢] .

وقال هشام بن حسّان: ما رأيت أحدًا قط أصبر على طول القيام والسهر من ثابت، صحبناه مرة إلى مكة فكنا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلي حتى يصبح، وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظًا ونحن نسير إما باكيًا وإما تاليًا.

قال حماد بن سلمة: قرأ ثابت: ﴿ **أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً** ﴾ [الكهف: ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل وينتحب ويرددها.

قال بكر المزني: من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني، فما أدركنا الذي هو أعبد منه.

وقال حماد بن زيد: رأيت ثابتًا يبكي حتى تختلف أضلاعه[٣] .

*** قيام الإمام حمزة بن حبيب الزيَّات أحد القراء السبعة:**

قال الذهبي: كان إمامًا حجة قيَّامًا بكتاب اللَّه عابدًا خاشعًا قانتًا للَّه تخين الورع عديم النظير.

وقال يحيى بن معين: سمعت محمد بن الفضيل يقول: ما أحسب

---

(١) «صفة الصفوة».

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» ص(٢٣٢)، وأحمد في «العلل»، وأبــو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٢١)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٦).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤ ـ ٥٥٦).

أن اللَّه يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة كان ـ رحمه اللَّه ـ يقرأ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلي أربع ركعات، ثم يصلي ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء وحدَّث بعض جيرانه أنه لا ينام الليل وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن. قال حمزة ـ رحمه اللَّه ـ: نظرت في المصحف؛ حتى خشيت أن يذهب بصري[1].

*** قيام أبي جعفر القاري:**

يزيد بن القعقاع المدني أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات.

قال نافع القارئ: كان أبو جعفر يقوم الليل، فإذا قرأ يَنْعَس، فيقول لهم: ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها، فكانوا يفعلون ذلك، والنوم يغلبه فقال: إذا نمت، فمدوا خصلة من لحيتي. قال: فمرّ به مولاه، فيرى ما يفعلون به. فيقول: أيها الشيخ، ذهبت بك الغفلة، فيقول أبو جعفر: هذا في خلقه شيء، دوروا بنا وراء القبر.

عن نافع، قال: «لما غُسِّل أبو جعفر، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن»[2]

رحمك اللَّه مِنْ صاحب قرآن وصاحب ليل.

*** قيام قتادة بن دعامة:**

الحافظ الرغَّاب، الواعظ الرهّاب، قتادة أبو الخطاب.

* قال أبو الخطاب قتادة ـ رحمه اللَّه ـ: «ابن آدم: إن كنت لا تريد

---

(١) «معرفة القرَّاء الكبار» (١/ ١١١ ـ ١١٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

أن تأتي الخير إلاّ بنشاط، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل، ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن المتقوي، وإن المؤمنين هم العجّاجون إلى اللَّه بالليل والنهار، وما زال المؤمنون يقولون: ربّنا ربنا في السر والعلانية حتى استجاب لهم»[١].

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: منع البر النوم، وكانوا ينامون قبل الإسلام، فلمّا جاء الإسلام أخذوا واللَّه من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا به إلى ربهم[٢].

* وكان يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختمه في كل ثلاث ليال مرة.

* فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة.

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ قال: إن للَّه تعالى مقامًا هو قائمه، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام، فنصبوا ودأبوا الليل والنهار.

*** قيام محمد بن واسع:**

«زين القرّاء»[٣] ـ رحمه اللَّه ـ.

كان ـ رحمه اللَّه ـ من قرّاء الرحمن.

* قال أبو الطيب موسى بن بشار:

«صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلي الليل

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٣٦).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٣٨).

(٣) سمّاه بهذا الحسن.

أجمع في المحمل جالسًا يومئ برأسه إيماءً، وكان يأمر الحادي يكون خلفه، ويرفع صوته؛ حتى لا يفطن له، وكان ربما عرس من الليل فينزل فيصلي، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً فيجيء إليهم فيقول: الصلاة الصلاة[١] .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يبالغ في إخفاء عمله ويقول: لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته[٢] ، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول أيضًا: إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به.

عن زهير السلولي قال: كان محمد بن واسع يصلي من الليل على ظهر سطح قال: فربما سقط من طول القيام[٣]

* قيام العلاء بن زياد العدوي:

قال مالك بن دينار لهشام بن زياد: حدّثهم بحديث أخيك، قال: نعم، كان أخي العلاء بن زياد يحيي كل ليلة جمعة فجاء ذات ليلة فقال لامرأته أسماء: إني أجد الليلة فترة فإذا مضى كذا وكذا من الليل فأيقظيني، قال: فلما جاءت الساعة انتبه فزعًا، فقال: إنه أتاني آت فأخذ بمقدم رأسي فقال: يا ابن زياد قم فاذكر اللَّه عز وجل يذكرك. قال

(١) «حلية الأولياء» (ج٢ ص٣٤٦).
(٢) «الحلية» (ج٢ ص٣٤٧).
(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٩).

هشام: فواللَّه ما زلن تلك الشعرات قيامًا في مقدم وجهه ما صحب الدنيا وبعد موته، ولقد غسلناه وإنهن لقيامٌ وما سكنّ[١].

* قيام مالك بن دينار «أبي يحيى الخائف الجثّآر»:

* قال المغيرة بن حبيب: تعاهدت مالكًا ذات ليلة فجئت، وقد لبست وطيفة في ليالي الشتاء، قال: فطرحت نفسي على باب البيت، قال فدخل مالك فاستقبل القبلة، وأخذ بلحيته، وجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرّم شيبة مالك على النار، فما زال كذلك حتى طلع الفجر[٢].

* وكان يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: أيها الناس النار... النار[٣].

* وكان إذا قام في محرابه يقول: يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار فأي الدارين دار مالك؟ ثم يبكي.

* قيام عبد اللَّه بن غالب الحداني «أبي قريش العابد»:

* كان من عباد البصرة ومن خيار الناس، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول في دعائه: «اللَّهم إنا نشكو إليك سفه أحلامنا ونقص علمنا

---

(١) «الزهد» ص(٢٥٥)، إحياء كل ليلة جمعة معناه واللَّه أعلم قيامها كلها مع قيام بقية الليالي أما تخصيص ليلة الجمعة فهذا منهي عنه.
(٢) «الزهد» ص(٣٢٥)، «الحلية» (ج٢ ص٣٦١).
(٣) «الحلية» (ج٢ ص٣٦٩).

واقتراب آجالنا وذهاب الصالحين منا»[١] .

* قال ـ رحمه اللَّه ـ: لقد ذهب الطاعون الجارف ببنيّ وما شبعت من حديثهم، أما النهار فكما ترون ـ وكان يصلي فيما بين الظهر والعصر وما بين المغرب والعشاء يسبح تسبيحًا كثيرًا دائمًا ـ وأما الليل فأقول الحقوا بأمكم»[٢] .

* ولقيه الحسن فقال له الحسن: لو رفقت بنفسك، فقال عبد اللَّه ﴿كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ ثم خرّ فسجد، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لهذا خلقنا وبهذا أمرنا[٣] .

* قال المغيرة بن حبيب: لما برز العدو قال عبد اللَّه بن غالب: «على ما آسى من الدنيا فواللَّه ما فيها للبيبٍ جذل، وواللَّه لولا محبتي لمباشرة السهر بصفحة وجهي، وافتراش الجبهة لك يا سيدي، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس[٤] في ظلم الليالي رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنيًا لفراق الدنيا وأهلها، ثم كسر جفن سيفه، وتقدم فقاتل حتى قُتل، فلما دفن أصابوا من قبره المسك، وكان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك، ورآه رجل فيما يرى النائم فقال: يا أبا فراس ماذا صنعت؟ قال: خير الصنيع، قال: إلى ما صرت؟ قال: إلى الجنة، قال: بم؟ قال: بحسن اليقين وطول التهجد، وظمأ الهواجر، قال: فما هذه الرائحة الطيبة التي توجد من قبرك؟ قال:

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(٢٤٧).
(٢) «الزهد» ص(٢٤٨).
(٣) «تهذيب التهذيب» (ج٥ ص٣٥٤، ٣٥٥).
(٤) الكراديس: ملتقى كل عظمَين كبيرين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين.

تلك رائحة التلاوة والظمأ، قال له أوصني، قال: اكسب لنفسك خيرًا، لا تخرج عنك الليالي والأيام عطلاً، فإني رأيت الأبرار نالوا البرّ بالبر».

وكان يصلي في اليوم مائة ركعة[1].

أخفَوا للَّه القيام فجعلهم اللَّه سادة، ونشر اللَّه عملهم حتى نمّ التراب عنه.

*** قيام أيوب السختياني:**

سيد الفتيان، وفتى العباد والرهبان، السختياني أيوب بن كيسان كان «سيد الفقهاء» كما يقول شعبة و«سيد الفتيان» كما يقول الحسن.

كان يقوم الليل كله فيخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[2].

ولكن كيف يخفي الليل بدرًا ساطعًا؟ رحمك اللَّه يا سختياني.

قال ابنه: كان يجهر بالقرآن من الليل، وكان يقوم بالسحر الأعلى.

لسان حالك يا أيوب يقول:

أسائل عمن لا أريد وإنما ... أريدكمُ من بينهم بسؤالي

فيعثر ما بين الكلام ورجعه ... لساني بكم حتى ينم بحالي

وأطوي على ما تعلمون جوانحي ... وأظهر للعذال أني سالي

(١) «مختصر قيام الليل» للسمرقندي ص(٢٩).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٨).

* قيام كُرْز بن وبرة الحارثي:

الزاهد القدوة. كان له الصيت البالغ في النسك والتعبد.

عن محمد بن فضيل، عن أبيه قال: دخلت على كرز بيته، فإذا عند مصلاه حفيرة قد ملأها تبنًا وبسط عليها كساءً من طول القيام فكان يقرأ في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات.

وعن ابن فضيل عن أبيه: أن كرزًا كان له عود عند المحراب يعتمد عليه إذا نعس.

وعن فضيل بن غزوان: كان كرز يصلي حتى ترم قدماه، فيحفر الحفيرة - يعني: تحت رجليه.

وقال أبو المُكتب: صحبت كرزًا إلى مكة، فاحتبس يومًا وقت الرحيل، فانبثوا في طلبه، فأصبته في وَهْدَةَ يُصلي في ساعة حارة، وإذا سحابة تظله، فقال لي: اكتم هذا واستحلفني.

وعن أبي حفص السائح عن أبي بشر قال: كان كرز بن وبرة من أعبد الناس، وكان قد امتنع من الطعام، حتى لم يوجد عليه من اللحم، إلا بمقدار ما يوجد على العصفور، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينًا ولا شمالاً، وكان من المحبين المخبتين للَّه، قد وله من ذلك، فربما كُلّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه باللَّه واشتياقه إليه.

قال الذهبي في ترجمة كرز: «هكذا كان زهاد السلف وعبادهم،

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٢٩).

أصحاب خوف وخشوع، وتعبد وقنوع، لا يدخلون في الدنيا وشهواتها، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء، والمحو، والاصطلام، والاتحاد، وأشباه ذلك، مما لا يسوغه كبار العلماء».

أنشد ابن شبرمة:

لو شئت كُنت ككرز في تعبـــده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم(١)

* قيام أبي جعفر الباقر:

الإمام سيد بني هاشم في وقته محمد الباقر بن علي بن الحسين شُهر بالباقر مِنْ: بَقَر العلمَ، أي: شَقَّه فعرف أصله وخفِيّه. ولقد كان أبو جعفر إمامًا مجتهدًا تاليًا لكتاب اللَّه، كبير الشأن.

قال عبد اللَّه بن يحيى: رأيت على أبي جعفر إزارًا أصفر، وكان يُصلي كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة.

وعن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل: بلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة.

قال فيه مالك بن أعْيَن:

إذا طلب الناسُ علم القــرآ ... ن كانت قريش عليــه عيـــالا
وإن قيــل: أين ابن بنت الرســو ... ل نِلتَ بذلك فَرْعًا طُــوالا
نجـــوم تُهَـلِّلُ للمُدلجيـــنَ ... جبـــالٌ تُــورِّثُ عِلْمًا جبـالا(٢)

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٨٤ ـ ٨٦).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٥)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٢٤).

وعنه قال: أتاني جابر بن عبد اللَّه، وأنا في الكتاب. فقال لي: اكشف عن بطنك، فكشفت، فألصق بطنه ببطني، ثم قال: أمرني رسول اللَّه أن أقرئك منه السلام.

* قيام عاصم بن سليمان الأحول:

الحافظ قاضي المدائن:

قال الثوري: حفاظ الناس أربعة: إسماعيل بن أبي خالد، وعاصم الأحول، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعبد الملك بن سليمان، وأبى أن يجعل الأعمش معهم.

قال محمد بن عباد: إن أبي قال: ربما كان عاصم الأحول صائمًا فيفطر، فإذا صلى العشاء تنحّى يصلي فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر[١].

* قيام الوليد بن عبد الملك:

الخليفة الأموي:

فتح بَوّابة الأندلس، وبلاد الترك، وكان لُحَنة، وحرص على النحو أشهرًا فما نفع، وغزا الروم مرات في دولة أبيه، وكان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء، وضبط الأمور. فاللَّه يسامحه.

قيل: كان يختم في كل ثلاث، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/١٤٩ ـ ١٥٠).

وكان يقول: لولا أن اللَّه ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدًا يفعل ذلك[١].

* الضحّاك بن مزاحم:

صاحب التفسير:

قال عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: «كان من أوعية العلم، وليس بالمجوِّد لحديثه، وهو صدوق في نفسه».

عن قيس بن مسلم: كان الضحّاك إذا أمسى بكى فيقال له: فيقول: لا أدري ما صعد اليوم من عملي[٢].

* قيام طَلْق بن حبيب العَنَزِيِّ:

من العلماء العاملين:

قال ابن الأعرابي: كان يقال: فيه فقه الحسن، وورع ابن سيرين وحِلْم مسلم بن يسار، وعبادة طلق.

قال ابن عيينة: سمعت عبد الكريم يقول: كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة «البقرة»، حتى يبلغ «العنكبوت»، وكان يقول: أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي.

وعن أيوب: ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب، وعن غندر قال: حدثنا عوف عن طلق بن حبيب أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهم إني أسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، ويقين المتوكلين عليك، وتوكل الموقنين بك، وإنابة المخبتين إليك، وإخبات المنيبين إليك،

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٩٩ ـ ٦٠٠).

وشكر الصابرين لك، وصبر الشاكرين لك، ولحاقًا بالأحياء المرزوقين عندك».

عن ابن أبي نجيح: لم يكن ببلدنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب[1].

* قيام وهب بن مُنَبِّه:

الإمام العلامة الأخباري القصصي أخي همام بن منبه.

قال العجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة. له حديث واحد في «الصحيحين».

عن كثير أنه سار مع وهب، فباتوا بصَعْدة عند رجل، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحًا، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافًا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس، فقال الرجل: رأيتك الليلة في هيئة؛ وأخبره فقال: اكتم ما رأيت.

عن المثنى بن الصباح قال: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئًا فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا.

وعن عبد الصمد بن معقل بن منبه قال: صحبت عمي وهبًا أشهرًا يصلي الغداة بوضوء العشاء.

وعن مسلم الزنجي: لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٠١ ـ ٦٠٣)، «حلية الأولياء» (٣/ ٦٣ ـ ٦٤)

وعن عبد الرزاق بن همام عن أبيه قال: رأيت وهبًا إذا قام في الوتر قال: «لك الحمد السرمد، حمدًا لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد، كما ينبغي لك أن تحمد، وكما أنت له أهل، وكما هو لك علينا حق».

وعن عبد الرزاق قال: سمعت أبي يقول: حجّ عامة الفقهاء سنة مئة، فحج وهب، فلما صلوا العشاء، أتاه نفر فيهم عطاء والحسن، وهم يريدون أن يذاكروه القدر؛ قال: فافتنّ في باب من الحمد، فما زال فيه حتى طلع الفجر، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء[1].

قال همام بن نافع: سمعت وهبًا يقول: «إني لأصلي العشاء والصبح أحيانًا بوضوء واحد» يعني: أنه لا ينام الليل حتى يصبح[2].

رحمك اللَّه يا وهب، تحمد مولاك من العشاء إلى الفجر.

* ضيغم بن مالك الراسبي:

قال سيار بن حاتم العنزي: كان ورد ضيغم كل يوم أربعمائة ركعة. قال: وربما أتيته فتقول الجارية: هو في طحينه لم يفرغ منه بعد[3].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤ ـ ٥٥٦).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٤٧٠).

(٣) إسناده حسن:

«ذكره ابن أبي الدنيا في «التهجد» ص(٤٧٢)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٢٤١)، وذكره الذهبي عن ابن الأعرابي في «السير» (٨/ ٤٢١).

* قيام عنبس بن عقبة:

من عباد أهل الكوفة، قال ابن معين: ثقة ثقة، وقال العجلي: ثقة من أصحاب عبد اللَّه[1].

عن يزيد بن حيان قال: كان عنبس بن عقبة إذا سجد كأنه جذم حائط، ويطيل سجوده حتى تقع العصافير عليه من طول سجوده[2].

* قيام سليمان بن طرخان:

أبو المعتمر الإمام.

قال ابن سعد: «من العباد المجتهدين: كثير الحديث ثقة، يصلي الليل كله بوضوء عشاء الآخرة، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد، فيصليان في هذا المسجد مرة، وفي هذا المسجد مرة، حتى يصبحا».

وقال عنه الذهبي «شيخ الإسلام» كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «إن العين إذا عوّدتها النوم اعتادت، وإذا عوّدتها السهر اعتادت».

وكان سليمان التيمي ـ رحمه اللَّه ـ يقول لأهله: هلمّوا حتى نجزي

---

(١) «الجرح والتعديل» (٧/ ٤٠).

(٢) إسناده صحيح:

أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد» (٤٨٤)، والعجلي في «معرفة الثقات» (٢/ ١٩٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٤٩)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/ ٤٦).

الليل فإن شئتم كفيتكم أوله، وإن شئتم كفيتكم آخره. وكان عنده زوجتان، فكانوا يقتسمون الليل أثلاثًا، وكان الناس يتعجبون من صبره على الصلاة، وكان يقوم الليل كله إلا أوله، وربما قام بالآية كلها حتى الصباح .

يقول عنه معمر مؤذنه: «صلى إلى جنبي سليمان التيمي بعد العشاء الآخرة، وسمعته يقرأ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ قال: فلما أتى على هذه الآية: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [1] جعل يرددها حتى خفّ أهل المسجد فانصرفوا، قال: فسمعت فإذا هو فيها لم يجزها وهو يقول: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ .

ولما مات قالت جارية من جيرانه لأمها: يا أماه ما فعل المِشجب[2] الذي كان فوق السطح تظن أن سليمان كان المشجب[3] .

عن معتمر بن سليمان قال: كان أبي يوقظ كل من في الدار إذا دخل شهر رمضان ويقول: قوموا فلعلكم لا تدركوه بعد عامكم هذا[4] .

وعن محمد بن عبد الأعلى قال لي معتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي. مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا، ويفطر يومًا، ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء الآخرة .

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٢٩).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٨)، والمشجب: عيدان تضم رءوسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء «مجمع البحار» .

(٣) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٤١).

(٤) «كتاب التهجد» ص(٢٥٣).

عن معاذ بن معاذ قال: كنتُ إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث، قد أخذ في العبادة. كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي.

عن مثنى بن معاذ عن أبيه قال: ما كنت أشبه عبادة سليمان التيمي إلا بعبادة الشاب أول ما يدخل في تلك الشدة والجدة.

عن يحيى القطان قال: خرج سليمان التيمي إلى مكة، فكان يصلي الصبح بوضوء عشاء الآخرة.

روى المسيب بن واضح عن عبد اللَّه بن المبارك أو غيره، قال: أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة يصلي العشاء والصبح بوضوء واحد.

وعن حماد بن سلمة قال: لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض عشرين سنة[1].

*** قيام عمران بن مسلم:**

القصير الرباني، العابد أبي بكر البصري.

يروى عنه أنه عاهد اللَّه تعالى ألاَّ ينام إلا عن غلبة[2].

*** قيام الحارث بن يعقوب بن عبد اللَّه:**

من فضلاء التابعين وعبادهم.

كان الحارث ربما أحيا الليل صلاة. وكان أبوه يعقوب من العابدين أيضًا. وابنه عمرو بن الحارث عالم الديار المصرية ومفتيها.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩٥ ـ ٢٠٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٥).

عن شعيب بن الليث عن أبيه قال: كان بين عمرو بن الحارث وبين أبيه الحارث بن يعقوب كما بين السماء والأرض في الفضل. فالحارث أفضل. وكان بينه وبين أبيه يعقوب في الفضل كما بين السماء والأرض[١].

* قيام أبي شُجاع القِتْبَاني:

الإمام القدوة بركة الوقت سعيد بن يزيد الحميري الإسكندري.

قال ليث بن عاصم: رأيته إذا أصبح عصب ساقه بمُشَاقة[٢] وبزر كتان من طول التهجد - رضي اللَّه عنه -: وقال الحافظ ابن يونس: كان من العباد المجتهدين[٣].

* عبد اللَّه بن عون:

كان - رحمه اللَّه - يقول: أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثة: هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكف عن أعراض المسلمين[٤].

* المنذر بن مالك أبو نضرة (مغيض الدموع والعبرة):

كان - رحمة اللَّه - يقول: يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ أن يرفع بها صوته.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٤٩ - ٣٥٤).
(٢) المشاقة من الكتان والقطن: ما خلص منه.
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٤١٠ - ٤١١).
(٤) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٤١).

* وكان يقول: من قرأ في ليلة مائة آية إلى ألف آية أصبح وله قنطار من الثواب والقنطار ملء مَسك ثور ذهبًا(١) .

*** قيام حسان بن أبي سنان:**

* قالت امرأة حسّان بن أبي سنان عنه: «كان يجيء فيدخل في فراشي، ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيها، فإذا علم أني نمت سل نفسه فخرج، ثم يقوم فيصلي، قالت: فقلت له يا أبا عبد اللَّه كم تعذب نفسك؟ ارفق بنفسك! فقال: اسكتي، ويحك! فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زمانًا»(٢) .

وقيل له في مرضه ما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة ما بين الطرفين أُحيي ما بين طرفيها، لسان حاله يقول:

جرى حبه مجرى دمي في مفاصلي ... فأصبح لي عن شغل به شغل

كأن سهاد الليل يعشق مهجتي ... فبينهما في كل هجر لنا وصل(٣)

*** قيام أبي همام شميط بن عجلان:**

الوامق الولهان . . والواعظ الولهان.

* كان يصف المتقين فيقول:

«أتاهم من اللَّه أمر وقذهم عن الباطل، فأسهروا العيون وآجاعوا البطون، وأظمأوا الأكباد، وأنصبوا الأبدان، واهتضموا الطارف والتالد، باتوا على تصون، أتاهم وعيد اللَّه فناموا على خوف»(٤) .

---

(١) «حلية الأولياء» (ج٣ ص٩٧).

(٢) «حلية الأولياء» (ج٣ ص١١٧).

(٣) «اللطف في الوعظ» ص(١٤).

(٤) «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٦).

* كان يصف أبناء الدنيا فيقول: دائم البطنة، قليل الفطنة، إنما همه بطنه وفرجه وجلده يقول: متى أصبح فآكل وأشرب، وألهو وألعب، ومتى أمسي فأنام، جيفة بالليل، بطال بالنهار. ويحك ألهذا خلقت، أم بهذا أمرت، أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار؟.

وكان يقول: «اللَّهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا».

وكان يقول: إن اللَّه عز وجل جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، إن الشيخ يكون ضعيفًا يصوم الهواجر ويقوم الليل، والشاب يعجز عن ذلك[1].

* قيام محمد بن المنكدر:

«سيد القرّاء».

كان محمد بن المنكدر ربما يقوم من الليل فيصلي ويقول: «كم من عين الآن ساهرة في رزء، وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح، وكان محمد يرفع صوته بالحمد، فقيل له في ذلك فقال: يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتي بالنعمة»[2].

* قيام صفوان بن سليم:

* قال عنه مالك بن أنس: «كان صفوان يصلي في الشتاء في السطح، وفي الصيف في بطن البيت، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح،

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ١٤٧).

ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم، وإنه لترم رجلاه حتى تعود مثل السفط من قيام الليل ويظهر فيها عروق خضر[١] وكان يصلي في قميص لئلا ينام».ـ رحمه اللَّه ـ لو قيل له غدًا القيامة، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة، وتعقدت ساقاه من طول القيام[٢] .

قال محمد بن أبي منصور: كان صفوان بن سليم أعطى اللَّه عهدًا: لا أضع جنبي على فراشي حتى ألحق بربي، قال: فبلغني أن صفوان عاش بعد ذلك أربعين سنة لم يضع جنبه، فلما نزل به الموت قيل له: رحمك اللَّه ألا تضطجع؟ قال: ما وفيت للَّه بالعهد إذًا، قال: فأسند فما زال كذلك حتى خرجت نفسه؟ قال: ويقول أهل المدينة: إنه ثقبت جبهته من كثرة السجود[٣] .

* أبي حازم ـ رحمه اللَّه ـ :

* كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لقد أدركنا أقوامًا كانوا في العبادة على حد لا يقبل الزيادة[٤] وكان يقول: كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلاً فتعرفه قد مصعه[٥] القرآن، وأدركت القراء الذين هم القراء، أما اليوم فليسوا بقرّاء، ولكنهم خرّاء.

* * *

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٩).
(٢) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).
(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢١٧ ـ ٢١٨)، و«الحلية» (٣/ ١٥٩) ، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٧).
(٤) «تنبيه المغترين» ص(١١٦).
(٥) يريد به هنا الهزال .

*** قيام أبي حمزة محمد بن كعب القرظي:**

كانت أمه تقول له: يا بني لولا أني أعرفك صغيرًا طيبًا وكبيرًا طيبًا لظننت أنك أحدثت ذنبًا موبقًا لما أراك تصنع بنفسك في الليل والنهار.

قال يا أماه: « وما يؤمنني أن يكون اللَّه قد اطلّع عليّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني فقال: اذهب لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن تورد عليّ أمورًا حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي».

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح: ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ والقارعة لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر، أحب إليّ من أن أهدر القرآن هدرًا أو أنثره نثرًا»[1] .

* **قيام عمرو بن دينار:** أبو محمد المتعبّد المتهجد:

قسّم عمرو بن دينار الليل ثلاثًا: ثلثًا ينام، وثلثًا يتحدث، وثلثًا يصلي[2] .

*** قيام يزيد بن أبان الرقاشي:**

قال هشام بن حسان: قال لي ثابت البناني: «ما رأيت أحدًا أصبر على طول القيام والسهر من يزيد بن أبان، يعني الرقاشي»[3] .

لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا أهله... وكفى بهذه الشهادة من ثابت البناني ليزيد بن أبان الرقاشي الرباني.

---

(١) «حلية الأولياء» (٣/ ٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٣٤٨).

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٠٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ١٩٤).

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: إذا أنا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام اللَّه عيني[١].

*وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «بطول التهجد تقر عيون العابدين، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء اللَّه»[٢].

*** قيام عمر بن المنكدر:**

قالت له أمه: إني لأشتهي أن أراك نائمًا، فقال: يا أمّه، واللَّه إن الليل ليرد عليّ فيهولني فينقضي عني وما قضيت منه أربي[٣].

لسان حاله يقول: «ذُقِ الهوى وإن استطعت الملام لُمِ».

*** قيام منصور بن زاذان:**

زين القرَّاء والفتيان، والميسر له تلاوة القرآن:

كان يصلي الليل كله. وقالت أم ولده: كان يقوم الليل فلا يضع جنبه، وما كان يأتيني إلا كما يأتي العصفور، ثم يغتسل ثم يعود إلى مصلاه فلا ينام هذا الليل[٤].

*وكان ـ رحمه اللَّه ـ لا يبيت كل ليلة حتى تبل عمامته بدموعه، ثم يضعها كما قال عنه الحسن[٥].

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(١٩).
(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٨).
(٣) «مختصر قيام الليل» ص(١٩).
(٤) «مختصر قيام الليل» ص(٢٨).
(٥) «الزهد» ص(٢٢٤).

* وقالوا عنه: أنه كان يختم القرآن في كل يوم وليلة[1] .

قيام زين العابدين علي بن الحسين: السجّاد ذي الثفنات:

كانت لركبته ثفنات كثفنات البعير من كثرة صلاته، وكان يقطعها في العام مرتين وكان إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة .

فقيل له في ذلك: فقال: ويحكم أتدرون إلى مَنْ أقومْ؟ ومن أريد أنْ أناجي؟!

وكان يسمى زين العابدين لعبادته. قال مالك: «لقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات»[2] وكان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم؟ فلمّا مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل، ولما مات وجدوا بظهره آثاراً ممّا كان يحمل بالليل جرُب الدقيق إلى المساكين[3] .

رحمك اللَّه يا زين العابدين يتهمونك بالبخل وأنت تخفي الصدقات وتحملها إلى البيوت ليلاً حتى تؤثر جرب الدقيق في ظهرك. قرنت التهجد بالصدقات.

يقول عنه الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته ... عند الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

---

(1) «الحلية» ص(٣/ ٥٨).

(2) «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٠٦).

(3) «حلية الأولياء» (٣/ ١٣٧).

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل مَنْ خير أهل الأرض قيل همُ

قيام طاووس بن كيسان:

* كان ـ رحمه اللَّه ـ يفرش فراشه ثم يضطجع عليه يتقلى كما تتقلى الحبة في المقلاة، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طيّر ذكر جهنّم نوم العابدين[1].

* وكان يقول: ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح وقد كتب له مائة حسنة أو أكثر من ذلك[2].

* وحبس الناس الأسد ليلة في طريق الحج، فدقّ الناس بعضهم بعضًا، فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزل الناس يمينًا وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا، وقام طاووس يصلي، فقال رجل لطاووس: فإنك قد نصبت منذ الليل؟ فقال طاووس: ومنْ ينامُ في السحر؟![3].

*** قيام مصعب بن ثابت بن عبد اللَّه بن الزبير:**

الإِمام القدوة أبي عبد اللَّه الأَسَدي المدني كان من أعبد أهل زمانه. صام هو وأخوه نافع من عمرهما خمسين سنة، قالت عنه ابنته أسماء بنت مصعب: كان أبي يصلي في اليوم والليل ألف ركعة.

وقال يحيى بن مسكين: ما رأيت أحدًا قط أكثر صلاة من مصعب

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٩).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٦).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٤٩ ـ ٣٥٤).

ابن ثابت، كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ويصوم الدهر.

وقال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح: كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر، ويصلي في اليوم والليل ألف ركعة، يبس من العبادة، وكان من أبلغ أهل زمانه[1] .

* قيام أبي بكر بن أبي مريم:

قال عنه الذهبي: « الإمام، المحدث، القدوة، الرباني شيخ أهل حمص ضعفه ابن حنبل وغيره من قبل حفظه.

قال يزيد بن هارون: كان من العباد المجتهدين.

وقال بقية: قال لنا رجل في قرية أبي بكر بن أبي مريم - وهي كثيرة الزيتون - ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام أبو بكر إليها ليلته جمعاء.

وقيل: كان في خديه أثر من الدموع، - رحمة اللَّه عليه -»[2] .

* قيام فتح الموصلي الكبير:

زاهد زمانه: فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي، أحد الأولياء. كانت له أحوال ومقامات وقدم راسخة في التقوى كان لا ينام إلا قاعدًا. وكان بكّاءً، خوّافًا، متهجدًا[3] .

* * *

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٦٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٤٩).

*** قيام عمرو بن عتبة بن فرقد:**

* كان ـ رحمه اللَّه ـ يخرج على فرسه ليلاً،فيقف على القبور فيقول: يا أهل القبور لقد طويت الصحف، لقد رفعت الأعمال [لا تستعتبون من سيئة، ولا تستزيدون من حسنة][1]، ثم يبكي، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح، فيرجع فيشهد صلاة الصبح[2].

* وكان يقول لأبيه: يا أبت إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتي فدعني أعمل في فكاك رقبتي[3].

*وكان يخرج إلي العدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو، ورأوه ليلة يصلي فسمعوا زئير الأسد فهربوا، وهو قائم يصلي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من اللَّه أن أخاف شيئًا سواه[4].

* لما مات عمرو دخل بعض أصحابه على أخته فقال: أخبرينا عنه، فقالت: قام ليلة فاستفتح ﴿**حم**﴾فأتى على هذه الآية ﴿**وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ**﴾فما جاوزها حتى أصبح[5].

*** قيام محمد بن عمرو بن عتبة بن فرقد:**

عن سلمة بن علقمة عن محمد بن عمرو أنه أراداه أبواه أن يزوجاه

---

(١)«مختصر قيام الليل».

(٢)«الزهد» ص(٣٥٣).

(٣)«حلية الأولياء» (٤/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٤)«حلية الأولياء» (٤/ ١٥٦ ـ ١٥٧).

(٥)«صفة الصفوة» (٣/ ٧٢).

فأبى، فاستعانا عليه بعثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال له عثمان: ما لك لا تتزوج؟ فقد تزوج النبي ﷺ وتزوج أبو بكر وتزوج عمر وتزوجت أنا، فقال: ومنْ لي بمثل أعمالكم، فقال عثمان: سبحان اللَّه سبحان اللَّه وأعرض بوجهه وستره بيده صُنع الرجل الذي إذا رأى شيئًا كرهه ـ وصف صنع عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ فلما أكثروا عليه قال: فإني أتزوج، فخطب ابنة جرير، فقال: إني لا أتزوج امرأة حتى أكلمها، قالوا: نعم، قال أبو الحسن: يعني مثنى، فجاءوا بابنة جرير، فقال لها: إنه لا حاجة لي في النساء، وإنّ أبواي قد أبيا عليّ إلا أن يزوجاني، ولك عندهم من الطعام والكسوة ما تريدين، قالت: قد رضيت، قال: فلما أتوه بها قام يصلي من الليل، وقامت تصلي خلفه حتى أصبح، وأصبح صائمًا، وأصبحت صائمة، قال: قال عمرو: فإن كنت لأفتر فيمنعني مكانها، فقال له أبوه: إنا إنما زوّجْناك نريد ولدك، ولا نرى هذه تلدُ فطلِّقْهَا، فطلقها ثم خطب عليه امرأة أخرى فقال: لا أتزوج امرأة حتى أكلمها فأتياه بها فقال لها مثل ما قال لابنة جرير، ثم فترت فكان يومًا مضطجعًا يرى أنه نائم، فقالت لها امرأة من أهلها: يا فلانة ما لك لا تلدين أعجزت؟ قالت: أو تلد المرأة من غير بعل؟ فلمّا سمع بذلك طلقها وتركه أبواه[1] .

* **قيام معضد أبي يزيد العجلي:**

المتعبِّد المتهجد، الشاهد المتشـهِّد، أبو يزيد العجـلي معضـد قال ـ رحمه اللَّه ـ: لولا ثلاث: ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، ولذاذة

(١) «الزهد» لابن حنبل ص(٣٥٤). خير الهدي هدي محمد ﷺ فللزوجة حق يعلم.

التهجد بكتاب اللَّه عز وجل ما باليت أن أكون يعسوبًا[١] .

وكان يقول في سجوده: «اللَّهم اشفني من النوم باليسير»[٢] .

* قيام أبي إسماعيل مرة بن شراحبيل: مُرّة الطيّب.

المدمن للتعبد المواظب على التهجد الذي سُمي «بالطيّب» ـ كما يقول يحيى بن معين ـ لعبادته.

كانت مباركه كأنها مبارك الإبل وكنت ترى أثر السجود في جبهته وكفّيه وركبتيه وقدميه[٣] .

عن عطاء بن السائب قال: كان مرة الهمداني يصلي كل يوم ستمائة ركعة.

قال عطاء: ودخلوا عليه فرأوا موضع سجوده كأنه مبرك البعير[٤] .

* قيام همّام بن الحارث النخعي:

المتعبد القوّام، المتلذذ بالسهر للذكر، همام:

كان يصبح مترجلاً فقال بعض القوم: إنّ جمة همّام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل، وكان ـ رحمه اللَّه ـ صاحب صلاة.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يدعو ويقول: «اللَّهم اشفني من النوم باليسير،

---

(١) ذكر النحل.

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ١٥٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ١٦٢).

(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٤٤٦).

وارزقني سهرًا في طاعتك» فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد»[١].

* قيام أبي مريم زر بن حبيش:

قال عاصم: أدركت أقوامًا كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زر ابن حبيش[٢].

* قيام أبي وائل شقيق بن سلمة الأسدي:

ومن في الناس كأبي وائل؟!.

عن عاصم بن أبي النجود قال: أدركت أقوامًا كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زر وأبو وائل[٣].

* قيام أبي عبد الرحمن السلمي عبد اللَّه بن حبيب:

* قال شمر: أخذ بيدي أبو عبد الرحمن السلمي، فقال: كيف قوتك في الصلاة؟ فذكرت ما شاء اللَّه أن أذكره، قال أبو عبد الرحمن: كنت أنا مثلك أصلي العشاء ثم أقوم أصلي، فإذا أنا حين أصلي الفجر أنشط مني أول ما بدأت[٤].

* قيام بشر بن سعيد الكندي[٥]:

عن بكير بن عبد اللَّه الأشج قال: كان بشر بن سعيد يوقظ أهله بالليل فيقول: الصلاة، ثم يقول: إن السفر لا يقطع إلا بالدلج، وإن

---

(١) «حلية الأولياء» (٤/ ١٧٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٤).

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٧٨)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ١٩).

(٤) «حلية الأولياء» (٤/ ١٩٢)، «الزهد» (٣٦٦).

(٥) شامي، يروي عن واثلة بن الأسقع وأبي أمامة، روى عنه معاوية بن صالح.

الدنيا سفر نصب حتى يفضي العبد إلى رحمة اللَّه [١].

*** قيام عون بن عبد اللَّه بن عتبة:**

كان يقول في بكائه: «ويحي! أزعم أن خطيئتي قد أقرحت قلبي، ولا يتجافى جنبي، ولا تدمع عيني ولا تسهر ليلي، ويحي هل ينام على مثلها مثلي، ويحي! لقد خشيت أن لا يكون هذا الصدق مني».

* وعن عون بن عبد اللَّه: إن اللَّه ليدخل الجنة قومًا فيعطيهم حتى يملّوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فلما نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: يا ربنا إخواننا كنا معهم، فبم فضلتهم علينا؟ فيقول: هيهات هيهات! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون، ويظمئون حين تروون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون [٢].

*** قيام أبي عبد اللَّه سعيد بن جبير: «الفقيه البكّاء»:**

* قال يحيى بن عبد الرحمن: سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ حتى يصبح.

* وقرأ ـ رحمه اللَّه ـ القرآن في ركعة في الكعبة.

* قال خصيف: رأيت سعيد بن جبير يصلي ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح فصليت إلى جنبه وسألته عن آية فلم يجبني، فلما صلّى الصبح قال: إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر اللَّه حتى تصلي الصبح [٣].

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٧، ٢٥٥)، «مختصر قيام الليل» ص(٢٤).

(٣) «صفة الصفوة» (٣/ ٧٨، ٧٩).

وكان له ـ رحمه اللّه ـ ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح، فلم يصح ليلة من الليالي فأصبح سعيد ولم يصل، قال: فشق ذلك عليه، فقال له: ما له؟ قطع اللّه صوته، قال: فما سمع ذلك الديك يصيح بعدها، فقالت له أمه: أي بني لا تدْع على شيء بعدها.

* عن سعيد بن جبير قال: ما أتت عليّ ليلتان إلا وأنا أختم فيها القرآن(1) .

* قيام عبدة بن هلال الثقفي:

«أقسم عليه عمر بن الخطاب أن يُفطر يوم الفطر ويوم الأضحى. وكان قد قال: لا يشهد عليّ ليلي بنوم ولا نهاري إلا بصوم أبداً. ـ رحمه اللّه ورضى عنه ـ»(2) .

* قيام الربيع بن صبيح السعدي البصري:

قال الرامهرمزي: هو أول من صنف الكتب بالبصرة.

قال ابن حبان: «كان من عبّاد أهل البصرة، وزهّادهم، وكان يشبّه بيته بالليل ببيت النحل من كثرة التهجد، إلا أن الحديث لم يكن من صناعته»(3) .

قال عبد اللّه بن غالب: كنت أخدم الربيع بن صبيح، وكنت آتيه بطهوره إذا قام للتهجد، فأسمع من نواحي الدار أصوات المتهجدين كأنها أصوات النحل إذا هي هيجت، قال: فكان الربيع لما اتخذ عبادان قلّ ما

---

(1) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٥٩).

(2) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ١٦٥) ـ مكتبة ابن تيمية.

(3) «المجروحين» لابن حبان (١/ ٢٩٢).

يفارقها، وكان طويل الليل جداً[1] .

* قيام أبي عبد الرحمن زبيد بن الحارث الإيامي أو (اليامي):

لو رأيت وجهه ـ رحمه اللَّه ـ لعلمت أن وجهه قد أخلقه طول القيام وسهر الليل. هذا الرجل المبارك الذي قال عنه سعيد بن جبير ـ وهو مَنْ هُوَ: لو اخترت عبداً للَّه أكون في مسلاخه لاخترت زبيد الإيامي.

عن عبد اللَّه بن شبرمة: كان زبيد الياميّ يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزء عليه، وجزء على عبد الرحمن ابنه، وجزء على عبد اللَّه ابنه، وكان زُبيد يصلي ثلث الليل، ثم يقول لأحدهما: قُم، فإن تكاسل صلىّ جزءه، ثم يقول للآخر: قم، فإن تكاسل صلى جزءه، فيصلي الليل كله[2].

عن سفيان بن عيينة قال: كان زبيد يحيي الليل صلاة فإذا طلع الفجر قعد في مصلاه يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، يردّد هذا التسبيح، قال: وكانت له جارية أعجمية وكانت إذا سمعته يردد هذا التسبيح قالت: روزامد[3] روزامد[4] .

* قيام طلحة بن مصرف اليامي وعبد الجبار بن وائل بن حجر:

قال عبد اللَّه بن إدريس: ما رأيت الأعمش يثني على أحد أدركه إلاّ على طلحة بن مصرف، وقال ابن إدريس: كانوا يسمّونه «سيد القرّاء»[5]

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢١٧).
(٢) «تهذيب الكمال» للمزي (٩/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٣٢).
(٣) كلمة أعجمية جاء تفسيرها في رواية أبي نعيم تعني: جاء النهار.
(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٩)، و«الحلية» (٥/ ٢٩).
(٥) «تهذيب الكمال» للمزي (١٣/ ٤٣٦).

قال أحمد بن عبد اللَّه العجلي:

«اجتمع قرّاء أهل الكوفة في منزل الحكم بن عُتيبة فأجمعوا على أنّ أقرأ أهل الكوفة طلحة بن مصرف، فبلغه ذلك، فغدا إلى الأعمش يقرأ عليه، ليُذهب عنه ذلك الاسم[1].

* وعن سفيان بن عيينة قال: «كانوا يقولون في ذلك الزمان: إن أطول أهل الكوفة تهجدًا طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل[2].

* وقال محمد بن سوقة: «لو رأيت طلحة وزبيدًا لعلمت أن وجههما قد أخلقهما سهر الليالي وطول القيام، كانا واللَّه ممن لا يتوسد القرآن»[3].

وعن محمد بن طلحة بن مصرف قال: كان أبي يأمر نساءه وخدمه وبناته بقيام الليل ويقول: صلوا ولو ركعتين في جوف الليل، فإن الصلاة في جوف الليل تحط الأوزار وهي أشرف أعمال الصالحين[4].

* قيام سلمة بن كُهَيل الحضرمي الكوفي:

قال عنه سفيان: كان ركنًا من الأركان.

وقال طلحة بن مصرف: «ما اجتمعنا في مكان إلا غلبنا هذا القصير على أمرنا يعني سلمة بن كهيل»[5].

قال خلف بن حوشب: «كأن الليل كان في يد سلمة بن كهيل»[6].

---

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (١٣/ ٤٣٧).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٧٧ ـ ١٧٨).

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٧٨)، و«صفة الصفوة» (٣/ ٦٤).

(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٣)، و«مختصر قيام الليل» للمروزي ص(٨٧).

(٥) «تهذيب الكمال» للمزي (١١/ ٣١٦).

(٦) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٤٠).

قال الأجلح: رأيت سلمة بن كهيل في النوم، فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: قيام الليل[1].

* **قيام منصور بن المعتمر:**

حليف الصيام والقيام، خفيف التطعم والمنام:

* يقول عنه أبو بكر بن عياش: رحم اللَّه منصورًا كان صوّامًا قوّامًا.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يصلي في سطحه فلما مات قال غلام لأمه: يا أمه الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه { يعني: آل منصور}.

قالت: يا بني ليس ذلك جذعًا، ذاك منصور قد مات. وفي رواية: أنه قدم على ربه عز وجل.

* وكانت أمه تقول له: إن لعينيك عليك حقًا، ولجسمك عليك حقًا، فكان يقول لها: دعي عنك منصور فإن بين النفختين نومًا طويلاً.

فإذا كان الصبح كحل عينيه، ودهن رأسه، وفرق شفتيه وخرج للناس[2].

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يصلي العتمة ثم يحوّل نعليه عن مقامه فيفتتح الصلاة فيجيء القوم غدوة فإذا هو في مكانه[3].

* كانت جارة لمنصور بن المعتمر لها ابنتان لا تصعدان السطح إلاّ بعدما ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أمّاه، ما فعلت القائمة التي كنت أراها في سطح بني فلان؟ فقالت: يا بنية لم تكن تلك قائمة، إنما كان منصور يحيي الليل كله في ركعة لا يسجد فيها ولا يركع.

(١) «كتاب التهجد» ص(١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٤٠، ٤١).

(٣) «مختصر قيام الليل» (٢٨).

* قال أبو الأحوص: إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل اتّزر وارتدى إن كان صيفًا، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه، ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح.

* وقال زائدة بن قدامة: كان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت: رجل قد أصيب بمصيبة، منكّس الطرف، منخفض الصوت، رطب العينين، إن حركته جاءت عيناه بأربع[1] ، ولقد قالت له أمه يومًا: ما هذا الذي تصنع بنفسك؟ تبكي عامّة الليل لا تكاد تسكت. لعلك يا بني أصبت نفسًا لعلك قتلت قتيلاً. قال: فيقول: يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسي.

* وقال سفيان: كانوا يقولون في ذلك الزمان: إن أطول أهل الكوفة تهجدًا طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل. قال الحميدي: فقلت: فمنصور؟ قال: نعم، إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله، وقال الثوري: لو رأيت منصوراً يصلّي لقلت يموت الساعة.

* وقال تميم بن مالك: كان منصور إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم، ولعله إنما بات قائمًا على أطرافه، كل ذلك ليخفي عليهم العمل.

* وقال سفيان: إن منصوراً صام ستين سنة. يقوم ليلها ويصوم نهارها.

* قال عطاء بن جبلة: سألوا أم منصور بن المعتمر عن عمله، فقالت: كان ثلث الليل يقرأ، وثلثه يبكي، وثلثه يدعو[2] .

* قيام أبي حيان بن سعيد التيمي:

قال عبد اللّه بن إدريس: ما رأيت الليل على أحد من الناس أخفّ

(١) أي: لكثرة دموعه تفيض عيناه كأنها أربع عيون.
(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ١١٣ ـ ١١٥).

منه على أبي حيان التيمي، صحبناه مرة إلى مكة، فكان إذا أظلم الليل فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هيجت من عشها[١].

* قيام الواعظ البر: أبي ذر عمر بن ذر:

كان ـ رحمه اللَّه ـ إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال: جاء الليل، لليل مهابة، واللَّه أحق أن يهاب[٢].

وانظر إليه ـ رحمه اللَّه ـ كيف يستمطر الدمع حين يقول له ابنه ذر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحدٌ فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا؟!

قال: يا بني ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى.

* قيام عروة بن أدية:

كان عروة بن أدية إذا نام الناس بالبصرة خرج فنادى في سككها: يا أهل البصرة الصلاة الصلاة، ثم يتلو هذه الآية: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾[٣] [الأعراف: ٩٧].

* مكحول:

كان مكحول إمام أهل الشام يقول: «من أحيا ليلة في ذكر اللَّه أصبح كيوم ولدته أمه»[٤]

* عبد الرحمن بن أبي نُعْم:

كما يقول الشعبي كان يواصل حتى يعوده أصحابه، وبلغ ذلك

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١١٩). والزنابير: جمع زنبور وهو ذباب لسّاع.

(٢) «مختصر قيام الليل» (٥/ ١١١).

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٤) «حلية الأولياء» (٥/ ١٨٠).

الحجاج فحبسه خمسة عشر يومًا في بيت، ثم فتح عنه فوجده قائمًا يصلي فقال: اذهب فأنت راهب العرب[١].

* قيام بلال بن يحيى العبسي:

قال ليث بن أبي سليم: إن بلالاً العبسي كان يقوم في شهر رمضان فيقرأ بهم الربع من القرآن، ثم ينصرف فيقولون: قد خفّفت بنا الليلة[٢].

عابد:

عن خالد بن دريك قال: كان لنا إمام بالبصرة يختم بنا في شهر رمضان في كل أربع، فرأينا أنه قد خفّف[٣].

* قيام الليل عند عطاء بن ميسرة «أبو عثمان» الخراساني:

* قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر: «كنا في غزاة وكان عطاء الخراساني يحيي الليل صلاة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه أقبل علينا ونحن في فسطاطنا فنادى: قوموا فتوضئوا، وصلُّوا صيام هذا النهار بقيام هذا الليل، فهو أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد، الوحاء[٤] الوحاء ثم النجاء النجاء، ثم يقبل على صلاته.

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يحيي الليل من أوله إلى آخره إلا نومة السحر.

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «كان يقال: قيام الليل محياة البدن، ونور

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٨).

(٣) إسناده حسن: «شعب الإيمان» للبيهقي (٣/ ١٧٨).

(٤) أي: السرعة انظر: «الزهد» لابن حنبل ص(٣٨٢)، «مختصر قيام الليل» ص(١٩)، «حلية الأولياء» (٥/ ١٩٣).

في القلب، وضياء في البصر، وقوة في الجوارح، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجدًا أصبح فرحًا يجد لذلك فرحًا في قلبه، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئًا، وقد فقد أعظم الأمور له نفعًا»[1] .

* قيام بلال بن سعد:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «أدركتهم يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهبانًا»[2] . وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقوم الليل فإذا نعس في الشتاء ألقى بنفسه في الماء البارد، ولما عاتبوه قال: إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم[3] .

* قيام عمر بن عبد العزيز ـ رحمه اللَّه ـ:

ذي الشجن والأزيز، نجيب بني أمية.

* قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم: «يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناسَ من هو أكثر صلاة وصومًا من عمر، فأما أن أكون رأيت رجلاً أشد فرقًا من ربه عز وجل من عمر فإني لم أره، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى بنفسه في مسجده فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح[4] .

---

(١) «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٢٤)، «مختصر قيام الليل» ص(١٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٩/ ٣٤٨).

(٤) «الزهد» لابن حنبل ص(٢٩٩)، «الحلية» (٥/ ٢٦٠).

* وكانت له - رحمه اللَّه - درّاعة من شعر، وغل، وكان له بيت في جوف بيت يصلي فيه لا يدخل فيه أحد، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدرّاعة، ووضع الغل في عنقه، فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر[1]

* وكان - رحمه اللَّه - يتمثل بهذه الأبيات:

أيقظان أنت اليوم أمْ أنت نائمُ وكيف يطيق النوم حيران هائمُ
فلو كنت يقظان الغداة لحرَّقت محاجر عينيك الدموع السَّواجمُ
بل أصبحت في النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفظعات عظائمُ
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم، والردى لك لازمُ
يغرّك ما يبلى، وتشغل بالهوى كما غُرّ باللذات في النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم[2]

رحمك اللَّه يا أبا عبد الملك.. يا حليف السهر. واللَّه ما أبعد جرير حين نعاك فقال في عجز بيت له:

تبكي عليك نجوم الليل والقمر[3]

* عن عطاء قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر ابن عبد العزيز فقلت لها: يا بنت عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين.

قالت: أفعل، ولو كان حيًا ما فعلت، إن عمر - رحمه اللَّه - كان قد فرّغ نفسه وبدنه للناس، كان يقعد لهم يومه، فإن أمسى عليه بقية من

---

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٩١).
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ٣١٩، ٣٢٠).
(٣) «الحلية» (٣٢٠/ ٣٢١).

حوائج الناس يومه وصله بليلته، إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجه الذي كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى[١]، واضعًا رأسه بين يديه، تسيل دموعه على خده، يشهق الشهقة، وأقول: قد خرجت روحه أو انصدعت كبده، فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائمًا[٢].

* بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز - حتى عشى بصرها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام ابنا عبد الملك فقالا: ما هذا الأمر الذي قدمت عليه؟ أجزعت على بعلك؟ فأحق مَنْ جزع على مثله، أم على شيء فاتك من الدنيا؟ فها نحن بين يديك، وأموالنا وأهلونا. فقالت: ما من كُلٍّ جزعت، ولا على واحدة منها أسفت، ولكني والله رأيت منه ليلة منظرًا فعلمت أن الذي أخرجه إلى ذلك الذي رأيت من هولٍ عظيمٌ قد أسكن قلبه معرفته. قالا: وما رأيت منه؟ قالت: رأيته ذاتَ ليلة قائمًا يصلي، فأتى على هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾، فصاح: «وا سوء صباحاه» ثم وثب فسقط، فجعل يخور مني، فظننت أن نفسه ستخرج، ثم إنه هدأ، فظننت أنه قد قضى، ثم أفاق إفاقة فنادى: «يا سوء صباحاه» ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول: «ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش»، قالت:

---

(١) أقعى أي: تساند إلى ما وراءه.

(٢) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز» لابن الجوزي ص(٢٢٣) تحقيق نعيم زرزور - دار الكتب العلمية ببيروت.

فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي[١].

* قرأ ـ رحمه الله ـ ليلة في صلاته سورة ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ فلما بلغ قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ بكى فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثًا، ثم قرأ سورة أخرى غيرها[٢].

* وكان ـ رحمه الله ـ يقول:

إنما الناس ظاعن ومقيم فالذي بان للمقيم عظة
ومن الناس من يعيش شقيًا جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياء ودين راقب الموت واتقى الحفظة[٣]

ولقد راقبت الموت سيدي؛ فأسهرت ليلك يا أشج بني أمية ويا حفيد فاروق الإسلام. وكفتك خصالك الطيبة وأريجها الفوّاح النوراني المخبر.

* لما مات ـ رحمه الله ـ كان استودع مولى له سفطًا يكون عنده فجاءوه فقالوا: السفط الذي كان استودعك عمر. فقال: ما لكم فيه خير، فأبَوْا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك، فدعا بالسفط ودعا بني أمية وقال: حبركم هذا قد وجدنا له سفطًا ووديعة قد استودعها. فدعا به فجاؤا به ففتحوه، فإذا فيه مقطعات كان يلبسها بالليل[٤].

---

(١) «سيرة ومناقب عمر بن العزيز» لابن الجوزي ص(٢٢٣، ٢٢٤).
(٢) «التخويف من النار» لابن رجب ص(٧٩).
(٣) «الحلية» (٥/ ٣٨٣).
(٤) «سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز».

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا

* قيام أبي عثمان النهدي:

يصفه ابن كثير فيقول: كان صوامًا قوامًا يسرد الصوم، ويقوم الليل لا يتركه، وكان يصلي حتى يغشى عليه[1].

قال عاصم بن سليمان الأحول: بلغني أن أبا عثمان[2] كان يصلي بين المغرب والعشاء مائتي ركعة، فأتيته فجلست ناحية وهو يصلي، فجعلت أعدّ ثم قلت: هذا واللَّه الغبن، قال: فقمت فجعلت أصلي معه»[3].

* قيام عبد اللَّه بن محيريز:

قال عنه الأوزاعي: «من كان مقتديًا فليقتد بمثله، فإنّ اللَّه لا يضل أمة فيها مثله»[4].

* وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه.

واشتهر بعبادته بين أهل الشام، حتى وصفه أحدهم بأنه: «إنْ يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر، فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد اللَّه بن محيريز»[5].

---

(١) «ابن كثير البداية والنهاية» (ج٩ ص١٩٠)، وانظر: «الزهاد الأوائل» للدكتور محمد مصطفى حلمي ص(١٠٤).

(٢) أي: النهدي.

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٢٦ ـ ٢٢٧)، والمروزي في «قيام الليل»، «المختصر» ص(٧٤)، والذهبي في «السير» (٤/ ١٧٧) إلا أنه قال: مائة ركعة.

(٤) «الزهاد الأوائل» ص(١٢٥).

(٥) «البداية والنهاية» (ج٩ ص١٨٥)، «الزهاد الأوائل» ص(١٢٦، ١٢٧).

* **أبو إسحاق كعب الأحبار:**

صاحب الكتب والأسفار:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «من تعبد للَّه ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته»[(١)] .

* **قيام عتبة الغلام:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ إذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة قال: «اللَّهم إني قد حملت نفسي ما لا أطيق من المعاصي والقبائح حتى استحقيت الخسف والمسخ ودخول النار، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبني شيء من المغفرة»[(٢)] .

* وجعل ـ رحمه اللَّه ـ للَّه على نفسه ألا ينام من الليل والنهار إلا أقل من نبهه، فقال له بعض أصحابه: لا تنم يا عتبة بالليل ونم بالنهار في الساعات اللاتي لا تحل فيها الصلاة، فهذا أقل من نبهك ووفاء لنذرك. فقال: أنا إذا أريد أن أطلب الحيل فيما بيني وبين ربي، لا أنام ليلاً أو نهارًا إلا وأنا مغلوب، فكنت إذا رأيته رأيته شبه الواله، وما ظنك برجل لا ينام إلا مغلوبًا[(٣)] .

* وكانت أمه تقول له: لو رفقت بنفسك يا ولدي؟ فيقول لها: دعيني يا أماه أتعب في عمر قصير ليوم طويل[(٤)] .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقطع الليل بثلاث صيحات: ولما سألوا جعفر الصادق عن ذلك، قال: «لا تنظروا إلى صياحه وانظروا إلى ما

(١) «الحلية» (٥/ ٣٨٣).
(٢) «تنبيه المغترين».
(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣٢).
(٤) «تنبيه المغترين» ص(١١٥).

صاح منه» أو «لا تنظر إلى صيحته ولكن انظر إلى الأمر الذي كان منه بين الصيحتين»[١].

*وكان يستقبل القبلة فلا يزال في فكر وبكاء حتى يصبح.

* قال رياح القيسي: بات عندي عتبة الغلام فسمعته يقول في سجوده: اللَّهم احشر عتبة بين حواصل الطير وبطون السباع.

رحمك اللَّه يا عتبة فلأنت من رهبان الليل وفرسان النهار ولقد أكرمك اللَّه بصدقك وتهجدك فنلت ما تتمنى.. نلت الشهادة.

رحمك اللَّه يا عتبة لكأنما ربتك الأنبياء كما يقول مخلد بن الحسين.

*** قيام معمر بن المبارك:**

قال الشيخ الخاشع الصالح أبو الوليد العبدي رياح بن الجراح: «ما رأيت أحدًا أعلم بليل من معمر بن المبارك»[٢].

*** قيام المغيرة بن حكيم الصنعاني:**

كان المغيرة بن حكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشيًا، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن، فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متى لحق، فربما لم يلحقهم إلا في آخر النهار.

سلام اللَّه على تلك الأرواح، رحمة اللَّه على تلك الأشباح، ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل:

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ... ونزلت بالبيداء أبعد منزل[٣]

---

(١) «الحلية» (٥/ ٢٣٤)، «تنبيه المغترين» ص(١١٦).
(٢) «كتاب التهجد والقيام» لابن أبي الدنيا ص(٢٠٩).
(٣) «لطائف المعارف».

* قيام خليفة العبدي ـ رحمه اللَّه ـ:

قال ضيغم بن مالك الراسبي [١]: صلى خليفة العبدي حتى انشقت قدماه [٢].

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقوم إذا هدأت العيون فيقول: اللَّهم إليك قمت أبتغي ما عندك من الخيرات ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلي حتى يطلع الفجر وكان يدعو في سجوده فيقول:

«اللَّهم هب لي إنابة إخبات، وإخبات منيب، وزيّني في خلقك بطاعتك، وحسّني لديك بخدمتك، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون، فأنت خير مقصود وخير معبود وخير محمود وخير مشكور» [٣].

* قيام الأسود بن يزيد بن قيس:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يختم القرآن في غير رمضان في ست ليال.

قال عمارة: ما كان الأسود إلا راهبًا من الرهبان.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضرّ جسده ويصفرّ، وكان علقمة يقول له: ويحك لِمَ تُعذّب هذا الجسد؟ فيقول: إنّ الأمر جِدّ، إن الأمر جد.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد.

لَمّا احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع؟ فقال: لا أجزع!! ومَنْ أحقّ بذلك مني، واللَّه لو أُتيتُ بالمغفرة من اللَّه عز وجل لأهمّني الحياء منه بما قد صنعتُ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير

(١) «قال ابن مهدي: ما رأت عيناي مثل ضيغم.

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٨٧)، و«صفة الصفوة» (٤/٦٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/٣٠٣، ٣٠٤).

فيعفو عنه ولا يزال مستحيًا منه[1].

* **قيام أبي إسحاق عمرو بن عبد اللَّه السبيعي:**

عن مغيرة قال: كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأوّل.

قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ذهبت الصلاة مني، وضعفتُ ورقّ عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلاّ البقرة وآل عمران.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «يا معشر الشباب اغتنموا، قل ما تمرّ بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية[2].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ قد ضعف عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام، فإذا أقاموه فاستتمّ قائمًا قرأ ألف آية وهو قائم.

وقال سفيان: كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله وأمّا الشتاء فأوله وآخره وبين ذلك هجعة.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: ما أقلت عيني غمضًا منذ أربعين سنة إذا استيقظت لم أقلها. قال له عون بن عبد اللَّه: ما بقي منك؟ قال: أصلي فأقرأ البقرة في ركعة، قال: ذهب شرّك وبقي خيرك[3].

وعن سفيان بن عيينة قال: قال أبو إسحاق: « أما أنا فإذا استيقظت لم أقلها[4].

* **قيام حجير بن الربيع العدوي:**

قال هلال بن حق: كان حجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فرشه إلا زحفًا وما يعدّونه من أعبدهم.

---

(١) «صفة الصفوة» (ج٣ ص٢٣). (٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٩٤).
(٣) «صفوة الصفوة» (ج٣ ص١٠٤)، «تذكرة الحفاظ» للذهبي (ج١ ص١١٥).
(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٩٧).

قيام رجال من بيت النبوة

قيام علي بن عبد الله بن عبّاس: السجاد... قمر قريش:

قال ابن سعد: كان من أجمل قريش على وجه الأرض.. وكان يدعى السجّاد لكثرة صلاته.

قال مصعب الزبيري: سمعت رجلاً من أهل العلم يقول: إنما كان سبب عبادته أنه رأى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان وعبادته فقال: لأنا أولى بهذا منه وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمًا فتجرّد للعبادة.

قال علي بن أبي حملة: كان علي بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة.

وعن أبي سنان: كان علي بن عبد الله معنا بالشام وكان يصلي كل يوم ألف ركعة[1].

قيام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين «موسى الكاظم»:

كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان إمامًا من أئمة المسلمين. قال الخطيب «روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل، وسُمع وهو يقول في سجوده: عظُم الذنب عندي فليحسن العفو عندك يا أهل التقوى ويا

---

(١) «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٣٥٨).

أهل المغفرة، فجعل يرذدها حتى أصبح.

* قال عمار بن أبان: حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي، فسألته أخته أن تتولى حبسه - وكانت تتدين - ففعل، فكانت تلي خدمته، فحُكي لنا أنها قالت: كان إذا صلى العتمة حمد اللَّه ومجده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل، ثم يرقد إلى قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه، فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل، وكان عبداً صالحًا[1].

* قيام عبد العزيز بن سلمان - رحمه اللَّه -:

كانت رابعة - رحمها اللَّه - تسميه: «سيد العابدين».

وقيل له ما بقي مما تلذ به؟ قال: سرداب أخلو به فيه[2].

* وكان - رحمه اللَّه - يقول: ما للعابدين وما للنوم؟! لا نوم واللّه في دار الدنيا إلا نوم غالب.

* يقول عنه ابنه محمد: كان أبي إذا قام من الليل ليتهجد سمعت في الدار جلبة شديدة، واستقاء الماء الكثير، قال: فنرى أن الجنّ كانوا

---

(١) «تاريخ بغداد» (ج١٣ ص٣١).

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٥).

يستيقظون للتهجد فيصلون معه[١] .

* قيام هشام الدستوائي:

* كان شعبة يقول عنه: ما أقول لكم إن أحدًا طلب الحديث يريد وجه اللَّه تعالى إلا هشام الدستوائي.

* كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «إن للَّه عبادًا يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم»[٢] .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ لا يطفي سراجه بالليل، فقالت له امرأته: «إن هذا السراج يضرّ بنا إلى الصباح فقال: ويحك إنك إذا أطفيتيه ذكرت ظلمة القبر فلم أتقار»[٣] .

* قيام عبد الواحد بن زيد:

«المتفلت من القيد، المتصيِّد للصيد»:

* كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول لأهله: يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود[٤] .

* وقال عنه حصين بن القاسم: لو قسّم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر، ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب.

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢٤٥).

(٢) «مختصر قيام الليل» ص(٢٩).

(٣) «مختصر قيام الليل» ص(٢٧).

(٤) «تنبيه المغترين» ص(٣٥).

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ كثيرًا ما يردد:

ينام من شاء على غفلة والنوم كالموت فلا تتكل
تنقطع الأعمال فيه كما تنقطع الدنيا عن المنتقل

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يبكي ويقول:

فرّق النوم بين المصلين وبين لذّتهم في الصلاة[1].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «وعزتك لا أعلم لمحبتك فرحًا دون لقائك، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك في دار كرامتك، فيا منْ أحلّ الصادقين دار الكرامة، وأورث البطالين منازل الندامة، اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفًا، وأعظمهم منزلة وقربة، تفضلاً منك عليّ وعلى إخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها متدلية عليهم ثمرها»[1].

* **قيام سعيد بن عبد العزيز:**

الإمام القدوة مفتي دمشق:

قال الحاكم: سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام، كمالك لأهل المدينة في التقدم والفقه والإمامة.

قال الوليد بن مسلم: كان سعيد بن عبد العزيز يحيي الليل، فإذا طلع الفجر، جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد.

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم: كنت أسمع وقع دموع سعيد ابن عبد العزيز على الحصير في الصلاة.

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ١٥٥).

قال أبو عبد الرحمن الأسَدي: «قلت لسعيد بن عبد العزيز: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: عسى اللَّه أن ينفعني به، فقال: ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا فاتته الجماعة بكى»(١).

رحمة اللَّه عليك يا أبا محمد من أجل علمك وعبادتك كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وأنت حاضر قال: سلوا أبا محمد. فلا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا أهل الفضل.

*** قيام الأوزاعي:**

شيخ الإسلام أبي عمرو:

رحمك اللَّه أبا عمرو يا من تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبك في نفسك.

قال أبو مسهر: «كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقرآنًا وبكاء»(٢).

ورُوي عنه ـ رحمه اللَّه ـ أنه حجّ فما نام على الراحلة، إنما هو في صلاة، فإذا نعس استند إلى القتب(٣).

ودخلت امرأة كانت لها صلة بزوج الأوزاعي، فنظرت فوجدت بللاً في مسجده في موضع سجوده، فقالت لها: ثكلتك أمك أراك

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٢ ـ ٣٥).

(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ١٧٩) طبعة دار الفكر العربي.

(٣) «البداية والنهاية» (١٠/ ١١٧).

غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ، فقالت لها: ويحك هذا يُصبح كل ليلة من أثر دموع الشيخ في سجوده[١].

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: من أطال القيام في صلاة الليل هوّن اللَّه عليه طول القيام يوم القيامة ـ أخذ ذلك من قوله تعالى ـ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾[٢].

قال الوليد بن مَزْيد: كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوي عليه.

وعن الوليد بن مسلم: ما رأيت أكثر اجتهادًا في العبادة من الأوزاعي.

وعن سلمة بن سلاّم: نزل الأوزاعي على أبي، ففرشنا له فراشًا، فأصبح على حاله[٣].

*** قيام زياد بن عبد اللَّه النميري:**

قال زياد ـ رحمه اللَّه ـ: أتاني آت في منامي فقال: قم يا زياد إلى عبادتك من التهجد، وحظك من قيام الليل، فهو واللَّه خير لك من نومة توهن بدنك، وينكسر لها قلبك، قال: فاستيقظت مرعوبًا، ثم عاودني واللَّه النوم فأتاني ذلك ـ أو غيره ـ فقال: «قم يا زياد فلا خير في الدنيا إلا للعابدين» فوثبت فزعًا[٤].

(١) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/٢١٨)، «البداية والنهاية» (١٠/١١٧).
(٢) «البداية والنهاية» (١٠/١١٧).
(٣) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/٢١٨)، «البداية والنهاية» (١٠/١١٧).
(٤) «الحلية».

* قيام كهمس الدعاء:

كان يقوم بالليل، ويكثر من القيام، فإذا مل قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط[1] .

رحمه الله، يصلي ثم يستغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه.. إذا كان هذا حال المحسنين في عبادتهم فكيف حال المسيئين مثلنا في عباداتهم؟! ارحموا من حسناتهم كلها سيئات وطاعاته غفلات.

* قيام الليل عند الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ:

* قال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته.

* وقال سفيان بن عيينة: ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة.

وكان ـ رحمه الله ـ يحيي الليل ويبكي حتى يرحمه جيرانه.

* وتواترت الأخبار عنه أنه كان يحيي الليل كله حتى قال مغسله بعد الفراغ من غسله: لقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء.

* وجاء رجل من أهل الكوفة فوقع في أبي حنيفة فقال له ابن المبارك: ويحك أتقع في رجل صلى خمسًا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد؟ وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة، وتعلمت الفقه الذي عندي من أبي حنيفة.

* وقال أبو يوسف: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمع رجلاً

---

(١) «الحلية».

يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: واللَّه لا يتحدث عني بما لا أفعل فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعًا.

* وعن ابن الجويرية قال: صحبت حماد بن أبي سليمان، ومحارب بن دثار، وعلقمة بن مرثد، وعون بن عبد اللَّه، وصحبت أبا حنيفة فما كان في القوم رجل أحسن ليلاً من أبي حنيفة، لقد صحبته أشهرًا فما منها ليلة وضع فيها جنبه.

وكان - رحمه اللَّه - إذا أراد أن يصلي من الليل تزين حتى يسرح لحيته.

* وعن مسعر بن كدام قال: أتيت أبا حنيفة في مسجده فرأيته يصلي الغداة ثم يجلس للناس في العلم إلى أن يصلي الظهر، ثم يجلس إلى العصر، فإذا صلى العصر جلس إلى المغرب، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلي العشاء، فقلت في نفسي: هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة؟ لأتعاهدنه الليلة قال: فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ثلاث ليال، كما يقول مسعر، حتى قال مسعر: لألزمنه إلى أن يموت أو أموت.

* وقال مسعر: دخلت ذات ليلة المسجد، فرأيت رجلاً فاستحليت قراءته، فقرأ سُبعًا، فقلت يركع، ثم قرأ الثلث، ثم قرأ النصف، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة، فنظرت فإذا هو أبو حنيفة.

* وقال خارجة بن مصعب: ختم القرآن في الكعبة أربعة من الأئمة: عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة.

* وظلّ ليلة يردد في قيامه بعد العشاء قوله تعالى: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا

وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ إلى الصبح.

* وقال القاسم بن معين: قام أبو حنيفة ليلة بهذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ يرددها ويبكي ويتضرع.

* قال يزيد بن الكميت ـ وكان من خيار الناس ـ كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، وأبو حنيفة خلفه فظل أبو حنيفة قائمًا إلى الصباح وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي بمثقال ذرة شرٍ شرًا، أجِرِ النعمان عبدك من النار، وما يقرب منها من السوء، وأدخله في سعة رحمتك[1].

*** قيام القاضي أبي يوسف:**

الإمام المجتهد تلميذ أبي حنيفة وصاحبه.

عن ابن سماعة قال: كان ورد أبي يوسف في اليوم مئتي ركعة[2].

*** قيام هارون الرشيد:**

كان يغزو عامًا ويحج عامًا.

قال الشاعر:

فمَنْ يطلب لقاءك أو يريده	**فبالحرمين أو أقصى الثغورِ**
ففي أرض العدو على طمر	**وفي أرض الترفه فوق كورِ**
وما جاز الثغور سواك خلق	**من المتخلفين على الأمورِ**

---

(١) «تاريخ بغداد» (ج٣ ص١٥٣، ١٥٧).

(٢) « سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣٧).

* كان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابغة والكسوة التامة.

* قال الحافظ ابن كثير: «كان يصلي في كل يوم مائة ركعة تطوعًا إلى أن فارق الدنيا إلاّ أن تعرض له علة».

قال الفضيل: ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد، وإني لأدعو اللَّه أن يزيد في عمره من عمري، قالوا: فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات، وظهر القول بخلق القرآن فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك[1].

هذا هو الخليفة المفترى عليه.. يغزو عامًا ويحج عامًا ويصلي مائة ركعة.. هذا هو هارون الذي أكثر الرعاع فيه القول وجعلوه نديمًا للكاس والطاس.

* قال منصور بن عمار: «ما رأيت أغزر دمعًا عند الذكر من ثلاثة: فضيل بن عياض وأبو عبد الرحمن الزاهد وهارون الرشيد»[2].

أقلّوا عليه ويحكم لا أبا لكم ... من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّا

وإن تعجب فاعجب من سيرة الخليفة أبي جعفر المنصور الذي تكلموا عنه كخليفة أحاط نفسه بالحُجَّاب وكان شديدًا.. وفشا الظلم ببابه، ولقد أوردنا سيرته ليس كعلم من أعلام سلفنا وقدوة، وإنما لنقول إن قيام السلف وعبادتهم أثرت وامتد أثرها إلى أبي جعفر المنصور الذي فعل وفعل وفعل، ولا عجب فقد كان خليفة على مثل مالك.

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ٢١٣ ـ ٢٢٣).
(٢) «تاريخ بغداد» (١٤/ ٨).

قيام أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي:

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

«كان إذا صلى العشاء نظر في الكتب والرسائل الواردة من الآفاق، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل، ثم يقوم إلى أهله فينام في فراشه إلى الثلث الآخر، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح ثم يخرج فيصلي بالناس».

وكان يقول لابنه: «يا بني لا تجلس مجلسًا إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك، فإن الزهري قال: علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال ولا يكرهه إلا مؤنثوهم، وصدق أخو زهرة» ولقد كان في شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال جيدًا وطرفًا صالحًا.

وقد قيل له يومًا: يا أمير المؤمنين هل بقي شيء من اللذات لم تنله؟ قال: شيء واحد، قالوا: وما هو؟ قال: قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك اللَّه؟ فاجتمع وزراؤه وكتابه، وجلسوا حوله، وقالوا: ليمل علينا أمير المؤمنين شيئًا من الحديث، فقال: لست منهم، إنما هم الدنسة ثيابهم، المشققة أرجلهم، الطويلة شعورهم، رواد الآفاق، وقطاع المسافات، تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن، فهؤلاء نقلة الحديث[1].

* قيام ربيعة بن أبي عبد الرحمن ... ربيعة الرأي:

الإمام مفتي المدينة، وعالم الوقت. كان من أئمة الاجتهاد.

(١) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٢٥، ١٢٦).

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: مكث ربيعة دهرًا طويلاً عابدًا، يصلي الليل والنهار، صاحب عبادة، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم، قال: فجالس القاسم، فنطق بلب وعقل.

قال مالك: ذهبت حلاوة الفقه، منذ مات ربيعة، وكان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة، فإذا غاب ربيعة حدّثهم يحيى بن سعيد أحسن الحديث وكان كثير الحديث، فإذا حضر ربيعة، كفّ يحيى إجلالاً لربيعة، وليس ربيعة أسنّ منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحد منهما مبجلاً لصاحبه[1].

* قيام إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمه اللَّه ـ:

أما عن ليل الإمام فما ظنك أخي بليل سيد من سادات المسلمين؟ يقول: «ما بت ليلة إلا رأيت رسول اللَّه ﷺ»[2].

* قيام عبد الرحمن بن القاسم:

عالم الديار المصرية ومفتيها صاحب الإمام مالك. له قدم في الورع والتأله، ذُكر عند الإمام مالك فقال: مثله كمثل جراب مملوءٍ مسكًا.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: اللَّهم امنع الدنيا مني، وامنعني منها.

عن أسد بن الفرات قال: كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين. قال: فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة رغبة في إحياء

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٢)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٧).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٧).

العلم. قال سحنون: كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل يقول لي: يا سُحنُون، أنت فارغ، إني لأحس في رأسي دويًا كدويّ النحل - يعني: من قيام الليل - قال: وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول: اتقوا اللَّه، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى اللَّه كثير، وكثيره مع غير تقوى اللَّه قليل[1].

* قيام ابن أبي ذئب الإمام الثبت أبي الحارث:

قال عنه الذهبي: العابد شيخ الوقت.

قال أحمد بن حنبل: كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب، فقيل لأحمد: أخلف مثله؟ قال: لا، وكان أفضل من مالك إلاّ أن مالكًا كان أشد تنقية للرجال منه.

* قال الواقدي: كان من أورع الناس، وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدريًا، وكان يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة، ولو قيل له إن القيامة تقوم غدًا ما كان فيه مزيد اجتهاد، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا.

* قال أحمد: هو أورع وأقوم بالحق من مالك، دخل على المنصور فلم يهبه أن قال له الحق، وقال: الظلم ببابك فاش، وأبو جعفر أبو جعفر.

* ودخل المهدي مسجد النبي ﷺ فلم يبق إلا من قام إلاّ ابن أبي ذئب، فقيل له: قم، فهذا أمير المؤمنين، قال: إنما يقوم الناس لرب العالمين.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٢١ - ١٢٣).

قال المهدي: دَعُوه فقد قامت كل شعرة في رأسي[١] .

* **عطاء بن السائب:**

محدث الكوفة. كان من كبار العلماء، لكنه ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره.

قال أبو بكر بن عياش: كنت إذا رأيت عطاء بن السائب وضرار بن مرّة رأيت أثر البكاء على خدودهما[٢] .

* **قيام قيس بن مسلم الجدلي:**

قال سفيان بن عيينة: كان قيس بن مسلم يصلي حتى السحر، ثم يجلس فيهيج البكاء ساعة بعد ساعة، ويقول: لأمرٍ ما خُلِقنا لأمرٍ ما خُلِقنا، إن لم نأت الآخرة بخير لنهلكن[٣] .

* **قيام محمد جحادة الأودي مولى لبني أود:**

عن سفيان قال:

كان محمد بن جحادة من العابدين، وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلاّ أيسره. قال: فرأت امرأة من جيرانه كأن حللاً فرّقت على أهل مسجدهم، فلما انتهى الذي يفرّقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط مختوم فأخرج منه حلة صفراء. قالت: فلم يقم لها بصري فكساه إياها

(١) انظر: «صفة الصفوة» (ج٢ ص١٧٤، ١٧٥)، «تذكرة الحفاظ» (ج١ ص١٩٠، ١٩٢)، «سير أعلام النبلاء» (ج٧ ص١٤١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١١٠ ـ ١١٢).

(٣) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٩٩ ـ ٢٠٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٨٤).

وقال له: هذه لك بطول السهر. قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فإخالها عليه(١) .

عن سفيان بن عيينة قال: زار قيس بن مسلم محمد جُحادة ذات ليلة، قال: فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء، قال: ومحمد قائم يصلي، قال: فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر.

قال: وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، قال: فرجع إلى الحيّ فأمّهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه، قال: فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفتل إليه، قال: ما علمت بمكانه قال: فغدا عليه، فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه، ثم خلّوا جميعًا فجعلا يبكيان(٢) .

* قيام الإمام المرضي: سفيان الثوري:

* قال عنه أبو نعيم: سمعت سفيان يقول: إني لأفرح بالليل إذا جاء.

* وعن زائدة عن سفيان قال: إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت(٣) .

* وقال أبو خالد الأحمر: أكل سفيان ليلة فشبع فقال: إن الحمار

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١١١).
(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٠٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٨٤).
(٣) «مقدمة الجرح والتعديل» (١/ ٨٥، ٨٦).

إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام حتى أصبح[١] .

* قال عبد الرزاق: أضاف سفيان برجل من أهل مكة، فقرب إليه الطعام فأكل أكلاً جيدًا، ثم قرّب إليه التمر فأكل أكلاً جيدًا، ثم قرّب إليه الموز فأكل أكلاً جيدًا، ثم قام فشدّ وسطه فقال: يُقال شبع الحمار ثم كده. فلم يزل منتصبًا حتى أصبح[٢] .

* وقال أبو يزيد المعنى: كان سفيان إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل، وكانت ساق سفيان كيمخت[٣] : «يعني: من التورك في الصلاة عليها»[٤] .

وقال عنه محمد بن يوسف: كان الثوري يقيمنا بالليل فيقول: قوموا يا شباب، صلّوا ما دمتم شبابًا [٥] . وفي رواية: إذا لم تصلوا اليوم فمتى؟

* وكان ـ رحمه الله ـ يخرج يدور بالليل وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس[٦] .

* ولما قيل له: كيف تصنع في ليلك؟ قال: لها عندي أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها فإذا استيقظت فلا أقيلها والله[٧] .

---

(١) «مقدمة الجرح والتعديل» (١/ ٨٥، ٨٦).

(٢) «الجرح والتعديل» (١/ ٩٦).

(٣) يمخت: كلمة فارسية معناها جلد حمار الوحش.

(٤) «الجرح والتعديل» (١/ ٩٥).

(٥) «الحلية» (٧/ ٥٩).

(٦) «الحلية» (٧/ ٥٩).

(٧) «تاريخ بغداد» (ج٩ ص١٥٧).

* وقرأ - رحمه اللَّه - ليلة ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ فخرج فارًا على وجهه حتى لحقوه. واجتمعت بنو ثور عليه وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أيْ أقصرْ عن هذا. وقال عبد الرحمن ابن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلاً أرق من سفيان الثوري، وكنت أرمقه في الليلة بعد الليلة ينهض مذعورًا ينادي: النار النار شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات[1]. رحمك اللَّه يا إمام فقد كنت قوامًا إذا أقبل الدجى.. بعبرة مشتاق وقلب عميد.

* **قيام محارب بن دثار السدوسي الكوفي:**

الإمام القاضي الثقة الزاهد:

عن عنبسة بن الأزهر قال: كان محارب بن دثار قاضي أهل الكوفة قريب الجوار مني فربما سمعته في بعض الليل يقول ويرفع صوته:

«أنا الصغير الذي ربّيته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذي قوّيته فلك الحمد، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، وأنا الصعلوك الذي موّلته فلك الحمد، وأنا العزب الذي زوّجته فلك الحمد، وأنا الساغب الذي أشبعته فلك الحمد، وأنا العاري الذي كسوته فلك الحمد، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمد، وأنا الغائب الذي أدّيته فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حملته فلك الحمد، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، ربنا ولك الحمد «ربنا» حمدًا على حمد»[2].

---

(١) «تاريخ بغداد» (ج٩ ص١٥٧).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٥٤)، و«كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا ص(١٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٤٢) ح رقم (٤٥٩٦).

* **قيام أبي الحسن موسى بن أبي عائشة الهمداني:**

كان الثوري يحسن الثناء عليه. قال جرير بن عبد الحميد: كان إذا رأيته ذكرت اللَّه لرؤيته[١] .

قال عمرو بن قيس الملائي: ما رفعت رأسي بليل قط إلا رأيت موسى ابن أبي عائشة قائمًا يصلي. وكان يدعى المتهجد من شدة تغيّر لونه[٢] .

* **قيام الرقاشي:**

الإِمام الحافظ أبي عبد اللَّه محمد بن عبد اللَّه بن محمد البصري حدّث عن حماد بن زيد ومالك بن أنس.

قال العجلي: ثقة، من عباد اللَّه الصالحين. يقال: إنه كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة ـ رحمه اللَّه ـ[٣] .

* **قيام جرير بن عبد الحميد:**

شيخ الإِسلام الإمام الحافظ القاضي. . . شيخ الري.

قال علي بن المديني: كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل، وكان له رش، يقولون: إذا أعْيَا، تعلق به ـ يريد أنه كان يصلي.

* **قيام بشر بن المُفَضَّل:**

الإِمام الحافظ أبو إسماعيل الرقاشي.

قال ابن المديني: كان بشر يصلي كل يوم أربعمائة ركعة ويصوم يومًا ويفطر يومًا[٤] .

---

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٨/ ٩١، ٩٢).

(٢) «كتاب التهجد والقيام» لابن أبي الدنيا ص(٢٠٩).

(٣) تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٦٢).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١٤).

* قيام إسماعيل بن عُلَيَّة:

الإِمام الحافظ.

قال الذهبي: «كان موصوفًا بالدين والورع والتأله، منظورًا إليه في الفضل والعلم، وبدت منه هفوات خفيفة لم تغير رتبته إن شاء اللَّه»(١).

وكان شعبة يسميه: ريحانة الفقهاء.

قال محمد بن المثنى: بت ليلة عند ابن علية، فقرأ ثلث القرآن(٢).

* قيام أبي سلمة مسعر بن كدام ـ رحمه اللَّه ـ:

سماه شعبة «المصحف».

قال محمد بن مسعر: كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورْده لفّ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كما يثب الرجل الذي فقد منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك والطهور، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جدًّا(٣).

* قيام سفيان بن عيينة أبي محمد ـ رحمه اللَّه ـ:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: إذا كان نهاري نهار سفيه وليلي ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذي كتبت(٤).

* قيام علي والحسن ابني صالح بن حيي ـ رحمهما اللَّه ـ:

* قال وكيع بن الجراح: كان علي والحسن ابنا صالح بن حيي

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٧)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٣١٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ١١٦).

(٣) «حلية الأولياء» (٧/ ٢١٦).

(٤) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧١).

وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء، فكان علي يقوم الثلث ثم ينام، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام، وتقوم أمهما الثلث، ثم ماتت أمهما، فجزءا الليل بينهما فكان يقومان به حتى الصباح، ثم مات علي فقام الحسن به، وكان يقال: حية الوادي ـ يعني: لا ينام بالليل.

وكان يقول: إني أستحيي من اللَّه تعالى أن أنام تكلفًا حتى يكون النوم هو يصرعني، فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائمًا فلا أرقد اللَّه عينيّ.

* قال أبو سليمان الداراني: ما رأيت أحدًا الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة فقرأ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فغشي عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر[1].

قيام داود الطائي ـ رحمه اللَّه ـ:

الفقيه الواعي، البصير الراعي، العابد الطاوي: كان أبو سليمان داود بن الطائي يقول: كفى بالعبادة شغلاً[2].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة بعد مرحلة، حتى ينتهي بهم ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل يوم مرحلة زادًا لما بين يديك فافعل، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو، والأمر أعجل من ذلك، فتزود لسفرك، واقض ما أنت قاض من أمرك، فكأن بالأمر قد بغتك[2].

* قالت عنه أم سعيد بن علقمة ـ وكانت طائية ـ كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، ولربما

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٣٢٨).
(٢) «الحلية» (٧/ ٣٤٦).

ترنم في السحر بشيء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة، وكان لا يصبح - تعني: لا يسرج[(١)] .

* وعنه - رحمه الله - قال: ما حسدت أحدًا على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل، فإني أحب أن أرزق وقتًا من الليل. قال أبو خالد الأحمر: وبلغني عنه أنه كان لا ينام الليل فإذا غلبته عيناه احتبى قاعدًا.

* قال عنه أبو عبد الرحمن المذكر: كان داود يحيي الليل صلاة ثم يقعد بحذاء القبلة فيقول: يا سواد ليلة لا تضيء، ويا بُعد سفر لا ينقضي، ويا خلوتك بي تقول داود ألم تستح؟[(٢)] .

* وكان - رحمه الله - كما قال ابن السماك في رثائه: «آنس ما تكون إذا كنت بالله خاليًا، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس».

ووقف ابن السماك على قبره بعد دفنه، فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذا الناس ينامون، فقال القوم: صدقت[(٣)] .

*** قيام أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم:**

الحازم الأحزم، العازم الألزم:

* كان مخلد بن الحسين يقول عنه: ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأغتم، ثم أتعزى بهذه الآية: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[(٤)]

---

(١) «الحلية» (٧/ ٣٥٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٥٣).

(٣) «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٥٥).

(٤) «الحلية» (٨/ ٢٢).

وكان إبراهيم بن أدهم ـ رحمه اللَّه ـ يقول: لولا ثلاث ما باليت أن أكون يعسوبًا: ظمأ الهواجر، وطول ليل الشتاء، والتهجد بكتاب اللَّه عز وجل (١).

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: إذا كنت بالليل نائمًا، وبالنهار هائمًا، وفي المعاصي دائمًا، فكيف تُرضي من هو بأمرك قائمًا؟! (٢).

*قال إبراهيم بن بشار: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول هذا ويتمثل به إذا خلا في جوف الليل بصوت حزين موجع للقلوب:

ومتى أنت صغيراً وكبيراً أخو علل فمتى ينقضي الردى ومتى ويحك العمل؟

ثم يقول: يا نفس إياك والغرّة باللَّه، فقد قال الصادق: **«لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم باللَّه الغرور»**.

*وقال ـ رحمه اللَّه ـ:

قم الليل يا هذا لعلك ترشد ... إلى كم تنام الليل والعمر ينفدُ
أراك بطول الليل ـ ويحك ـ نائمًا ... وغيرك في محرابه يتهجدُ
ولو علم البطال ما نال زاهد ... من الأجر والإحسان ما كان يرقدُ
فصام وقام الليل والناس نوَم ... ويخلو برب واحد متفردُ
بحزم وعزم واجتهاد ورغبة ... ويعلمُ أن اللَّه ذا العرش يُعبدُ
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول اللَّه حيًا مخلدُ
أترقد يا مغرور والنار توقد ... فلا حرّها يطفا ولا الجمر يخمد
فيا راكب العصيان ويحك خلّها ... ستحشر عطشانًا ووجهك أسود (٣)

(١) «الحلية» (٨/ ٢٣).
(٢) «الحلية» (ج٨/ ص١١).
(٣) «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان».

رحمك اللَّه أبا إسحاق ولِلَّه درك حين تقول: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذًا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم.. رحمك اللَّه فقد طلبت بحبوحة الجنة.

* **قيام عثمان بن أبي دهرش:**

* يقول عنه عبد اللَّه بن المبارك: إنه كان إذا رأى الفجر أقبل عليه بثه[1]. وقال: أصير الآن مع الناس فلا أرى ما أجني على نفسي. وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: ما صليت صلاة قط إلا استغفرت اللَّه من تقصيري فيها[2].

* **قيام أبي علي الفضيل بن عياض:**

الناقل من المهالك، والسباخ إلى الغصون والرياض:

بلغ من مكانته أن أمير المؤمنين في الحديث في زمانه سفيان بن عيينة كان إذا التقى به قبّل يده كما يقول الذهبي[3]. كانت آيات الذكر المتلو أثناء الليل سببًا في توبة هذا السيد من سادات المسلمين، فلقد كان ـ رحمه اللَّه ـ في بداية أمره شاطرًا ـ قاطع طريق ـ وكان يتعشق جارية، فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً إذ سمع قارئًا يقرأ: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**﴾ فقال: بلى[4]. وتاب وصار جبلاً

---

(١) أحزنه.

(٢) «الزهد» لأحمد بن حنبل ص(٣٥٦).

(٣) «البداية والنهاية» (ج١٠).

(٤) انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي ـ شريط قيام الليل للشيخ الطحان الشريط الثالث الوجه الأول.

في العبادة ونسيجًا وحده في التهجد.

* قال عنه إسحاق بن إبراهيم: «ما رأيت أحدًا أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل».

قال عنه عبد اللَّه بن المبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن.

وقال عنه هارون الرشيد: ما رأيت أهيب من مالك، ولا أورع من الفضيل.

وانظر إلى أثر التهجد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

انظر إلى سيد من سادات المتهجدين، الذي كان إذا وعظ قبّل ابن المبارك جبهته وقال: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك؟.

انظر إليه حين يقول: «لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء ـ يعني: السلطان ـ، وقال أيضًا: رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل اللَّه. واسمع يا أخي إلى الجبال حين تتكلم استمع إلى زواجر الكلم تُلقى على مسامع الخليفة من قبل متهجد وهو الفضيل: قال الفضل بن الربيع[1] : حج أمير المؤمنين فأتاني فخرجت مسرعًا فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ أتيتك، فقال: ويحك قد حاك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فقلت: ها هنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعًا فقال: يا أمير المؤمنين لو

(١) انظر إلى القصة في «الحلية» (٨/ ١٠٥ ـ ١٠٧).

أرسلت إليّ أتيتك، فقال: خذ لما جئناك له رحمك اللَّه. فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين؟ فقال: نعم. قال:أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلاً أسأله قلت: ها هنا عبد الرزاق بن همام، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فقرعنا الباب، فخرج مسرعًا فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ لأتيتك، قال: خذ لما جئناك له رحمك اللَّه، فحادثه ساعة، ثم قال له: عليك دين؟ قال: نعم، قال: أبا عباس اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئًا، انظر لي رجلاً أسأله، قلت: ها هنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه فإذا هو قائم يصلي يتلو آية من القرآن يرددها، فقال: اقرع الباب، فقرعت الباب فقال: منْ هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان اللَّه، أما عليك طاعة؟ أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: **«ليس للمؤمن أن يذل نفسه»**، فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا، فسبقت كف هارون قبلي إليه فقال: يا لها من كف، ما ألينها إن نجت غدًا من عذاب اللَّه عز وجل. فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال له: خذ لما جئناك له ـ رحمك اللَّه ـ فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد اللَّه ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا عليّ، فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة، فقال له سالم بن عبد اللَّه: إن أردت النجاة من عذاب اللَّه فصم الدنيا، وليكن إفطارك منها الموت، وقال له محمد بن كعب:

إن أردت النجاة من عذاب اللَّه فليكن كبير المؤمنين عندك أبًا وأوسطهم أخًا وأصغرهم عندك ولدًا، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدًا من عذاب اللَّه فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك: فإني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدام، فهل معك رحمك اللَّه مثل هذا؟ أو مَنْ يشير عليك بمثل هذا، فبكى هارون الرشيد بكاء شديدًا حتى غشي عليه، فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا!!، ثم أفاق فقال له: زدني رحمك اللَّه فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملاً لعمر بن العزيز شُكي، فكتب إليه عمر: يا أخي أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند اللَّه فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى اللَّه عز وجل قال: فبكى هارون بكاء شديدًا. ثم قال له: زدني رحمك اللَّه، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه أَمِّرْني على إمارة، فقال له النبي ﷺ: «**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرًا فافعل**». فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدًا، فقال له: زدني رحمك اللَّه قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك اللَّه عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي ﷺ قال: «**من أصبح لهم غاشًا لم يرح رائحة الجنة**» فبكى هارون الرشيد وقال له: عليك دين؟ قال: نعم! دين

لربي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إن سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لَمْ أُلْهَم حجتي، قال: إنما أعني من دين العباد؟ قال:

إن ربي لم يأمرني بهذا، إنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال جل وعز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ فقال له: هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحان اللَّه! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟ سلمك اللَّه ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا، فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال هارون: «إن دللتني على رجل فدلني على مثل هذا. هذا سيد المسلمين».

كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعدًا، تلقى له حصير في مسجده فيصلي من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه، فيلقي نفسه على الحصير فينام قليلاً، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام، ثم يقوم هكذا حتى يصبح، وكان دأبه إذا نعس أن ينام[1] .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار، الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل»[2] .

* وأخذ الفضيل ـ رحمه اللَّه ـ بيد الحسين بن زياد وقال: يا

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ٨٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

حسين، ينزل اللَّه تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب: «كذب من ادعى محبتي، فإذا جنّه الليل نام عني!! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنذا مُطَّلِعٌ على أحبائي إذا جنهم الليل، مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلَّمُوني على حضوري، غداً أقر أعين أحبائي في جناتي»[1] .

* وقال ـ رحمه اللَّه ـ: أدركت أقوامًا يستحيون من اللَّه سواد الليل من طول الهجعة، إنما هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة[2] .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «إني لأقوم الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبي وأقول: جاء النهار بما فيه من الآفات»[3] .

*** قيام أبي عبد الرحمن عبد اللَّه بن المبارك:**

المتزود من الوداد، أليف القرآن والحج والجهاد.

إمام المسلمين كما يقول أبو إسحاق الفزاري. . . الطيب المبارك. . يقول عنه الأوزاعي: لو رأيته لقرت عينك به.

* قال علي بن الحسن بن شقيق: لم أر أحدًا من الناس أقرأ من ابن المبارك، ولا أحسن قراءة ولا أكثر صلاة منه، كان يصلي الليل كله في السفر وغيره.

وكان يرتــل القراءة ويمدها، وإنما ترك النوم في المحمـل؛ لأنه كان

(١) «الحلية» (٨/ ١٠٠).
(٢) «الحلية» (٨/ ١٠١).
(٣) «تنبيه المغترين» ص(٣٤).

يصلي وكان الناس لا يدرون.

* انظروا إلى قول سفيان الثوري: «لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر»، وقال عبد الرحمن بن مهدي: كان نسيجًا وحده.

*قال محمد بن أعين ـ وكان صاحب ابن المبارك في الأسفار وكان كريمًا عليه ـ قال: كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقلت: أنا برمحي في يدي قبضت عليه ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك، قال: فظن أني قد نمت فقام فأخذ في صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائم، وقال: يا محمد فقلت: إني لم أنم. قال: فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني ولا ينبسط إليّ في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك مني لما فطنت له من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه[1].

إذا سار عبد اللَّه بن مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذُكر الأحبار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها

قال نعيم بن حمّاد:

قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة، فقال: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها ـ يعني نفسه[2].

---

(١) «الجرح والتعديل» (١/ ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٧).

قيام عبد العزيز بن أبي رواد: أبي عبد الرحمن العابد السجّاد:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يفرش له الفراش، فيضع يده عليه ويقول: ما ألينك ولكنّ فراش الجنة ألين منك، ثم يقوم إلى صلاته[١] .

قال أبو عبد الرحمن المقرئ عبد اللَّه بن يزيد المكي:

ما رأيت أحدًا قط أصبر على طول القيام من عبد العزيز بن أبي رواد[٢] .

*** محمد بن النضر الحارثي:**

وكان من أعبد أهل زمانه وكان يقول: أكره أن أعطي عيني في الدنيا سؤلها في النوم[٣] .

قال عنه ابن حبان: «من عبّاد أهل الكوفة وقرّائهم والحافظين ألسنتهم في أحوالهم وأوقاتهم».

قال عبثر بن القاسم: كان محمد بن النضر عندي مختفيًا فكان لا ينام ليلاً ولا نهارًا، قال: فقلت له: لوْ قِلْت فقد جاء في القائلة: «**قيلوا فإن الشياطين فلا تقيل**»[٤] فجعل لا يردّ عليّ، فألححت عليه فقال: إني لأنفس عليها بالنوم[٥] .

---

(١) «تبيه المغترين» ص(٣٤).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٠٧)، و«الحلية» (٨/ ١٩٦)، و«السير» للذهبي (٧/ ١٥٨).

(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ٢١٩).

(٤) حديث ضعيف.

(٥) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(١٨٤ ـ ١٨٦).

وقال عمار بن عمرو البجلي: خرجنا مع محمد بن النضر الحارثي إلى مكة فما كنا نستيقظ ساعة من الليل إلا وهو على بعيره قاعد يقرأ، قال: فكنا نرى أنه لم ينم حتى دخل مكة، قال: وكان إذا نزل فإنما هو في خدمة أصحابه، فيقال له: يا أبا عبد الرحمن: نحن نكفيك فيأبى ويقول: أتنفسون عليَّ بالثواب[1]؟.

* قيل له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني؟!.

نعم أبا عبد الرحمن... أيها الصالح، بمولاك فافرح وبذكره فتنعم.

*** قيام محمد بن يوسف الأصبهاني: «عروس العبّاد»:**

* سماه بذلك ابن المبارك .

قال عبد الرحمن بن مهدي: رأيت محمد بن يوسف في الشتاء والصيف فلم يكن يضع جنبه بالليل، وأما ليالي الشتاء فإنه حين يطلع الفجر يتمدد من جلوس ثم يقوم ويتمسح[2].

*** قيام يوسف بن أسباط:**

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «عجبت كيف تنام عين مع المخافة؟»[3] .

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٢٢).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي الدنيا في «كتاب التهجد» ص(٢٠٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٣٤)، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/ ٧٧)، والذهبي في «السير» (٩/ ١٢٦).

(٣) «الحلية» (٨/ ٢٣٨)، و«مختصر قيام الليل» ص(١٨).

* قيام أبي معاوية الأسود:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول في جوف الليل:

«من كانت الدنيا أكبر همه طال غدًا في القبر غمه، ومن خاف الوعيد لها في الدنيا عمّا يريد، يا مسكين إن كنت تريد لنفسك فلا تنامن الليل إلا القليل. ثم بكى ـ رحمه اللَّه ـ بكاءً شديدًا ثم قال: أوه من يوم يتغير فيه لوني ويتلجلج فيه لساني، ويقل فيه زادي[1].

* وكان يقول إذا قام من الليل يستقي الماء: ما ضرّهم ما أصابهم في الدنيا، جبر اللَّه لهم كل مصيبة بالجنة[2].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ: شمروا طلابًا وشمروا هدابًا، لم يضرهم ما أصابهم في الدنيا، جبر اللَّه لهم كل مصيبة بالجنة[3].

* قيام علي بن الفضيل بن عياض:

قال الفضيل: أشرف ليلة عليّ وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟..

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يصلي حتى يزحف إلى فراشه، ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبت سبقني المتعبدون[4].

من كبار الأولياء. مات قبل أبيه، كان قانتًا للَّه، خاشعًا، وجلاً ربانيًا، كبير الشأن.

(١، ٢، ٣) «الحلية» (٨/ ٢٧٢، ٢٧٣).
(٤) «الحلية» (٨/ ٢٩٨).

قال ابن المبارك لفضيل بن عياض: يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلي اللَّه، فسمع ذلك عليّ، فسقط مغشيًا عليه.

وقال الفضيل: أشرفت ليلة على عليّ، وهو في صحن الدار، وهو يقول: النار النار، ومتى الخلاص من النار؟ وقال لي: يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة. ثم قال: لم يزل منكسر القلب حزينًا، ثم بكى الفضيل، ثم قال: كان يساعدني على الحزن، يا ثمرة قلبي، شكر اللَّه لك ما قد علمه فيك.

قال ابن عيينة: ما رأيت أخوف من الفضيل وابنه، وقال الفضيل: اللَّهم إني اجتهدت أن أؤدب عليًا، فلم أقدر على تأديبه، فأدِّبه أنت لي.

قال أبو سليمان الداراني: كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿الْقَارِعَةُ﴾ ولا تقرأ عليه.

قال الفضيل بن عياض: بكى عليّ ابني. فقلت: يا بني ما يبكيك؟ قال: أخاف ألا تجمعنا القيامة.

وقد مات عليّ - رحمه اللَّه - من جرّاء آية وهي قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام: ٢٧][1].

* قيام أبي بكر بن عيَّاش:

شيخ الإسلام وبقية الأعلام:

عن أبي عبد اللَّه النخعي قال: لم يُفْرَش لأبي بكر بن عيّاش فراش خمسين سنة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٤٢ - ٤٤٦).

وقال يزيد بن هارون: كان أبو بكر بن عياش خيِّرًا فاضلاً، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: الدخول في العلم سهل، لكن الخروج منه إلى اللَّه شديد. وكان يقول: يا مَلَكَيّ ادعوا اللَّه لي، فإنكما أطوع للَّه مني. وقد روي من وجوهٍ متعددة أن أبا بكر مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة.

قال الذهبي: وهذه عبادة يُخضع لها، ولكن متابعة السنة أولى[١] .

* قيام أبي نصر بشر بن الحارث الحافي:

قيل له مرة: ألا تستريح لك في الليل ساعة؟ فقال إن رسول اللَّه ﷺ قد قام حتى تورمت قدماه، وقطر منهما الدم، مع أن اللَّه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف أنام وأنا لم أعلم أن اللَّه غفر لي ذنبًا واحدًا[٢] ؟.

كان ـ رحمه اللَّه ـ لا ينام الليل ويقول: أخاف أن يأتي أمر وأنا نائم.

رقد السّمَّار وأرّقه هَمّ للبين يردده
فبكاه النجم ورقّ له مما يرعاه ويرصده

* قيام وكيع بن الجراح:

* قال ابن حنبل: لو رأيت وكيعًا لعلمت أنك ما رأيت مثله.

* قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعًا في السفر والحضر وكان

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٩٥ ـ ٥٠٣).

(٢) «تنبيه المغترين» ص(٣٤).

يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

* قال يحيى بن معين: ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم.

* وقال عنه أصحابه الذين كانوا يلزمونه: كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم في آخر الليل فيقرأ المفصّل، ثم يجلس فيأخذ في الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلي ركعتين.

* وقال ابنه إبراهيم: كان أبي يصلي الليل فلا يبقى في دارنا أحد إلا صلّى، حتى إن جارية لنا سوداء تصلي.

* وقال الحسين بن أبي يزيد: صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأيته متكئًا، ولا رأيته نائمًا في محمله[1].

*** قيام أمير المؤمنين في الحديث: شعبة الخير.. أبي بسطام.. شعبة ابن الحجاج:**

كان الثوري يقول: أستاذنا شعبة.

وكان يعقوب يقول: حدّثني الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام.

* قال عفان: كان شعبة من العباد[2].

* وقال عبد السلام بن مطهر: ما رأيت في الفقهاء مثل شعبة أيبس ولا أمعن في العبادة منه.

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ١٧٠ ـ ١٧٢).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل»، و«الحلية»، و«صفة الصفوة».

* قال أبو بحر البكراوي: ما رأيت أعبد من شعبة.. لقد عبد اللَّه حتى جَفَّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم.

* وقال عمر بن هارون: كان شعبة يصوم الدهر كله لا يرى عليه.

* وقال أبو قطن: ما رأيت شعبة ركع قطّ إلا ظننت أنه قد نسي ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسي.

* وقال أبو قطن أيضًا: كانت ثياب شعبة لونها لون التراب، وكان كثير الصلاة، كثير الصيام، سخي النفس.

* وقال مسلم بن إبراهيم: ما دخلت على شعبة في وقت صلاة قطّ إلا رأيته يصلي[1].

*** قيام الإمام يحيى بن سعيد القطان:**

قال الإمام أحمد: لم تر عيني مثل يحيى بن سعيد.

وقال علي: كان يحيى يختم القرآن في كل يوم وليلة.

وقال يحيى بن معين: أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن في كل ليلة[2].

*** قيام هُشَيْم:**

الإِمام شيخ الإِسلام أبي معاوية السَّلَمي.

قال عمرو بن عون: مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة.

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٤٩).

(٢) «الجرح والتعديل»، «صفة الصفوة»، «الحلية».

قال ابن حنبل: لزمت هشيمًا أربع سنين، أو خمسًا، ما سألته عن شيء، إلا مرتين هيبةً له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا اللَّه، يمد بها صوته(١).

*** قيام إسماعيل بن عياش(٢):**

محدث الشام. كان من بحور العلم صادق اللهجة، متين الديانة صاحب سنة واتباع، وجلالة ووقار.

عن أبي اليمان قال: «كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي، فكان يحيي الليل، وكان ربما قرأ ثم يقطع، ثم رجع، فقرأ من الموضع الذي قطع منه، فلقيته يومًا، فقلت: يا عمّ، قد رأيت منك في القراءة كَيْتَ وكَيْتَ، قال: يا بني، وما سؤالك؟ قلت: أريد أن أعلم. قال: يا بنيّ، إني أصلي فأقرأ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها، فأقطع الصلاة، فأكتبه فيه، ثم أرجع إلى صلاتي، فأبتدئ من الموضع الذي قطعت منه»(٣).

*** قيام عبد الرحمن بن مهدي.. الإمام المبجل:**

قال علي بن المديني: أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدي.

وقال ـ أيضًا ـ: كان عبد الرحمن بن مهدي يختم في كل ليلتين،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٩٠).

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٢١): حديث إسماعيل عن الحجازيين والعراقيين لا يحتج به. وحديثه عن الشاميين صالح من قبيل الحسن، ويحتج به إن لم يعارضه أقوى منه.

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣١٥).

كان ورده في كل ليلة نصف القرآن[1] .

* قيام ناصر السنة الإمام المطلبي الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ:

* قال الربيع بن سليمان: كان الشافعي جزأ الليل ثلاثة أجزاء: الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام.

* وحدّث حسين الكرابيسي فقال: بت مع الشافعي، فكان يصلي نحو ثلث الليل، وما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل اللَّه لنفسه وللمؤمنين أجمعين، ولا يمر بآية عذاب إلاّ تعوّذ باللَّه منه، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكأنما جمع له الرجاء والرهبة معًا[2] .

وقال عنه الربيع بن سليمان: كان يحيي الليل إلى أن مات، وكان يختم في كل ليلة ختمة[3] - يعني في الصلاة - فرحم اللَّه أستاذ الأستاذين الإمام القرشي سيد الفقهاء، وللَّه در ابن حنبل حين يقول:

«كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف؟ أو منهما عوض؟».

* يقول الشافعي واصفًا المتهجد:

فللَّه در العارف النـــدب إنـــه ... تفيض لفرط الوجـــد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليـــل مدّ ظلامـــه ... على نفسه من شدة الخوف مأتمـــا
فصـــار قرين الهم طـــول نهـاره ... أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلما

---

(١) «تاريخ بغداد» (جـ٧ ص٢٤٧).

(٢) «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١٢١، ١٢٢) تحقيق السيد أحمد صقر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وانظر: «تاريخ بغداد» (٢/ ٦٢).

(٣) «تاريخ بغداد» (٢/ ٦٣، ٦٤).

يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي	كفى بك للراجين سؤلاً ومغنما
ألست الذي غذيتني وهديتني	ولا زلت منّا نًا عليّ ومنعما
ففي يقظتي شوق وفي غفوتي مُنىً	تلاحق خطوي نشوة وترنما[1]

* قيام إمام أهل السنة معلم الخير أبي عبد اللَّه أحمد بن حنبل:

* يقول إبراهيم بن شماس السمرقندي الزاهد الذي مات في غزوة خرج لها من أقصى ثغور الإسلام في سمرقند سنة (٢٢١هـ): «كنت أرى أحمد بن حنبل يحيي الليل وهو شاب»[2].

* وعن عبد اللَّه بن أحمد قال: كان أبي يقرأ في كل يوم سبعًا، يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو[3].

وتعال معي يا أخي لترى حال سيد من سادات المتقين الذي قال له عبد الرزاق الصنعاني حافظ اليمن: جزاك اللَّه عن نبيك خيرًا[4].

* قال أبو بكر المروزي: كنت مع أبي عبد اللَّه نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار، فما علمت بختمة

---

(١) «ديوان الشافعي» ص(١١٥) تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) «أحمد بن حنبل إمام أهل السنة» لعبد الحليم الجندي ص(٤٠) طبعة دار المعارف.

(٣) «الحلية» (٩/ ١٨١).

(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ٢٠٩) للقاضي أبي يعلى ـ طبعة دار المعرفة ببيروت.

ختمها وكان يسر ذلك[١].

رحمك اللَّه يا أبا عبد اللَّه فقد كنت آية في الإخلاص وستر التعبد والصدق، وكنت تقول: بهذا ارتفع القوم.

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: يا نفس انصبي وإلا فستحزني.

وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر: بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي ماء، فلما أصبح وجدني لم أستعمله فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد في الليل؟ قال قلت: أنا مسافر، قال: وإن كنت مسافرًا!! حج مسروق فما نام إلا ساجدًا[٢].

* وحدّث أبو عصمة بن عصام البيهقي قال: بت ليلة عند أحمد ابن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان فقال: سبحان اللَّه!! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل[٣].

* وقال لمحمد بن الإمام الشافعي: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرًا.

* وقال هلال بن العلاء: خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد ابن حنبل إلى مكة، فلما أن صاروا بمكة نزلوا في موضع، فأما الشافعي فإنه استلقى، ويحيى بن معين أيضًا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلي، فلما أصبحوا قال الشافعي: لقد عملت للمسلمين مائتي مسألة، وقيل ليحيى بن معين: أي شيء عملت؟ قال: نفيت عن النبي ﷺ

---

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي ص(١٩٥). طبعة دار الآفاق الجديدة ببيروت.

(٢، ٣)«مناقب الإمام أحمد بن حنبل» ص(١٧٩).

مائتي كذاب، وقيل لابن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن[١].

* وقال القاضي أبو يعلى: ختم إمامنا أحمد القرآن في ليلة بمكة مصليًا به[٢].

* وحدّث عنه ابنه صالح: كانت لأبي قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن، فإذا قام من الليل لبسها، وكنت أسمع أبي كثيرًا يتلو سورة الكهف[٣].

* ويقول عنه إبراهيم بن هاني - وكان أبو عبد اللَّه حيث توارى من السلطان توارى عنده -: كان يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر ثم يوتر بركعة، وكان هذا دأبه طول مقامه عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة، وكنت لا أقوى معه على العبادة[٤].

واسمع أخي إلى قولهم عن الإمام الشيباني وصديق الأمة الثاني فلا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

يقول علي بن المديني: قال لي سيدي أحمد بن حنبل: لا تحدث إلا من كتاب. ابن المديني يقول هذا وقد قال البخاري عن ابن المديني: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني، وقيل للبخاري ما

---

(١) «مناقب الإمام» ص(٢٨٧).

(٢) «طبقات الحنابلة» ص(٩).

(٣) «مناقب الإمام» ص(٢٨٧).

(٤) «مناقب الإمام» (٢٨٨).

تشتهي: قال أن أدخل بغداد فيحدثني علي وأحدثه.

رحمك اللَّه يا ابن حنبل يا من قال عنك الذهبي: أنك شيخ الإسلام وسيد المسلمين.

وللَّه در القائل:

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة وبحب أحمد يعرف المتنسكُ
وإذا رأيت لأحمد متنقصاً فاعلم بأن ستوره ستهتكُ

*** قيام أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري:**

* كان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال[1].

* قال عنه محمد بن أبي حاتم الورّاق: كان أبو عبد اللَّه إذا كنت معه في سفر يجمعنا بيت واحد إلاّ في القيظ أحيانًا، فكنت أراه يقوم في ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة، في كل ذلك يأخذ القدّاحة فيوري نارًا بيده ويسرج، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه، وكان يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم، فقلت له: إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظني؟ قال: أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١/ ١٢)، «هدي الساري» لابن حجر ص(٤٨١).

انظروا عباد اللَّه وخبروني: كيف يكون ليل هذا الإمام العابد الذي لو كان في الصحابة لكان آية؟!.. يقوم في الليلة الواحدة خمس عشرة مرة.

اللَّهم: إنا لسنا بأهل أن نكتب عن هؤلاء القمم فغفرانك.

ويرحم اللَّه أهل بغداد حين كتبوا للبخاري:

المسلمون بخير ما بقيت لهـــم وليس بعـــدك خير حين تفتقـــد

ليله عبادة ممزوجة بعلم ودعاء، فلقد كتب: «التاريخ الكبير» في الليالي المقمرة عند قبر رسول اللَّه ﷺ، وما كتب ترجمة من تراجم «الجامع الصحيح» إلا تطهر وصلى ركعتين. انظروا إلى المتهجد العابد مستجاب الدعوة الذي ضاق بتغير أخلاق الناس، فيختار الدعاء في ليلة من الليالي بعد فراغه من صلاة الليل ويقول في دعائه: «اللَّهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك، فما أتمّ الشهر حتى قبضه اللَّه إليه رحمه اللَّه تعالى[1].

*** قيام أبي عُبيد القاسم بن سلاّم:**

الإمام الحافظ. قال أبو بكر بن الأنباري: كان أبو عبيد ـ رحمه اللَّه ـ يقسم الليل أثلاثًا، فيصلي ثلثه، وينام ثلثه، ويصنف الكتب ثلثه[2].

* * *

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/١، ٣٤).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤٩٧/١٠).

* قيام أحمد بن حرب:

الإِمام القدوة، شيخ نيسابور، كان من كبار الفقهاء والعبّاد.

قال أبو عمرو محمد بن يحيى: مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون، فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات.

قال زكريا بن حرب: ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكتّاب، فلما راهق، حج مع أخيه الحسين بن حرب، فأقاما بالكوفة للطلب وبالبصرة وبغداد. ثم أقبل على العبادة لا يفتر. وأخذ في الوعظ والتذكير، وحث على العبادة، وأقبلوا على مجلسه.

كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجّام ليحفي شاربه يسبح، فيقول له الحجّام: اسكت ساعة، فيقول: اعمل أنت عملك، وربما قطع من شفته، وهو لا يعلم.

قال أحمد بن حرب: عبدت اللّه خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء: تركت رضى الناس؛ حتى قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين؛ حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا؛ حتى وجدت حلاوة الآخرة(١) .

* قيام داود بن رُشَيد:

الإِمام الحافظ الرحّال الجوال:

عن إبراهيم الحربي: قال داود بن رشيد: قمت ليلة أصلي،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١/٣٢ ـ ٣٤).

فأخذني البرد لما أنا فيه من العري، فأخذني النوم، فرأيت كأن قائلاً يقول: يا داود، أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا؟ قال الحربي: فأظن داود ما نام بعدها، يعني: ما ترك تهجدَ الليل(١).

* قيام راهب الكوفة: هنّاد بن السَّرِي:

الإِمام الحجة القدوة زين العابدين أبي السّري.

قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ: كان هناد ـ رحمه اللَّه ـ كثير البكاء، فرغ يومًا من القراءة لنا، فتوضأ وجاء إلى المسجد، فصلى إلى الزوال، وأنا معه في المسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ، وجاء فصلى بنا الظهر، ثم قام على رجليه يصلي إلى العصر، يرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيرًا، ثم إنه صلى بنا العصر، وأخذ يقرأ في المصحف، حتى صلى المغرب. قال: فقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة، فقال: هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل، وكان يقال له: راهب الكوفة(٢).

* قيام شيخ الإِسلام: بقي بن مخْلَد:

الإِمام الحافظ أبي عبد الرحمن القرطبي صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم: ما صنف تفسير مثله أصلاً.

قال عنه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٠ ـ ٦٣١): «كان إمامًا

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦)، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨).

علمًا، قدوة مجتهدًا، لا يقلد أحدًا، صالحًا عابدًا متهجدًا أوَّاهًا عديم النظير في زمانه، ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال: ما كنّا نسميه إلا المكنسة، وهل يحتاج بلد فيه بقيّ أن يأتي منه إلينا أحد؟

قال بقي عن نشره للحديث وإظهاره مذهب أهل الأثر: لقد غرست للمسلمين غرسًا بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال.

وذُكر عن بقيّ خير ونسك وإيثار حتى بثوبه وكان مجاب الدعوة وقيل: إنه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة، ويسرد الصوم، وحضر سبعين غزوة». وهكذا أهل اللَّه.

* قيام أبي زرعة الرازي:

قال أبو محمد بن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: بينا أنا قائم أصلي وأنا أقرأ: ﴿**وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿٢٧٨﴾ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...**﴾ الآية فوقفت متعجبًا من هذا الوعيد ساعة ورجعت إلى أول الآية ثلاث مرات ولما كانت المرة الثالثة وقعت هدّة من الزلزلة فبلغني أنه عدُّوا بضعة عشر ألف جنازة حملت من الغد بالريِّ»[1].

* قيام الحافظ النسائي صاحب السنن:

«قال محمد بن المظفر الحافظ: سمعت مشايخنا بمصر يصفون اجتهاد النسائي في العبادة بالليل والنهار»[2].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (ج١٣/ ٧٨ ـ ٧٩).
(٢) «السير» (ج١٤/ ١٣).

* قيام الليل عند أبي سليمان الداراني ـ رحمه الله ـ:

* كان يقول لأحمد بن أبي الحواري تلميذه: «جوع قليل، وعري قليل، وسهر قليل، وذل قليل، وبرد قليل، وصبر قليل يقطع عنك الدنيا»[1] .

* وقال له ابن الحواري إن ابن داود قال: «ليت الليل أطول مما هو» قال: «قد أحسن وقد أساء، قد أحسن حين تمنى طول الليل للطاعة، وأساء حين تمنى طول ما قصره الله، إنه إن مضت عنا هذه فله في التي تأتي عوض».

* وكان ـ رحمه الله ـ يقول لتلميذه ابن الحواري: يا أحمد كن كوكبًا، فإن لم تكن كوكبًا فكن قمرًا، فإن لم تكن قمرًا فكن شمسًا، فقال له ابن الحواري: يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكواكب، والشمس أضوأ من القمر. قال: يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر، فقم أول الليل إلى آخره، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره، فإن لم تقدر علي قيام الليل فلا تعص الله بالنهار[2] .

* وقال له ابن الحواري: تبيت عندنا؟ قال: ما أحبكم تشغلوني بالنهار، وتريدون أن تشغلوني بالليل[3] .

وكان يقول لابن الحواري: لترك الشهوات ثواب، وللمداومة ثواب، وإنما

(١) «الحلية» (٩/ ٢٥٧).
(٢) «الحلية» (٩/ ٢٦١).
(٣) «الحلية» (٩/ ٢٦٣).

أنا وأنت ممّن يقوم ليلة وينام ليلتين، ويصوم يومًا ويفطر يومين، وليس تستنير القلوب على هذا[١] .

رحمك اللَّه يا أبا سليمان: ونحن فما نفعل ... نحثو على وجوهنا التراب؟ .

* وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها، ولولا أن اللَّه تعالى يمنّ عليّ بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري؛ لأن لي في كل تدبر علمًا جديدًا ، والقرآن لا تنقضي عجائبه[٢] .

قيام أحمد بن أبي الحواري:

عن فياض بن زهير: سمعت يحيى بن معين، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال: أظن أهل الشام يسقيهم اللَّه به الغيث.

وعن عبد اللَّه بن أحمد بن أبي الحواري: كنّا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول: قد مات.

وعن محمد بن عوف الحِمْصِيّ: رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[٣] فلما صلى العتمة قام يصلي فاستفتح بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلم يزل

---

(١) «الحلية» (٩/ ٢٧١).

(٢) «الحلية» (٩/ ٢٦١).

(٣) بلد من سواحل بحر الشام ـ نقلاً عن «معجم البلدان».

يرددها إلى الصبح [١].

* قيام الليل عند عليّ بن بكّار:

المرابط الصبّار والمجاهد الكرّار.. بكى حتى عمي. كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول: واللَّه إنك لطيب، واللَّه إنك لبارد، واللَّه لا علوتك ليلتي، ويصلي حتى الفجر [٢]. قال موسى بن طريف: كان يصلي الفجر بوضوء العتمة [٣].

* قيام أبي الفيض ذي النون المصري:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يردد:

لم تشتكي ألم البلا ... وأنت تنتحل المحبه
إن المحب هو الصبو ... ر علي البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ... ر مع الشفاء لكل كربه

قال ـ رحمه اللَّه ـ: ثلاثة من أعلام العبادة: حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة، وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة [٤].

وأنشد ـ رحمه اللَّه ـ:

عجبًا لقلبك كيف لا يتصدع ... ولركن جسمك كيف لا يتضعضعُ
فاكحل بمملول السهاد لدى الدجى ... إن كنت تفهم ما تقول وتسمعُ

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٨٧ ـ ٨٨).
(٢) «الحلية» (٩/ ٣١٨).
(٣) «تهذيب التهذيب» (ج٧ ص٣٨٦).
(٤) «الحلية» (٩/ ٣١٨).

منع القرآن بوعـده ووعيـده	مقل العيون بليلها لا تهجـعُ
فهمـوا عن الملك الكريم كلامـه	فهمًا تذل له الرقاب وتخضع[1]

رحمك اللَّه أبا الفيض فمن ذاق عرف، وهذا الكلام لا يصدر إلا عن نفس أنست باللَّه في ظلم الدياجي.

* كان ـ رحمه اللَّه ـ مرة على ساحل البحر، فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء، فقال سبحان اللّه ما أعظم شأنكما، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما. فلما تهوّر الليل لم يزل ينشد هذين البيتين:

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنـا
قد وجدت لي سكنًا ليس في هواه عَنَا
إن بعـدت قرّبنـي أو قربت منه دنـا

إن للَّه تعالى عبادًا تعلى قلوبهم بالأذكار والترنم بالقرآن في الدياجي كما تعلى الأطيار في الأوكار، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب.

انظر يرحمك اللَّه إلى ذي النون وهو يقول:

وأذكر أصنافًا من الذكر حشـوها	وداد وشوق يبعثـان على الذكرِ
فذكر أليف الحب ممتـزج بهـا	يحل محل الروح في طرفها يسرى
وذكر علا مني المفـاوز والذرى	يجل عن الأوصاف بالوهم والفكر

---

(١) «الحلية» (٩/ ٣٦٢).

ومَنْ كان هذا شأنه حق له أن يقول مناجيًا مولاه:

أمــوتُ ومـا ماتت إليــك صبــابتي
ولا رويت من صدق حبــك أوطــاري
تحمّــل قلـبي فيــك مــا لا أبثــه
وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
وبين ضلـوعي منـك ما لك قـد بــدا
ولم يبـد باديــه لأهــل ولا جــار

*** يحيى بن معاذ:**

أما يحيى الذي استلذ السهاد تحريًا للوداد... فقال: «طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته، والفقر منيته، والعزلة شهوته، والآخرة همته، وطلب العيش بلغته، وجعل الموت فكرته، وشغل بالزهد نيته، وأمات بالذل عزته، وجعل إلى الرب حاجته، يذكر في الخلوات خطيئته، وأرسل على الوجنة عبرته، وشكى إلى اللَّه غربته، وسأله بالتوبة رحمته، طوبى لمن كان ذلك صفته، وعلى الذنوب ندامته، جئآر الليل والنهار، وبكاءٌ إلى اللَّه بالأسحار، يناجي الرحمن ويطلب الجنان ويخاف النيران»[1].

وأنشد ـ رحمه اللَّه ـ:

نفس المحب إلى الحبيب تطلــع — وفــؤاده من حبــه يتقــطعُ
عز الحبيب إذا خــلا في ليــله — بحبيبه يشكو إليــه ويضرعُ

---

(١) «الحلية» (١٠/٥٨).

ويقوم في المحراب يشكو بثه ... والقلب منه إلى المحبة ينزع[١]

رحمك اللَّه حيث تقول: أبناء الآخرة يجدون لذة الكلام.

*** قيام السري السقطي.. ذي القلب التقي.. والورع الخفي:**

وهو خال الجنيد وأستاذه.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول:

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكبادُ[٢]

وكان يقول عن العباد: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

ويقول:

ما في النهار ولا في الليل لي فرح ... فما أبالي أطال الليل أم قصرا

قال الجنيد: كان السري يقول لنا ونحن حوله: «أنا لكم عبرة، يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل في الشبوبية».

وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله ثم دافع ثم دافع، فإذا غلبه الأمر أخذ في النحيب والبكاء[٣].

كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل يقول عنه دائمًا: الشيخ الذي يعرف بطيب الغذاء.

الإمام القدوة شيخ الإسلام كما نعته الذهبي:

قال الجنيد: ما رأيت أعبد للَّه من السري، أتت عليه ثمان وتسعون

---

(١) «الحلية» (١٠/٥٨).

(٢) «الحلية» (١٠/١١٩).

(٣) «الحلية» (١٠/١٢٦).

سنة ما رئي مضطجعًا إلا في علة الموت[1] .

* قيام علي بن عبد الحميد الغضائري:

قال أبو إسحاق الجبلي: قدمت على عليّ بن عبد الحميد الغضائري فوجدته أفضل خلق اللَّه عبادة وأكثرهم مجاهدة، وكان لا يفرغ من صلاته آناء ليله ونهاره فانتظرت فراغه فلم أصبه ولا وجدته، فقلت له: إنا قد تركنا الآباء والأمهات والأهلين والأوطان والبنين والبنات بالرحلة إليك فلو تفرّغت ساعة تحدثنا بما أتاك اللَّه من العلم فقال: أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي ـ رضي اللَّه عنه ـ جئت إليه وقرعت عليه الباب فسمعته يقول قبل أن يخرج إلى مناجاته: اللَّهم من جاءني يشغلني عن مناجاتك فاشغله بك عني فما رجعت من عنده حتى حُبّب إلى الصلاة والشغل بذكر اللَّه تعالى فلا أتفرغ إلى شيء سوى ذلك ببركة الشيخ، قال أبو إسحاق فرأيت كلامه يخرج من قلب حزين وهمّ كمين والدمع يسابقه ـ رحمه اللَّه ـ[2] .

رحم اللَّه الغضائري المتهجد الذي حج ماشيًا على قدمه أربعين عامًا.

رحم اللَّه الغضائري وأمثاله لقد كانوا سادة «ملاقاة الليل لهم قميص يوسف في أجفان يعقوب، ينقضي الليل وما قُضِي لهم وطر، فإذا جمع الدجى رحله للرحيل صاحوا به: «حبسًا ولو ساعةً تُروى بها مُقَل»، فإذا رحل شيعوه برسائل لا يعلم ترجمتها إلا الحبيب:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٢/١٨٦).

(٢) «بحر الدموع» لابن الجوزي ص(١١٥ ـ ١١٦) طبع دار الصحابة، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١٢/٢٩)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٤٠ ـ ٢٤١).

هُمُ القومُ لا يُلهيهم عن مليكهمْ تعاليل دُنيا بالغرور تدورُ
يُضيء ظلامَ الليل حُسْنُ وجوههم فهم في الليالي المظلمات بدور[١]

* قيام قاضي القضاة بمصر بكار بن قتيبة:

قال الذهبي: كان عظيم الحرمة وافر الجلالة من العلماء العاملين.

قال أحمد بن سهل الهروي: كنت ساكنًا في جوار بكَّار بن قتيبة فانصرفت بعد العشاء فإذا هو يقرأ: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية قال: ثم نزلت في السحر فإذا هو يقرأها ويبكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل[٢] .

قيام الحكم بن أبان: «سيد أهل اليمن»:

كان يصلي الليل فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه في البحر وقال: «أسبِّح اللَّه مع الحيتان»[٣] .

* سهل بن عبد اللَّه ـ رحمه اللَّه ـ:

قال أبو الحسن بن سالم: عرفت سهلاً سنين من عمره كان يقوم الليل حتى يصبح يناجي ربه. كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «إذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم ليلتك لك، وتؤدي حق اللَّه فيها»[٤] .

---

(١) «صبا نجد» لابن الجوزي ص(٥٨ ـ ٥٩) ـ دار الصحابة.
(٢) «السير» (١٢/٥٩٩ ـ ٦٠٤)، «ولاة مصر وقضاتها» (٣٦١ ـ ٣٦٢).
(٣) «الحلية» (١٠/١٤١).
(٤) «الحلية» (١٠/١٩٥).

* العباس بن مساحق:

قال ـ رحمه اللَّه ـ في علامات المحبين: «جَفَوْا واللَّه مضاجعهم وخربوا من العمارة فروشهم، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم، وعمروا بالأبدان محاريبهم، وبالقلوب درجاتهم»[1].

* الجنيد سيد الطائفة ـ رحمه اللَّه ـ:

رأى محمد بن إبراهيم الجنيد سيد الطائفة في المنام بعد موته فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلاّ ركيعات كنا نركعها في الأسحار[2].

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول: العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك[3].

* سمنون بن حمزة ـ رحمه اللَّه ـ:

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول:

أحنّ بأطراف النهار صبابة ... وفي الليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفنى وشوقي زائد ... كأن زمان الشوق ليس يغيب[4]

---

(١) «الحلية» (١٠/ ٢٢٦).
(٢) «الحلية» (١٠/ ٢٥٧). رآه: أي: في المنام.
(٣) المصدر السابق (ص٢٥٧).
(٤) «الحلية» (١٠/ ٣١١).

* **قيام أبي خزيمة العبدي البصري نصر بن مرداس:**

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «كنت بالأسكندرية فأتاني آت في منامي فقال: قم فصل ثم قال: أما علمت أن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها هم خزانها (ثلاث مرات)»[١] .

* **قيام مطهر السعدي:**

قال عبد العزيز بن سلمان العابد ـ وكان يرى الآيات والأعاجيب ـ قال: حدثني مطهر السعدي، وكان قد بكى شوقًا إلى اللَّه ستين عامًا، قال: أريت كأني على ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر حافتاه شجر ولؤلؤ ونبت من قضبان الذهب، وإذا أنا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد:

سبحان المسبح بكل لسان سبحانه.

سبحان الدائم في كل الأزمان سبحانه.

قال: فقلت: من أنتن؟ فقلن: خلق من خلق الرحمن سبحانه، فقلت: ما تصنعن ها هنا؟ فقلن:

ذرأنا إلهُ الناس ربُ محمدٍ لقومٍ على الأطرافِ بالليل قُوَّمُ

يناجون رب العالمين إلههم وتسري هموم القوم والناس نُوم

قال: قلت: بخ بخ لهؤلاء من هؤلاء؟ لقد أقر اللَّه أعينهم بكن قال: فقلن: أوما تعرفهم؟ قلت: لا واللَّه ما أعرفهم قلن: بلى هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسهر[٢] .

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٤٩٩ ـ ٥٠٠)، و«المنامات» لابن أبي الدنيا ص(١٧٧).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٣٥٣، ٣٥٤).

* أبو عبد اللَّه الجلاَّء:

سُئل أبو عبد اللَّه الجلاء: كيف تكون ليالي الأحباب؟ فأنشأ يقول:

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكباد

* * *

* إبراهيم الخوّاص:

قال ـ رحمه اللَّه ـ: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»[1] .

* قيام يزيد بن هارون:

* قال عنه علي بن المديني: ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون.

* قال أحمد بن سنان: ما رأيت عالمًا قط أحسن صلاة من يزيد ابن هارون يقوم كأنه أسطوانة، وكان يصلي بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار، هو وهشيم جميعًا معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار.

* وقال عاصم بن علي: كان يزيد بن هارون إذا صلى العتمة لا يزال قائمًا حتى يصلي الغداة بذلك الوضوء نيفًا وأربعين سنة.

* وقال له رجل: كم حزبك؟ فقال: وأنام من الليل شيئًا؟ إذًا لا

---

(١) «الحلية» (١٠/ ٣٢٧).

أنام اللَّه عيني، وظل يبكي حتى ذهبت عيناه وكان من أحسن الناس عينين[١] .

* قيام خلف بن حوشب:

عن عبد السلام بن حرب النهدي قال: «ما رأيت أحدًا قط أصبر على سهر بليل من خلف بن حوشب، سافرت معه إلى مكة فما رأيته نائمًا بليل حتي رجعنا إلى الكوفة»[٢] .

* قيام أبي عبد الكريم المصري الحارث بن يزيد الحضرمي:

كان يكثر جدًّا من الصلاة بالليل .

قال بكر بن مضر: إن الحارث بن يزيد الحضرمي كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة[٣] .

* قيام يزيد بن نعامة الضبي:

عن عبد الرحمن بن يزيد الضبي قال: كان أبي يزيد الضبي إذا قام من الليل أطال القيام، وكان له وتد في محرابه يعتمد عليه من طول القيام، قال: ولربما غلبه النوم وهو قائم حتى يسقط، قال: وكان يقول: لا أحب أن أعمد للنوم، أجهد ألا أنام، فإن غلبني كان أعذر لنفسي عندي»[٤] .

رحمك اللَّه أبا مودود. . . هكذا الرجال.

---

(١) «صفة الصفوة» (٣/١٧، ١٨).

(٢) «كتاب التهجد وقيام الليل» لابن أبي الدنيا ص(١٧٤، ٢٠٦).

(٣) «التهجد» ص(٢٣٠).

(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٠١).

* قيام هند بن عوف:

عن طلق بن معاوية قال: قدم رجل منا يُقال له: هند بن عوف من سفر، فمهدت له امرأته فراشًا فنام عليه، وكانت له ساعة من الليل يصليها فنام عنها فحلف ألا ينام على فراش أبدًا[1].

* قيام عطوان بن عمرو التميمي:

قال قبيصة بن عقبة: قال عطوان بن عمرو التميمي ـ وكان شيخًا مؤذنًا ها هنا عابدًا، قال قبيصة: قد أدركته وأنا صبي ـ قال: إني لأبيت ليلي ساهرًا متفكرًا في أمر الناس وغفلتهم عما يردون عليه من القيامة، ومن الأهوال والأفزاع ثم إلى أين يكون منصرفهم من بين يدي اللَّه، قال: فأبيت ليلتي ساهرًا مفكرًا في ذلك، ثم أظل نهاري مفكرًا في بكرتي ما أدري ما يصنع اللَّه بي فيها، قال أبو عامر قبيصة: وحدثني أنه كان إذا كان الليل جال في الجبابين والأحياء[2].

* قيام شريح بن هاني بن يزيد الحارثي:

عن عمارة[3] قال: قال شريح بن هاني قال: «ما فقد رجل شيئًا أهون من نعسة تركها». فما ذكرتها من قوله إلا نفعني اللَّه بها»[4].

* * *

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢١٨ ـ ٢١٩)، و«محاسبة النفس» له ص(٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٥٩).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٠ ـ ٢٥١).

(٣) إمّا عمارة بن عمير التيمي، أو عمارة بن القعقاع الضبي.

(٤) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٧).

* قيام واصل البصري مولى أبي عيينة:

قال مهدي بن ميمون: كان واصل مولى أبي عيينة جارًا لنا، وكان يسكن في غرفة فكنت أسمع قراءته من الليل، وكان لا ينام من الليل إلا يسيرًا، قال: فغاب غيبة إلى مكة فكنت أسمع القراءة من غرفته على نحو من صوته كأني لا أنكر من الصوت شيئًا، قال: وباب الغرفة مغلق، قال: فلم نلبث أن قدم من سفره فذكرت ذلك له فقال: وما أنكرت من ذلك؟ هؤلاء سكان الدار يصلّون بصلاتنا ويستمعون لقراءتنا، قال: قلت: أفتراهم؟ قال: لا ولكني أحسّ بهم وأسمع تأمينهم عند الدعاء وربما غلب عليّ النوم فيوقظوني[1] .

* قيام الحسن بن أبي جعفر الجعفري البصري:

قال أبو عمران التمار: غدوت يومًا قبل الفجر إلى مسجد الحسن الجعفري فإذا باب المسجد مغلق، وإذا حسن جالس يدعو، وإذا ضجة في المسجد، وجماعة يؤمنون على دعائه وحسن يدعو، قال: فجلست على باب المسجد حتى فرغ من دعائه ثم قام فأذن وفتح باب المسجد فدخلت فلم أر في المسجد أحدًا فلما أصبح وتفرّق من عنده قلت له: يا أبا سعيد إني والله رأيت عجبًا، قال: وما رأيت؟ فأخبرته بالذي رأيت وسمعت فقال: أولئك جن من أهل نصيبين يحبون يشهدون معي ختم القرآن كل ليلة جمعة، ثم ينصرفون[2] .

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٩٢)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/٣٥٨)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (١١/١٠٦).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٩٣)، و«صفة الصفوة» (٣/٢٤٥) و(٤/٣٥٩).

* قيام مسرور بن أبي عوانة:

كان عابدًا مجتهدًا.

قال إسماعيل بن زياد السكوني قاضي الموصل: قد رأيت العبّاد والمتهجدين فما رأيت أحدًا قط أصبر على صلاة بليل ولا نهار وطول السهر والقيام من مسرور بن أبي عوانة كان يصلي الليل والنهار لا يفتر، قال: وقدم علينا مرة فقال: أخرجوني إلى الساحل أنظر إلى الماء حتى لا أنام[1].

* قيام أبي عوانة وضاح بن عبد اللَّه اليشكري:

قال أبو المساور الفضل بن مساور ختن أبي عوانة: كان أبو عوانة من أكثر الناس صلاة بالليل وأطوله اجتهادًا، فلما قدم علينا مسرور بن أبي عوانة قال لي أبو عوانة: يا أبا المساور احتقرت واللَّه نفسي، أو تصاغرت واللَّه إليّ نفسي[2].

* قيام عابد:

كان رجل من أهل خراسان متعبدًا، وكان إذا جاء الليل تحزّم ولبس ثيابه وخُفَّيْه، فيقول له أهله: الناس إذا أصبحوا لبسوا ثيابهم وذهبوا إلى أسواقهم وأنت إنما تلبس بالليل، فيقول لهم: وأنا أيضًا أذهب إلى

---

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢١٠ - ٢١١)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٢٣٩).

(٢) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢١١)، و«صفة الصفوة» (٢/٢٣٩)، و«تاريخ بغداد» (١٣/ ٢٦٥).

السوق قال: فيقوم إلى محرابه[١].

* قيام الإمام أبي زكريا محيي الدين النووي:

قال في البدر السافر: «وكان كثير العبادة، حكى لي البدر بن جماعة أنه سأله عن نومه فقال: إذا غلبني النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه.

وذكر لي صاحبنا الفاضل أبو عبد اللَّه محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في حياة الشيخ قال: كنت ليلة في أواخر الليل بجامع دمشق والشيخ واقف يصلي إلى سارية في ظلمة وهو يردد قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ مرارًا بخوف وخشوع حتى حصل عندي من ذلك أمر عظيم[٢].

* قشّر له أحد أصحابه خيارة ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال: أخشى أن ترطب جسمي وتجلب النوم.

* وكان يجري دمعه في الليل ويقول:

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة ... على غير ليلي فهو دمع مضيّع

* وقال عنه الحافظ الذهبي: «الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرباني شيخ الإسلام حسنة الأنام محيي الدين صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان.. إلى أن قال:

لازم الاشتغال والتصنيف محتسبًا في ذلك، مبتغيًا وجه اللَّه مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح وذم النفس

(١) «كتاب التهجد» لابن أبي الدنيا ص(٢٥٦).

(٢) كتاب «ترجمة شيخ الإسلام: أبي زكريا محيي الدين النووي» للحافظ السخاوي ص(٣٦) مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر.

والصبر على العيش الخشن ملازمة كلية لا مزيد عليها» ا.هـ. وكان السبكي بعد تقلده مدرسة دار الحديث خلفًا للنووي يمرغ وجهه على البساط الذي كان يطأ عليه النووي ويقول:

وفي دار الحديث لطيف معنى ... على بسط منها أصبو وآوي
عسى أني أمس بحرّ وجهي ... مكانًا مسّه قدم النواوي

قيام الليل عند شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال الحافظ المزي: ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه. وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه.

قال عنه الذهبي: «شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد، شيخ الإسلام، مفتي الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقي الدين، سيد العباد».

وقال قاضي القضاة كمال الدين بن الزِّمْلِكاني:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّت عن الحصرِ
هو حجة للَّه قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهرِ
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أرْبت على الفجرِ

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي عنه:

«لا يستطيع أي إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها ما لم يشعر بلذتها ويذوق طعمها، وما لم تحتل العبادة محل الدواء والنزاع والقوة، ويصل إلى درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرة ولروحه مسرة، أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على أحواله بأنه كان له القدح المعلى في هذه الثروة الغالية، وكان له ذوق خاص في العبادة والمناجاة والخلوة، وكان شديد الشغف بهذه الناحية، عظيم الانهماك فيها. جاء

في «الكواكب الدرية». «وكان في ليله منفردًا عن الناس كلهم خاليًا بربه، ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم، مكررًا لأنواع التعبدات الليلية والنهارية، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة». ويقول العلامة الذهبي: «لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه» ويقول أيضًا: «وله أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية»ا. هـ.

* وقال عنه الذهبي: «نشأ - رحمه اللَّه - في تصون تام وعفاف وتأله وتعبد».

وقال بعض قدماء أصحابه: «برًا بأمه ورعًا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوامًا قوامًا، يذكر اللَّه تعالى في كل أمر وعلى كل حال».

يقول عنه تلميذه الحافظ ابن عبد الهادي لما سجن وأخرج ما معه من الكتب:

«ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق، حمل إلى القاضي علاء الدين القونوي وجعل تحت يده في المدرسة العادلية.

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتى أتاه اليقين، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾»ا. هـ.

ولا غرو أن مدحه الشيخ مجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخي فقال:

«كم له في حنادس الخطب والخلق نيام حتى الضحى من قيام»[1]

وقال بدر الدين حسن بن محمود النحوي المارداني في رثائه:

---

(١) «العقود الدرية» ص(٣٦٨) للحافظ ابن عبد الهادي دار الكتب العلمية ببيروت.

عجبت لقبر ضم جسمك تُربه أيحوي الثرى في تربه الشمس والبحرا
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة وجُزْت الذي أمَّلت بالمقلة السهرا
إذا قال في علياك أمعن قائل فما حاط من معشار ما نلته العُشرا
وماذا يقول المادحون بوصفه وقدْرك فوق الشعر حل عن الشعرى
وإن أودعوك السجن منهم جهالة فقد زدت قدراً، عندما نقصوا القدرا
فما يختفي إلا الجواهر في الورى ومن ظلم الأصداف يستخرج الدرا
سقاك حيًا ومن وابل الغيث سحرة وحيًا نديٍ قد ضم من كفك البحرا
ونَوّر نوار الربيع ربوعه وأطلع في أرجائه الزهر والزهر(١)

ويقول عنه أيضًا:

نثرت على فرق الزمان جواهراً ودراً على جيد الليالي تنظما
بفضل صلاة مع صلاتك في الدجى وجودك والإحسان أربحت مغنما
متى صَيّر المعراج للخلد في الدجى بأوراده، لَمَّا تسلم سلما(٢)

ويقول عنه شمس الدين الحنبلي:

لتبكينك دار كنت تسكنها وتشتكي فقدك الأسحار والأصل(٣)

ويقول أيضًا:

ولم يزل في قيام الدين مجتهداً وإن خلا في الدياجي فهو مبتهل

رحمك اللَّه أبا العباس، حين تقول: «ماذا يصنع أعدائي بي؟.. أنا جنتي وبستاني في صدري أينما رحت فهي معي.. إن معي كتاب اللَّه وسنة نبيه.. إن قتلوني فقتلي شهادة.. وإن نفوني عن بلدي فنفي سياحة وإن سجنوني فأنا في خلوة مع ربي.. إن المحبوس من حبس عن ربه، وإن الأسير من أسره هواه».. نعم يا شيخ الإسلام ويا زين

(١، ٢، ٣) انظر: «العقود الدرية».. ما قيل من مراثٍ في شيخ الإسلام ابن تيمية.

المتهجدين.. كما يصفك ويرثيك الإمام زين الدين عمر بن الحسام الشبلي:

يجفو المضاجع راكعًا وساجدًا ... أو ذاكرًا للَّه في الظلماء

وكما يقول عنه الشيخ ابن الحصري الحنبلي:

متزهدًا متعبدًا متهجدًا ... متخشعًا متورعًا متدينا

ويقول الشيخ شهاب الدين التبريزي الحنفي في سجن شيخ الإسلام:

غار الإله عليه من أغياره ... فزواه عنهم والمحب غيور
فخلا به يتلو عليه كلامه ... وله الحبيب مؤانس وسمير
حتى إذا اشتد التشوق زفّه ... زف العروس وذيلها مجرور
ولقد سرى فوق الرقاب سريره ... فعجبت كيف الراسيات تسير
ما كنت أعلم قبل يوم وفاته ... أن البحار الزاخرات تغور
ولقد سرت لسريره لما سرى ... سير لها حتى النشور نشور
وكذا جنازته تعالى اللَّه لم ... ينظر لها في العالمين نظير
ومن العجائب أنها انطلقت على ... صمت بما هو كامن مستور

نعم.. قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.. نعم من غَسّله من الحفّاظ، وكم شيعه من الناس؟.

يقول الشيخ تقي الدين الدقوقي البغدادي المحدث:

مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذي ... أقرّ له بالعلم والفضل ضده
يحنّ إليه في النهار صيامه ... ويشتاقه في ظلمة الليل ورده[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية للملك الناصر الذي يقول له: أنت تفكر في الحصول على الملك، فيجيبه: «أنا أفعل ذلك؟ واللَّه إن ملكك وملك المغول لا يساوي عندي فلسًا»[2].

---

(١) انظر: «العقود الدرية».

(٢) «الكواكب الدرية» ص(١٦٦).

قيام شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية:

لقد كان شيخ الإسلام ابن القيم والحافظ ابن عبد الهادي آيتين من آيات شيخ الإسلام ابن تيمية. وللشيخ شيخ الإسلام ابن القيم: روحانية لا تُجارى وهو بحق حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

يقول عنه ابن رجب الحنبلي تلميذه:

«وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ، وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف، والخوض في غوامضهم، وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة وجاور بمكة، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته..»[1] ا.هـ.

قيام الإمام الصالح: ابن بطة الحنبلي صاحب كتاب «الإبانة»:

قال عنه الذهبي: صاحب أحوال وإجابة دعوة، وقال ابن ماكولا: إنه أحد الزهاد العباد.

(١) «المنتظم» (٧/ ١٩٤). وانظر: كتاب «الشرح والإبانة» والمقدمة للدكتور رضان بن نعسان معطي ص(٣٣).

وقال ابن العماد: إنه «العبد الصالح».

* ذكر ابن الجوزي بسنده أن أحمد بن محمد الدلوي قال: «لما رجع أبو عبد اللَّه بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُر خارجًا في سوق، ولا رُئي مفطرًا إلا يومي الأضحى والفطر. وكان قيام الليل أمرًا عاديًا بالنسبة للشيخ فكأنه جُبل على ذلك، فقد ذكر ابن العماد عنه[1] «أنه كان يقوم الليل كله فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير ولا ينام حتى يصبح».

قيام أحمد بن مهدي:

المحدث الأمين، حليف العبادة والسهر، أليف السنة والأثر، كان ـ رحمه اللَّه ـ ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم، نحو ثلاثمائة ألف درهم، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة[2] .

قيام عرفجة الكوفي وقيام الجنّ معه:

عن خلف بن تميم قال: كان فتى من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة وكان يحيي الليل صلاة، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه في زيارته فأذنت له، قالت العجوز: فلما كان من الليل وأنا في منامي فإذا أنا برجال قد وقفوا عليّ فقالوا: يا أم عرفجة: لم أذنت لإمامنا الليلة؟[3] .

---

(١) «الشذرات» (٣/ ١٢٣).

(٢) «حلية الأولياء» (ج١٠ ص٣٩٧).

(٣) «حلية الأولياء» (ج١٠ ص١٣٥).

قيام شداد المجذوم:

قال مخلد بن الحسين: كان بالبصرة رجل يقال له شداد أصابه الجذام فانقطع، فدخل عليه عوّاده من أصحاب الحسن فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بخير، ما فاتني حزبي من الليل منذ سقطت، وما بي إلا أني لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة[1].

قيام عابد من عباد الكوفة.. وا قتيل جَهَنَّمَاه:

قال منصور بن عمّار: نزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت في ليلة مظلمة مستحلكة فإذا أنا بصوت شاب يدعو ويبكي وهو يقول: «إلهي وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض ولا بنظرك مستخف، ولكن سوّلت لي نفسي فأعانتني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخيّ عليّ، فقد عصيتك وخالفتك بجهلي، فإلى من أحتمي؟ ومَنْ مِنْ عذابك يستنقذني؟ ومن أيدي زبانيتك من يخلصني؟ وبحبل مَنْ أتصل إذا أنت قطعت حبلك عني؟ وا سوأتاه إذا قيل للمُخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا، فيا ليت شعري مع المثقلين نحط أم مع المخفّين نجوز وننجوا؟.. كلما طال عمري وكبر سني كثرت ذنوبي وكثرت خطاياي، فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي، وا شباباه وا شباباه.

قال المنصور: فلما سمعتُ هذا الكلام وضعت فمي على باب داره وقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يا أيها

---

(١) «حلية الأولياء» (ج١٠ ص١٤٦).

الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الآية. قال منصور: ثم سمعت للصوت اضطرابًا شديدًا وسكن الصوت، فقلت: إن هناك بلية فعَلّمت على الباب علامة ومضيت لحاجتي، فلمّا رجعت من الغد إذ أنا بجنازة منصوبة، وأكفان تصلح، وعجوز تدخل الدار وتخرج باكية، فقلت: يا أمة اللَّه مَنْ هذا الميت منك؟ قالت: إليك عني لا تجدد عليّ أحزاني، قلت: إني رجل غريب أخبريني، قالت: واللَّه لولا أنك غريب ما أخبرتك، هذا ولدي ومن زلَّ عن كبدي ومَنْ كنت أظن به سيدعو لي مِنْ بعدي.. كان ولدي إذا جن عليه الليل قام في محرابه يبكي على ذنوبه، وكان يعمل هذا الخوص فيقسِّمُ كسبه أثلاثًا فثلث يطعمني وثلث للمساكين وثلث يفطر عليه فمرّ علينا البارحة رجل لا جزاه اللَّه خيرًا فقرأ عند ولدي آية فيها ذكر النار فلم يزل يضطرب ويبكي حتى مات ـ رحمه اللَّه ـ... قال منصور: هذه صفة الخائفين إذا خافوا السطوة[1].

***

(١) «حلية الأولياء» (ج١٠ ص١٨٨، ١٨٩).

قيـــام المجـاهـديـن

قيام القسيم ... الملك الشهيد

نور الدين محمود زنكي

الملك الشهيد .. قاهر الصليبيين:

قال ابن الأثير: لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين.

قال عنه الحافظ ابن كثير:

«كان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب».

جمع الشجاعة والخشوع لديــه ... ما أحسن الشجعان في المحــراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام في الليل، فنامت ذات ليلة عن وردها، فأصبحت وهي غضبى فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوّت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلاً وجراية كثيرة.

فألبس اللَّه هاتيك العظــام وإن ... بُلينَ تحت الثرى عفــوًا وغفرانا

سقى ثرى أودعــوه رحمـة ملأت ... مثوى قبورهـم روحًا وريحانًا[1]

---

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٧٩).

وقال أيضًا الحافظ ابن كثير عن الملك الشهيد:

«وكان مدمنًا لقيام الليل، يصوم كثيرًا، مجاهدًا في الفرنج صحيح الاعتقاد».

وقال عنه أيضًا: «كان كثير الصلاة بالليل، كثير الابتهال في الدعاء والتضرع إلى اللَّه عز وجل في أموره كلها».

قال الفقيه: أبو الفتح الأشري معيد النظامية ببغداد وجامع المختصر في سيرة نور الدين:

«بلغنا عن جماعة من الصوفية مِمّنْ يعتمد على قولهم أنهم دخلوا القدس للزيارة أيامَ أخذِ القدس الفرنج فسمعهم يقولون: إن القسيم بن القسيم - يعنون نور الدين - له مع اللَّه سر، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى اللَّه ويدعو فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا - قال -: فهذا كلام الكفار في حقه»[1].

انظروا بربكم إلى كلام أعدائه..: «إنه يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل»... فضل قيام الليل عرفه حتى الكفار وأقروا به لمن أراد النصر.

ويرحم اللَّه من قال عن الملك الشهيد:

ومدرسة ستدرس كل شيء	**وتبقى في حمى علم ونسك**
تضوّع ذكرها شرقًا وغربًا	**بنور الدين محمود بن زنكي**

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٨٣).

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول في سجوده: «اللَّهم ارحم المكّاس العشّار الظالم محمود».

أما عن شجاعته فيقول ابن كثير: «إنه لم يُر على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه، وكان شجاعًا صبورًا في الحرب، يضرب المثل به في ذلك، وكان يقول: «لقد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لي ذلك، ولو كان فيّ خير، ولي عند اللَّه قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية».

وقال له يومًا قطب الدين النيسابوري: باللَّه يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك، وأخذت البلاد وفسد حال المسلمين، فقال له: اسكت يا قطب الدين فإن قولك إساءة أدب على اللَّه، ومن هو محمود؟ ومن كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الذي لا إله إلا هو؟ ومن هو محمود؟ قال: فبكى من كان حاضرًا[1].

تلك المكـــارم لا قعبـــان من لبن وذلك السيف لا سيف بن ذي يزن

أما عن زوجته عصمت الدين بنت معين الدولة كثيرة التهجد، وأحسن النساء في عصرها، وأعفهن وأكبرهن صدقة، فقد تزوجت تلميذه صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢هـ) بعد موت أستاذه نور الدين.. وامرأة صالحة كهذه لا تكون إلاّ تحت من هو مثل ابن زنكي وصلاح الدين الأيوبي.

* * *

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٨٠).

قيام الناصر صلاح الدين بطل حطين وقاهر الصليبيين:

قال القاضي بهاء الدين ـ المعروف بابن شدّاد الذي عاصر صلاح الدين ـ عن بطلنا صلاح الدين:

«وأما الصلاة فإنه كان ـ رحمه اللَّه ـ شديد المواظبة عليها حتى أنه ذكر يومًا أنه من سنين ما صلّى إلاّ جماعة، وكان يواظب على السنن والرواتب، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل، وإلاّ أتى بها قبل قيام الفجر، وكان ـ رحمه اللَّه ـ يحب سماع القرآن العظيم، وكان خاشع القلب غزير الدمعة، وإذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم أوقاته»[1].

وإن تعْجَبْ فاسمع حديث البطل جملة:

قال صاحب كتاب «طبقات الشافعية»: «وسمع صلاح الدين الحديث من الحافظ أبي طاهر السلفي، وأبي الطاهر بن عوف، والشيخ قطب الدين النيسابوري، وعبد اللَّه بن بري النحوي وجماعة.. وكان فقيهًا يقال: إنه يحفظ القرآن الكريم، والتنبيه في الفقه، والحماسة في الشعر».

ألا تعجب يا أخي من رجل رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث، بل يواظب على سماع الحديث حتى أنه يسمع في بعض مصافه جزء وهو بين الصفّين فكان يتبجج بذلك ويقول: هذا موقف لم يسمع

---

(١) «صلاح الدين الأيوبي بطل حطين» للشيخ عبد اللّه ناصح علوان ص(١٤٠، ١٤١). الناشر دار السلام للطباعة والنشر.

أحد في مثله حديثًا[١] .

رحمك اللَّه يا صلاح الدين.

أما عن غيرته وبطولته وجهاده للدفاع عن معاقل الإسلام فهيهات أن تلد النساء مثله:

الجراحـات تسـتغيث وتشـكو مـلء سمـع الوجـود قم يا صلاحُ

فصلاح الدين لو كان في الرعيل الأول لكان آية، فهم دينه كما فهمه السلف.

لم يعرفـوا الدين أورادًا ومسبحة بل أشبعوا الدين محرابـًا وإيمانـًا

يقول عنه القاضي بهاء الدين:

«كان ـ رحمه اللَّه ـ عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال، وهو كالوالدة الثكلى يجول بفرسه من طلب إلى طلب، ويحث الناس على الجهاد، ويطوف بين الأطلاب وينادى: يا للإسلام! . وعيناه تذرفان بالدموع، وكلما نظر إلى عكا وما حلّ بها من البلاء، وما يجري على ساكنيها من المصاب العظيم، اشتد في الزحف، والحث على القتال، ولم يطعم في ذلك اليوم طعامًا ألبتة، وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب، ولقد أخبرني بعض أطبائه أنه بقي من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئًا يسيرًا لفرط اهتمامه»[٢] .

وكان إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين، فكان يُرى ساهرًا مهتمًا مغتمًا ساجدًا للَّه داعيًا في سجوده بهذا الدعاء: «إلهي قد انقطعت

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٥).

(٢) «صلاح الدين الأيوبي» ص(١٦٤).

أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك، والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم والوكيل»، ويقول القاضي بهاء الدين: «ورأيته ساجدًا ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ولا أسمع ما يقول، ولم ينقض ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء»(١).

وقال مرة للقاضي ابن شداد وهو يركب البحر: «أما أحكي لك شيئًا في نفسي.. إنه متى يسّر اللَّه تعالى فتح بقية الساحل قسّمتُ البلاد وأوصيت وودعت، وركبت هذا البحر إلى جزائره، واتبعتهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر باللَّه أو أموت. ثم قلت - أي ابن شداد -:

ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسيّر في البحر العساكر وهو سور الإسلام ومنعته فلا ينبغي أن يخاطر بنفسه، فقال: أنا أستفتيك ما أشرف الميتتين؟ فقلت: الموت في سبيل اللَّه، فقال: غاية ما في الباب أن أموت أشرف الميتتين. فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها، وإلى هذه النفس ما أشجعها ويرحم اللَّه أبا الحسن بن الجويني حين يقول:

إذا طوى اللَّه ديوان العباد فما ... يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

ويرحم اللَّه من قال:

فُتح الشام وطُهِّر القدسُ الذي ... هو في القيامة للأنام المحشر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فاروقها عمر الإمام الأطهرُ
ولأنت عثمان الشريعة بعده ... ولأنت في نصر النبوة حيدرُ

---

(١) «صلاح الدين الأيوبي» ص(١٤٢).

ويرحم اللَّه من قال:

ونــور الدين في عكــا ويافــا له صــول كزمجــرة الرعــود
ويرفــع في روابيها «صــلاح» بنــود النصـر تخفـق بالنشيد

فيا قدساه.. يا جرحنا الدامي مَنْ من أحفاد الركع السجود الذين تهجدوا وتبتلوا لربهم.. مَنْ من أحفاد الناصر وزنكي لك؟ وتُرى يا قدس يرجع الماضي؟.

صلاح الدين في أعمــاق أعماقي يناديني
ورايــاتي التي طُوِيَتْ على ربــوات حطـين
وأطفالي هنــاك هناك في عمر الريــاحـينِ
وآلاف مـن الأســرى وآلاف المســاجين
وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثوني

رهبان الليل وفرسان النهار:

ما عرف الإسلام أبناءه إلا كذلك.. متهجدين قادة.. سجلوا بأحرف من نور فتوحات تضيء الدنيا لآلئ نورها.

السلطان المجاهد محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية:

ذلكم السلطان الذي دك صلبان العالم وفتح القسطنطينية وحوّل كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أيا صوفيا.. ذلكم السلطان تلميذ الشيخ آق شمس الدين... ذلكم السلطان الذي قاد بنفسه الهجوم على القسطنطينية وقال لجنوده: يا أبنائي، ها أنا ذا مستعد للموت في سبيل اللَّه فمن رغب في الشهادة فليلحق بي.

وقبلها بيوم يسجل لك التاريخ أيها البطل أنك صمت اليوم السابق ليوم الفتح، وندبت جندك إلى الصيام.. وبعد العشاء الآخرة.. تمضي الساعات بجنودك بين قائم يصلي أو متهجد يبتهل. وتتحدث كتب التاريخ بأنك كنت صوّامًا قوامًا:

« كان ـ رضي اللَّه عنه وأرضاه ـ صوامًا قوامًا، يجد الأنس والسكينة في طاعة اللَّه كلما حزبه أمر واشتد به عنت، وكان يقدم بين يدي كل معركة يخوضها الإكثار من الطاعات صيامًا وقيامًا ودعاءً ومناجاة[1] . صدق الشيخ أبو الحسن الندوي حين يقول: على رأس كل حركة جهاد وكفاح: شخصية روحية قوية، وإن التضحية والإيثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة حلم لا يتحقق وغاية لا تنال.. وإليك المثال ـ:

الأمير عبد القادر الجزائري:

هذا الأمير الذي رفع راية الجهاد في الجزائر ضد الفرنسيين وأطلق الشرارة الأولى فيها ولم يهدأ له بال من عام (١٨٣٢ إلى ١٨٣٧م) حتى أقض مضاجع الفرنسيين وقد أثنى عليه مؤرخو الغرب وعلى شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله.

يقول عنه الأمير شكيب أرسلان في كتابه «حاضر العالم الإسلامي».. يتحدث عن أيامه في دمشق:

(١) «السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية» ص(١٩٣) زياد أبو غنيمة ـ دار الفرقان.

«وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلي الصبح في مسجد قريب من داره في محلة العمارة، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض، وكان يتهجد الليل»(١) .

أسد برقة.. ابن السنوسية.. الشيخ الشهيد عمر المختار:

ويذكر لنا التاريخ الزوايا السنوسية ومؤسسها الإمام السنوسي وطلابه وتلاميذه العبّاد المتهجدين المجاهدين... بلغوا الذروة في الروحانية والمثل في التضحية والجهاد ويكفي أن نذكر أن أسد برقة ـ كما يسميه محمد أسد في كتابه «الطريق إلى الإسلام» ـ الشهيد عمر المختار الذي لم يستسلم قط بالرغم من ضراوة أعدائه الذين عرضوا عليه إنقاذ حياته بعد أن أسروه بشرط إعلانه التخلي عن كفاحه، قال للقائد الإيطالي: «لن أتوقف عن قتالك وقومك حتى تغادروا بلادي أو أفارق حياتي، وأقسم لك بالله الذي يعلم ما في القلوب أنه لو لم تكن يداي مغلولتين في هذه اللحظة بالذات، إذن لقاتلتك بيدي العزلاء أنا الشيخ المحطم العجوز»(٢) .

رهبان فرسان مجهولون:

وكما يسطر لنا التاريخ ويروي عن القادة فهناك رجال اليل وفرسان النهار المغمور ذكرهم، العبق حديثهم منهم:

---

(١) «ربانية لا رهبانية» للشيخ أبي الحسن الندوي ص(١٢٠).

(٢) «التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث» للدكتور مصطفى حلمي ص(٢٣١) نقلاً عن كتاب «الطريق إلى الإسلام» لمحمد أسد.

سعيد بن الحارث والخالدة:

عن رافع بن عبد اللَّه قال: قال لي هشام بن يحيى الكناني: لأحدثنك حديثًا رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني اللَّه عز وجل به فعسى اللَّه أن ينفعك به كما نفعني، قلت: حدثني يا أبا الوليد قال: غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد اللَّه بن الوليد بن عبد الملك وهي الغزوة التي فتح اللَّه عز وجل فيها الطوانة، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة في موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحارث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون في جميع الأمور بحيث لا يخلي شيئًا من عبادته، وما رأيته في ليل ولا نهار إلا في حال اجتهاد، فإن لم يكن وقت الصلاة أو كنا نسير لم يفتر عن ذكر اللَّه تعالى ودراسة القرآن، قال هشام: فأدركني وإياه النوبة ذات ليلة في الحراسة ونحن محاصرون حصنًا من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد في تلك الليلة في شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسي وعجبت من قوة جسمه على ذلك، وعلمت أن اللَّه يؤتي الفضل من يشاء. وأصبح كالاً من التعب فقلت له: يرحمك اللَّه إن لنفسك عليك حقًا ولعينك عليك حقًا ولقد علمت أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**» وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لي: يا أخي إنما هي أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضي، وأنا رجل أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي، فأبكاني جوابه

ودعوت اللَّه عز وجل له بالعون والتثبيت، ثم قلت له: نم قليلاً تستريح فإنك لا تدري ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطًا فنام إلى جانب الخباء، وتفرق أصحابنا فمنهم من هو في القتال، ومنهم من هو في غير ذلك، وأقمت في موضعي أحرس رحالهم، وأصلح لهم طعامهم، فأنا كذلك إذ سمعت كلامًا في الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائمًا، وظننت أن أحدًا دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحدًا غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك في نومه، فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئًا، ثم ردّها بلطف وهو يضحك، ثم قال: فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد، فاحتضنته إلى صدري مدة وهو يلتفت يمينًا وشمالاً حتى سكن وعاد له فهمه، وجعل يهلل ويكبر ويحمد اللَّه تعالى فقلت له يا أخي: ما شأنك؟ فقال: خيراً يا أبا الوليد، قلت: إني قد رأيت منك شيئًا وسمعت منك كلامًا في نومك فحدثْني بما رأيت. فقال: أو ما تعفيني من ذلك، فذكرت حق الصحبة فقلت: حدثني يرحمك اللَّه فعسى اللَّه أن يجعل لي في ذلك عظة وخيراً. فحدثه عما رأى في منامه من قول رجلين له لم ير قط مثل صورتهما كمالاً وحسنًا: يا أبا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى في حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد اللَّه لك من النعيم.

وظل سعيد يسرد ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به، والجواري، حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له: قد طال انتظارنا إياك، فقلت لها: أين أنا؟ قالت: في

جنة المأوى. فقلت: ومن أنت؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة. قال: فمددت يدي إليها فردتها بلطف وقالت: أما اليوم فلا. إنك راجع إلى الدنيا، فقلت: ما أحب أن أرجع. فقالت: لا بد من ذلك وستقيم ثلاثًا ثم تفطر عندنا في الليلة الثالثة إن شاء اللَّه تعالى. فقلت: فالليلة الليلة، قالت: إنه كان أمرًا مقضيًا، ثم نهضت عن مجلسها، ووثبت لقيامها فإذا أنا قد استيقظت، قال هشام: فقلت: يا أخي أحدث للَّه شكرًا فقد كشف لك عن ثواب عملك، فقال لي: هل رأى أحد غيرك مثل ما رأيت مني؟ فقلت: لا. فقال: أسألك باللَّه عز وجل إلا سترت عليّ ما دمت حيًا فقلت: نعم. فقال: ما فعل أصحابنا فقلت: بعضهم في القتال وبعضهم في الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومسّ طيبًا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل، وانصرف أصحابه وهو فيهم، فقالوا لي: يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه، فقلت في نفسي: لو تعلمون شأنه لتنافستم في مثل صنيعه، قال: وأفطر على شيء من الطعام وبات ليلته قائمًا وأصبح صائمًا فصنع كصنيعه بالأمس، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثلما ذكروه بالأمس، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت: لا بد أن أشهد أمره وما يكون منه، فلم يزل يلقي نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شيء وهو يؤثر فيهم الآثار، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ما كان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع في نحره فخر صريعًا وأنا أنظر إليه،

فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له: هنيئًا لك بما تفطر عليه الليلة يا ليتني كنت معك. فعضّ شفته السفلى، وأومأ إليّ ببصره وهو يضحك يعني: اكتم أمري حتى أموت.

ثم قال: الحمد للَّه الذي صدقنا وعده. فواللَّه ما تكلم بشيء غيرها، ثم قضي ـ رحمة اللَّه عليه ـ قال هشام: فقلت بأعلى صوتي: يا عباد اللَّه لمثل هذا فليعمل العاملون، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا، فاجتمع الناس إليّ فحدّثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر، وأقبلوا للصلاة عليه، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك فقال: يصلي صاحبه الذي عرف من أمره ما عرف قال هشام: فصليت عليه ودفناه في موضعه، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضًا، ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة، وقلوب مشتاقة إلى لقاء اللَّه عز وجل، فما أضحى النهار حتى فتح اللَّه الحصن ببركته رحمه اللَّه تعالى[1].

رحمة اللَّه على تلك الأنفس المتهجدة.. المشتاقة إلى الحور.. إن أحدهم يداعب جرحه الصغير فيقول: إنك لصغير وقد يبارك اللَّه في الصغير فيصبح كبيرًا، يتمنى أن يلقى ربه شهيدًا وقد بات ليله متهجدًا..

كم شهيد مضى على خفقـــات ... من صلاة بجـــوف ليـل قاني

كم شهيد مضى فزفّت له الحـــو ... ر بـشـــرى عرائس وغوانـــي

(١) «فضائل الجهاد المسمى فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق» اختصار الشيخ محمود العالم ص(٨٦ ـ ٩٠) طبع مكتبة القاهرة.

صنعتهم من الكتاب تراتيـــل قيام بمدمع هتان
فمضيتم معالمًا في طريق ومنارًا للتائه الحيران

الشجاعة تُسقى بدمع التهجد:

انظر رحمك اللَّه إلى عبّاد بن بشر وسيرته.

وإلى سالم مولى أبي حذيفة الذي مرّ تهجده - خشي الصحابة أن يهزموا لمّا حمل لواء المهاجرين فقال: بئس حامل القرآن أنا فقطعت يمينه، فأخذ اللواء بيساره فقطعت يساره، فاعتنق اللواء وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦][(١)].

* وقد مرّ بك تهجد عمرو بن عتبة بن فرقد فانظر إلى طرف من شجاعته وجهاده.

خرج - رحمه اللَّه - في غزاة كان فيها أبوه فلبس جبة بيضاء وهو يقول: ما أحسن حمرة الدم على البياض، فسمع أبوه ذلك، فقال: أقسمت عليك لتنزلن. قال: فنزل، ثم اعتزل عن الصف، فقام يصلي، فجعل يدعو، فالتفت إليه عتبة فقال لمن معه: هذا عمرو يستشفع عليّ بربه، اركب يا بني إن شئت فركب... ومرّوا بمرج حسن فقال عمرو: ما أحسن هذا المرج، وما أحسن هذا الآن لو أن مناديًا نادى: يا خيل اللَّه اركبي، فما كان أسرع من أن نادى المنادي: يا خيل اللَّه اركبي.. وأصيب عتبة بجرح صغير.. فقال: واللَّه إنك لصغير، وإن اللَّه عز

(١) «كتاب الجهاد» للإمام عبد اللَّه بن المبارك ص(١٠٢) - سلسلة البحوث الإسلامية.

وجل ليبارك في الصغير، دعوني في مكاني هذا حتى أمسي، فإن أنا عشت فارفعوني، فمات شهيدًا في مكانه ذلك[1] .

* وصلة بن أشيم الذي أحيا ليلة بنائه إلى الصباح شهدته ساحات الوغى مجاهدًا، خرج غازيًا هو وابنه فقال صلة لابنه: يا بني ارجع إلى أمك. فقال ابنه: يا أبت، أتريد الخير لنفسك، وتأمرني بالرجعة؟ أنت واللَّه كنت خيرًا لأمي مني. قال: أمَّا إذا قلت هذا فتقدم، قال: فتقدم، فقاتل حتى أصيب، فرمى صلة عن جسده، وكان رجلاً راميًا حتى تفرقوا عنه، وأقبل يمشي حتى قام عليه، فدعا له، ثم قاتل حتى قتل[2].

أئمة فقهاء ومحدثون متهجدون

ابن قدامة صاحب «المغني» شيخ الحنابلة:

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشيخ الموفق»، قال الحافظ عمر بن الحاجب في «معجمه»: كان مجلسه عامرًا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير. وصار في آخر عمره يقصده كل أحد. وكان كثير العبادة دائم التهجد لم يرِ مثله ولم ير هو مثل نفسه»[3] .

قال عنه ابن بدران: كان متعبدًا يغلب عليه الاشتغال بالعلم

---

(١) «كتاب الجهاد» للإمام عبد اللَّه بن المبارك ص(١١٤ ـ ١١٧).

(٢) «كتاب الجهاد» للإمام عبد اللَّه بن المبارك ص(١٢٩).

(٣) ترجمة ابن قدامة للشيخ ابن بدران من مقدمة «روضة الناظر وشرحها نزهة الخاطر العاطر» ص(٥٢٤).

والفقه. وقال سبط ابن الجوزي: «من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه، كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعًا من القرآن ولا يصلي السنة إلا في بيته».

الحافظ الذهبي:

«الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام» كما يقول عنه ابن ناصر الدين.. سيد الحفاظ وإمام المحدثين..

شرب العسقلاني من زمزم ودعا اللَّه أن يرزقه منزلة الذهبي في الحديث وكفى في هذا مدحًا له وشرفًا.

ما زلت بالسمع أهواكم وما ذكرت ... أخباركم قط إلا ملت من طربِ
وليس من عجب إن ملت نحوكم ... فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهبِ

قال عنه تلميذه: تقي الدين بن رافع السلامي: «كان خيّرًا صالحًا متواضعًا حسن الخلق حلو المحاضرة، غالب أوقاته في الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة. له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم»[1].

الحافظ العراقي شيخ ابن حجر العسقلاني: أستاذ الأئمة:

«كان لا يترك قيام الليل، بل صار له كالمألوف، وكان كثير التلاوة إذا ركب»، قال ابن حجر: «وقد لازمته، فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف». إمام وجبل في الحفظ والحديث ولا يترك قيام الليل[2]

(١) انظر: «رونق الألفاظ» الورقة (١٨٠) لسبط ابن حجر.. النقل من كتاب «الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام» للدكتور بشار عواد معروف ص(١٣٢).
(٢) مقدمة «تغليق التعاليق» دراسة وتحقيق سعيد بن عبد الرحمن موسى القزقي ص(١٣٧) =

وهذا درس لطلبة العلم الذين يهملون العبادة. وليقرءوا عن عبادة الخطيب البغدادي أيضًا.

قيام الحافظ نور الدين الهيثمي صاحب «مجمع الزوائد»:

تلميذ الحافظ العراقي وزوج ابنته:

قال عنه ابن حجر العسقلاني: «وكان كثير الاستحضار للمتون، يسرع الجوار بحضرة الشيخ فيعجب الشيخ ذلك، وكان قد تزوّج ابنة الشيخ ورزق منها أولاده، وقد عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل».

طلاب الحديث: انظروا إلى حرص الحافظ ابن حجر في ترجمته لشيخه والهيثمي على التنويه بعدم تركهما لقيام الليل «واسمعي يا جارة»[1].

قيام أستاذ الأستاذين الحافظ ابن حجر صاحب «فتح الباري شرح صحيح البخاري»:

بفتح الباري انشرح صدر البخاري.

«كان ملازمًا لقيام الليل وسنة الضحى ويسرد الصوم، وواظب أخيرًا على صوم يوم وإفطار يوم، وكان كثير البر بالفقراء»[2].

= طبع المكتب الإسلامي.

(١) «مقدمة تغليق التعاليق» ص(١٤٢).

(٢) «مقدمة تغليق التعاليق» ص(٦٠).

قيام الإمام الشيرازي أبي إسحاق المتوفى سنة (٤٧٦هـ):

حبر المسلمين في زمانه.

غسّله إمام الحنابلة ابن عقيل.

كان إذا جاءه الليل يقوم يناجي رب العالمين جل وعلا بالصلاة وبالقرآن والذكر وبأبياتٍ رقيقة من نظمه فيقول:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا — وقمت أشكو إلى مولاي ما أجدُ
وقلت يا عدتي في كل نائبة — ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمدُ
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها — ما لي على حملها صبر ولا جلدُ
وقد مددت يدي بالذل معترفاً — إليك يا خير مَنْ مُدَّت إليه يدُ
فلا تردنها يا رب خائبة — فبحر جودك يروي كل من يردُ

يردد هذا ويبكي عليه رحمة اللَّه [1].

* * *

(١) شريط قيام الليل للطحان.

عباد آخرون

رياح بن عمرو القيسي[١]:

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسي ـ وكان ذا قرابة لرياح:

«كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكي، وأدخل عليه البيت وهو يبكي، وآتيه في الجبال وهو يبكي، فقلت له يومًا: أنت دهرك في مأتم؟! فبكى ثم قال: يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا».

وكان يبكي ويقول: إلى كم يا ليل ويا نهار تحطّان من أَجَلي وأنا غافل عما يراد بي؟..

قال محمد بن مسعر: كان لرياح القيسي غل من حديد قد اتخذه وكان إذا جنّه الليل وضعه في عنقه وجعل يتضرع ويبكي حتى يصبح.

«وعن عثمان قال: أخبرتني مخة وكانت إحدى العوابد قالت: رأيت رياح بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبت فقمت خلفه حتى أزحفت، ثم اضطجعت وهو قائم وأنا أنظر إليه فقلت بصوت حزين: سبقني العابدون وبقيت وحدي وا لهف نفساه، فإذا رياح قد شهق وانكبّ على وجهه مغشيًا عليه، فامتلأ فمه رملاً فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق[٢].

وبعد يا أخي فهذي قطرة من بحر.. وهذي نفحة من شذى

---

(١) رياح بن عمرو القيسي: تكلم فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني ووصفه بأنه من زهاد المبتدعة. ولقد أثنى عليه الطحان في شريط قيام الليل، وأثنى كذلك على زوجته.

(٢) «صفة الصفوة» (٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩).

سيرتهم.. كلهم يصدق فيهم قول الشيخ صلاح الدين أبو عيسى المقدسي لمّا رثى الموفق بن قدامة:

قد كنت عبداً طائعًا لا تنثني عن باب ربك في العبادة توسعُ
كم ليلة أحييتها وعمرتها والله ينظرُ والخلائق هجّعُ
تتلو كتاب الله في جنح الدجى كزبور داود النبي ترجًعُ

عابد وقصته مع ابن المنكدر:

قال محمد بن المنكدر: «إني لليلة مواجه هذا المنبر في جوف الليل أدعو، إذا إنسان عند أسطوانة مقنع رأسه، فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله ـ وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير ـ فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟! فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه، ولم يجلس للقاص، حتى أتى دار أنس، فدخل موضعًا، ففتح ودخل. وقال: ورجعت، فلما سبحت[1]، أتيته، فقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو يُنَجِّر أقداحًا، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهرها وأعظمها مني، فلما رأيت ذلك، قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله، يا أخي هَلْ لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتُفرِّغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا. ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتيني

---

(١) سبحت: أي: صليت الضحى.

شهرتني للناس، فقلت: إني أحب أن ألقاك قال: القني في المسجد، قال: وكان فارسيًا، فما ذكر ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار، فلم يُر، ولم يُدر أين ذهب. فقال أهل تلك الدار: اللَّه بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح[1].

الأتقياء الأخفياء إذا طُلبوا هربوا... ماذا عليهم ألا يعرفهم أهل الأرض... وهم سادة عند أهل السماء.

أبو أحمد القلانسي:

القدوة مصعب بن أحمد البغدادي:

قال ابن الأعرابي: حضرنا ليلة عرسه ومعنا الجنيد ورويم، ومعنا قارئ يقول قصائد في الزهد، فما زال أبو أحمد عامة ليله في النحيب[2].

قيام المُسْتَملي أبي عمرو «حكمويه»:

الحافظ الزاهد العابد المجاب الدعوة أحمد بن المبارك.

قال الحاكم: كان مجاب الدعوة وراهب عصره.

وقال أيضًا: سمعت أبا بكر الصبغي يقول: كان أبو عمرو يصوم النهار ويحيي الليل، ثم قال: أخبرني غير واحد أن الليلة التي قتل فيها

(١) «حلية الأولياء (٣/ ١٥١ ـ ١٥٢).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٧١).

أحمد بن عبد اللَّه ـ يعني: الظالم الذي استولى على نيسابور ـ صلى أبو عمرو العتمة ثم صلى طول ليلته وهو يدعو على أحمد بصوت عال: اللَّهم شق بطنه اللَّهم شق بطنه[1].

قيام محمد بن عبد السلام الورّاق:

تلميذ يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري:

قال ولده عبدان: كان أبي يقول: نحن في مرحلة. وكان يصوم النهار ويقوم الليل، ويقول: هذا ما أوصانا به يحيى بن يحيى[2].

قيام القاضي الخياط: محمد بن علي المروزي:

أحد السادات الأولياء، عرف بالخيَّاط؛ لأنه كان يخيط على الأيتام والمساكين.

قال محمد بن عبدان خادم الجامع: كان محمد بن علي الحاكم يجيء في كل أسبوع ليلة إلى الجامع فيتعبد إلى الصباح من حيث لا يعرف غيري، فصادفته ليلة يتلو: **﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾** وكلما تلا آية منها ضرب بيده على صدره ضربة أسمع صوتها من شدته.

قال الحاكم: سمعت أبي يقول: كان القاضي محمد بن علي المروزي طول أيامه يسكن دار ابن حمدون بحذاء دارنا وكنت أعرفه

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٤٦٠).

يخيط بالليل وإذا تفرَّغ بالنهار للأيتام والضعفاء ويعدّها صدقة»[١] .

قيام علي بن حَمْشاذ:

الإِمام الحافظ شيخ نيسابور:

قال عبد اللَّه ولده: ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل. قال أبو بكر ابن إسحاق: صحبت عليّ بن حمشاذ في الحضر والسفر، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[٢] .

قيام ابن الحدّاد:

شيخ الإِسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكناني المصري الشافعي صاحب «كتاب الفروع» في المذهب.

قال عنه ابن زُولاق ـ وكان من أصحابه ـ: كان يختم القرآن في كل يوم ويصوم يومًا ويفطر يومًا وكان من محاسن مصر.

يقول ابن الحداد: أخذت نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي، أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة، سوى ما يقرأ في الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعًا وخمسين ختمة، وأتيت في غير رمضان بثلاثين ختمة.

وقال المسبِّحي: كان فقيهًا عالمًا كثير الصلاة والصيام، يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويختم القرآن في كل يوم وليلة قائمًا مصليًا[٣] .

---

(١) «السير» (١٤/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٩٨ ـ ٣٠٠)، «تذكرة الحفاظ» ص(٨٥٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٤٥ ـ ٤٥٠)، «طبقات الشافعية» (٣/ ٨١).

وفي ابن الحداد يقول أحمد بن محمد الكحّال:

الشافعيّ تفقهًا والأصمعي تفننًا والتابعين تزهدًا[١]

قيام الصِّبْغي:

شيخ الإسلام أبي بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي.

قال الحاكم: سمعت محمد بن حَمْدُون، يقول: صحبت أبا بكر ابن إسحاق سنين، فما رأيته ترك قيام الليل لا في سفر ولا حضر[٢].

قيام العسَّال:

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني القاضي.

ذكر أبو غالب أنه كان مرة مع صهره فدخل مسجدًا، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة.

قال ابنه إبراهيم: لما مات القاضي، وجلس بنوه للتعزية، فدخل رجلان في لباس سواد، وأخذا يولْوِلان ويقولان: وا إسلاماه، فسئلا عن حالهما، فقالا: إنا وردنا من أغمات[٣] من المغرب، لنا سنة ونصف في الطريق في الرحلة إلى هذا الإمام لنسمع منه، فوافق ورودنا وفاته[٤].

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٤٥ ـ ٤٥٠)، «طبقات الشافعية» (٣/ ٨١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٨٥)، «طبقات الشافعية» (٣/ ١٠).

(٣) أغمات: ناحية من بلاد المغرب قرب مراكش: «معجم البلدان».

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١١).

قيام الغطريفي:

الإِمام الحافظ الرّحال أبي أحمد، محمد بن أحمد بن حسين الغطريفي الجرجاني الرباطي الغازي:

كان مع علمه وحفظه صوّامًا قوّامًا متعبدًا[1] .

قيام حُسَيْنَك «ابن مُنَيْنَة»:

الإِمام الحافظ الأنبل القدوة أبي أحمد، الحسين بن علي بن محمد النيسابوري.

قال الحاكم: هو شيخ العرب في بلدنا، صحبته حضرًا وسفرًا فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة، فكان يقرأ سبعًا كل ليلة وكانت صدقاته دارّة سرًا وعلانية. أخرج مرة عشرة من الغزاة بآلتهم عوضًا عن نفسه، ورابط غير مرة. وكان ابن خزيمة يبعثه إذا تخلف عن مجلس السلطان ينوب عنه. وكان يعزه ويقدمه على أولاده، وفي حجره تربّى[2] .

قيام ابن حِنْزَابة[3] :

الإِمام الحافظ الوزير الأكمل، أبي الفضل، جعفر بن الوزير الفضل ابن جعفر، كان متعبدًا يصوم ثم يفطر ثم ينام، ثم ينهض في الليل،

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨).

(٣) حِنزابة: جارية هي والدة الفضل الوزير، وفي اللغة: هي القصيرة السمينة.

ويدخل بيت مصلاه، فيصف قدميه إلى الفجر[١].

قيام عطية بن سعيد:

الإِمام الحافظ القدوة الكبير، شيخ الوقت، أبي محمد الأندلسي القَفْصي.

قال الخطيب: حدثنا عنه أبو الفضل عبد العزيز بن المهدي قال: وكان زاهدًا لا يضع جنبه على الأرض، إنما ينام محتبيًا[٢].

البُنْدار:

الشيخ الصالح القدوة، أبو محمد، عبد الخالق بن هبة اللَّه بن القاسم الحريمي.

قال عنه ابن النجّار: كان صالحًا، زاهدًا، كثير العبادة، حسن السمت، على منهاج السلف، كأنَّ النور يلوح على وجهه، ويجد الناظر إليه رَوْحًا في نفسه[٣].

قيام الإِمام عبد الغني المقدسي:

العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري عالم الحفاظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٤٨٥ ـ ٤٨٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).

كان يصلي ويلقِّن القرآن، وربما أقرأ شيئًا من الحديث تلقينًا، ثم يقوم فيتوضأ، ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر، وينام نومة ثم يصلي الظهر، ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب، فإن كان صائمًا أفطر، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء، ويصلي العشاء، وينام إلى نصف الليل أو بعده، ثم يقوم كأن إنسانًا يوقظه، فيصلي لحظة، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر، وربما توضأ سبع مرات أو ثمانية في الليل، وقال: ما تطيب لي الصلاة إلاّ ما دامت أعضائي رطبة، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر، وهذا دأبه.

وقال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني: كان الحافظ عبد الغني نازلاً عندي بأصبهان، وما كان ينام في الليل إلا قليلاً، بل يصلي ويقرأ ويبكي وسمعت الحافظ يقول: أضافني رجل بأصبهان، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معنا، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل، فقلت: ما له؟ قالوا: هذا رجل شمسي[1]، فضاق صدري، وقلت للرجل: ما أضفتني إلا مع كافر؟! قال: إنه كاتب، ولنا عنده راحة، ثم قمت بالليل أصلي وذاك يستمع، فلما سمع القرآن تزفر، ثم أسلم بعد أيام، وقال: لما سمعتك تقرأ وقع الإسلام في قلبي.. اللَّه اللَّه يا لصدق الحافظ وأكرم بها من كرامة للشيخ الذي كان يقول العادل عنه: دخل عليّ فخُيِّل إليَّ أنه أسد[2].

ذكر أبو المظفر الواعظ في «مرآة الزمان» عن الحافظ عبد الغني

(١) يعبد الشمس.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٥، ٤٦٣ ـ ٤٦٤).

المقدسي أنه كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، ويقوم الليل ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سرًا، وضعف بصره من كثرة البكاء والمطالعة.

قيام الإمام أبي عُمر المقدسي:

المحدث البركة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، واقف المدرسة.

قال عنه الحافظ الضياء: كان لا يسمع دعاءً إلا حفظه في الغالب، ودعا به، ولا حديثًا إلا وعمل به، ولا صلاة إلا صلاَّها، كان يصلي بالناس في النصف[1] مئة ركعة وهو مسنّ، ولا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبيته، وإذا رافق ناسًا في السفر ناموا وَحَرَسهم يصلي.

قال الذهبي: كان قدوة صالحًا، عابدًا قانتًا للَّه، ربانيًا، خاشعًا مخلصًا عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قَلَّ أن ترى العيون مثله.

كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس. ويتلو كل ليلة سُبْعًا مرتلاً في الصلاة، وفي النهار سُبْعًا بين الصلاتين، ويصلي طويلاً بين العشاءين، ويصلي صلاة التسبيح كل ليلة جمعة. كانت نوافله في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة. يقول عنه الشيخ الموفق: ربانا أخي وعلمنا، وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يحرص عليهم ويقوم بمصالحهم، وهو الذي هاجر بنا، وهو سَفَّرنا إلى

---

(١) يعني: في نصف شعبان.

بغداد، وحين رجعنا زوجنا وبنى لنا دورًا، وكان قلما يتخلّف عن غزاة[1].

قيام الحافظ أحمد بن مهدي بن رستم:

الزاهد العابد أبي جعفر الأصبهاني. سمع أبا نعيم وقبيصة وروى عنه محمد بن يحيى بن منده.

قال أبو نعيم: كان صاحب أموال أنفق على أهل العلم ثلاثمائة ألف درهم.

قال عنه محمد بن يحيى بن منده: لم يحدث ببلدنا منذ أربعين سنة أوثق منه، صنف المسند، ولم يعرف له فراش منذ أربعين سنة صاحب عبادة.

روى أبو الشيخ عن أبي عليّ أحمد بن محمد بن إبراهيم أن أحمد ابن مهدي ذكر أنه جاءته امرأة ببغداد ليلة فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت: فباللَّه استرني، وقد أكرهت، وأنا حبلى فلا تفضحني، فقد قلت: إنك زوجي، فسكت، فبعد أيام جاءني إمام المحلة والجيران يهنئوني بالولد فشكرتهم، ووزنت دينارين ليوصلها للمرأة نفقة، وكنت أعطيها كل شهر دينارين إلى أن صار للولد سنتان. فمات فجاءوا يعزونني فأظهرت التسليم للَّه، ثم بعد أيام جاءت بالذهب وقالت: سترك اللَّه خذ ذهبك، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة مني للصغير وأنت قد ورثتيه.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٢ ـ ٧).

سترك اللَّه يا إمام بما سترت على المسلمين وأورثك جنات النعيم.

قيام الحصيري:

الحافظ الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد النيسابوري.

سمع إسحاق بن راهويه. وهو أحد أئمة هذا الشأن.

قال الحاكم: قال لي سبطه محمد بن أحمد السكري: كان جدي قد جزأ الليل، ثلثًا يصلي، وثلثًا ينام، وثلثًا يصنف، وكان مرضه ثلاثة أيام لا يفتر فيها من قراءة القرآن[1] .

قيام الجويني:

الحافظ أبي عمران موسى بن العباس صاحب «المسند الصحيح» على هيئة «صحيح مسلم».

قال عنه الحسن بن أحمد: كان أبو عمران الجويني في دارنا وكان يقوم الليل ويصلي ويبكي طويلاً[2] .

قيام ابن زياد:

الحافظ المجود العلامة أبي بكر عبد اللَّه بن زياد بن واصل النيسابوري الفقيه الشافعي.

قال يوسف القواس: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: تعرف من

---

(١) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨١٨).

قام أربعين سنة لم ينم الليل؟ ويتقوت كل يوم بخمس حبّات، يصلي الغداة على طهارة العشاء الآخرة؟ ثم قال: أنا هو، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن، أيش أقول لمن زوّجني؟ ثم قال: ما أراد إلا الخير[١].

* قيام أبي النضر شيخ الشافعية:

الإِمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف الطوسي.

قال عنه الحاكم: رحلت إليه مرتين، وسألته متى يتفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوى؟ فقال: جزّأت الليل، فثلثه أصنف، وثلثه أقرأ القرآن، وثلثه النوم، وما رأيت في مشايخنا أحسن صلاة منه، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل[٢].

* قيام النرسي:

الحافظ محدث الكوفة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون المقرئ.

قال عنه ابن ناصر: كان النرسي حافظًا ثقة متقنًا ما رأينا مثله، كان يتهجد ويقوم الليل[٣].

* قيام الإمام الحازمي:

الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمذاني.

قال ابن النجار: سمعت أبا القاسم المقرئ جارنا يقول ـ وكان

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٢٠).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٩٣).

(٣) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٦٠ ـ ١٢٦١).

صالحًا ـ: كان الحازمي في رباط البديع، وكان يدخل بيته في كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر، فقال البديع للخادم: لا تدفع إليه الليلة بزرًا للسراج فلعله يستريح الليلة، فلما جن الليل اعتذر إليه الخادم لانقطاع البزر، فدخل بيته وصفّ قدميه، ولم يزل يصلي ويتلو إلى أن طلع الفجر، وكان الشيخ خرج ليعلم خبره فوجده في الصلاة[1] .

* قيام ابن الحصري:

الإِمام الحافظ شيخ القرّاء برهان الدين أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج نزيل مكة وإمام الحطيم.

قال عنه ابن النجار: كان حافظًا حجة نبيلاً من أعلام الدين جم العلم كثير المحفوظ كثير التعبد والتهجد[2] .

* قيام ابن دقيق العيد:

الإِمام الفقيه المجتهد الحافظ شيخ الإِسلام أبي الفتح محمد بن علي ابن وهب القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي الشافعي.

قال عنه الذهبي: كان من أذكياء زمانه، واسع العلم، كثير الكتب، مديمًا للسهر، مكبًا على الاشتغال، ساكنًا وقورًا ورعًا، قلّ أن ترى العيون مثله.

وقال عنه الحافظ قطب الدين الحلبي: كان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه، عارفًا بالمذهبين، إمامًا

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٦٣ ـ ١٣٦٤).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٣٨٢ ـ ١٣٨٣).

في الأصلين، آية في الحفظ والإتقان والتحري، شديد الخوف دائم الذكر لا ينام الليل إلا قليلاً، ويقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة وذكر وتهجد حتى صار السهر له عادة، أوقاته كلها معمورة لم ير في عصره مثله[١] .

* قيام أسد الشام اليونيني:

الزاهد العابد:

قال عنه الحافظ الذهبي: كان شيخًا طويلاً مهيبًا شجاعًا حادّ الحال، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء، فمن رآه نائمًا وله عصا اسمها العافية ضربه بها، ويحمل القوس والسلاح، وكان أمارًا بالمعروف لا يهاب الملوك حاضر القلب، دائم الذكر، بعيد الصِّيت.

قال الشيخ علي القصار: كنت أهابه كأنه أسد، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبي وأجعله فيه[٢] .

* قيام الحافظ أبي جعفر أحمد بن مهدي:

«قال عنه أبو الشيخ الأصبهاني: بلغني أنه غاب عنه كتاب قبيصة ثم رده، فترك قراءته، وذكر أنه لم يعرف له فراشًا منذ أربعين سنة ـ رحمه اللَّه تعالى ـ»[٣] .

* قيام أبي محمد الروابطيّ:

من كبار الزهاد بالأندلس:

---

(١) تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٤٨١ ـ ١٤٨٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٠١ ـ ١٠٢)، وانظر: كتابنا «فرسان النهار».

(٣) «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣/ ٥٨).

أخذ عنه ابن مَسْدِيّ وقال: كان يسيح بثغور الأندلس، يأوي في مساجد البر، له كرامات، أُسر إلى طرطوشة وقيّدوه، فقام النصراني ليلة فرآه يصلي، وقَيْده إلى جنبه، فتعجب، فلما أصبح رآه في رجله، فرقبه ثاني ليلة فكذلك، فذهب فأخبر القسس، فقالوا: أحضروه فجاء به، وجرت بينه وبينهم محاورة، ثم قالوا: لا يحل أن نأسرك فاذهب، ولطرطوشة نهر تعمل فيه السفن، فلقيه أسير فقال: باللَّه خذني فأخذ بيده وخاض إلى نصف الساق، فتعجبت النصاري، وشاعت القصة[1].

* قيام الشيخ الورع علي العيّاش المصري:

«الشيخ الصالح الورع المجدّ على العبادة ليلاً ونهاراً.

كان من أجلّ أصحاب سيدي أبي العبّاس الغمري وسيدي إبراهيم المتبولي.

مكث نحو ستين سنة ما وضع جنبه على الأرض وكان يقرأ القرآن ويردّده ويبكي إلى الصباح ولا يزيد على خمسة أحزاب وقراءة كل ليلة سورة طه من بعد صلاة العشاء فما زال يرددها ويبكي إلى الصباح»[2].

* قيام الوزير الكبير الشهيد السعيد آصف خان الكجراتي:

أبي القاسم عبد العزيز بن محمد بن محمد السندي أعظم الوزراء بمملكة كجرات.

كان مع ما هو عليه من التنعم البالغ والسرايا والزوجات والحشم

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

(٢) «الكواكب السائرة» (٢/ ٢٢٢).

والخدم له تهجد طويل بالليل بحيث يقرأ في تهجده في كل ليلة نحو ذلك ثلث القرآن مع الفكر والخشوع والخضوع بين يدي اللَّه تعالى لا يفتر عن ذلك حضراً بل ولا سفراً كما أخبر عنه الثقات الذين صحبوه في السفر من مكة إلى الروم ثم منه إلى مكة.

قال: وكان يعتكف في رمضان كل سنة مدة إقامته بمكة في المسجد الحرام بما ينبغي للمعتكف الاشتغال به من التفرد والتجرد للطاعة فيقرأ ويسمع عدة ختمات ولهذا استمر على طريقته بعد عودته من مكة إلى بلدته مع مباشرته للوزر[١] الأعظم حتى توفاه اللَّه[٢].

* **قيام الشيخ ابن عنان المصري الشافعي واستعداده العجيب له:**

الشيخ محمد بن حسن العالم الصالح الناسك الشهير بابن عنان المصري الشافعي تفقه بالشيخ يحيى المناويّ وهو ممن أخذ عنه أيضًا.

وكان ابن عنان ممن اشتهر بالجدّ في العبادة والاجتهاد في الطاعة وقيام الليل وحفظ الأوقات من التضييع.

وكان لا يترك قيام الليل صيفًا ولا شتاء من حين كان صغيراً، وكان يتهيأ ويستعد لقيام الليل من صلاة العصر فلا يستطيع أحد أن يكلمه حتى يصلي الوتر بعد العشاء، فإذا قام للتهجد من الليل لا يجترأ أحد أن يكلمه حتى يصلي الضحى[٣].

---

(١) أي: الوزارة العظمى.

(٢) «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» لعبد الحي الحسني الندوي (٤/ ١٦٥ ـ ١٧٣).

(٣) «المختار المصون من أعلام القرون» جمع محمد بن حسن بن عقيل (٢/ ٦٦٤)، نقلاً عن «الكواكب السائرة» (١/ ٣٩ ـ ٤٠).

* **قيام أبي العباس الرملي ابن رسلان:**

نزيل بيت المقدس.

كان لا ينام من الليل إلا قليلاً.

حكى صهره الحافظ التاج بن الغرابيلي عنه أنه كان قليلاً ما يهجع من الليل، وأنه في وقت انتباهه ينهض قائمًا كالأسد لعل قيامه يسبق كمال استيقاظه ويقوم كأنه مذعور فيتوضأ ويقف بين يدي ربه يناجيه بكلامه مع التأمل والتدبر، فإذا أشكل عليه معنى آية أسرع في تينك الركعتين ونظر في التفسير حتى يعرف المعنى ثم يعود إلى الصلاة.

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فأدأب عليها تفز بالخير والظفر

خلاء بطن وقرآن تدبره ... كذا تضرّع باكٍ ساعة السحر

ثم التهجد جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر[1]

* **قيام ابن النجار الدمياطي.. وإسلام نصراني سمع قراءته في السَّحَرِ:**

هو الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى شيخ وقته ابن النجار الدمياطي الشافعي خطيب جامع الغمري بمصر.

كان لا يترك قيام الليل صيفًا ولا شتاء، وكان ينام بعد الوتر لحظة ثم يقوم وينزل إلى الجامع فيتوضأ ويصلي والباقي للفجر نحو سبعين درجة ويتلو نحو ربع القرآن سرًّا، فإذا أذّن الصبح قرأ جهرًا قراءة تأخذ

---

(١) «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٢٨٢ _ ٢٨٨).

بجوامع القلوب، فمرّ نصراني من مباشري القلعة يومًا في السحر، فسمع قراءته فرّق قلبه وأسلم على يدي الشيخ وهو على كرسيّه وحسن إسلامه، وصلى معه الفجر، وبقي يصلي خلفه إلى أن مات[1] .

*** قيام الشيخ الشعراوي والد الشيخ عبد الوهاب الشعراوي:**

العالم الصالح أحمد بن علي بن شهاب الشعراوي الشافعي والد الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، اشتغل في العلم على والده الشيخ علي، ووالده حمل العلم عن الحافظ ابن حجر ويحيى المناوي.

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقوم كل ليلة بثلث القرآن أو أكثر.

قال ولده الشيخ عبد الوهاب: وقد كنت أقرأ عليه مرة في سورة الصافات، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ**﴾ بكى حتى أغمى عليه وصار يتمرّغ في الأرض كالطير المذبوح[2] .

*** قيام الشيخ أحمد الحسيني البخاري.. صلاته الفجر بوضوء العشاء ست سنين:**

صحب الشيخ الإلهي وسار معه إلى بلاد الروم، وكان الشيخ الإلهي يعظمه غاية التعظيم، وعيّن له جانب عيشه، وكان يقول: إن الشيخ أحمد البخاري صلّى بنا الفجر بوضوء العشاء ست سنين.

وسئل السيد أحمد عن نومه في تلك المدة فقال: كنت آخذ بغلة

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٣٣ ـ ٣٥).

(٢) «الكواكب المسائرة» (١/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

الشيخ وحماره في صبيحة كل يوم وأصعد الجبل لنقل الحطب إلى مطبخ الشيخ وكنت أرسلهما ليرتعا في الجبل وأستند إلى شجرة وأنام ساعة. وجاور بمكة المشرفة قريبًا من سنة ونذر أن يطوف الكعبة كل يوم سبعًا، ويسعى بين المروتين سبعًا، وكان كل ليلة يطوف تارة ويتهجد أخرى، وتارة يستريح ولا ينام ساعة مع ضعف بنيته.

وكان طريقه الأخذ بالعزيمة، والعمل بالسنّة والتجنب عن البدعة، والعزلة وإحياء الليل وصوم النهار [١]

* قيام الحسامي:

الشيخ الإمام العلامة النحوي أحمد الحسامي القاهري:

كان ـ رحمه اللَّه ـ ملازمًا للطهارة، لا يكاد يدخل عليه وقت وهو محدث، وكان كثير الصمت قليل الكلام، تجلس معه اليوم واليومين فلا تسمع منه كلمة لغو.

وكان كثير الصيام والقيام، يقوم النصف الثاني من الليل كل ليلة [٢].

* قيام الشيخ عبد الوهاب المصري:

الشيخ الصالح تاج الدين الذاكر المصري رُبِّي يتيمًا بمكتب مدرسة الحسامي.

---

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) «الكواكب السائر» (١/ ١٥٣).

كان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ نيِّر الوجه حسن السمت مُجداً في العبادة، مكث خمسًا وعشرين سنة لم يضع جنبه على الأرض، إنما ينام جاثيًا على حصير. وقال عند موته: لي أربعون سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء.

ولما سافر الغوري لقتال ابن عثمان طلب الشيخ تاج الدين الذاكر ليسافر معه وجميع أشياخ البلدة، فرفضوا، فتوعدهم، فقال الشيخ: ما بقي بيننا اجتماع، هو لا يرجع ونحن نموت، وكان الأمر كما قال[1].

*** صفي الدين الهندي يلبس أحسن ثيابه للتهجد:**

هو الفقيه الشافعي الأصولي محمد بن عبد الرحيم صفي الدين الهندي.

لما عُقد بعض المجالس لابن تيمية عُيِّن الصفي الهندي لمناظرته.

يُقال أنه كان له ورد من الليل، فإذا استيقظ توضأ ولبس أفخر ثيابه حتى الخف والمهماز ويقوم يصلي بتلك الهيئة.

قال عنه الذهبي: كان فيه دين وتعبد وله أوراد، وكان حسن الاعتقاد على مذهب السلف[2].

*** قيام سيبويه:**

محمد بن أحمد بن سلامة الأحمدي الشافعي. اشتهر بعلوم العربية لغلبتها عليه وكثرة إقرائه لها، جمع اللَّه له بين العلم والولاية.

---

(١) «الكواكب السائرة» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٢) «الدرر الكامنة» (٤/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

وكان عزبًا لا يخرج من جامع الأزهر إلا إذا تعطلت فسقية[١] الجامع فيخرج لأقرب مكان لقضاء الحاجة، وكان ملبسه في الصيف والشتاء جبة حمراء.

وكان إذا فرغ من التدريس يشتغل بتلاوة القرآن. ولم يتخلف في سائر الأوقات عن صلاة الجماعة في الصف الأول بالأزهر، ويقوم فيه من النصف الآخر، ولا يزال يتهجد حتى يصلي الصبح مع الجماعة، وبعدها يقرأ الناس عليه في القراءات إلى طلوع الشمس فيذهب حينئذ إلى فسقية الجامع ويتوضأ ويجلس للتدريس إلى قُبيل الظهر. هذا دأبه طول عمره إلى أن نقله اللَّه إلى دار كرامته.

ولما مات سمع الناس قائلاً يقول وهم في جنازته: مات العلم الخالص لوجه اللَّه تعالى، وذهب الزهد فيما بين الناس بعد محمد، إنا للَّه وإنا إليه راجعون، فضجّ الناس وصاحوا وبكوا ـ رحمه اللَّه تعالى ـ[٢] .

* **قيام التركي محمد بن محمد بن عبد اللَّه المصري:**

ذكره المناوي في «طبقاته» وقال: كان شيخًا متعبدًا متزهدًا ريِّض الأخلاق حسن الشمايل.

وقال عنه: ولزمته فما رأيته غضب، وقال لي: إنه أقام ثلاثة عشر عامًا لا يضع جنبه إلى الأرض بل يصلي الصبح بوضوء العشاء[٣] .

---

(١) حوض الماء المعد للسقيا والوضوء.
(٢) «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي (٣/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦).
(٣) «خلاصة الأثر» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

* قيام الشيخ العالم نصير الدين الحسينيّ البرهانبوري:

قال عنه السيد عبد الحي الندوي الحسني:

أحد العلماء الربانيين، ولد ونشأ في تصون تام وتألُّه واقتصاد في الملبس والمأكل، ولم يزل على ذلك برًا تقيًا ورعًا عابدًا ناسكًا صوّامًا ذاكرًا للَّه سبحانه في كل أمر رجّاعًا إليه في سائر الأحوال، كان لا ينام في الليل إلا نحو ساعتين بعد العشاء ثم ينهض ويتهجد ويشتغل بتلاوة القرآن بلحن شجي ويبكي كثيرًا في أثناء التلاوة حتى تبل دموعه ملابسه، وكان يكتب القرآن وكتب التفسير والسلوك فيسترزق بها وكانت قدماه ويده اليسرى مشلولة.

ولما أشار السلطان إلى خواجة أدهم الذي كان صدرًا في «برهانبور» أن يفتش عن حاله ثم يعرض على السلطان ما يناسب له من يومية أو شهرية فذهب إليه أدهم وأقرأه رسالة السلطان، فقال له نصير الدين: لعلك أخطأت في مجيئك عندي لأن الصفات الأربعة التي كتبوها في المراسلة لا توجد فيّ.

أما السيادة فلا أنكرها ولا أدعيها، ولكن الصفات الأخرى من العلم والصلاح والاستحقاق فليس لها عين ولا أثر في نفسي فلعلّهم أرادوا بها غيري ممن يُسمى باسمي، فانقبض الصدر من قوله وتكدر باله، وقال: لعلّ عندكم بضاعة التوكل، فقال: بلى إن مفاتيح رزقي بيد من يحتاج إليه مائة مائة آلاف مثل سيدك تحتاج إليه(١).

---

(١) «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» للسيد عبد الحي الندوي الحسني (٦/ ٣٩٢ - ٣٩٣).

* **قيام الشيخ الزاهد غلام علي الدهلوي:**

كان ـ رحمه اللَّه ـ يحيي ليله بالعبادة والقيام إلا قدرًا يسيرًا من النوم، وكان نومه على مصلاه، وقلما تخلو زاويته من خمسمائة رجل يأكلون من مطبخه.

قال عنه الشيخ مراد بن عبد اللَّه القزاني في «ذيل الرشحات»: إنه كان قليل المنام، وقليل الطعام، فإذا رأى أحدًا من أصحابه في نوم الغفلة وقت التهجد كان يوقظه.

وكان يحيي أكثر الليل بالذكر والمراقبة، وكان نومه قعودًا على هيئة الاحتباء، ولم يكن يمد رجليه من غاية الحياء إلا قليلاً، حتى كان موته على هيئة الاحتباء(١).

* **قيام جلال الدين التبريزيّ:**

أقام ـ رحمه اللَّه ـ في جبال كامر وهي بلدة بينها وبين سد كانوان مسيرة شهر ـ وهي جبال متسعة متصلة بالصين وتتصل ببلاد التبت. وعلى يديه أسلم أهل تلك الجبال ولذلك أقام بينهم.

قال عنه ابن بطوطة: إن هذا الشيخ من كبار الأولياء وأفراد الرجال، له الكرامات الشهيرة والمآثر العظيمة، وهو من المعمرين، أخبرني أنه أدرك الخليفة المستعصم باللَّه العباسي ببغداد وكان بها حين قتله التتر. مات وهو ابن مائة وخمسين.

كان نحو أربعين سنة يسرد الصوم، وكانت له بقرة يفطر على

---

(١) «الإعلام» (٧/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧).

حلبها ويقوم الليل كله، وأخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد، وأوصاهم بتقوى اللَّه وقال لهم: إني أسافر عنكم غداً إن شاء اللَّه وخليفتي عليكم اللَّه الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه اللَّه في آخر سجدة منها. ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبراً محفوراً عليه الكفن والحنوط. فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه.

قال ـ رحمه اللَّه ـ: من شرب من بحر مودته يحيا حياة لا موت بعدها، ومن لم يذق من صافي المحبة يخرج من الدنيا كالبهائم صفر اليدين، وإذا مات صار جيفة ومات مواتًا لا حياة بعدة، كما قال أصدق القائلين ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [1].

*** الشيخ طاهر الجزائري شيخ الشام:**

قال عنه الشيخ علي الطنطاوي:

«كان باعث نهضة، وكان معلم جيل، كان يترك أثرًا من الخير أينما حلّ، وكان يعلّم بفعله لا بقوله، كان يسهر الليل كله، يدور على بيوت أصحابه ومريديه، أو يقبع يدرس ويؤلف» [2].

*** قيام الشيخ بدر الدين الحسني:**

قال عنه الشيخ علي الطنطاوي:

«لئن كان الشيخ طاهر الجزائري رجل الإصلاح، فهذا رجل العلم».

رجل عاش ثمانين سنة بالعلم وللعلم.. ما نام كما ينام، بل كان

---

(١) «الإعلام» (٢/ ٢١ ـ ٢٣).

(٢) «رجال من التاريخ» لعلي الطنطاوي (٢/ ١٢٧، ١٢٨، ١٣١) طبع دار البشير.

يجلس في الليل ليقرأ، فإذا غلبه النعاس اتكأ برأسه على وسائد أُعدت له فأغفى ساعتين أو ثلاثًا من الليل متقطعات، ومن النهار ساعة، الرجل الذي كان يراقب اللَّه والناس عنه غافلون، ويقرأ العلم ويسبح والناس نائمون. تخلف عن قافلة العلماء العاملين الأولين: إبراهيم والحسن وسعيد والسفيانين ليجيء وحده في آخر الزمان، وما تنكب عن السنن ولا حاد عن الطريق، كما تتخلف الزهرة عن النجوم لتكون نجمة الصبح هادية المدلجين ومرشدة الضالين، وكما تتخلف الزهرة الأخيرة في الروض لتكون هدية الملوك وتحفة الأبهاء.

كان علمه عجيبًا وكانت سيرته أعجب من علمه، عاش أكثر من ثمانين سنة، وما عاش في الحقيقة إلا يومًا واحدًا أعيد ثلاثين ألف مرة، فكان في ثيابه واستقامته مثلاً مفردًا، كان ينهض من منامه بعد منتصف الليل، وما كان ينام في الحقيقة، وإنما كان يجلس يقرأ الليل كله كتلميذ ليلة الامتحان، فإذا غلبه النعاس أمال رأسه على الوسادة فأغفل ثم أفاق والمصباح إلى جانبه، فإذا نهض توضأ من البركة في داره الكبيرة التي بقيت إلى الآن فارغة.

ثم يقوم فيصلي ما شاء اللَّه أن يصلي، فإذا كان السحر خرج فوجد بعض مريديه وتلاميذه ينتظرونه أمام الشاذروان (الرواق) لا يثنيهم مطر ولا برد حتى يخرج فيمشوا معه»[1] .

***

(١) «رجال من التاريخ» (٢/ ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧).

* **قيام الشيخ علي الدقر علم الأعلام في الشام وتلميذ الشيخ بدر الدين:**

قال عنه الشيخ الطنطاوي: «هو في الشام علم الأعلام، وهو تلميذ الشيخ بدر الدين.

أعطي من التوفيق في العمل، والعمق في الأثر، ما لم يعط مثله الشيخ بدر الدين ولا غيره من مشايخ الشام في تلك الأيام.

كانت موعظته تخرج من القلب فتحرّك فيه خامد الشعور، وتثير فيه كامن الإيمان، فيها ما يملأ بالدموع الأماقي، ويبكي من الخشوع العيون، فيها ما يقيم ويقعد، ويلين أفئدة كانت أشد من الصخر، وتستخلص من أيدي الشيطان نفوسًا كان قد تملكها وتحكّم فيها الشيطان، فيها ما يشعر حاضرها أنه انتقل من هذه الدنيا إلى مجالس الجنان.

فيها ما لا أستطيع أن أعرف القارئين به؛ لأنه شيء يرى ولا يوصف، ويذاق ولا يعرف وكان الشيخ يُسأل: من أين يأتي بهذا الكلام الذي يُلقيه على الناس، ومن أي كتاب ينقله؟.

فما كان يجيب ولو أجاب لقال: بأنه ينقله من الصلاة في ظلمات الليالي، والمناجاة في هدآت الأسحار، ومن حلاوة الإيمان الذي يذوقها في ساعات الخلوة بالله والتوجه إليه والقيام بين يديه، من هناك يملأ هذه «البطارية» التي يعيش أهل الدرس ساعة على ضوئها[1].

* * *

(١) «رجال من التاريخ» (٢/ ١٤٠ ـ ١٤١).

* الشيخ إبراهيم عزت شيخ المتهجدين في مصر وإمامهم:

ومَنْ من الناس لا يعرفه، وكلامه كله سبحات في نور اللَّه، وخفقات إنابة وذكر، وومضات سجود وشكر.

في سنة (١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م) تولى الخطابة في مسجد (أنس بن مالك) بمدينة المهندسين بالجيزة، وأثر في آلاف الشباب ببكائه وتهجده، وساقهم إلى نعيم التهجد، وتحوّل مسجده إلى مدرسة للتربية الإسلامية على قيام الليل والبكاء. وكان تأثير الشيخ في الناس عظيمًا، بسبب ما رزقه اللَّه من الإخلاص والصدق.

لقد حمل دعوته وتربيته إلى الجامعات والمدارس.. وكان وجهه النيّر الوضيء من آثار القيام ينبيك على ليله، كان بكاؤه في التهجد يهز نفوس الآلاف ويربيهم:. وللحق يقال إن آلافًا من المتهجدين بمصر ممن ذاقوا حلاوة التهجد تخرجوا على يديه، وما عرفوا قيام الليل إلا عن طريقه.

«وفي شهر رمضان سنة (١٤٠٤ هـ ١٩٨٣م) عقد الشيخ النية على السفر لأداء العمرة والاعتكاف بالمسجد الحرام في العشر الأواخر من الشهر الكريم.

وقبل أن تصل الباخرة إلى ميناء جدة، وفي إحدى ليالي الوتر من الثلث الأخير، وبعد انقضاء يوم من الصيام، أفطر الشيخ «إبراهيم عزت» وصلى المغرب مع مرافقيه، ثم استأذنهم للراحة، فلم يحن وقت صلاة العشاء إلا وكانت روحه قد صعدت إلى خالقها، وله من العمر ثلاث وأربعون عامًا، وتم دفنه في مكة المكرمة بعد أن صلى عليه آلاف

المسلمين في الحرم الشريف مكفنًا في رداء إحرامه.

وبهذه الخاتمة الصالحة والموتة الطيبة حقق اللَّه لعبده إحدى أمنياته، إذا كان يكثر من القول في الدعاء: «اللَّهم ارزقني شهادة في سبيلك، وموتة في بلد حبيبك ﷺ»(١).

أخي: ويمضي ركب المتهجدين يُخفي سرهم ظلام الليل وتتباهى الأيام بما وصل إلينا من أريجهم الفوّاح.. وما أكثرهم وأطيبهم وأنداهم. والمجهولون الذين لا نعرفهم لا يضرهم ذلك، فإن الذي أكرمهم بالقيام يعرفهم وإنْ جهلهم من شملتهم الغفلة مثلي وغاب عن دربهم، ونأت به المعصية عن ركبهم.. فلعلّ صوت حاديهم أن يزعجنا يومًا للسفر إلى دارهم.

***

مشتاقة إليك سيدي جوارحي

مشتاقة إليك في القلوب لمحة

محتاجة من نـــورك الفيّاض

بعد ما يبـــلّ غلّة الظمأْ

تشققت في الصدر سيدي

مواطن الزروع

بعض النـــدى

أو قطرة من المطر

---

(١) «الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره» للدكتور حسن عبد السلام ص(٣١).

تــردّ قصــة الحيــاة

حتى يحين موعدي مع اللقاء

وعند ذاك سيدي وعند ذاك

سينتهي السؤال

ستهدأ الودائع التي في داخل الصدور

سنستقر في مرافئ الأمـــان[1] .

* * *

(١) قصيدة «لحظة الوصال» للشيخ إبراهيم عزت من كتاب «الشيخ إبراهيم عزت حياته وشعره» ص(١٠٨ ـ ١٠٩).



فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

إهداء

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الصفحة | الموضوع

* * *


منتدى إقرأ الثقافي